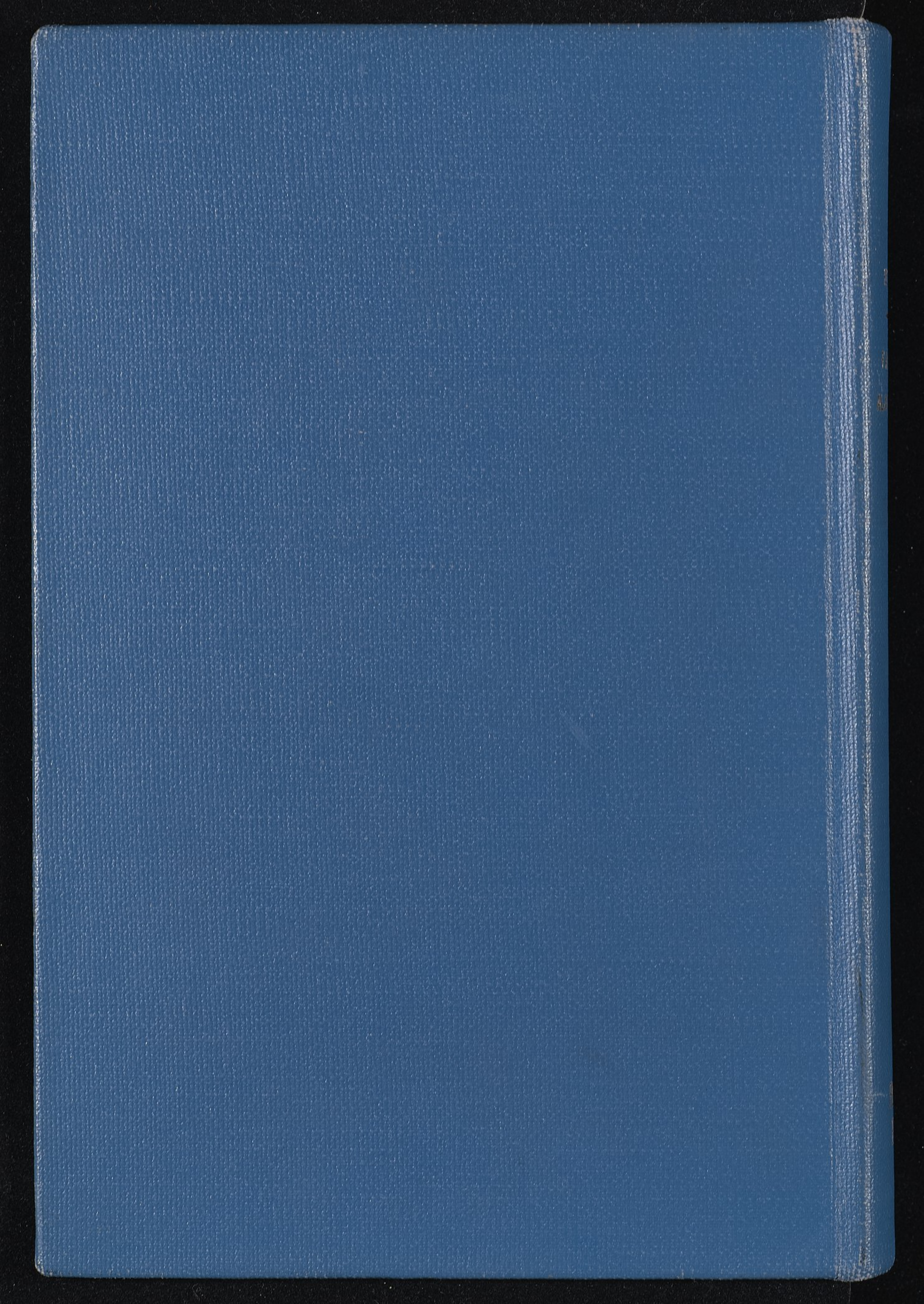
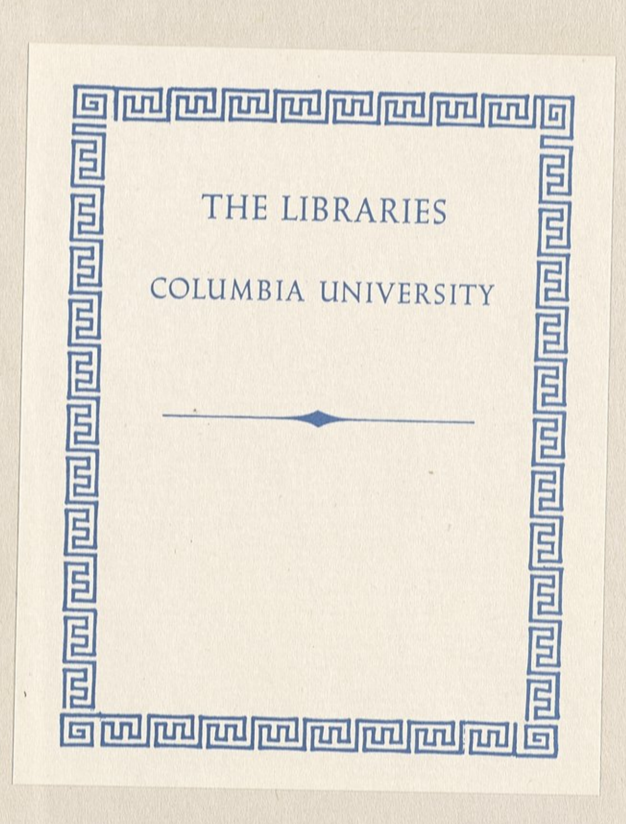
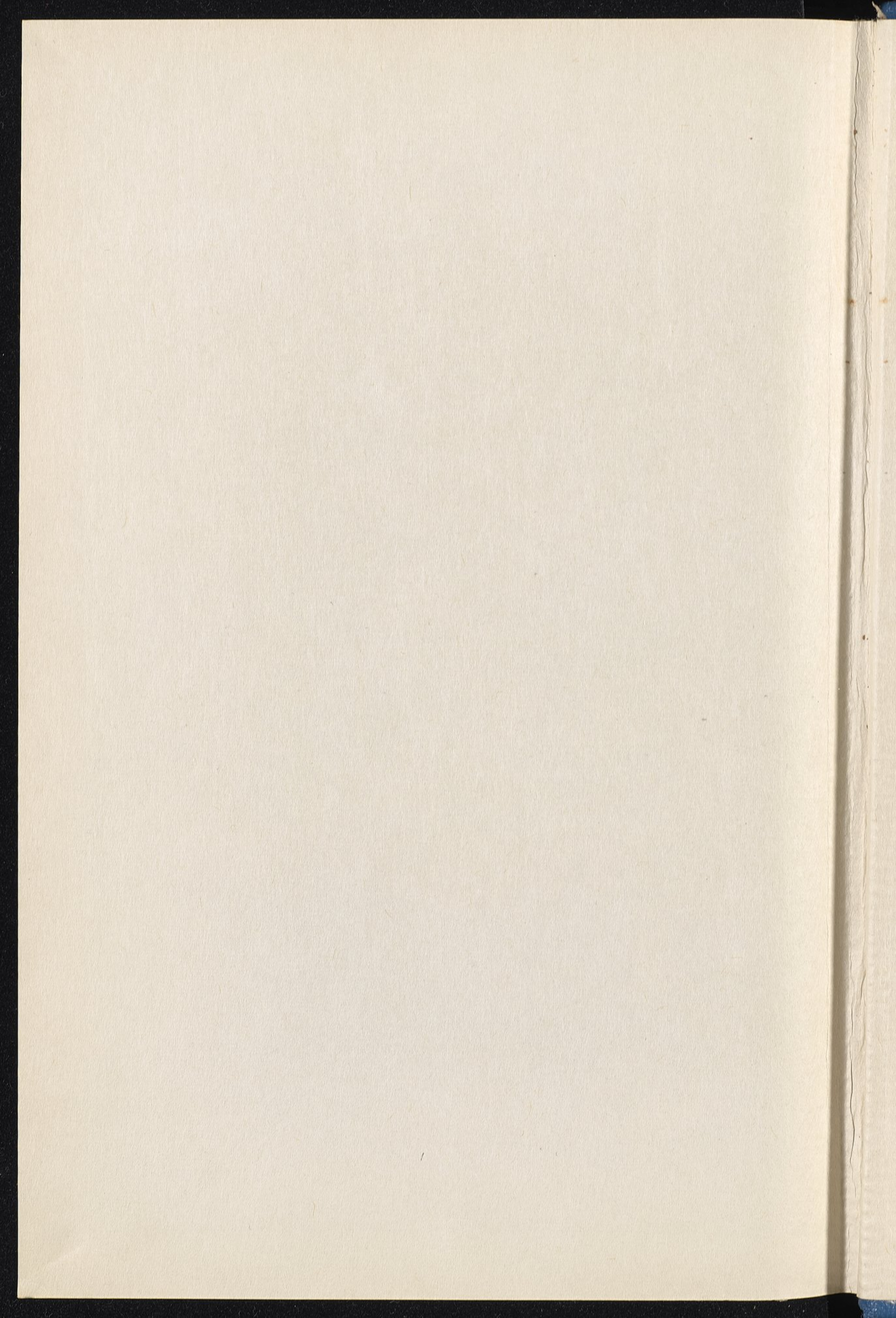
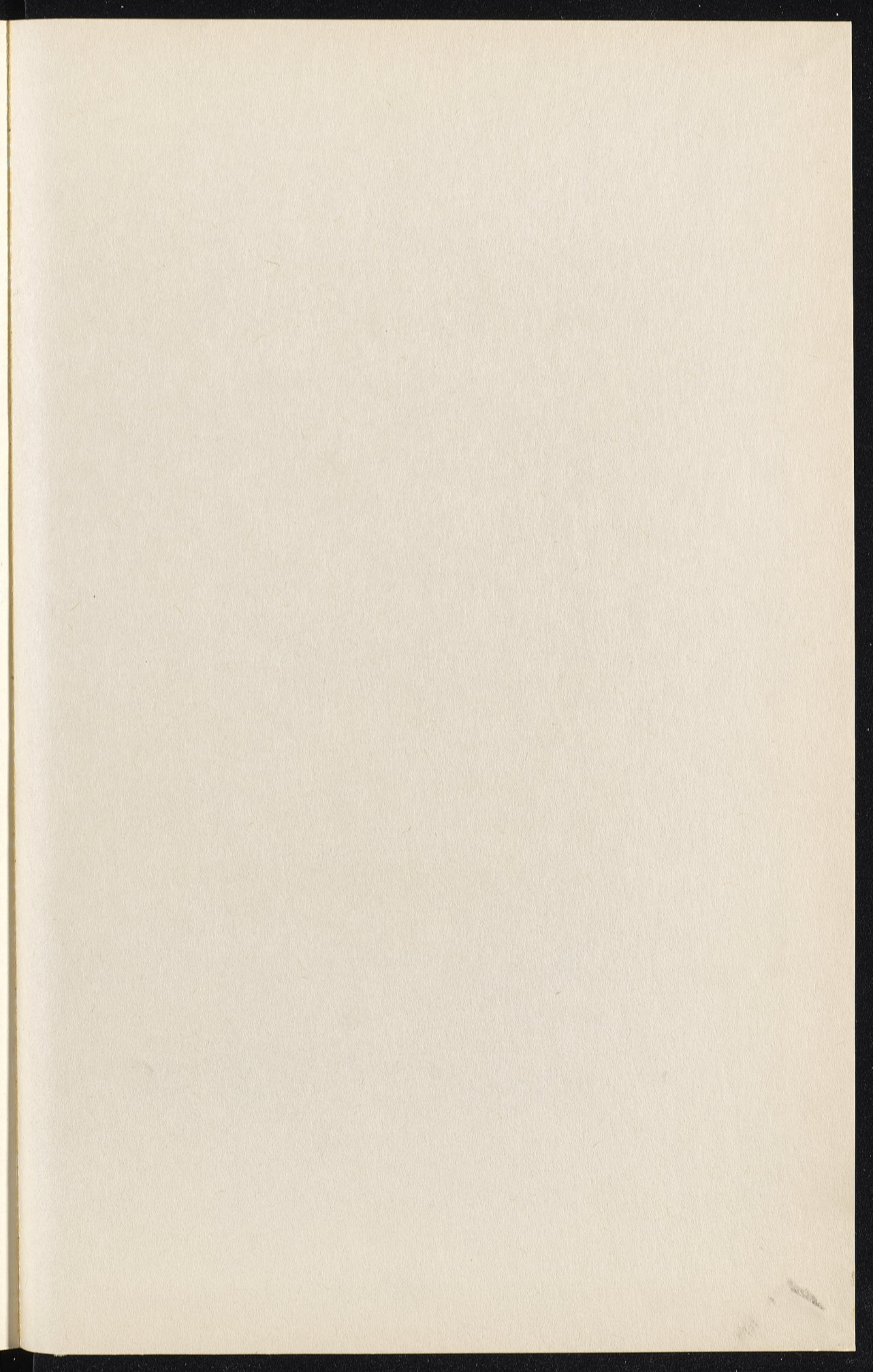
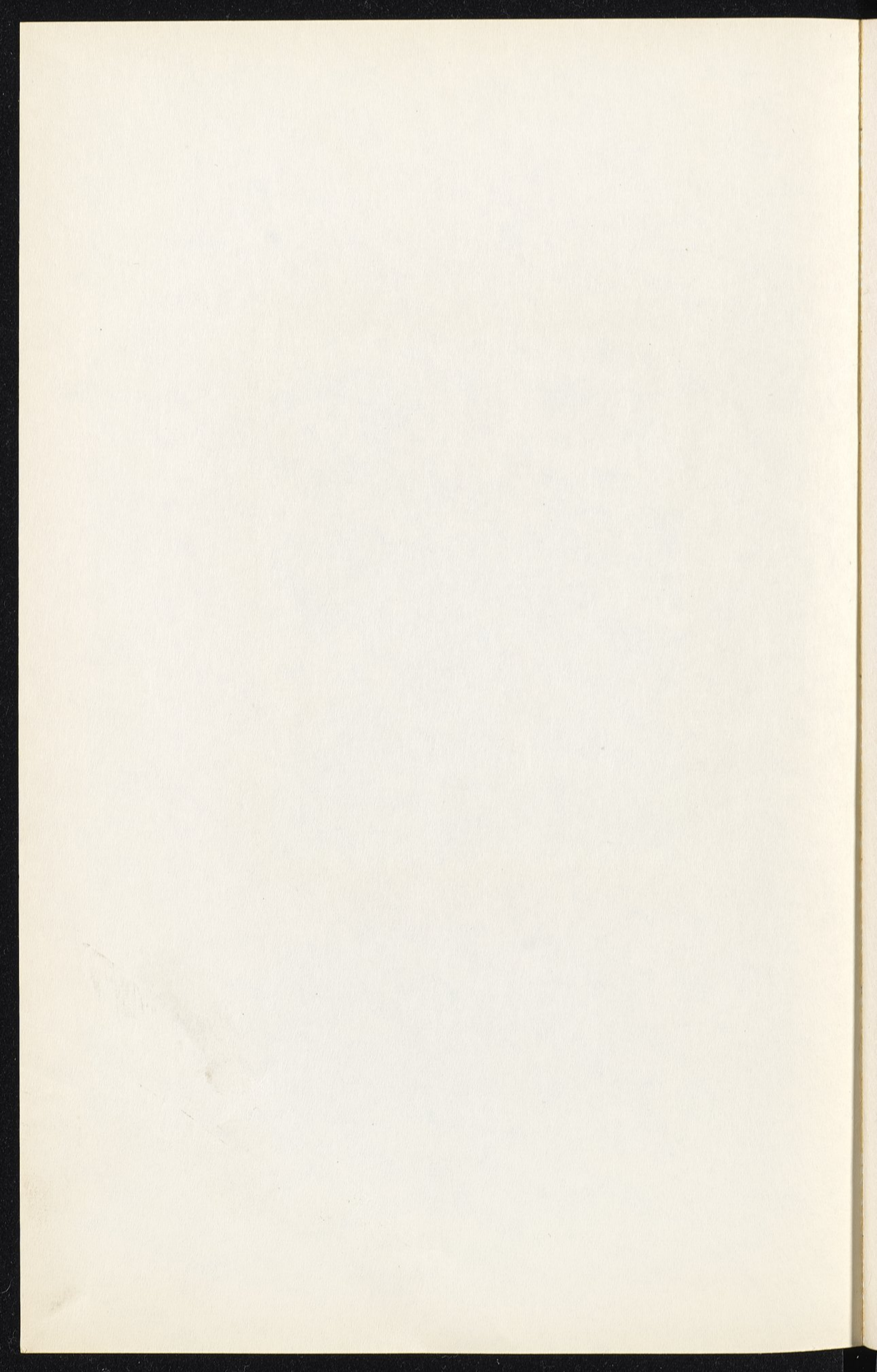
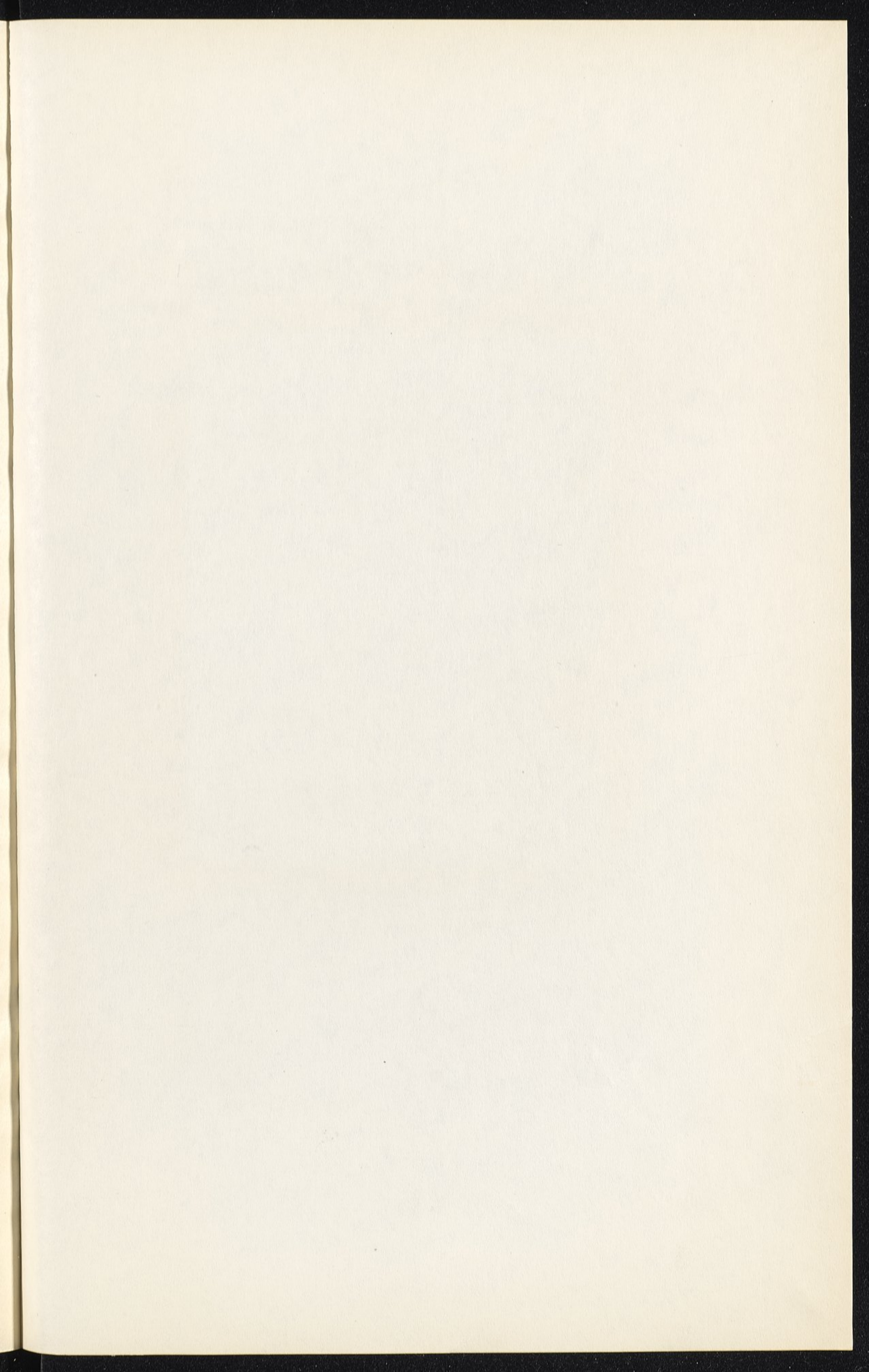












فوات الوفيات

تأليف

محمد بن شاكر بن أحمد ، الكتبي

المتوفى فى عام ٧٦٤ من الهجرة

وهو ذيل على كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان

حققه ، وضبطه ، وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الأول

ملتزمة النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا : بالقاهرة

مطبعة السعادة بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالجبروت والكبرياء ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صفوة الأنبياء ، وعلى آله وصحبه ذوي الهمم العلياء .

و بعد ؛ فقد كان مما جرى به القدر أنني أخرجت مَعْلَمة التاريخ الكبرى التي دبَّجتها يَرَاعَةُ القاضى الفاضل العلامة ابن خلكان المشهورة باسم « وفيَات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » فجاء كما أحببت ، ورضى عنه أدباء العروبة — جزاهم الله تعالى خير الجزاء ! — أيَّما رضاً ، وأثنوا على مابذلت فيه من جُهْد ، وكثير منهم طالبنى فى إلحاح أن أتبع ذلك بتحقيق الكتاب الذى ألفه فخر الدين محمد بن شاكر الكتبى الحلبيِ المتوفى فى عام ٧٦٤ من الهجرة ، والمشتمل على ثمانمائة ترجمةٍ وأربعين ترجمةً وستٍّ ترجَمَاتٍ ، وكنتُ أسوِّف فى ذلك ظنا أن هذا الكتاب لم يستحقَّ النشر من قبلُ إلا لكونه قُرِن بكتاب ابن خلكان ، وجُعل ذَيْلاً له ، وادُّعى له الاستدراك عليه ، وكنت أستدل لذلك بأن مؤلف الكتاب ليس إلا ورَّاقاً اجتمع له من الكتب عَدَد وفير ، وكان يُحْسن القراءة والكتابة ، فأخذ مما كان عنده من الكتب شَذَرَاتٍ من غير تحقيق ؛ فكان من مجموع هذه الشذرات كتاب ، وكنت أتمادى فى هذا الاستدلال فأزعم لنفسى أن آية ذلك أنك لا تجد له ترجمة فى الكتب التى ألفها العلماء فى طبقات أهل العلم على اختلاف مناحى تبريزهم ، إلا ترجمة فى ثلاثة أسطر من الحرف الكبير كتبها الحافظ ابن حجر فى « الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة »

ثم إنى أمعنت النظر فى هذا الكتاب ، وراجعت تراجمه على ما بين يدى من كتُب التاريخ والرجال فتبين لى أنه لا ينبغى للإنسان أن يحكم على كتابٍ بما يذيع بين الناس لصاحبه من شهرة ، وخاصة كتب التراجم ، فإن أكثر هذه الكتب إنما تتحدث عن عصور سابقة على عصر المؤلف ، والغالبُ أن المؤلف يحكى فى كتابه عن مؤلفين سابقين ، وقد يُسْنِد الحديث إليهم وقد يترك ذلك

الإسناد ؛ فيكون كتابه — عند التحقيق — مجموعة كتبٍ ، ويكون كل جزء منه لمؤلف آخر ، فإذا حكمتَ على هذا المجموع حكماً واحداً ونسبته إلى مَنْ ضم شتاته وجمع متفرقهُ كنت مخطئاً .

وجدتُ الكتاب مشتملا على أكثر من ثمانمائة ترجمة ، ووجدته قد تفرد بتراجم لم أجدها فى غيره من الكتب التى بين يدَىَّ على كثرتها واختلاف مشارب مؤلفيها ، ووجدته حين يشترك مع غيره يزيد عليهم زيادات لا بأس بها ، فرأيت أن ذلك وحده كاف للتوفُّرِ على تخريج الكتاب ، ونشره ، وضمه إلى حلقة كتب التاريخ التى ألزم نفسى قراءتها والعمل على إخراجها ؛ فكان من مجموع هذه الأسباب علة التمستها لإجابة الذين طالبونى وألحوا على فى الطلب أن أتبع كتاب وفيات الأعيان بكتاب « فوات الوفيات » .

وأنا أعتقد أن أغلب التراجم التى أثرَ-هَا ابن شاكر الكتبى مأخوذ عن كتاب « الوافى بالوفيات » الذى هو أحد مؤلفات صلاح الدين الصَّفَدى ، وهو أديب حاذق ماهر معاصر لابن شاكر ، وآية ذلك أننى وجدت عبارة ابن شاكر هى نفسها عبارة الصفدي ، إلا ما لا يخلو منه الناقل من تغيير كلمة ، أو تقديم كلام على كلام .

وأنا أقدم الكتاب بين يدى الأدباء والعلماء ، بعد أن أصلحت كثيرا من فاسده ، بمراجعة التراجم على أصولها ، ودللتُ على مواضع التراجم فى الأمهات الأخرى ، وشرحت كثيرا من مفردات نصوصه

فإن كنت قد وفيت لهم بما رغبوا فيه وأثبتُّ أنى كنت عند حسن ظنهم ؛ فذلك غاية ليس فوقها غاية ، وإن تكن الأخرى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، والسلام ؟

كتبه المعتز بالله تعالى

محمد محيي الدين عبد الحميد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على نِعَمِهِ التى جلَّتْ مواقعُ دِيَمِها ، وعَمَّتْ فوائد كرَمِها ، وأشكره على مِنَنِهِ التى جادت رياضَ التحقيق من سحب الأفكار بمُنْسَجِمها ، فأظهرت أزاهر المعانى التى افْتَرَّتْ(١) فأشرق الكونُ بتبسُّمها ، الذى حكَمَ بالموت على عباده إظهارا لبدائع قدرته وحكمها ، وأسعد وأشقى فيا فَوْزَ فِرْقَةٍ نقل الرواةُ ما سَلَفَ من محاسن شِيَمِها .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً يقترن بالخلود ذكرُها ، ويتجدّد فى كل يوم فخرها ، وينسدل على هَفَوات الإنسان سِتْرُها .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله الذى قلَّدَ درر محاسنه الأعناق ، وبعثه على حِينِ فترةٍ من الرسل متمما لمكارم الأخلاق ، وجَعَل شمس شريعته الغراء دائمةَ الإشراق .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين جَمَّلُوا(٢) بذكر محاسنهم السير ، وذَهَّبُوا(٣) بوصف مفاخرهم الآصال والبُكَر ، مادوّنت الأقلام ذكر الأفاضل ، وجَلَتِ الكتبُ على أسماع الأواخر ذكرَ الأوائل ، وسلم .

وبعد ، فإنّ علم التاريخ مِرْآة الزمان لمن تدبر ، ومِشْكَاة أنوار يَطَّلِعُ بها على تجارب الأمم مَنْ أمعن النظر وتفكر ، وكنت ممن أكثر لكتبه المطالعة ، واستَحْلَى(٤) من فوائده المراجعة ، فلما وقفت على كتاب « وفيَات الأعيان » لقاضى القضاة

---

(١) فى ب « اقترنت »

(٢) فى ب « الذين جلوا »

(٣) فى ب « وزينوا »

(٤) فى ب « واستجلى »

ابن خَلّـكان ، قدّس الله رُوحَه ! وَجَدْته من أحسنها وضعا لما اشتمل عليه من الفوائد الغَزِيرة ، والمحاسن الـكثيرة ، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أخَلّ بتراجم فُضَلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذُهُول عنهم ، أو لم يقع له ترجمة أحَدٍ منهم ؟.

فأحببت أن أجمع كتاباً يتضمن ذكر مَنْ لم يذكره من الأئمة الخُلَفاء ، والسادة الفُضَلاَء ، من وَفَاتِهِ إلى الآن ، فاستخرْتُ الله تعالى ، فانشرح لذلك صَدْرى ، وتوكلت عليه ، وفوّضت إليه أمرى .

وسميته بـ«فوَات الوَفيَات » .

والله تعالى المسئول أن يُوَفِّق فى القول والعَمَل ، وأن يتجاوز عن هَفَوَات الخطأ والزَّلَل .

باب الهمزة

(١)

إبراهيم بن أدهم ، العجلي

إبراهيم بن أدهَم بن منصور بن يزيد بن جابر ، أبو إسحاق ، العجلى النخبة(١) الأجل الفاضل، ملك الأعلام ، رَوَى عن أبيه ومنصور ومحمد بن زياد الجمحِيّ وأبي نعيم وأبي موسى والأعمش .

قال الفضل بن موسى : حج أدهَم بأمِّ إبراهيم وهى حُبْلَى ، فولدت إبراهيم بمكة ، فجعلت تطوف به على الحِلَقِ فى المسجد وتقول : ادْعُوا لابنى أن يجعله الله صالحًا ، وأخبارهُ مشهورةٌ فى مَبْدَأ (٢) زُهْده ، وطريقه مشهورة .

قيل : غزا فى البحر مع أصحابه ، فاختَلَفَ فى الليلة التى مات فيها إلى الخلاء خمسا وعشرين مرة ، كل مرّة يجدّد الوضوء ، فلما أحس بالموت قال : أوْتِرُوا لى قَوْسِي ، وتوفى وهى فى كفه ، ودفن فى جزيرة من جزائر البحر فى بلاد الروم .

قال إبراهيم بن يَسَار الصوفى : كنت ماراً مع إبراهيم بن أدهم ، فأتينا على قبر(٣) مُسَنَّم ، فترحم عليه إبراهيم ، ثم قال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها ، كان غارقا فى بحار الدنيا ، ثم أخرجه الله منها ، بلغنى أنه سُرّ ذات يوم بشىء ، ونام ، فرأى رجلا بيده كتاب ، فتناوله وفتحه فإذا فيه مكتوب بالذهب : لا تُؤْثِرَنَّ فانيا على باق ، ولا تفْرَحَنّ بملكك ، فإن ما أنت فيه جسيم ، إلا أنه عديم ، فسارِعْ إلى أمر الآخرة ، فإن الله تعالى يقول (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السّمٰوات والأرض أعِدّت للمتقين)(٤) فانتبه فَزِعاً ، وقال : هذا تنبيه من الله وموعظة ، فخرج من ملـكه ، فأتى هذا الجبل وعَبَدَ الله فيه حتى مات .

قال : ورأيت فى النوم قائلا يقول لى : أيَحْسُن بالحر المريد ، أن يتذلل للعبيد ، وهو يجد عند الله كل ما يريد ؟ !

---

(١) النخبة — بالضم — المختار ،

(٢) فى ب « فى ميدان هداه»

(٣) مسنم : على شكل سنام البعير ، ليس مسطحا

(٤) من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران

وقال النسائى : إبراهيم أحد الزهاد ، وهومأمون ثقة .

وقال الدارقطنى : ثقة .

وقال البخارى : مات سنة إحدى وستين ومائة ، وسيرته فى تاريخ دمشق ثلاث وثلاثون ورقة [وهى] طويلة فى حِلْية الأولياء ، رحمهم[1] الله تعالى!

(٢)

إبراهيم بن إسحاق الحربى

إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ، الفقيه ، أبو إسحاق ، الحربى ، أحد الأئمة الأعلام .

ولد سنة ثمان وتسعين ومائة ، وتفقه على الإمام أحمد بن حنبل ، وكان من نُجَباء أصحابه ، روى عنه ابنُ صاعد وابن سماك .

قال الخطيب : كان إماماً فى العلم ، رأسا فى الزهد ، عارفاً بالفقه ، بصيراً فى الأحكام ، حافظاً للحديث، مجيباً للمسألة ، قَيِّماً بالأدب ، صنف غريب الحديث وكتبا كثيرة .

وحدّث عبدُ الله بن أحمد بن حنبل قال: كان أبى يقول لى: أمْضِ إلى إبراهيم الحربى يُلْقى عليك الفرائض[2] .

وأنشده رجل :

أنكرت ذُلى فأىّ شىء أحسن من ذِلَّةِ المحبِّ ؟

أليس شوقى وفَيْضُ دمعى وضَعْفُ جسمى شهودَ حُبِّى ؟

فقال إبراهيم : هؤلاء شهود ثقات .

قال إبراهيم : ما أنشدت شيئاً من الشعر إلا قرأت (قل هو الله أحد) ثلاث مرات .

قال ياقوت فى كتاب معجم الأدباء : قد كان إسماعيل بن إسحاق القاضى

---

(١) فى ب « رحمهما الله تعالى »

(٢) الفرائض : علم المواريث

يَشْتَهى رؤية إبراهيم الحربى ، وكان إبراهيم لا يدخل عليه ، ويقول : لا أدخل دارا عليها بوّاب ، فأخبر إسماعيل بذلك ، فقال : أنا أدَعُ بابى كبابة الجامع ، فجاء إبراهيم إليه ، فلما دخل عليه خلع نعليه ، فلفّهُما القاضى فى منديل دبيقى[١] وجعلهما فى كمه ، وجرى بينهما بحث كثير ، فلما قام إبراهيم الْتَمَس نعليه ، فأخرج القاضى النعلَ من كمه ، فقال إبراهيم : غفر الله لك كما أكرمت العلم ! فلما مات القاضى رؤى فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : أجيبت لى دعوة إبراهيم الحربى .

ودخل عليه قوم يَعُودونه ، فقالوا : كيف تجدُكَ ياأبا إسحاق ؟ فقال : أجدنى كما قال :

دَبّ فىّ السَّقَام سُفْلاً وعُلْوا ... وأرانى أذوبُ عُضْوا فعُضْوا

بَلِيَتْ جِدَّتِى بطاعة نفسى ... وتذكرتُ طاعة الله نِضْوا

وقال ياقوت : حدثنى صديقُنا الحافظُ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار قال : حدثنى أحمد بن سعيد الصباغ يرفعه إلى أبى نُعَيم قال : كان يحضر مجلس إبراهيم الحربى جماعة من الشبان للقراءة عليه ، ففقد أحدَهم ، فسأل عنه مَنْ حضر ، فقالوا : هو مشغول ، ثم سألهم يوماً آخر ، فقالوا : هو مشغول ، وكان الشاب قد ابتلى بمحبة شخص شغله عن الحضور ، وعَظَّموا قدر إبراهيم الحربى أن يخبروه بحقيقة الحال ، فلما تكرر منه السؤال عنه وهم لا يزيدون على أنه مشغول فقال : ياقوم إن كان مريضاً قوموا بنا لنعوده ، وإن كان مديوناً اجتهدنا فى مساعدته ، أو محبوساً سعينا فى خلاصه ، فخبرونى عن جَلِيَة حاله ، فقالوا : نُجِلُّكَ عن ذلك ، فقال : لا بدّ أن تخبرونى ، فقالوا : إنه ابتلى بعشق صبىّ ، فأوجم إبراهيم ساعة ، ثم قال : هذا الصبى الذى ابتلى بعشقه أهو مليح أم قبيح ؟ فعجب القوم عن سؤاله عن مثل ذلك مع جَلاَلَتِه فى أنفسهم ، وقالوا : أيها الشيخ مثلك يسأل عن مثل هذا ؟ فقال : إنه بلغنى أن الإنسان إذا ابتلى بحب صورة قبيحة كان بلاءً تجب الاستعاذة من مثله ، وإن كان مليحاً كان ابتلاء يجب الصبر عليه واحتمال المشقة ، قال : فعجبنا مما أتى به .

---

(١) دبيقى : منسوب إلى دبيق إحدى بلاد مصر القديمة تنسب إليها الثياب

ومن مصنفاته كتاب «سجود القرآن» «مناسك الحج» «الهدايا، والسنة فيها» «الحمَّام وآدابه» «مسند أبي بكر» «مسند عمر» «مسند عثمان رضى الله عنه» «مسند علىّ رضى الله عنه» «مسند الزبير رضى الله عنه» «مسند طلحة رضى الله عنه» «مسند سعد بن أبي وَقَّاص رضى الله عنه» «مسند عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه» «مسند العباس رضى الله عنه» «مسند شيبة بن عثمان» «مسند عبدالله بن جعفر» «مسند المِسْوَر بن مَخْرَمَة» «مسند المطلب بن ربيعة» «مسند السائب» «مسند خالد بن الوليد» «مسند أبي عبيدة بن الجراح» «مسند ما روى عن عاصم بن عمر» «مسند صفوان ابن أمية» «مسند عمرو بن العاص» «مسند عمران بن حصين» «مسند حكيم بن حزام» «مسند عبد الله بن زَمْعَة» «مسند عبدالرحمن بن سَمُرَة» «مسند عبد الله بن عمرو» «مسند ابن عمر».

وكان أصل إبراهيم الحربى من مَرْو، توفى لسبع بقين من ذى الحجة سنة خمس وثمانين ومائتين، رحمه الله!.

(٣)

أمير المؤمنين المتقى بالله إبراهيم بن جعفر

إبراهيم بن جعفر، أمير المؤمنين، المتقى لله، ابنُ المقتدر بن المعتضد.

ولد سنة سبع وتسعين ومائتين، واستُخْلِفَ سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعد أخيه الراضى، فوليها إلى سنة ثلاث وثلاثين، ثم خلعوه وسَمَلوا عينيه،[1] وبقى فى قيد الحياة، وكان حَسَن الجسم، مُشْرَباً بحمرة، أبيض، أشقر الشعر، أشهل العينين، وكان فيه دين وصلاح، وكثرة صلاة وصيام، وكان لا يشرب الخمر.

وتوفى فى السجن سنة سبع وخمسين وثلثمائة، رحمه الله تعالى!.

وكانت مدّته سنتين وأحَدَ عَشَرَ شهراً، وكانت أيامه منغصة عليه لاضطراب الأتراك، حتى إنه أتى إلى الرقة، فلقيه الإخشيد صاحبُ مصر، وأهدى له تحفاً كثيرة، وتَوَجع لما ناله من الأتراك، ورغَّبَه فى أن يسير معه إلى مصر، فقال:

(١) سملوا عينيه: أحموا حديدة وكحلوه بها فسالت عيناه

كيف أقيم فى زاوية من الدنيا وأترك العراق متوسطة الدنيا وسُرّتها ، ومستقر الخلافة وينبوعها ؟ ثم سار حتى قدم بغداد ، بعد أن خاطبه أمير الأتراك تُوزونُ ، وحلف له أن لايغدِرَ به ، وزينت له بغداد زينة يضرب بها المثل ، وضربت له القباب العظيمة العجيبة فى طريقه ، فلما وصل السندية(١) على نهر عيسى قبض عليه توزون ، وسمل عينيه ، وبايع المستكفى من ساعته ، ودخل بغداد فى تلك الزينة فكثر تعجب الناس من ذلك ، وقال المتقى :

كَحَلونا وما شَكَوْ ... نا إليهم مِنَ الرَّمَدْ

ثم عاثوا بنا ونحـ ... ـن أسود وهم نَقَدْ (٢)

كيف يَغتر من أذا ... نا وفى دَسْتنا قَعَدْ

(٤)

جمال الدين بن النجار إبراهيم ابن سليمان

إبراهيم بن سليمان بن حمزة(٣) بن خليفة، جمال الدين بن النجار، الدمشقى المجود . ولد بدمشق سنة تسعين وخمسمائة ، وتوفى سنة إحدى وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى ! .

وحدَّث ، وكتب فى الإجازات ، وكتب عليه أبناء البلد، وله نظم وأدب ، وسافر إلى حلب وبغداد ، وكتب للأمجد صاحب بَعْلَبكّ ، وسافر إلى الإسكندرية وتولى نقابة الأشراف بها ، وسمع بدمشق من التاج الكندى وغيره .

ومن شعره ما قاله فى أسود شائب :

يا رُبَّ أسْوَدَ شائب أبْصَرْتُهُ ... وكأنَّ عَينيه لَظًى وَقَّادُ

فحسبته فحماً بَدَتْ فى بعضه ... نارٌ ، وَباقيه عليه رَمادُ

وله أيضاً :

ما لهذى العيون قاتلها اللـ ... ـه تسمَّى لواحظاً وهى نَبلُ

ولهذا الذى يسمونه العشـ ... ـق مجازاً ، وفى الحقيقة قَتْلُ

---

(١) السندية : قرية من قرى بغداد ، على نهر عيسى

(٢) النقد — بالتحريك — جنس من الغنم قبيح الشكل

(٣) بن نخرة

ولقلبى يقول: أسلو، فإن قلـــت نعم قال : لسْتُ والله أسْلُو

وله أيضاً :

ومغرم بالبـدال قلت له ياولدى قد وقَعْتَ فى التعبِ
طوراً على الرّاحتين مُنبطحاً وتارة جاثياً على الركبِ
دَخْلٌ وخَرْجٌ وليس بينهما فى اليد من فضة ولاذهبِ
أسْتَرمافيه أن مسلكه تأمن فيه مِنْ عين مرتقبِ(١)
وعنـدنا قهـوة مُعَتقة كأنَّ فى كأسها سَنَا لهبِ
ومن بنات القَيْـنَات مُخْطَفَةٌ تغار منها الأغصان فى الكُثُبِ
ومُطرِبٌ يُحسن الغناء لنا إن كنت ممن يقولُ بالطرَبِ
ولَسْتَ تخلو فى كل ذلك من عمود أيرٍ كالزّندِ منتصبِ
ينطح نكح الـكباش مُتصلا يرهز رَهْزاً كالخرز فى القربِ

وله أيضاً :

لقد نبتت فى صَحْنِ خدّك لحية تأنق فيها صانع الإنس والجنّ
وما كنت محتاجا إلى حسن نبتها ولـكنها زادتك حسناً إلى حسن

وله أيضاً :

لحا الله الحشيش وآكليهـا لقد خَبُثَتْ كما طاب السُّلَافُ
كما تصبى كذا تضـنى وتشقى كما يشقى وغايتها الخـرافُ
وأصـغر دائها والداء جَمٌّ بغـاء أو جنـون أو نشافُ(٢)

وله أيضا :

جُبِلْتُ على حبى لهـا وألفتهُ ولا بدّ أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل قلبى من هواها بقدر ما أقول وقلبى خاليـا فتمكنا

ومنه قوله :

---

(١) فى ب « أسر مافيه »

(٢) فى ب « لغاء أو جنون »

أين المراتب فى الدنيا ورفعتها مَنِ الذى حاز علما ليس عندهُمُ
لا شك أن لنا قدراً رأوه ، وما لمثلهم عندنا قدر ولا لَهُمُ
هم الوحوش ونحن الإنس حكمتنا نَقُودهم حيثما شئنا وهم نَعَمُ
وليس شىء سوى الإهمال يقطعنا عنهم لأنهمُ وجدانهم عدم
لنا المريحان من علم ومن عدم وفيهمُ المتعبان الجهل والغَشَمُ [1]

قلت : عارض هذه الأبيات أبيات نظمها الشيخ ابن دقيق العيد يأتى ذكرها فى ترجمته إن شاء الله تعالى .

ومن شعر :

يامن يُخَادعنى بأسْهُم مكره بسلاسة نعمت كلمسِ الأرقمِ [2]
واعتدّلى زَرَدًا تضايق نَسْجُه وعَلَىّ فك عُيُونها بالأسهم

وما أحسن قولَ شمس الدين بن دانيال فيه :

لا تلم البغىّ فى فعله إن زاغ تَضْليلاً عن الحقّ [3]
لو هَذَّبَ الناموسُ أخلاقه ما كان منسوبا إلى البق

وقوله فيه لما سجن ليقتل :

يظنّ فتى البق فى أنه سَيَخْلُصُ من قَبْضَةِ المالكى
نعم سوف يسلمه المالكى قريبا ولكن إلى مالك

(٥)

موفق الدين أحمد بن أبى الحديد

أحمد بن أبى الحديد ، موفق الدين .

من شعره فى عارض جيش أخرج من دار الوزير بخلعة فعانقه وقبله :

لما بدا رائق التّثَنِّى وهو بأثوابه يميد [4]

---

(١) في ب « الجهل والجشم »

(٢) الأرقم : الحية .

(٣) فى ب « تضليلا عن الحى » وقافية الثانى فيها « منسوبا إلى البغى »

(٤) فى ب « رائق أنسى » وليس بصحيح .

قبلته باعتبار معنى   لأنه عارض جديد

وقال أيضاً :

بيت من الشعر فى تشبيه وَجْنَته   لما أحاط بها سَطر من الشعَرِ
كالظل فى النور أو كالشمس عَارَضَهَا   خطّ من الغيم أو كالمحو فى القمر

وقال أيضاً :

لو يعلمون كما علمت لما لَحَوْا   فى حُبِّه ولأقصروا إقصارا
هلا أحدثكم بسر لطيفة   دقت إلى أن فاتت الأبصارا
جادت صقال خدوده أصداغه   فتمثلت للناظرين عِذَارَا

وقال الشيخ شرف الدين الدمياطى : أنشدنى موفق الدين لنفسه :

قمر عدمْتُ عواذلى فى عشقه   بل ما عدمت تزاحم العشاق
يبدو فتسبقه العيون ، وإنها   مأمورة بالغَمْض والإطراق
عيناى قد شهدا بعشقك ، إنما   لك أن تقول هما من الفساق

ولما صنف أخوه « الفلك الدائر على المثل السائر » كتب إليه موفق الدين :

المثل السائر يا سيدى   صنفت فيه الفلك الدائرا
لكن هذا فلك دائر   أصْبَحْتَ فيه المثَلَ السائرا

(٦)

أحمد بن يحيي البلاذرى :

أحمد بن يحيي البلاذرى

قال : كنت من جُلساء المستعين بالله وقد قصده الشعراء فقال : ليس أقْبَلُ إلا من الذى يقول مثل قول البحترى فى المتوكل :

فَلَوَ أن مُشْتاقا تكلَّفَ فوق ما   فى وُسْعِهِ لَسَعَى إليك الْمِنْبَرُ

فرجعت إلى دارى ، وأتيته ، وقلت : قد قلت فيك أحْسَنَ مما قاله البحترى فى المتوكل ، فقال : هات ، فأنشدته :

ولو أن بُرْدَ المصطَفى إذ لبسته   يَظُنُّ لظنّ البردُ أنك صاحبُهْ
وقال وقد أعْطِيتَهُ ولبسْتَهُ :   نعم هذه أعْطَافُه ومناكبه

فقال لى : ارجع إلى منزلك فافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إلى سبعةَ آلافِ دينارٍ ، وقال : ادّخر هذه للحوادث بعدى ، ولك علىّ الجراية والكفاية ما دمت حيا .

وقال فى عبيد الله بن يحيي بن خاقان وقد صار إلى بابه فحجبه ، فأنشده :

قالوا اصطبارك للحِجَابِ مَذَلّة عار عليك من الزمان وعابُ
فأجبتهم ولكل قولٍ صادقٍ أو كاذبٍ عند المقال جَوَاب
إنى لأغْتَفِرُ الحجابَ لماجد أمْسَتْ له مننٌ علىّ رِغَابُ[١]
قد يرفع المرءُ اللئيمُ حجابَه ضَعَةً ، ودون العُرْف منه حجاب

(٧)

ابن فضل الله القرشى ، العمرى

شهاب الدين بن فضل الله أحمد بن يحيي بن فضل الله بن يحيي بن دعجان ابن خليفة أبى الفضل نصر[٢] بن منصور بن عبد الله بن على بن محمد بن أبى بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبى بكر بن عبد الله الصالح ابن أبى سلمة عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عُمَر بن الخطاب ، القاضى ، شهاب الدين ، أبو العباس ، ابن القاضى أبى المعالى محيي الدين ، القُرَشى[٣] ، العدوى ، العمرى .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حقه : هو الإمام الفاضل ، البليغ المفوه الحافظ ، حجة الكتاب ، إمام أهل الأدب ، أحد رجالات الزمان كتابةً وترسّلا ، وتوسلا إلى غايات المعالى وتوصلا ، وإقداما على الأسود فى غاباتها ، وإرغاما لأعدائه بمنع رُغَائِها[٤] ، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهّب ، وينحدر سَيْله مذاكرةً وحفظا ويتصبّب ، ويتدفق بحره بالجواهر كلاما ، ويتألق إنشاؤه بالبوارق المُسْتَعِرة نظاما ، ويَقْطُر كلامه فصاحة وبَلاغه ، وتَنْدَى عباراته انسجاما وصِيَاغه ، وينظر إلى غيب المعانى من ستر رقيق ، ويغوص فى لُجَّةِ البيان فيظفر

---

(١) فى ب « إنى لأعتقد » تحريف ، والرغاب : جمع رغيبة ، وهى الواسعة
(٢) فى ب « أبى الفضل أحمد بن منصور » وفى أسماء آبائه اختلاف كثير .
(٣) فى ب « القدسى » تحريف . (٤) فى ب ، ث « رغائها »

بكبار اللؤلؤ من البحر العميق ، قد استوت بديهته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيته من هذا الفنّ رجالُه ، يكتب من رأس قلمه بديها ، ما يَعْجِز تَرَوِّى القاضى الفاضل أن يدانيه تشبيها ، وينظم من المقطوع والقصيدة جوهرا ، يخجل الروضَ الذى باكَرَه الحَيامُ مُزْهِرا ، صَرَّف الزمان أمرا ونهيا ، ودَبّر الممالكَ تنفيذاً ورأيا ، ووصل الأرزاق بقلمه ، ورويت توافيعه وهى سجلات لحكمه وحكمه ، لا أرى أن اسْمَ الكاتب يصدق على غيره ولا يطلق على سواه :

لا يعمل القول المكرّ ر منه والرأى المردّد
ظنّ يصيب به الغيو ب إذا توَخّى أو تعمد[1]
مثل الحسام إذا تألـق والشهاب إذا توقد
كالسيف يَقْطَع وهو مسـلولٌ ويُرْهَب حين يُغْمَدْ

ولا أعتقد أن بينه وبين القاضى الفاضل مَنْ جاء مثله ، على أنه قد جاء مثل تاج الدين ابن الأثير ومحيي الدين بن عبد الظاهر وشهاب الدين محمود وكمال الدين ابن العطار وغيرهم ، هذا مع ما فيه من لطف أخلاق ، وسَعَة صدر ، وبِشْر مُحَيّا ، رزقه الله أربعة أشياء لم أرها اجتمعت فى غيره ، وهى : الحافظة فما طالع شيئاً إلا كان مستحضرا لأكثره ، والذاكرة التى إذا أراد ذكر شىء من زمن متقدّم كان ذلك حاضرا كأنه إنما مرّ به بالأمس ، والذكاء الذى يتسلّط به على ما أراد ، وحسن القريحة فى النظم والنثر ، أما فكره فلعله فى ذِرْوَة كان أوْجُ الفاضل لها حَضِيضا ، ولا أرى أحدا يلحقه فيه جَوْدة وسُرْعة ، وأما نظمه فلعله لا يلحقه فيه إلا الأفراد ، وأضاف الله تعالى له إلى ذلك كله حسن الذوق الذى هو العمدة فى كل فنّ .

وهو أحد الأدباء الكَمَلة الذين رأيتهم ، وأعنى بالكَمَلة الذين يقومون بالأدب علما وعملا فى النظم والنثر ومعرفة تراجم أهل عَصْرِه ومَنْ تقدمهم على

---

(١) توخى الشىء : قصده ، وفى ب « ترخى » تحريف .

اختلاف طبقاتهم و بخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة ، ثم إنه شارك من رأيته من الكملة فى أشياء ، وانفرد عنهم بأشياء بلغ فيها الغاية لأنه جوّد فى الإنشاء والنثر، وهو فيه آية ، والنظم وسائر فنونه ، والترسل البارع عن الملوك ، ولم أر مَنْ يعرف تواريخ الملوك المُغُل من لَدُنْ جنكيزخان وهلمّ جرّا معرفتَه ، وكذلك ملوك الهند والأتراك ، وأمّا معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها ، فإنه فيها إمام وقته ، وكذلك معرفة الاصطرلاب وحل التقويم وصور الكواكب ، وقد أذن له العلامة شمس الدين الأصفهانى فى الإفتاء على مذهب الشافعىّ رضى الله عنه ، فهو حينئذ أكمل الكَمَلة الذى رأيتهم ، ولقد استطرد الكلام يوما فى ذكر القُضَاة فَسَرَدَ ذكر القضاة الأربع الذين عاصرهم شاما ومصرا ، وألقابهم ، وأسماءهم ، وعلامة كل قاض منهم ، حتى إنى ما كدت أقضى العجب مما رأيت .

ولد بدمشق ثالث شوّال سنة سبعمائة .

قرأ العربية أولا على الشيخ كمال الدين بن قاضى شَهْبة ، ثم على قاضى القضاة شمس الدين بن مسلم ، وتفقه على قاضى القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله ، وعلى الشيخ برهان الدين الفزارى ، وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقى الدين ابن تيمية ، والعروض على الشيخ شمس الدين بن الصائغ وعلاء الدين الوداعى ، وقرأ عليه جملة من دواوين العرب ، والأصول على الشيخ شمس الدين الأصفهانى ، وأخذ اللغة عن الشيخ أثير الدين ، وصنف «فواضل السمَر ، فى فضائل آل عمر» أربع مجلدات ، وكتاب « مسالك الأبصار ، فى ممالك الأمصار » فى عشرين مجلدا كبار ، وهو كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله ، و « الدعوة المستجابة » و« صبابة المشتاق فى المدائح النبوية » مجلد ، و «سفرة السفرة » و « دمعة الباكى ويقظة الساهر » و « نفحة الروض» ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات والدوبيت والموشح والبليق ، وأنشأ كثيراً من التقاليد والمناشير والتواقيع ومكاتبات الملوك وغير ذلك .

ومن شعره :

شربت مع غادة عجوز طلا فاستصحبت بعد منعها العاده
ليتنها السكر لى فحينئــذ سلمت أن العجوز قوّادة[(١)]

وقال :

شادن جدّد وجدى بعدما صرت شيخاً ليس ترضى بى العجوز
قلت جاوزْ لى متــاعى قال قل غير هــذا ذاك شيء لا يجوز

وقال :

سل شَجِيًّا عن فؤاد نزحا وخليا فيهمُ كيف صحا
ومحباً لم يذق بعـــدهم غـير تبريح بهم ما برحا
مَزَجَ الدمـع بذكرى لهم مثل خدى من سقاه القدحا
زاره الطيف وهــذا عجب شَبَحٌ كيف يلاقى شبحا

وقال :

أأحبابنا والعذر منا إليكمُ إذا ما شغلنا بالنـوى أن نُوَدّعَا
أبثكُمُ شـوقا أبارى ببعضه حمام العشـــايا رَنةً وتوجعا
أبيت سمير البرق قلبى مثـله أقضِّى به الليل التمام مروعا
وما هو شــوق مدّة ثم ينقضى ولا أنه يلقى محبا مفجّعَـــا
ولـكنه شوق على القرب والنوى أغص الأماقى مدمعا ثم مدمعا
ومَنْ فارق الأحباب فى العمر ساعة كمن فارق الأحباب فى العمر أجمعا

وقال :

يقول بى مَنْ شعره أسود كالليل بَلْ بينهما فرق[(٢)]
قلت وبى مَنْ وجهُه أبيض فقال لى هــذا هو الحق

(٨)

اسبهدوست (ابن شيرويه) الديلمى

أسبهدوست بن محمد بن شيرويه الديلمى ابن منصور .

قال سبط ابن الجوزى: كان يهجو الصحابة والناس ، ثم تاب وحسنت توبته

(١) هذا من مثل ، يقولون «العجوز قوادة» (٢) فى ب ، ث «يقول لى»

ومن شعره فى الحُمّى :

وزائرة تزور بلا رقيب | وتنزل بالفتى من غير حُبِّه
وما أحد يحب القرب منها | ولا تحلو زيارتها بقلبه
تبيت بباطن الأحشاء منه | فيطلب بُعْدَها من عظم كربه
وتمنعه لذيذ العيش حتى | تبغضه لمأكله وشربه
أتت لزيارتى من غير وعد | وكم من زائر لا مرحبا به

وقال فى أبى الفتح الواعظ ، ولم يكن فى زمانه أحسن صورة ، ولا أعذب لفظا منه :

وواعظ تَيَّمَنِي وَعْظُهُ | فعُرْفُهُ شِيبَ بإنكار
ينهى عن الذنب ، وألحاظه | تأمر بالذنب بإصرار
وما رأينا قبله واعظا | مُكْتَسِبَ آثامٍ وأوزار
لسانه يدعو إلى جنة | ووجهه يدعو إلى نار

ومن شعره أيضاً :

يا طالب التزويج إنك بالذى | تَبْغِيهِ منى جاهِلٌ مَعْذُورُ
هل أبْصَرَتْ عيناك صاحبَ زوجةٍ | إلا حزيناً ماالديه سُرُورُ
[لا تبغ فى الدنيا نكاحا لا زمًا | وافعل بها ما يفعل الزنبور
أو ماتراه حين يدرك فرصة | يدنو ، ويَلْسَعُ لسعةً ويطيرُ][1]

(٩)

ابن الطبيب
إسحاق بن
خلف

إسحاق بن خلف ، المعروف بابن الطبيب .

كان رجلا شأنه الفتوة ، ومعاشرة الشطار والتصيد بالكلاب[2] ، وإيثار أصحاب الطنابير ، وكان من أحسن الناس إنشادا ، كأنه يتغنى فى إنشاده ، وكان إذا راجعك الكلام لم تكد تسأم من مراجعته من حسن ألفاظه .

---

(١) سقط هذان البيتان من ب

(٢) فى ب « والتصبب بالكلاب »

حُبِس مرّة بجناية جناها ، فقال الشعر فى السجن ، ثم تَرَقَّى فى ذلك حتى مدح الملوك ، ودُوِّن شعره ، ولم يزل على رسم الفُتُوّة ، وضرب الطنبور ، إلى أن توفى فى حدود الثلاثين ومائتين .

ومن شعره رحمه الله :

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تكرمه إذا لم يَلْحَنِ
وإذا طلبت من العلوم أجَلَّها ... فأجلُّها عندى مقيمُ الألسُنِ

وقال فى السيف :

ألقى بجانب خَصْره ... أمضَى من الأجَلِ المُتَاحْ
وكأنما ذَرَّ الهبا ... ءُ عليه أنفاسُ الرياح

وقال المبرد : وقد قالت الشعراء فى رونق السيف ضروبا من الأقاويل ما سمعت فيها بأحسن من هذا .

وقال فى ابنة أخت كان رَبَّاها :

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجُبْ فى الليالى حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى ... ذلَّ اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أخشى فظاظة عمٍّ أو جفاء أخٍ ... وكنت أبكى عليها من أذى الكلم
تهوى لقائى وأهوى موتها شفقاً ... والموت أكرم نَزَّالٍ على الحرم
إذا تذكرت بنتى حين تندبنى ... فاضت لِعَبْرَةِ بنتى عبرتى بدم

(١٠)

مجد الدين النشابى

أسعد بن إبراهيم بن حسن ، مجد الدين ، النشابى

وَلِيَ كتابة الإنشاء لصاحب إرْبِلَ ، وأنفذه رسولا إلى الخليفة المستنصر ، فلما وقعت عينه على الخليفة قال :

جلالَةُ هيبة هذا المقام ... تُحَيِّرُ عالمَ عِلْمِ الكلام
كأنّ المناجِي بِهِ قائما ... يناجى النبىَّ عليه السلام

ومن شعره فى شرف الدين إبراهيم بن على بن حَرْب لما ولى وزارة إِرْبِلَ :

فرحنا وقلنا تولَّى الوزير وأفلح ديواننا بالوزاره
فما زادنا غير جاويشه وفى كتبنا كتبت بالأشاره (١)

ولما وقع بين الأخوين الكامل والأشرف ، والكامل صاحب مصر والأشرف صاحب خِلاط ، ومال ملوك الشام والشرق إلى الكاملُ ، وتحاملوا على الأشرفُ فقال مجد الدين :

صاحب مصر ثنى الملوك عن الـــأشرف من كل مسعدٍ عَوْنِ
واحتج كل به فقلت وهل يؤخذ موسى بذنب فرعون

وله فى مُسْتَوْفِى إربل المبارك :

إن المبارك فيـه توقُّفٌ ولَجَاجَهْ
صَدِيقُهُ أنت مالم تعرض إليه بحاجه

وله فى صدر بن نبهان مواليا :

رجل ابن نبهان الأعرج شومها معلوم مادار قط بأحد إلا لقى المحتوم
قلع ملك وعزل عارض لهذا الشوم وعاد جزور غيمه مبعر أُخت البوم

ومن شعره أيضاً :

تقلد أمرَ الحسنِ فاستعبدَ الوَرَى وراحت له الأفكار تنظم ديوانا
وعامله ولى على القلب ناظـرا فأصبح لما حلّ بالقلب سلطانا
غدا باحمرار الخدّ للحسن مالـكا ومِنْ فيه أبدى للتبسم رضوانا
فأبدى لنـا من ثغره ورُضَابه وعارضِهِ راحا ورَوْحاً وريحانا
رأى خدّه ميدان حسن ، وخالَهُ به كُرَةً ، فاستعمل الصدغ جوكانا
أجِلْ نظرا فى خدّه يا مُعَنفى تجد فيه من إنسان عينك إنسانا

ومنه أيضاً :

والبرق يخفق فى خلال سحابه خَفَقَ الفؤاد بموعد من زائر

---

(١) فى ب « فما زادنا غير جار يشد »

وقال :

يا لَقَوْمِي قد جئتكم مستجيرا لا أرى منكم وليا نصيرا
بأبى شادنٌ تبدَّى فأبدى من محياه بهجة وسرورا
أنا ما بين عاذل ورقيب منهما خلت منكرا ونكيرا
وعِذَارٍ فى ذلك الخدّ أبدى ببهَا الحسن جنة وحريرا
وثنايا كأنها من لجين قَدَّرُوهَا فى ثغره تقديرا
لا رعى الله يوم زَمُّوا المطايا إنه كان شرّه مستطيرا
أودعوا حين ودّعوا الصبَّ وجدا وتناءوْا والقلبُ يَصْلَى سعيرا
وأسالوا الدموع من نرجس غـض على الخدّ لؤلؤا منثورا
فغدا الصب يرتضى الحب دينا ويرى ناظر السلو حسيرًا
وهَدَى قلبَه السبيلَ فإمَّا صابرا شاكرا وإمّا كفورا
صَمَّ سمعى عن الكلام كما صِرْ تُ بمدحى أبكى سميعا بصيرا
كم سقى سيفه شرابا حميا وسقى سَيْبُهُ شرابا طهورا
سرح الطرف فى ثراه ترى ثَـمَّ نعيما به وملكا كبيرا
لم ير النازِلُون فى ظله المغمور شمسا يوما ولا زمهريرا
ومبيح الطعام والمال كم عـمّ يتيما بزاده وأسيرا
وأرانا نواله وسَطَاهُ فرأينا منه بشيرا نذيرا
كل ساع داع له بدوام الـمُلكِ ما زال سعيه مشكورا

(١١)

أسماء
ابن خارجة
الفزارى

أسماء بن خارجة بن حِصْن بن حُذَيفة ، الفزَارى

أحد الأجواد من الطبقة الأولى من التابعين ، من الكوفة ، كان قد ساد الناس بمكارم الأخلاق .

حكى ابن عساكر قال : أتى الأخطلُ الشاعرُ إلى عبد الملك بن مروان فى

حَمَالات تحملها عن قومه ، فأبى أن يُعطيه شيئاً ، فسألها بشر بن مروان أخا عبد الملك فقال كما قال عبد الملك ، فأتى أسماء بن خارجة ، فتحملها عنه جميعاً ، فقال :

إذا ما مات خارجةُ بن حِصْنٍ فلا مَطَرَتْ على الأرضِ السماءُ
ولا رَجَعَ البشيرُ بِغُنْمِ جيش ولا حَمَلَتْ على الطهر النساء
فيوم منك خير من رجال كثير حولهم نَعَمٌ وشاء
فبورك فى بنيك وفى بنيهم ، وإن كثروا ، ونحن لك الفداء

و بلغ الشعرُ عبدَ الملك فقال : عَرَّضَ بنا الخبيث فى شعره .

وحكى أبو اليقظان قال : دخل أسماء بن خارجة على عبد الملك بن مروان فقال له : بم سُدْتَ الناس؟ فقال: هومن غيرى أحسن، قال : بلغنى عنك خصال شريفة ، وأنا أعزم عليك إلا ذكرت بعضها ، فقال : أما إذ عزمت علىّ فنعم ، فقال عبد الملك : هذه أولها ، فقال أسماء : ماسألنى أحد حاجة إلا ورأيت له الفضل علىّ ، ولا دعوت أحدا إلى طعام إلا ورأيت له المنة علىّ ، ولا جلس إلىّ رجل إلا ورأيت له الفضل علىّ ، ولاقصدنى أحدٌ فى(1) حاجة إلا و بالغت فى قضائها ، ولاشتمت أحداً قط ؛ لأنه إنما يشتمنى أحد رجلين : إما كريم فكانت منه هفوة فأنا أحق بعفوها ، و إما لئيم فأصُونُ عرضى منه ، فقال له عبد الملك : حق لك أن تكون سيداً شريفاً .

وقال الكلبى: خرج أسماء فى أيام الربيع إلى ظاهر الكوفة ، فنزل فى رياض مُعْشِبة ، وهناك رجل من بنى عَبْس نازل ، فلما رأى قِبابَ أسماء وخِيامَهُ قَوَّضَ خيامه ليرحل ، فقال له أسماء : ما شأنك ؟ فقال : لى كلب هو أحبُّ إلى من ولدى ، وأخاف أن يؤذيكم فيقتلَه بعضُ غلمانكم ، فقال له أسماء : أقِمْ وأنا ضامن كلبك ، ثم قال لغلمانه : إن رأيتم كلبه قد وَلَغَ فى قدورى وقصاعى فلا تهيجوه ، وأقام على ذلك مدّة ، ثم ارتحل أسماء ، ونزل فى الروضة رَجُل من بنى أسد ، وأتى الكلب على عادته ، فضربه الأسدى فقتله ، فجاء العَبْسِى إلى أسماء ، فقال له : أنت

---

(1) في ب « ولاقضيت أحدا حاجة إلا — إلخ »

فقتلت كلبي ، قال له : فكيف ؟ قال : عَوَّدته عادة ذهب يَرُومُها من غيرك ، فقتل ، فأمر له بمائة ناقة دية الكلب .

ولما أراد أسماء أن يُهْدِيَ ابنته إلى زوجها ، قال : يا بُنَيَّة ، كوني لزوجك أمة يكن لك عبدا ، ولا تَدْنِي منه فيملك ، ولا تتباعدي عنه فيتغير عليك[1] ، وكوني له كما قلت لأمك :

خذى العفو مني تَسْتَدِيمِي مودتي ... ولا تنطقى في سَوْرتي حين أغضب

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

وقال الرياشي : قال أسماء بن خارجة لامرأته : اخضبي لحيتي ، فقالت له : إلى كم ترقع منك ما خَلَقَ ؟ فقال

عَيَّرتني خَلَقاً أبْلَيْتَ جِدَّتَهُ ... وهل رأيت جديداً لم يَعد خَلقَا[2]

كما لبستِ جديدي فالبسي خَلَقِي ... فلا جديد لمن لم يلبس الخلقا

وأسند أسماء عن علي بن أبي طالب وابن مسعود ، وتوفى سنة ست وستين وقيل : سنة اثنين وثمانين ، وهو ابن ثمانين سنة ، رحمة الله تعالى عليه !

(١٢)

تقي الدين ابن أبي اليسر

تقي الدين بن أبي اليسر إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر ، مُسْنِد الشام تفرّد بأشياء كثيرة ، وكان جدّه كاتب الإنشاء لنور الدين ، وكتب هو للناصر داود ، وكان متميزا في كتابة الإنشاء ، جَيِّدَ النظم ، حَسَنَ القول جدا ، مضمونا ، صحيح السماع ، من بيت كتابة وجلالة ، وولي بدمشق نظارة المارستان ومَشْيخة أمّ الصالح ومشيخة الزاوية بدار الحديث الأشرفية .

روى عنه قاضي القضاة نجم الدين ابن صصرى وابن العطار وابن تيمية وأخواه وابن أبي الفتح

سأله أبو حفص بن أبي المعالي أن يحل أبيات ابن الرومي الزائية التي أوّلها :

وحديثها السحر الحلال لَوَ انّه ... لم يجنِ قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يُمْلل ، وإن هي أوجزت ... ودّ المحدّث أنها لم توجزِ

---

(١) في ب « فيغير عليك »

(٢) الخلق - بفتح الخاء واللام جميعا - في الأصل الرث البالي من الثياب

فقال : وحديثُها الحديث لا كالحديث عَذُبَ فهو الماء الزلال ، وأسكر فأشبه العتيق الجِرْيَال[1] ،واستملى من غير مَلَل ولا مَلاَل،وشغَل عن عذر من واجب الأشغال، وجنى من قتل المسلم المتحرِّز ماليس بحلال ، وصادت بشَرَكه النفوس ، ومالت إلى وَجْهِهِ وجهة الأعناق والرؤس ، فهو نزهة العيون وعقال العقول ، والموجَزُ الذى ودّ المحدّث أن يطول :

حديث حديث الروض فتح نَوْرَه ... فمن نوره قد زاد فى السمع والبصر

يخرون الأذقان عنـد سماعه ... كأنهمُ من شيعة وَهْوَ منتظر[2]

يلذ به طول الحـــديث لسامر ... ولا يعتريه من إطالته ضَجَرْ

به طُرَف للطرف تجنى وعُقْــلة ... لعاقد ركب قد سبقن إلى سقر

هى البـــدر فاسمع ما تقول فإنه ... غريب وحدّث بالرواية عن قمر

وكتب على لسان سيف الدين بن مقلد الـكامل بن شاور إلى الملك الأشرف — وكان أبطأ عليه عطاؤه — رقعةً مضمونُها :

يقبل الأرض بين يدى الملك الأشرف — أعز الله نصرهُ ! وشَرَحَ ببقائه تنفيس الدهر وصدره ! — ويُنْهِى أنه وصل إلى باب مولانا كما قال المتنبى :

حتى وَصَلْتُ بنفسٍ مات أكْثَرُهَا ... وليتنى عشت منها بالذى فضلا

ويرجو ما قاله فى البيت الآخر :

أرجو نَدَاكَ ولا أخشى المِطَالَ به ... يا مَنْ إذا وَهَبَ الدنيا فقد بَخِلا

فأعطاه صِلَةً سَنِيَّةً ، وقرّر له جامكيه ، وأحسن قِرَاه ، ورتب له ما كفاه .

وكتب إلى القاضى بدر الدين السنجارى :

لولا مواعيـــد آمال أعيش بها ... لَمُتُّ يا أهلَ هذا الحى من زَمَن

وإنمـــا طِرْفُ آمالى به مَرَح ... يجرى لوَعْدِ الأمانى مُطْلَقَ الرَّسَنِ

---

(١) الجريال — بكسر فسكون — هنا : الخمر

(٢) يشير إلى مذهب بعض الشيعة فى الإمام المنتظر

ومن شعره :

لَيلِي كشَعْرِ مُعَذّبى، ما أطْوَلَهْ	أخفى الصباح بفَرْقِهِ إذ أسْبَلَهْ [1]
قَصَصٌ بنَمْلِ عذارهِ مكتوبة	يا حُسْن ما خَطَّ الجمالُ وأجمله
والله لا أهمَلْتُ لامَ عِـــذاره	يا عاذلى ، ما كُلُّ لامٍ مُهْمَلَهْ
اقرأ على قلبي سَبَا فى حبـــه	فالذاريات لمدمع قد أهمـــله
آيات تحريم الوصال أظنها	بطلاق أسباب الحياة مُرَتَّلَهْ
ثبت الغرام بحاكم من حسنه	وشهادة الألحاظ وهى مُعَدّله
إن أبعدته يد النوى عن ناظرى	فله بقلبي إن ترحـــل منزلَهْ
بالعاديات قد اعتدى عنى ضُحَى	وبدا له فى كل قلب زلزله
شمس النفوس لبينه قد كُوِّرَتْ	والنار فى الأحشاء فيه مُشْعَلَهْ

وقال رحمه الله : ركبنى دين فوق عشرة آلاف درهم ، و بقيت فى قلَق ، [2] فرأيت والدى فى النوم ، فشكوت له ثقل الدين ، فقال : امدح النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أعجز عن مدحه صلى الله عليه وسلم ، فقال : امدحه يوفَّ دينك ، فقلت وأنا نائم :

أجِدِ المقال و جِدَّ فى طول المدى	فعساك تظفر أو تنال المقصـــدا
هى حَلْبـة المدح ليس يحوزها	بالسبق إلا من أعِينَ وأسْعِدَا

وانتبهت فأتممت القصيدة ، فوَفَّى اللهُ دَيْنى تلك السنة .

ومن شعره دو بيت :

يا أحمد إن فترة الأجفان	نُبِّئَتْ منها فى آخر الأزمان
والمعجز منك واضح البرهان	تحيي بالوصل ميت الهجران

---

(١) فى ث « أخفى الصباح بفرعه إذ أسبله »

(٢) فى ب « وبقيت فى قلة »

(١٣)

إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه

إبراهيم بن

حمدويه

الحمدونى

إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، أبو على ، الحمدونى ، وجدّه حمدويه صاحب الزنادقة على عهد الرشيد .

قال المرزبانى : بصرى ، مليح الشعر ، حسن التضمين ، اشتهر بقوله فى طَيلَسَانِ ابن حرب ابن أخى يزيد المهلبى وشاة سعيد ، وكان يقول : أنا ابنُ قولى :

يا ابن حَرْبٍ كَسَوْتَنِى طيلسانا ... مَلَّ من صحبة الزمان وصدّا

طال تَرْدَاده إلى الرَّفْوِ حتى ... لو بعثناه وَحْده لتهدّى

وله ، ويقال : إنه أوّل شعر قاله فيه ، وقد قال فيه خمسين مقطوعا :

كسانى ابن حرب طيلسانا كأنه ... فتى ناحل بَالٍ من الوجد كالشّنّ

يغنى لإبراهيم لمّا لبسته ... (ذهبت من الدنيا وقد ذهبت منى)

يريد إبراهيم بن المهدى ، وهذا الشعر له وتتمته :

ذهبت من الدنيا وقد ذهبت منى ... هوى الدهر لى عنها وولّى لها عنى (١)

فإن أبكِ نفسى أبك نفساً نفيسة ... وإن احتسبها احتسبها على ضَنّ

ومن شعر الحمدونى فى شاة سعيد :

ما أرى إن ذبحت شاة سعيد ... حاصلا فى يدىّ غير الإهاب

ليس إلا عظامها لو تراها ... قلت : هذى أزانف فى جراب

من حشا الشياه اللواتى إذا ما ... أبصروهنّ قيل : شاء الشهاب (٢)

ستراهنّ كيف يبصقن فى وجـ ... ـه المضحّى بهنّ يومَ الحساب

وقوله أيضاً فيها :

أبا سعيد لنا فى شاتِكَ العِبَرُ ... جاءت وما إنْ لها بَوْلٌ ولا بعر

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت ... طعامُها الأبيضان الماء والقمر

لو أنها أبصرت فى نومها عَلَفاً ... غنت له ودموع العين تنحدر

(يامانعى لذة الدنيا بأجمعها ... إنى ليقنعنى من وجهك النظر)

---

(١) عجز هذا البيت فى العقد * هوى الدهر بى عنها وأهوى بها عنى *

(٢) صدر هذا البيت قلق

وقال فيها :

أسـعيد قد أعطيتنى أضْحِيَّةً مكثت زمانًا عندكم ما تطعم
نضْواً تغامزت الـكلاب لها وقد شدّوا عليهـا كى تموت فيولموا[1]
فإذا المَلاَ ضحكوا بها قالت لهم لا تهزؤا بى وارحمونى ترحَمُوا
مرت على علَفٍ فقامت لم تَرِمْ عنه وغنت والمدامع تسجم
(وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخـــــــر عنه ولا متقدم)

وقال فيها :

لسعيد شـويهة سَلَّهَا الضر والتلف
قد تغنت وأبصرت رجلا حاملا علف
(بأبى مَنْ بكفه بره مابى من الدنف)
فأتاها مطمعـــاً فأتتـــه لتعتلف
فتـــولى فأقبلت تتغـنى من الأسف
(ليته لم يكن وقف عذب القلب وانصرف)

وذ كرت ههنا ما كتبه ناصر الدين بن النقيب إلى السراج الوراق :

لوفرَّ بغلى مِنَ اصطبلى لقلت لمن يجرى وراه تمهَّلْ أيهـا السارى
فنى زقاق سراج الدين موقفه أو ذلك الخط أوفى حوْمة الدار
فطيلسان ابن حرب قد سمعت به من طول بعثٍ وترداد وتكرار

فأجابه السراج :

أفدى خُطَاكَ ولو كانت على بصرى لكان فى ذَاكَ تشريف لمقدارى
وإن دارك صان الله مالـكها أعز عندىَ من أهلى ومن دارى

---

(١) النضو ـ بالـكسر ـ الشديدة الهزال

وطيلسان ابن حرب فى تردُّدِهِ　　قلبى إليك من الأشواق فى نار
إذا تمــزق ألفاكَ الثَّرى لَهُ　　فى رَفْوِ بالٍ وفى حَوْكٍ لأشعار

(١٤)

الأمير إسماعيل بن سلطان بن على بن مقلد بن منقذ

إسماعيل بن سلطان بن على بن مقلدبن نصر بن منقذ ، شرف الدولة ، الأمير .
ومن شعره :

ومهفهف كتب الجمالُ بخــده　　ســطراً يُحَيِّرُ ناظر المتأمل
بالغت فى استخراجه فوجدته　　لا رَأى إلا رأى أهل الموصل

(١٥)

ابن عز القضاة

إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد ، المعروف بابن عز القضاة .
ومن شعره :

ما أنت فى ود الصديق تُفَرِّط　　تَرْضَى بلا سبب عليه وتسخط
يا من تلون فى الوداد أما ترى　　وَرَقَ الغصون إذا تلون يسقط

وقال يصف شموعاً :

وزهر شموع إن مددت بنانهـا　　لتمحو سطور الليل نابت عن البدر
وفيهن كافوريَّةٌ خلت أنهــا　　عمود صباح فوقه كوكب الفجر
وصفراء تحكى شاحبا شاب رأسه　　فأدمُعُهَا تجرى على ضَيْعة العمر
وخضراء يبدو وَقْدُهَا فوق قدها　　كنرجسة تزْهى على الغُصُن النضْر
وَلاغرو أن تحكى الأزاهِرُ حسنها　　أليس جناها النحلُ قِدْماً من الزهر

وله أيضاً :

وملتثم بالشَّعْرِ من فوق خــده　　غــدا قائلا شَبِّهْهُ لى بحياتى
فقلت سترتَ الليل بالصبح قال لا　　ولــكن سترت النور بالظلمات

(١٦)

إسماعيل بن علي ، العين زربي

إسماعيل بن على ، العين زربى ، نسبة إلى عين زربة[١] ، ثغر بقرب المصيصة

ومن شعره :

وحقكم لا زرتكم فى دُجُنة ... من الليل تخفينى كأنىَ سارق
ولا زُرْتُ إلا والسيوف شواهر ... علىّ وأطراف الرماح لواحق

ومنه أيضاً :

أعينىّ لاتستبقيا فَيْضَ عَـبْرة ... فإن النوى كانت لذلك موعدا
فلا تعجبا أن تمطر العين بعدهم ... فقد أبْرَقَ البينُ المشتُّ وأرعدا
ويومٍ كساه الغيمُ ثوبا مُصَنْدلا ... فصاغتطِرَازَيْهِيدُالبرقعسجدا
كأن السما والرعد فيه تذكَّرَا ... هَوًى لهما فاستعبرا وتنهدا
ذكرت به فياض كفك فى الندى ... وإن كانتا أَنْمى وأبقى وأجودا

ومنه أيضاً :

أحِنُّ إلى ساكنات الحجاز ... وقد حجزتنى أمور ثقـــال
بكيت ففاضت بحار الدموع ... وكان لها من جفونى أثال
وظنّ العذول بأنى سلوت ... لفقد البكاء وجارَى وقال
حقيقاً حقيقاً وجدت السلو ... فقلت له : بل محال محال

ومن هذه المادة قول ابن سَنَاء الملك :

أرى ألف ألف مليح فما ... كأنى رأيت مليحاً سواه
أراه ومالى وُصُـول إليه ... فراحة قلبىَ أن لا أراهُ
وقالوا هواك مقيم مقيم ... عليه فقلت كما هو كما هُو

---

(١) كذا فى الأصول كلها ، وفى ياقوت « عين زربى » بفتح الزاى وسكون الراء ثم باء موحدة مفتوحة فألف مقصورة .

(١٧)

أبو الفداء الملك المؤيد إسماعيل بن على

الملك المؤيد ، صاحب حَماة .

إسماعيل بن على الإمام العالم الفاضل السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا ابن الأفضل بن المظفر بن المنصور ، صاحب حَماة .

مات فى الكهولة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

كان أميراً بدمشق ، وخدم الملك الناصر لما كان فى الكرك ، و بالغ فى ذلك ، فوعده بحَماة ، ووَفى له بذلك ، فأعطاه حَماة لما أمر لأيْدَمُر بحلب بعد موت نائبها جَقْمَق (١) ، وجعله سلطانا يفعل فيهما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم ، وأركبه فى القاهرة بشِعار الملك وأبَّهَة السلطنة ، ومَشَى الأمراء والناسُ فى خدمته ، حتى الأمير سيف الدين تنكز أرغون النائب ، وقام له القاضى كريم الدين بكل ما يحتاج إليه فى ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبوه الملك الصالح ، ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد .

وكان كل سنة يتوجَّهُ إلى مصر بأنواع من الخيل والرقيق والجواهر ، وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمر طول السنة بما يُهْدِيه من التحَفِ والطُّرَفِ ، وتقدم السلطان الملك الناصر إلى نوابه بأن يكتبوا إليه « يقبل الأرض » وكان الأمير سيف الدين يشكر رحمه الله تعالى يكتب إليه « يقبل الأرض بالمقام العالى الشريف المؤيدى السلطانى الملكى المولوى العمادى » وفى العنوان « صاحب حَماة » ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون « أعز الله أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الملكى المؤيدى العمادى » بلا مولوى

وكان الملك المؤيد فيه مكارم وفضيلة تامّة ، من فقه وطب وحكمة وغير ذلك ،

---

(١) فى ث « قبجق » .

وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة لأنه أتقنه ، وإن كان قد شارك فى سائر العلوم مشاركة جيدة ، وكان مُحِبًّا لأهل العلم ، مقربا لهم، أوى إليه أثير الدين الأبهرى ، وأقام عنده ، ورتب له ما يكفيه ، وكان قد رتب لجمال الدين محمد بن نُباتة كل سنة ستمائة درهم ، وهو مقيم بدمشق ، غير ما يتحفه به .

ونظم « الحاوى »[1] فى الفقه ، ولولم يعرفه معرفة جيدة ما نظمه ، وله تاريخ كبير ، وكتاب « الكناش » مجلدات كثيرة ، وكتاب « تقويم البلدان » هذبه وجَدْوَله وأجادَ فيه ماشاء ، وله كتاب « الموازين » جوده وهو صغير .

ومات وهو فى الستين ، رحمه الله تعالى !

وله شعر، ومحاسنه كثيرة ، ولما مات رثاه الشيخ جمال الدين بن نُبَاتَة بقصيدة أولها :

ما للندى لا يُلَبِّي صَوْتَ دَاعِيهِ	أظنُّ أنَّ ابن شادى قام ناعيه
ما للرجاء قد اسْتَدَّتْ مذاهبه	ما للزمان قد اسودّت نواحيه
نعى المؤيد ناعيه فيا أسفى	للغيث كيف غَدَتْ عنا غواديه
كان المديح له عرس بدولته	فأحسن الله للشعر العزَا فيه
يا آل أيوبَ صبراً إن أرثكم	من أنتم أيوب صبراً كان ينجيه
هى المنايا على الأقوام دائرة	كلٌّ سيأتيه منها دور ساقيه

وتوجه الملك المؤيد فى بعض السنين إلى مصر ومعه ابنه الملك الأفضل محمد ، فمرض ولده ، وجهز إليه السلطان الحكيم جمال الدين ابن المغربى رئيس الأطباء ، فكان يجىء إليه بكرة وعشية، فيراه و يبحث معه فى مرضه، و يقدر الدواء ، و يطبخ الشراب بيده فى دست فضة ، فقال له ابن المغربى : ياخوند ، والله ما تحتاج إلىّ ، وما أجىء إلا امتثالا لأمر السلطان ، ولما عوفى أعطاه بغلة بِسَرْج وكنبوش مزركش وتعبية[2] قماش وعشرة آلاف درهم والدست الفضة ، وقال : يامولاى ، أعذرنى فإنى لما خرجت من حَماة ما حسبت مرض هذا الابن .

---

(١) «الحاوى» فى فقه الشافعية تأليف قاضى القضاة الماوردى .

(٢) لعل الأصل « وبقجة قماش » .

ومدحه الشعراء، وأجازهم، وللمامات فرق كتبه على أصحابه، ووقف منها جملة.

ومن شعره:

اقرأ على طيب الحيا ة سلام صبّ مات حزنا

واعلم بذاك أحبةً بخل الزمان بهم وضنّا

لو كان يُشْرَى قربهم بالمال والأرواح جدنا

مُتَجَرِّعٌ كأسَ الفِرا قِ بَبَيتُ للأشجان رَهْنَا

صبّ قضى وجدا ولم يقضى له ما قد تمنى

وله أيضا:

كم [من] دم حَلّلَتْ وما ندمَتْ تفعل ما تشتهى فلا عدمت

لو أمكن الشمس عند رؤيتها لثم مواطى أقدامها لثمت

وله أيضا عفى عنه:

سرى نَشْرُ الصَّبَا فعجبت منه من الهجران كيف صبا إليّا

وكيف ألمّ بى من غير وعد وفارقنى ولم يعطف عليّا

وله موشح رحمه الله تعالى:

أوقعنى العمر فى لعل وهل ياويح مَنْ عمره مضى بلعل

والشيب وافى وعنده نزلا وفر منه الشباب وارتحلا

ما أوقح الشيب الآتى إذحل لا عن مرضاتى

الشوق أضعفنى ولازمنى وخاننى نقص قوّة البدن

لكن هوى القلب ليس ينتقص وفيه مع ذا مِنْ جرحه غُصَصُ

يهوى جميع اللذات كماله من عادات

يا عاذلى لا تطل ملامك لى فإنّ سمعى نأى عن العذل

وليس يجرى الملام والفَنَدُ فيمن صبابات عشقه جُدُدُ

دعنى أنا فى صبواتى أنت البَرِى من الآتى

كم سرنى الدهر غير مقتصر بالكاس والغانيات والوتَرِ

يمرح فى طيب عيشنا الرغد طَرْفِى وروحى وسائر الجسـد
وكم صفت لى خطـراتى وساعـــدتنى أوقاتى
مضى رسولى إلى معـذبتى وعاد فى بهجة مُجَــدَّدة
وقال : قالت تعال فى عجل لمنزلى قبل أن يجى رَجُلِى
واصعد وَنَخــرَّ من طاقاتى ولا تخف من جاراتى

قال : ومن الغريب أنّ السلطان ـ رحمه الله ! ـ كان يقول : ما أظنّ أنى أستكمل من العمر ستين سنة ، فما فى أهلى ـ يعنى بيت تقى الدين ـ من استكملها ، وفى أوائل الستين من عمره قال هذا الموشح ، ومات فى بقية السنة ، رحمه الله تعالى !

وهذه الموشحة جيدة فى بابها ، منيعة على طلابها ، وقد عارض بوزنها موشحة لابن سناء الملك رحمه الله تعالى ، وهى :

عسى ، ويا قلما تفيد عسى أرى لنفسى من الهوى نفسا
مذبان عنى مَنْ قد كلفت به قلبىَ قد لج فى تقلُّبـه
وبى إذن شـوق عاتى ومدمعى يوم شـاتى
لا أترك اللهو والهوى أبدا وإن أطلت الغرام والفَنَدَا
إن شئت فاعذل فلست أسمع أنا الذى فى الغرام أتبع
وتحتذى صـباباتى وتدعـــنى وعاداتى
بى مَلَكٌ فى الجمال لا بشر يُظْلَم إن قيـل أنه قمر
يحسن فيـه الولوع والوله وعِزُّ قلبى فى أن أذل له
خدى حِـذاً إنْ ياتى ويرتَعِى حشاشـاتى
لست أذم الزمان معتديا كم قد قطعت الزمان ملتهيا
وظَلْتُ فى نعمة وفى نعم يلتذ سمعى وناظرى وفمى
ولا قذًى فى كاسـاتى ومرتعى فى الجنـات

وغادةٍ دينها مخالفتى ولا ترى فى الهوى محالفتى
وتسبينى ولست أمنعها فقلت قولا عساه يخدعها
ما هو كذا يا مولاتى أجرى معى فى ماواتى

وموشحة السلطان ـ رحمه الله تعالى ! ـ نقصت عن موشحة ابن سناء الملك ماقد التزمه من القافيتين فى الخرجة وهو الذال فى « كذا » والعين فى « معى » وخرجة ابن سناء الملك أحسن من خرجة السلطان ، رحمهما الله تعالى ! .

(١٨)

السيد الحميرى
إسماعيل بن محمد

السيد الحميرى :

إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة .

كان شاعراً محسناً ، كثير القول ، إلا أنه كان رافضيا جَلْدًا زائغا عن القَصْد . له مدائح جمّة فى آل البيْت ، وكان مقيما بالبصرة ، وكان أبَواهُ يُبْغِضان عليًّا ، وسَمِعَهما يَسُبَّانه بعد صلاة الفجر ، فقال :

لعن الله والدىّ جميعاً ثم أصْلاهُمَا عذاب الجحيم

وكان يرى رَجْعَة محمد بن الحنيفة فى الدنيا ، وكان كُثَيِّرٌ الشاعرُ يَرَى هذا الرأى ، وكان السيد يعتقد أن ابن الحنفية لم يمت ، وأنه فى جبل بين أسَدٍ ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضّاختان يجريان بماء وعَسَل ، ويعود بعد الغَيْبَة فيملأ الدنيا عَدْلاً كما ملئت جَوْرا ، ويقال : إن السيد اجتمع بجعفر الصادق عليه السلام فعرّفه خطأه ، وأنه على ضلالة ، فتاب .

وقال المرزبانى فى معجم الشعراء : إنه إسماعيل بن محمد بن وداع الحميرى ، ولذلك يقول :

إنى امرؤ حِمْيَرِىٌّ حين تَنْسُبُنى جدّى رُعَيْنٌ وأخوالى ذوو يَزَنِ
ثم الولاء الذى أرجو النجاة به يوم القيامة للهادى أبى الحسن

وكان أسمر، تام القامة، حسَنَ الألفاظ، جميل الخطاب، مقدّما عند المنصور والمهدى .

ومات أوّل أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة ، وولد سنة خمسٍ ومائة .

وكان أحد الشعراء الثلاثة الذين لم يُضْبَط مالهم من الشعر كم ، هو وبشار وأبوالعتاهية ، و إنما مات ذكره وهَجَره الناسُ لسَبه الصحابةَ و بغض أمّهات[1] المؤمنين و إفحاشه فى قَذْفِهم ، فتحاماه الرواة .

قال المازنى : سمعت أباعبيدة يقول : ماهجا أميةَ أحد كهاجهم يزيد بن مُفَرّغ[2] والسيد الحميرى .

وقال السيد : أتى بى أبى إلى محمد بن سيرين وأنا صغير فقال لى : يابنىّ ، اقْصُصْ رؤياك ، فقلت : رأيت كأنّى فى أرض سَبِخَة ، و إلى جانبها أرض حسنة ، والنبىّ صلى الله عليه وسلم واقف فيها ، وليس فيها نبت ، وفى الأرض السبخة شوك ونخل ، فقال لى : يا إسماعيل ، أتَدْرِى لمن هذا النخل ؟ قلت : لا ، قال : هذا لامرئ القيس بن حُجْر ، فانقله إلى هذه الأرض الطيبة التى أنا فيها ، فجعلت أنقله ، إلى أن نقلت جميعَ النخل وحَوّلْتُ شيئا من الشوك ، فقال ابن سيرين لأبى : أمّا ابنك هذا فسيقول الشعر فى مدح طَهَرَة أبرار ، فمامَضَتْ إلا مدة حتى قلت الشعر .

قال ابن سَلاّم : فكانوا يَرَوْنَ أن النخل مَدْحُه أميرَ المؤمنين وذريته ، وأن الشوك من حوله وما أمر بتحويله هو ما خلط به من شعره من سب السلف .

وقال الصُّولى : حدثنا محمد بن الفضل بن الأسود ، حدثنا على بن محمد بن سليمان ، قال : كان السيد يزعم أن عليا رضى الله تعالى عنه سَمّى محمد بن الحنفية المهدى ، وأنه الذى بَشّر به النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأنه حىّ فى جبال رَضْوَى .

---

(١) كذا ، ولهاوجه ، ولكنى أحسب الأصل « وبعض أمهات المؤمنين »

(٢) كان يزيد بن مفرغ يهجو عبيد الله بن زياد كثيرا

قال الصولى : قال أبو العيناء للسيد : بلغنى أنك تقول بالرَّجْعَة ، قال : هو مابلغك ، قال : فأعْطِنِي ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة ، فقال السيد : على أن تُوثِّقَ(1) لى بمَنْ يضمن أنك ترجع إنسانا ، أخاف أن ترجع قردا أو كلبا فيذهب مالى .

وكان السيد إذا سُئل عن مذهبه أنشد من قصيدته المشهورة :

سَمِيُّ نَبِيِّنَا لم يبق منهم	سواه فعنده حصل الرجاء
تَغَيَّبَ غيبة من غير موت	ولا قتل ، وسار به القضاء
وبين الوحش يَرْعَى فى رياض	من الآفاق مرتعها خلاء
تحلُّ فما بها بشر سواه	بعَقْـوَتِهِ له عسل وماء
إلى وقتٍ ، ومدّة كل وقت	وإن طالت عليه لها انقضاء
فقل للناصب الهادى ضلالا	تقوم وليس عندهُمُ غَناء
فداء لابن خَوْلَةَ كل نذل	يطيف به ، وأنت له فداء
كأنا بابن خولة عن قريب	وربُّ العرش يفعل مايشاء
يهز دُوَيْنَ عين الشمس سيفا	كلمع البرق أخلصه الجلاء
تشبه وجهه قمرا منيرا	يضىء له إذا طلع السناء
فلا يخفى على أحد بصير	وهل بالشمس ضاحيةً خفاء
هنالك تعلم الأحزاب أنا	ليوثٌ لا يُهَنْهِنُنا لقاء
فندرك بالذحول بنى أمية	وفى ذاك الذحول لهم فناء(2)

وحكى أن اثنين تَلاَحَيا فى أى الخلق أفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(1) فى ب « على أن توصى لى »

(2) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر

فقال أحدهما : أبو بكر ، وقال الآخر : علىّ ، فتراضيا بالحكم إلى أول مَنْ يَطْلع عليهما ، فطلع عليهما السيد الحميرى ، فقال القائل بفضل على : قد تنافَرْتُ أنا وهذا إليك فى أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت أنا : على ، فقال السيد : وما قال هذا ابن الزانية ؟ فقال ذاك : لم أقل شيئا .

قيل : لما استقام الأمر للسَّفّاح خَطَبَ يوما فأحسن الخطبة ، فلما نزل عن المنبر قام إليه السيد الحميرى فأنشده :

دُونَكُمُوهَا يا بنى هاشم ... فجدّدوا مِنْ آيِهَا الطامِسَا
دونكموها فالْبَسُوا تاجها ... لا تعدموا منكم لها لابسا
دونكموها لاعَلَتْ كعب من ... أمسى عليكم مُلْكَهَا نافسا
خلافة الله وسلطانه ... وعنصرا كان لكم دارسا
فساسها قبلكُمُ ساسةٌ ... ما تركوا رطبا ولا يابسا
لو خُيِّرَ المنبر فُرْسَانه ... ما اختار إلا منكُمُ فارسا
فلستُ من أن تملكوها إلى ... هبوط عيسى منكُمُ آيسا

فقال السفاح : سَلْ حاجتك ، قال : ترضى عن سليمان بن حبيب بن المهلب وتوليه الأهواز ، قال : قد أمرت بذلك ، وكتب عهده ودفعه إلى السيد ، وقَدِمَ به عليه ، فلما وقعت عينه عليه أنشده :

أتيناك يا قَرْمَ أهْلِ العراق ... بخير كتاب من القائم
يُوَلِّيكَ فيه جسام الأمور ... فأنت صنيع بنى هاشم
أتينا بعهدك من عنده ... على من يليك من العالم

فقال له سليمان : شريف وشافع وشاعر ووافد ونسيب ، سَلْ حاجتك ، فقال : جارية فارهة جميلة ، ومَنْ يخدمها ، وبَدْرَةُ دراهِمَ ، وحاملها ، وفرس رائع ، وسائسه ،

وتخت من صنوف الثياب ، وحامله ، قال : قد أمرت لك بكل ما سألت ، وهو لك عندى كل سنة

قال أبو ريحانة ، وكان يُشار إليه فى التصوّف والورع : حدّثنى رجل كان أبوه فى جوار السيد قال : لما حضرته الوفاة جاءنا وَلِيُّه فقال : هذا و إن كان مخلطا فهو من أهل التوحيد ، وهو جاركم ، فادخلوا إليه ولقّنوه الشهادة ، قال : فدخلنا إليه وهو يجود بنفسه ، وقلنا له : قل لا إله إلا الله ، فاسودّ وجهه، وفتح عينيه وقال (وحيل بينهم و بين ما يشتهون) قال : فخرجنا من عنده ، فمات من ساعته

(١٩)

إسماعيل بن محمد الإسكندرانى (ابن مكنسة)

ابن مكنسة الإسكندرانى .

إسماعيل بن محمد ، توفى فى حدود الخمسمائة .

من شعره :

رقّتْ مَعاقِدُ خَصْرِه فكأنها ... مشتقة من عقده وتجلدى

وتَجَعدت أصـــداغه فكأنها ... مسروقة من خَلْقِهِ المتجعد

ما باله يجفـــو وقد زعم الورى ... أن الندى يختص بالوجه الندى

لا يَخْدَعَنْكَ وجنـــة محمرّة ... رقت ففى الياقوت طبع الجلمَدِ

وزعمت أنى لست من أهل الهوى ... صبا نقل ما شئته وتقـــلد

والله ما أبصَرْتُ يوما أبيضا ... منذ ابتليت بحب طرف أسود

وله أيضاً :

صـــيرتمونا يا بنى ... مكحول عشاقا بِشِدّه [1]

لـكم الولاية فى الهوى ... أمر أراد الله عَقْدَهْ

(١) «منع مكحول» من الصرف ــ أى التنوين ــ للضرورة

ما قام منكم قائم إلا وكان الحُسْنُ جُنْدَهْ
ما يَلتحِى حتى ينصّ على وَلِىِّ العهد بَعْدَهْ

وله أيضاً :

يعطيك مبتدياً لَدَى سَرّائه ويضاعف الإعطاء فى ضَرّائه
بِتْ جاره فالعيش تحت ظلاله واستسقه فالبحر من أنوائه [1]
يلقى الخطوب بمثلها من صبره والبانرات بمثلها من رائه [2]
فالطود حاسد حِلْمِهِ وأناتِهِ والسيف حاسد بأسه ومَضَائه

وله أيضاً :

يا رب عِزْبيدٍ إذا ما انتشى أربى على المجنون فى مَسِّهِ
قالوا : لقد تاب ، ووالله ما يتوب أو يجعل فى رَمْسِهِ
وإنما توبته هــــذه عَزْبَدَةٌ أيضاً على نفسه

(٢٠)

أشعب بن جبير المدنى (الطامع)

أشْعَبُ بن جبير المدنى :

الذى يضرب به المثل فى الطَّمَع .

رَوَى عن عِكْرِمة وأبانَ بن عثمان وسالم بن عبدالله ، وله النوادر المشهورة .
قال : حدثنا عكرمة عن ابن عباس قال : إن لله على العبد نعمتين [3] ، وسكت ، فقيل له : أذكرهما ، فقال: الواحدة نسيها عكرمة ، والأخرى نسيتها أنا .
وهو خال الأصمعى .

وقال يوماً : ابغونى امرأة أنجشأ فى وجهها فتشبع ، وتأكل فَخِذَ جرادةٍ فتتخم .

---

(١) الأنواء : جمع نوء — بالفتح — وهو هنا المطر
(٢) البانرات : السيوف ، ورائه : هو رأيه
(٣) فى ب ، ث « نعمتان »

وأسلمته أمه فى البزازين ، فقال لها يوما : تعلمتُ نصف الشغل ، قالت : وما هو ؟ قال : تعلمت النشر ، وبقى الطى .

وقيل له : ما بلغ من طَمَعك ؟ قال : ما زُفَّتِ امرأة فى المدينة إلا كَنَسْتُ بيتى رجاء أن تهدى إلىّ .

ومرّ برجل يعمل طَبَقاً ، فقال له : وَسِّعه ، فربما يشترى به أحد ويُهدِى لنا فيه شيئاً .

ومن عجائب أمره أنه لم يمت شريف بالمدينة إلا استَعْدَى على وصيه أو وارثه ، وقال له : احلف أنه لم يُوصِ لى بشىء قبل موته .

وكان زياد بن عبدالله الحارثى على شُرْطَة المدينة ، وكان مُبَخَّلا ، ودعا أشعب فى شهر رمضان ليُفْطِر عنده ، فقدمت له أول ليلة مَضِيرة[1] معقودة ، وكانت تعجبه ، فأمعن فيها أشعبُ وزياد يَلْمَحه ، فلما فرغوا من الأكل قال زياد : ما أظن لأهل السجن إماماً يُصَلى بهم فى هـذا الشهر ، فَلْيُصَلِّ بهم أشعب ، فقال أشعب : أو غير ذلك أصلحك الله ، قال : وما هو ؟ قال : أحلف بالطلاق أن لا أذوق مَضِيرةً أبداً . فخجل زياد ، وتغافل عنه .

وقال أشعب : جاءتنى جارية بدينار ، وقالت : هذا وديعة عندك ، فجعلته بين ثنى الفِرَاش ، فجاءت بعد أيام تنظر الدينار ، فقلت : ارفعى الفراش وخذى ولده ، وكنت تركت إلى جانبه درهما ، فتركتِ الدينار وأخذت الدرهم ، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهما آخر ، فأخذته ، وعادت فى الثالثة كذلك ، فلما جاءت الرابعة تباكيتُ ، فقالت : ما يبكيك ؟ فقلت : مات الدينار فى النِّفاس ، فقالت : وكيف يكون للدينار نفاس ؟ فقلت : يامائقة[2] تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس ؟ .

---

(١) المضيرة — بفتح الميم — طعام يتخذ من اللبن الماضر واللحم

(٢) المائقة : الحمقاء

وسأله سالم بن عبد الله بن عُمَر عن طمعه ، فقال: اجتمعت عليّ الصبيان يوماً ، فقلت لهم : هـذا أبان بن عثمان قد طَبَخ هَرِيسة ، وهو يفرقها ، فاذهبوا إليه ، فلما ذهبوا ظننت أن الأمر كما قد قلت ، فعَدَوْت[1] خلفهم .

وقيل له : ما بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دُخان جارى فأثرد .

وقيل له أيضاً ، قال: مارأيت اثنين يتساران إلا ظننت أنهما يأمران لى بشىء .

وجاس يوماً فى الشتاء إلى إنسان من ولد عُقْبة بن أبى مُعَيْط ، فمرّ به حَسَن ابن حسن ، فقال : ما يُقْعِدك إلى جانب هـذا ؟ قال : أصطلى بناره

ولما مات ابن عائشة المغنى جعل أشْعَبُ يبكى ، و يقول : قلت لـكم زوّجوا ابن عائشة من السماسمية حتى يخرج بينهما مزامير داود ، فلم تفعلوا ، ولـكن لا يُغْنِى حَـذَر من قدر .

ولما أخرجت جنازة الصريمية المغنية كان أشعب جالساً مع نَفَر من قريش ، فبكى أشعب ، وقال : اليوم ذهب الغناء كله ، وترَحّم عليها ، ثم مسح عينيه والتفت إليهم وقال : وعلى ذلك فقد كانت الزانية شر خلق الله ، فضحكوا ، وقالوا : يا أشعب ليس بين بكائك عليها و بين لعنك لها فرق ، قال: نعم كنا نجيئها الفاجرة بكبش إذا أردنا أن نَزُورها ، فتطبخ لنا فى دارها ثم لا تعشينا إلا بسلق .

وجاز به يوماً سِبْط ابن سيرين ، فوثب إليه ، وحمله على كتفه ، وجعل يُرَقِّصه ويقول : فديت مَنْ وُلد على عود ، واستهلّ[2] بغناء ، وحُنِّك بحَلْوَى ، وقطعت سُرّته بزير ، وختن بمضراب .

وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أم حَوْمَل ، تَبِعَنى فرسخين وأنا أمضغ لبانا .

---

(١) عدوت — بالعين المهملة — اشتددت فى السير ، وفى ب « فغدوت »

(٢) استهل المولود :صاح عند ولادته

وخفف الصلاة مرّة ، فقال له بعضُ أهل المسجد : خففت الصلاة جدّا ، فقال : إنها صلاة لم يخالطها رياء .

وقال له رجل : كان أبوك عظيم اللحية ، وأنت كَوْسَج[1] ، لمن أشبهت ؟ قال : أشبهت أمى .

وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، خرجت إلى الشام مع لقيط لنا[2] ، فنزلنا على باب بعض الديارات ، فتلاحَيْنا ، فقلت : أير الراهب فى اسْتِ الكاذب ، فلم نشعر إلا والراهب قد طلع علينا وقد أنعَظَ وهو يقول : مَن الكاذب فيكم .

وكان أشعب لا يغيب عن طعام سالم بن عبد الله بن عمر ، فاشتهى سالم يوما أن يأكل مع بنَاتِهِ ، ثم خرج إلى بستان له ، وأعلم أشعب بالقصة ، فاكترى جَمَلاً بدرهم ، فلما حاذى حائط البستان وثَبَ من على الجمل فصار على الحائط ، فغطى سالم بناته بثوبه ، وقال له : تدخل على بناتى من غير استئذان ؟ فقال أشعب : مالنا فى بناتك من حق ، وإنك لتعلم مانريد .

وقال رجل يوما لأشعب : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما سألتنى عن هذا الأمر إلا وقد خبأتَ لى شيئا تريد أن تعطينى إياه .

وقيل : هو من موالى عثمان بن عفان

وتوفى سنة أربع وخمسين ومائة ، وولد سنة تسع من الهجرة ، فعمر عمرا طويلا .

وامرأته بنت وَرْدَانَ الذى بنى قبر النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان أشعب قد قرأ القرآن وتنسك ، وكان حسن الصوت فى القراءة ، وربما صلى بهم فى المسجد .

---

(١) الكوسج : الذى ليس بوجهه شعر (الأجرود)

(٢) فى ت « مع رفيق لنا » .

قال المدائني : قال أشعب : تعلقت بأستار الكعبة ، وقلت : اللهم أذهِبِ الحرصَ عني ، فمررت بالقرشيين وغيرهم ، فلم يعطي أحد شيئا ، فجئت إلى أمي ، فحكيت لها ذلك ، فقالت : والله لا تدخل بيتي حتى تذهب فتستقيل الله تعالى ، فرجعت فقلت : يارب قد سألتك أن تخرج الحرص من قلبي ، فأقِلْني[1] ، ثم رجعت ، فلم أمر بمجلس من مجالس قريش وغيرهم إلا سألتهم وأعطَوْني ، ووهبوا لي غلاما ، فجئت إلى أمي بحمار مَوْقور[2] من كل شيء ، فقالت : ماهذا ؟ فخفت إن أعلمتها أن تموت ، فقلت : وهبوا لي غين ، قالت : وما غين ؟ قلت : لام ، قالت : ويلك وما لام ؟ قلت : ألف ، قالت : وأي شيء ألف ؟ قلت : ميم ، قالت : وأي شيء ميم ؟ قلت : غلام ، فسقطت مَغْشِيّاً عليها ، ولو سميته أوّل سؤالها لماتت .

ورأى على عبد الله بن عمر كساء ، فقال : سألتك بوَجْه الله إلا أعْطَيْتَنِي الكساء ، فرماهُ له .

وكان يقول : حدّثني عبد الله بن عمر ، وكان يبغضني في الله .

وكان أشعب يجيد الغناء ، وذكره إبراهيم الرقيق في كتابه ، وذكر له جملة أخبار ، رحمه الله تعالى !

(٢١)

إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي

إبراهيم بن سَهْل ، الإسرائيلي :

قال ابن الأبّار في « تحفة القادم » : كان من الأدباء الأذكياء الشعراء ، مات غريقا مع ابن خلاص والي سَبْتَة سنة تسع وأربعين وستمائة ، وكان سِنُّه نحو الأربعين وما فوقها ، وكان قد أسلم وقرأ القرآن ، وكتب لابن خلاص بسبتة فكان من أمره ما كان :

---

(١) الإقالة في البيع ونحوه : أن تعود فيه فتأخذ السلعة وترد ثمنها

(٢) موقور : قد حمل عليه حمل ثقيل

قال أثير الدين أبو حيان : هو إبراهيم ابن سهل ، الإشبيلي ، الإسلامي ، أديب ماهر ، دوّن شعره في مجلد ، وكان يهوديا فأسلم ، وله قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يُسْلم ، وأكثر شعره في صبي يهودي كان يهواه ، وكان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم .

قلت : والقصيدة النبويّة على حرف العين ، ذكرها ابن الأبار في ترجمة المذكور ، وكان يَهْوَى يهوديا اسمهُ موسى فتركه ، وهَوِيَ شابا اسمه محمد ، فقيل له في ذلك ، فقال :

تَرَكْتُ هَوَى مُوسَى لحبِّ محمد ولولا هُدَى الرحمن ما كنت أهتدى
وما عَنْ قِلًى منى تركت ، وإنما شريعَةُ مُوسَى عُطِّلَتْ بمحمد

وقال الشيخ أثير الدين : أخبرنا قاضي الجماعة قال : نظم الهيثم قصيدةً يمدح بها المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود ملك الأندلس ، وكانت أعلامه سوداء لأنه كان بايع الخليفة ببغداد[1] ، فوقف إبراهيم بن سهل على قصيدة الهيثم ، وهو ينشدها لبعض أصحابه ، وكان إبراهيم إذ ذاك صغيرا ، فقال إبراهيم للهيثم : زد بين البيت الفلاني والبيت الفلاني :

أعْلامُه السود أعْلامٌ لسُودَدِهِ كأنهنّ بِخَدِّ المُلْك خِيلانُ[2]

فقال له الهيثم : هذا البيت ترويه أم نظمته ؟ قال : بل نظمته الساعة ، فقال الهيثم : إن عاش هذا ليكونن أشعر أهل الأندلس .

والقصيدة التي مدح بها النبيّ صلى الله عليه وسلم منها :

---

(١) كانت أعلام العباسيين سوداء ، وقد أطلقوا على أنصارهم اسم «المسودة» .
(٢) الخيلان : جمع خال ، وهو نكتة سوداء في الخد ، يتملح بها . ووقع في ب
* كأنهن بهذا الملك جبلان * تحريف شنيع

وركبٍ دعتهم نحو طيبة نية ... فما وجدت إلا مطيعا وسامعا[١]

يسابق وَخْدَ العيس ماءُ شؤونهم ... فيقفون بالسوق الملىء المدامعا

إذا انعطفوا أو رَجَّعُوا الذكر خلتهم ... غصونا لِدانا أو حماما سواجعا

تضىء من التقوى خبايا صدورهم ... وقد لبسوا الليل البهيم مَدَارعا

تكاد مناجاة النبىِّ محمد ... تنم بهم مسكا على الشم ذائعا

تلاقى على ورد اليقين قلوبهم ... خوانق تذكرن القَطَا والمشارعا

قلوب عرفن الحق فهى قد انطوت ... عليها جُنُوب ما عَرَفْنَ المضاجعا

سقى دمعهم غرس الأسى فى ثَرَى الجوى ... فأنبت أزهار الشجون الفواقعا

تَسَاقَوْا لبان الصدق مَحْضاً لعزمهم ... وحَرَّمَ تفريطى علىّ المراضعا

وهى طويلة .

وقال :

سل فى الظلامِ أخاكَ البَدْرَ عن سهرى

تدرِى النجومُ كما يدرى الورى خبرى

أبيت أسجعُ بالشكوى، وأشربُ من ... دمعِى، وأنشَقُ ريًّا ذكرِك العَطِرِ

حتى أخَيَّل أنى شارب ثمل ... بين الرياض و بين الكأس والوتر

بعض المحاسن يَهْوَى بعضَها عجبا ... تأملوا كيف هام الغَنْجُ بالخفر

إن تُقْصِنِى فنفار جاء من رشأ ... أو تُضْنِنِى فمَحَاقٌ جاء من قمر

وقال أيضاً :

ردوا على طرفىَ النوم الذى سلبا ... وخبرونى بقلبى أيَّة ذهبا

علمت لما رضيت الحبَّ منزلة ... أن المنام على عينىَّ قد غضبا

فقلت: واحَرَبا، والصمت أجدر لى ... قد يغضب الحِبُّ إذ ناديت واحربا

(١) فى ث « نحو طيبة فتية » محرفا

إنى له عن دمى المسفوك معتذر — أقولُ حملتــه فى سفكه تعبا
نفسى تَلَذُّ الأسى فيــه وتألفه — هل تعلمون لنفسى فى الجوى نسبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما — أغوك ؟ قلت اطلبوا فى لحظهِ السببا
مَنْ صاغه الله من ماء الحياة وَقَدْ — أجرى بقيتــه فى ثغره شَنَبا
يا غائباً مقلتى تَهْمِى لفرقتــه — والقطر إن حجبت شمس الضحى انسكبا
كم ليلة بتهــا والنجم يشهد لى — رهينَ شــوقٍ إذا غالبته غَلَبَا
مردداً فى الدجى لهفا ، ولو نطقت — نجومها رَدَّدَتْ من حالتى عجبا
ماذا ترى فى محب ما ذكرت له — إلا بكى أو شكى أو حن أو طربا
يرى خيالك فى المــاء الزلال ، وما — ذاق الشرابَ ، فيروى وهو ماشربا

وقال أيضاً :

ولمــا عزَمنا ولم يبق من — مصانعة الشوق غير اليسير
بكيت على النهر أخفى الدموع — فعرّضها لونُها للظهــور(١)
ولو عرف السَّفْرُ حالى إذا — لمــا صبحونى عند المسير
إذا ما سرى نَفَسِى فى الشراع — أعادهُم نحــو حمص زفيرى
وقفت سحيراً وغالبت شوقى — ونادى الأسى حسنه من مجير
أمار وقد نَفَحَتْ زفرتى — فصار الغدوّ كوقت الهجير
ومَرّ الفــراق بتوديعــه — فشبهت ناعى النوى بالبشير
وقبلت وجنته فى الدموع — كما التقطت وردة من غدير
وقبلت فى الترب منــه خُطًا — أميزها بشَمِيم العبــير
تغرّب نومىَ عن مقلتى — وأما حديث المنى فى ضميرى
أموسى تَهَنَّ نعيم الكرى — فليلى بعــدك ليلُ الضرير

---

(١) لونها : أراد أن دمعه أحمر ، مثلا

وقال أيضاً :

كأن الخال فى وجنات موسى ‏ سواد العَتْبِ فى نور الوداد
أخُطٌّ لصدغِهِ فى الحسن واو ‏ فنقطةُ خاله بعض المداد
لواحظهُ محيرة ولكن ‏ بها اهتدت الشجون إلى فؤادى[١]

وله أيضاً موشح :

يا لحظات للفتن ‏ فى كرها أوفى نَصِيبْ
ترمى فكلى مَقْتَل ‏ وكلها بسهم مصيب
اللوم للاّحِى مباح ‏ أما قبوله فلا
علقته وجه صباح ‏ ريق طِلاً عتق طَلاَ[٢]
كالظبى ثغره أقاح ‏ وما ارتَعَى شِيحَ الفَلاَ
يا ظبى خذ قلبى وَطَنْ ‏ فأنت فى الأنس غريب
وارْتَعْ فدمعى سلسل ‏ ومهجتى مَرْعًى خصيب
بين اللّمَا والحَوَرْ ‏ منه الحياة والأجل
سَقَتْ مياهُ الخفر ‏ فى خده وَرْدَ الخجل
زرعته بالنظر ‏ وأجتنيه بالأمل
فى طرفه الساجى وَسَنْ ‏ سَهّدَ أجفان الكئيب
والردف فيه ثقل ‏ خَفَّ له عقل اللبيب
أهدى إلى حرّ العتاب ‏ بَرْدُ اللّمَى وقد وَقَدْ[٣]

---

(١) الشجون : جمع شجن ، وهو الحزن

(٢) الطلا الأول : الخمر ، والثاني الغزال ولد الظبية ساعة تضعه

(٣) وقد الأولى مؤلفة من واو العطف وحرف التحقيق ، والثانية فعل ماض بمعنى اشتعل

فلو لثمته لذاب من زفرتى ذاك البردْ
ثم لوى جِيدَ كَعَاب ما خلته إلا الغَيَدْ
فى نزعة الظبى الأغنّْ وهزة الغصن الرطيب
يجرى لدمعى جدول فينثنى منه قضيب
أأنت حَوْرَا أرسلك رضوان صدقا للخبر
قُطّعت القلوب لك وقيل ما هذا بشر
أم الصفا مُضْنًى هلك من النوى أم الكدر
حتى تزكيه المحسن أمر الهوى أمر غريب
كانّ عشقى مندل يزداد بنار الهجر طيب
أغربت فى الحسن البديع فصار دمعى مغربا
شَمْلُ الهوى عندى جميع وأدمعى أيدِى سَبَا
فتستمع عبدا مطيع غنى لبعض الرقبا
هذا الرقيب ما اسوأهْ لو كان لانسان مريب
مولاى قم تانعملوا ذلك الذى ظن الرقيب

وله أيضا موشح :

روض نضير وشادن وطلا فاجتن زهر الربيع والقبلا واشرب

ياساقيا ماوُقِيتُ فتنتَهُ
حَكَتْ رحيقُ الكؤس صورتَهُ
فمَثّلَتْ ثغره ووجنته

هذا حباب كالسلك معتدلا وذَا رَحيق لدى الزجاج علا كوكب

أقمت حَرْبَ الهوى على ساق
وبِعتُ عقلى بالخمر من ساق

أشهرَ جفني بنوم أحــداقِ

يمثل السحر وسطها كحلا مقلته وهى تبرىء العللا فاعجب

قلبك صخر والجسم من ذهب

أياسميَّ النبي يا ذهــبى

جاورت من مهجتى أبا لهب

يا باخلا لا أذم مافعــلا صيرت عندى محبة البخلا مذهب

يا منيتى والمنى من الخُــدَعِ

ما نلت سؤلى ولا الفؤاد معى

هل عنك صبر أو فيك من طمع

أفنيت فيك الدموع والحيلا فلا سُلوًّا فى الحب نلت ولا مأرب

أبيت أشكوه لوعتى عجبــا

فصدَّ عنى بوجهــه غَضَبَاً

فعند هــذا ناديت واحَرَبَاً

تصــدعنى يا منيتى مللا وأشتكى من صدودك المللا تغضب

وله من قصيدة فى محبوب به موسى :

وإنى لثوب الحزن أجدر لابس وموسى لثوب الحسن أحسن مُرْتَدِ

تأمّل لظى شوقى وموسى يَشُبُّها (تجد خير نار عندها خير موقد)

إذا مارنا شَزْرًا فقل لحظ أحور وإن يُلْوِ إعراضا فصفحة أغيد

وعَــذَّبَ بالى أنعَمَ الله باله وسَهّدنى لاذاق طعم التسهد

شكوت فجاؤا بالطبيب ، وإنما طبيب سقامى فى لواحظ مبعدى

فقال على التأنيس طَبُّكَ حاضر فقلت نعم لو أنه بعض عُوَّدِى (١)

---

(١) الطب — بفتح الطاء — الطبيب ، وقالوا « فلان طب بكذا » أى خبير عالم بطريق علاجه

بكيت فقال الحِبُّ هُزْؤاً أنشترى ... بماء جفونٍ ماء ثغر منضد
فأنشدته شعرا به أستميله ... فأندى ازدراء بابن حُجْر ومَعْبد[١]
كأنى بصرف البين حان فجادلى ... بأحلى سلام منه أفظع مشهد
تغنمت منه السير خلفى مُشَيِّعا ... فأقبلت أمشى مثل مشى المقيد
وجاء لتوديعى فقلت له أنشِدْ ... مشت لك روحى فى الزفير المصعد
جعلتُ يمينى كالنِّطاق لخصره ... وصاغت جفونى حَلْيَ ذاكَ المقلَّدِ
وجدت بذوب التبر فوق مورس ... وضن بذوب الدر فوق مورد
ومسح أجفانى بِبَرْدِ بنَانِه ... فألف بين المزن والسوسن الندى
فيا آفة العقل الحصيف، وصبوة العفيف، وغَيَّ الناسك المتعبد
رَعَيْتُ لحاظى فى جمالك آمنا ... فأذهلَنِي عن مصدرى حسن مورد
وكان الهوى ما بين عينيك كامنا ... كمون المنايا فى الحسام المهند
أظلُّ ويومى فيك هَجْر ووحشة ... ويومى بحمد الله أحسن من غد
وصالك أشهى من معاودة الصبى ... وأطيب من عيش الزمان الممهد
عليك فطمت العين من لذة الكرى ... وأخرجت قلبي طَيِّبَ النفس من يدى

وله أيضاً :

يقولون لو قَبَّلْتَهُ لاشتفى الجوى ... أيطمع فى التقبيل من يعشق البدرا
ولو غَفَلَ الواشى لقبلت نعله ... أنزهه أن أذكر الجيد والثغرا
وما أنا مَنْ يستحمل الريح سره ... أغار حفاظا أن أذيع له سرا
إذا فئة العذال جاءت بسحرها ... ففى وجه موسى آية تُبْطِلُ السحرا

---

(١) أراد بابن حجر امرأ القيس الكندى، وأراد بمعبد ذاك المعروف بالحذق بالغناء.

(٢٢)

الشيخ إبراهيم الأرموى :

إبراهيم الأرموى

ولد سنة خمس عشرة وستمائة بجبل قاسيون ، وتوفى سنة اثنين وتسعين وستمائة

من شعره :

سهرى عليك ألذ من سِنَةِ الكرى — ويلذ فيك تهتكى بين الورى
وسوى جَمَالِكَ لا يروق لناظرى — وعلى لسانى غير ذكرك ماجَرَى
وحياة وجهك لو بذلتُ حُشَاشتى — لمبشرى برضاك كنت مُقَصِّرا
أنا عبد حبك لا أحُولُ عن الهوى — يوما وإن لام العذول وأكثرا

(٢٣)

عين بصل :

إبراهيم بن على ، الحرانى

إبراهيم بن على ، الحرانى :

شيخ حائك ، كان عاميا أميا ، قصده قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان ، واستنشده من شعره ، فقال : أما القديم فلا يليق ، وأما نظم الوقت الحاضر فنعم ، وأنشده :

وما كُلَّ وقتٍ فيه يسمح خاطرى — بنظم قريض رائق اللفظ والمعنى
وهل يقتضى الشرع الشريف تيمما — بترب وهذا البحر يا صاحبى مَعْنَا

وله أيضاً :

وقائل قال إبراهيم عين بصل — أضحى يبيع فنًا فى الناس بعد فنا[1]
فقلت : مَهْ يا عذولى لا تعنفنى — لوجعت قُدْتُ ولو أفلست بِعتُ فنا[2]

---

(١) الفنا الأول ـ بفتح الفاء مقصورا ـ عنب الثعلب ، والثانى بمعنى الفناء

(٢) فى ب « لوجعت فزت » محرفا

وله أيضاً فى الشبكة والسمك :

كم كبسنا بيتا لـكى نمسك السكان منه فى سائر الأوقات
فمسكنا السكان وانهزم البيت لدينا خوفا من الطاقات

وله أيضاً :

جسمى بسُقم جفونه قـد أسقما ريم بسهم لحاظه قلـبى رمى
كالريح معتدل القوام مُهَفهف مرّ الجفا لكنه حُلْو اللَّمَا[1]
رشأ أحل دمى الحرام وقد رأى فى شرعه وَصْـلِى الحلال محرما
رب الجمال بوصـــله وبهجره ألقى وأصـــلى جَنَّةً وجهنما
عن ورد وجنتــه بآسِ عذارِهِ وبسيف نرجس طرفه الساجى حَمى
عاتبتـــه فقسا ، وفيت فخاننى ، قربتـه فنأى ، بكيت تَبَسَّمَا
حكمته فى مهجتى وحشاشتى فجَنَى وجار علىّ حين تحكما
ياذا الذى فاق الغصون بقدّه وسما بطلعتـــه على قمر السما
رفقا بمن لولا جمالك لم يكن حِلف الصبابة والغرام متيما
أنسِيتَ أياما مضت ولياليـــا سلفت ، وعيشا بالصَّريم تَصَرَّمَا[2]
إذ نحن لم نخش الرقيب ولم نخف صرف الزمان ولا نطيع اللوما
والعيش غض ، والحواسد نوّم عنا ، وعين البين قد كحلت عَمَى
فى روضة أبدت ثغورَ زهورها لما بكى فيها الغـــرام تبسُّما
مد الربيع على الخمائل نوره فيهـــا فأصبح كالخيام مخيما
يبدو الأقاحى مثل ثغر مهفهف أضحى المحب به كئيبا مغرما
وعيونُ نرجسها كأعين غادة ترنو فترمى باللواحظ أسهما[3]

---

(١) اللمى : الرضاب (الريق — ماء الفم)
(٢) الصريم : مكان ، وتصرم : انقضى وانقطع
(٣) ترنو : تنظر

والطير تَصْدَحُ فى فروع غصونها صدحا فتوقظ بالهديل النوما[1]
والراح فى راح الحبيب يديرها فى فتية نظـــروا المسرة مغنما[2]
فسُقَاتنا تحـكى البدور ، وراحُنا تحكى الشموس، ونحن نحكى الأنجما

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

ربوع جلق للأوطار أوطان وليس فيها من النُّدْمَان نَدْمَان[3]
كم لى مع الحِبِّ فى أقطارها أربا إذ نحن فى ساحة الجيرون جيران[4]
أيامَ تجرير أذيالى بهـــا طربا ولى مكان له فى السعد إمكان
إذ بت أنشد فى غزلانها غزلا لما غزت كبدى باللحظ غزلان
سقيا لجامعها كم قد جُمِعْنَ لنا فيه من الغيـد أقمار وأغصان
وكم حوى الحسن فى باب البريد لنا فهل ترى عندذك الحسن إحسان
أغنت عن السمر فيه السمر إذ خطرت وسودُ أجفانها للبيض أجفان[5]
أهلّةٌ تحت ليـل الشعر تحملها لفتنة الصب قضبان وكثبان
جمالها وأخو الأشواق حين بدت إليـــه فى الحب مفتونٌ وفتان
وبعدها ليس يحلو فى الهوى أبدا يوماً لإنسانه فى الخلق إنسان
نوّاحة فى النواحى جِلّق وله بالحسن لا بالنقا والحَزْنِ أحزان
فجلق جنة تبـدو جواسقها مثل القصور بها حُورٌ وولدان
والشيب كالغيد تلقى الغيد سابحة وقد حوى الغيد ميدان وبستان
أنزه الطرف فى الميدان من مرح والقلب منى لطفل اللهو ميدان
قم يا نديمى إلى شرب المدام بها من قبل يدرك بدرَ السعد نقصان
فأنت فى جنة منهـا مزخرفة وقد تَلَقَّاكَ بالرضوان رضوان

---

(١) تصدح : تغنى ، والهديل : صوت الحمام
(٢) الراح : الخمر ، والراح الثانية : جمع راحة وهى اليد
(٣) الندمان ـ بضم النون ـ جمع نديم، والندمان ـ بفتح النون ـ وصف من الندم
(٤) الجيرون : مكان (٥) السمر الأول : الرماح ، والثانية جمع سمراء

وأنت فيها عن اللذات فى كسل   انهض فما بلغ اللذاتِ كسلان

أما ترى الأرض إذ أبكى السحابَ بها   أذارُها ضحكت إذ جاء نيسان[١]

والزهر كالزهر حياهُ الحيا فبدت   فى روض منه إلى الأبصار ألوان

زمرد قُضُب فيها مركبة   جواهر ويواقيت ومرجان

كأنما الورد خدُّ الحِبِّ حين غدا   له العِذارُ سياجا وهو ريحان[٢]

كأن منثورها إذ لاح مبتسما   جيش من الروم بانت فيه صُلْبان

كأنما البانُ أهدى المسكَ حين بدا   فمطر الكون لما أورق البان

كأن ريح الصبا طافت بخمر هوى   من الرياض فكل الكون نشوان[٣]

كأنما جمرة التفاح خدّ رشا   لى فى هواه عن السلوان سلوان

كأن نارنجها نار وباطنه   ثلج وفيه لجين وهو عِقْيانُ

والطير تطرب بالعيدان نغمتها   ما ليس يطرب بالأوتار عيدان

أبدت فنونا فأفنت صَبْرَ سامعها   بالنوح إذ حملتها فيه أفنان[٤]

بلابل هَيَّجتْ منا بلابلنا   وهاج منا صبابات وأشجان

وهزنا الشوق إذ غنى الهزَار بها   فلا تجفُّ لنا بالدمع أجفان

ورب صافية فى الكأس مشرقة   كانت وما كان فى العلياء كِيوَانُ

راح أراحت لمن حلت براحته   روحالها القار والفخار جثمان

صُبَّتْ لنا فهى ماء فى زجاجتها   وأشرقت فهى فى الكاسات نيران

يسعى بها رَشأ بالسحر مكتحل   حلو الدلال لجند الحسن سلطان

عذب اللما ناعس الأجفان منتبه   مهفهف القدِّ صاحٍ وهو سكران

كأنما وجهه فيه لعاشقه   بستان والخال فى البستان جنَّانُ[٥]

---

(١) أذار ونيسان : من الشهور الرومية

(٢) فى ب « له الغبار سياجا » تحريف (٣) فى ب « كأن ريح الصباطابت »

(٤) الأفنان : جمع فنن – بالتحريك – وهو الغصن

(٥) الجنان : البستانى ، وكان من حقه تنوين « بستان »

كأنما خاله   لما بدا كُرَةٌ   والصدغُ جُوكَانُ[1] والخد ميدان

(٢٤)

إبراهيم بن عمر الجعبرى

إبراهيم بن عمر الجَعْبَرى :

شيخ حَرَم الخليل ، كان حلو العبارة .

قال : كان قبلى لهذا الحرم شيخ ، وجاء السلطان مرّةً إلى زيارة الخليل عليه السلام مستخليا عن الناس ، فقال له المتحدثون فى الدولة : ياشيخ ماتعرّفنا حال هذا الحرم ودَخْلَه وخَرْجَه ، قال : نعم ، وأخذهم وجاء بهم إلى مكان يمدّون فيه السّماط ، وقال لهم : الدخل ههنا ، ثم أخذهم وجاء بهم إلى الطهارة ، وقال : الخَرْج ههنا ، ما أعرف غير ذلك ، فضحكوا منه .

ومن شعره ، أعنى الجعبرى :

لما أعان الله جل بلطفه   لم تسبنى بجمالها البيضاء
ووقعتُ فى شَرَك الرَّدَى متخبلا   وتحكمت فى مهجتى السوداء[2]

وقال : كنت فى أوّل الأمر أشترى بفَلْس جَزَراً أتقوّت به ثلاثه أيام

وقال أيضاً :

لمابدا يوسف الحسن الذى تَلِفَتْ   فى حبه مهجتى استحييت لواحيه
فقلت للنسوة اللاتى شغفن به   (فذلكنّ الذى لمتننى فيه)

(٢٥)

إبراهيم ابن كيغلغ

إبراهيم بن كَيْغَلَغ :

من شعره :

بالله مِمَّا هجرتنى قل لى   وأنت مما جنيت فى حِلٍّ[3]

---

(١) فى ب « كده » وفيها « والصدع جو كانها » تحريف شنيع

(٢) فى ب « شرك الهوى » والسوداء : تورية

(٣) فى ب « بالله لم قد هجرتنى قل لى »

من لى بيوم أراك فيه وقد قَرَّتْ عينى بزورة مَنْ لِى ؟

وله أيضاً :

قم ياغلام أدر مدامك واحْثُثْ على الندمان جامك
تدعى غلامى ظاهرا وأظل فى سِرٍّ غلامك
الله يعلم أننى أهوى عناقك والتزامَكْ

(٢٦)

إبراهيم ابن لنكك

إبراهيم بن لنكك :

قال أبو القاسم التنوخى : جلس ابنُ لنكك فى جامع البصرة ، فجلس إليه قوم من العامة ، فاعترضوا كلامه بما غاظَه ، فأخذ محبرةَ بعضِ الحاضرين ، وكتب من شعره :

وعصبة لما توسطتهم ضاقت علىَّ الأرض كالخاتم
كأنهم من بعد إفهامهم لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك ابليس سرورا بهم لأنهم عار على آدم
كأننى بينهمُ جالس من سوء ما شاهدت فى مأتم

فاعترضه ولده ، وقال : يا أبت أبياتك متناقضة ، ولكن اسمع ما عملت :

لا تصلح الدنيا ولا تستوى إلا بِكُمْ يا بَقَرَ العالم
مَنْ قال للحَرْثِ خلقتم فلم يكذب عليكم لا ولا يأثم
ما أنتم عار على آدم لأنكم غيرُ بنى آدم

(٢٧)

إبراهيم ابن طرخان ابن السويدى

إبراهيم بن محمد بن طَرْخَان :

الطبيب المعروف بابن السويدى ، صاحب تذكرة الأطباء رحمه الله تعالى .

مولده بدمشق سنة ستمائة ، وتوفى بها ، ومن شعره :

لو أن تغيير لون شيبى يُعِيدُ ما فات من شبابى

لمـــا وفى لى بما تلاقى روحىَ من كلفة الخِضابِ

(٢٨)

إبراهيم ابن معضاد

إبراهيم بن معضاد :

لما مرض مرضَ موتِهِ أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه ، فخرجوا به ، فلما وصل إليه قال له قبير جادك دبير[1] ، وتوفى بعد ذلك بيوم .

(٢٩)

إبراهيم الحائك (غلام النويرى)

إبراهيم الحائك ، وقيل : المعمار ، وقيل : الحجار غلام النويرى المصرى ، عامى ، مطبوع ، تقع له التوريات المليحة المتمكنة ، لا سيما فى الأزجال والبلاليق ، فمن مقاطيعه اللائقة قوله :

وصاحب أنزل بى صفعة فاغتظت إذ ضيع لى حرمتى

وقال فى ظهرك جاءت يدى فقلت : لا والعهد فى رقبتى

وله أيضاً :

ومفنن يهوى الصفا ع ولم يكن إذ ذاك فنى

ســـلمته عنقى الرقيـــق فراح ينجله بغبنى

ما كان منى بالرضا لـكنه من خلف أذنى

لولا يَدٌ ســبقت له لأمرته بالـكف عنى

وله أيضاً :

أيرى إذ انتدبته لحاجة تعَرِضُ بى

قام لها بنفسه ما هو إلا عصبى

---

(١) قبير : تصغير قبر ، وهو على النداء ، ودبير : رجل مدبر ، يريد موليا عن الدنيا

وله أيضاً :

عاتبت أيرى إذ جاء ملتثما ... بالخرء من علقه فما اكترثا

بل قال لى حين لمته : قسما ... ما جزت حمام قعره عبثا

كيف وفيها طهارتى ، وبها ... أقلب ماء وأرفع الحدثا

وله أيضاً :

لما جلوا لى عروساً لست أطلبها ... قالوا ليهنك هذا العرس والزينه

فقلت لما رأيت النهد منتصباً ... رُمانة كتبت يا ليتها تينه

وقال أيضاً :

قال لى العاذلون أحلك الحب ... وأصبحت فى السقام فريدا

أئذا صِرْتَ من جَفَاهُمْ عظاما ... أبوَصْلٍ تعود خَلْقاً جَديداً ؟

ما رأينا ولا سمِعْنَا بهذا ... قلتُ كونوا حجارة أو حديدا

وقال أيضاً :

لثمت عذار محبوبى الشرابى ... فقال : تركت لثم الخد عُجْباً

حفظت اليانسون كما يقولوا ... ورحت تضيع الورد المربى

وله أيضاً عفى عنه :

قلت له هل لك من حرفة ... تَغْنَى بها بين الورى أو سبب

فقال : يغنينى ردفى الذى ... أسموه عشاقى تليل الذهب [1]

وقال أيضاً رحمه الله :

لما جلوا عرسى وعاينتها ... وجدت فيها كل عيب يقال [2]

فقلت للدلّالِ : ماذا ترى ؟ ... فقال : ما أضمن إلا الحلال

---

(١) فى ث « سموه عشاقى » وكلاهما صحيح

(٢) عرس الرجل — بكسر العين — زوجه

وقال أيضاً :

لج الْعَذول ولامَنِي فيمن أحب وعَنَّفَا
فهممت ألطم رأسه مما ملئت تأسفاً
لكنها زلفت يدى وقعت على أصل الْقَفَا

وقال أيضاً غفر له :

هويت طباخا سلانى وقد قلا فؤادى بعد ما رده
محترفاً إذ لم يزل بالجفا يغرف لى أحمض ما عنده

وقال أيضاً :

شكوت للحب منتهى حرقى وما ألاقيه من ضَنَى جَسَدِى
قال : تداوى بريقتى سحراً فقلت : يا بَرْدَهَا على كبدى

وقال أيضا :

يا قلب صبراً على الفراق ولو رُوِّعْتَ ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع إن ظهرت بما يخفيه قلبي سقطت من عينى

(٣٠)

ظهير الدين البارزى

ظهير الدين البارزى :

[من شعره] :

لئن فتكت ألحاظه بحشاشتى وساعَدَهَا بالهجْرِ واغتر بالحسن
فلا بدّ أن تقتص لى منه ذقنه وتذبحه قهراً من الأذن للأذن

وله أيضاً رحمه الله :

غدا أسوداً بالشَّعر أبيض خدّه فأصبح من بعد التنعم فى ضنك
على حظه أضحى يخط عذاره فنادتهما عيناه حُزْناً (قفانبك)(١)

---

١) يشير إلى قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وله أيضاً غُنى عنه :

يذكرنى وجدى الحمامُ إذا غنى ... لأنا كلانا فى الهوى نعشق الغصنا
ولكن إذا غنى أجبت بأنةٍ ... وكم بين من غنى طروبا ومن أنَّا
تجول عيونى فى الرياض لتجتلى ... محاسنكم منهـــا إذا غبتم عنا
وما وردها والنرجس الغض نائياً ... عن الوجنة الحمراء والمقلة الوسنَى
فأعْرَبَ دمعى بالذى أنا كاتم ... وقد رَجَّعَتْ فى الروض أطيارها اللحنا(١)
ولو أن بيض الهند ممـا تردّنى ... وسمــر القنا عنه تمانعنى طعنا
لقبلت حـد السيف حبا لطرفه ... وعانقت من شوقى له الأسمر اللَّدْنَا
وخُضْتُ عَجَاج الموت والموت طيب ... إذا كان ما يرضى أحبتنا منا
حفظنا على حكم الوفاء وضيعوا ... وحالوا بحكم الغدر عنا وما حُلْنَا
وضـنوا على المضنى ببذل تحية ... ولو سـألوا بذل الحياة لما ضننا

وكتب إلى من رزق توأما ذكرا وأنثى من جارية سوداء :

وخَصَّكَ ربُّ العرش منها بتوأم ... ومن ظلمات البحر يُسْتَخرج الدُّرَرْ
وإيرك أضحى وارثا علم جابر ... فأعطاك من ألقابه الشمس والقمَرْ(٢)

وقال فى مليح شوّاء :

وشواء بديع الحسن يُزْهى ... بطلعته على كل البرايا
فوا شـوقاه للأفخاذ منه ... يشمرها ويقطع لى اللوايا

وله أيضاً غنى عنه :

يا لحية الحِبِّ الذى ... زال بهـا تنبتى
هل أنت فوق خدّه الـوردى مسك تُبَّتِ(٣)

---

(١) أعرب : أظهر وأبدى ، ورجعت : رددت
(٢) جابر : أراد به جابر بن حيان الفيلسوف الفلكى الكيميائى
(٣) تبت — بزنة سكر — إقليم فى ناحية الهند ، ووقع فى ب « مسك تنبتى »

أحمد أبو جلنك الشاعر

(٣١)

أبو جلنك الشاعر : أحمد .

كان مشهورا بالعِشْرة والخَلاعة ، يقال : إنه دخل الموصل وقصد الطهارة ، وعلى بابها خادم ، وعنده أكيال ، وهو مُرْصِد لمن يدخل يناوله كيلَ ماء للاستنجاء ، فدخل أبو جلنك على عادة البلاد ، ولم يعلم بالأكيال ، فصاح به الخادم ، وقال : قف خذ الكيل ، فقال : أنا أخرأ جُزَافا ، فبلغت الحكاية صاحب الموصل ، فقال : هذا مطبوع ، فطَلَبه ونادمه .

ومن شعره :

أبى العِذَارُ بماذا أنت معتذر ... وأنت كالوجد لا تبقى ولا تذر
لا عذر يقبل إن نم العذار ، ولا ... ينجيك من خوفه بأس ولا حذر
كأنني بوحوش الشَّعْر قد نزلت ... بوجنتيك وبالعشاق قد نفروا
وكلما مر بي مُرْدٌ أقول لهم ... قفوا انظروا وجه هذا الحر واعتبروا

وكان قد مدح قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، فوَقَّعَ له برطلين خبزا كل يوم ، فكتب على لسانه وقد دخل بستانا للقاضي فيه منظرة ، فكتب فيها :

لله بستان حللنا دَوْحَه ... والوُرْقُ قد صاحَتْ عليه لما بها
والبَانُ تحسبه سَنَانِيراً رأت ... قاضي القضاه فنفَّشَتْ أذنابها

يقال : إنّ الشيخ بدر الدين بن مالك وضع على هذين البيتين كراسة في البديع .

وله أيضا :

لا تحسبن خضابها النامى على ... القدمين بالمتكلِّفِ المصنوع

لكنها بالهجر خاضت فى دمى ... فتسربلت أقدامها بنجيع[1]

وله أيضا :

جعلتك المقصد الأقصى وموطنك البيت المُقَدَّس من روحى وجثمانى

وقلبك الصخرة الصماء حين قَسَتْ ... قامت قيامة أشواقى وأشجانى

أما إذا كنت ترضى أن تقاطعَنِي ... وأن يزورك ذو زور و بهتان

فلا تَغُرَّنْكَ نار فى حشاى فمن ... وادى جهنم تجرى عين سلوانى[2]

وألطف من هذا قول القائل :

أياقدسَ حسنٍ قلبه الصخرة التى ... قست فهى لا ترثى لصب متيم

و ياسؤلىَ الأقصى عسى بابُ رحمةٍ ... ففى كبد المشتاق وادى جهنم

ومن شعره أيضا :

ماذا على الغُصُنِ الميال لو عطفا ... ومال عن طُرُق الهجران فانحرفا

وعَادَ لى عائد منه إلى صلة ... حسبى من الشوق مالاقيته ، وكفى

صفا له القلبُ حتى لا يمازجه ... شىء سواه وأمّا قلبه فصَفَا[3]

وزارنى طيفه وَهْناً ليؤنسنى ... فاستصحب النوم من عينىّ وانصرفا

ورُمْتُ من خصره برءا فزدت ضَنًى ... وطالب البرء والمطلوب قد ضعفا

حكى الدجى شَعْرَهُ طولا فحاكمه ... فضاع بينهما عمرى وما انتصفا

(٣٢)

أحمد ابن الدويبق

أحمد بن الدويبقى ، رحمه الله تعالى :

من شعره :

يروم صبرا وفرط الوجد يمنعه ... سلوه ، ودواعى الشوق تردعه

---

(١) النجيع — بفتح النون — أصله الدم

(٢) فى ب « فلا تعذب فى نار حشاى » تحريف شنيع

(٣) صفا فى آخر البيت : هو الحجر الأملس

مشحونة بالجوى والشوق أضلُعُهُ ومُفْعَمُ القلب بالأحزان مُتْرَعه
تصبيه أن هتفت ورقاء ضاحية في كل يوم لها لَحْنٌ تُرَجعه
لا إلفها نازح تنهلُّ أدمعها عليه وجدا كما تنهل أدمعه
عاثت يد البين في قلبي لتقسمه على الهوى وعلى الذكرى تُوَزِّعه
كأنما آلت الأيام جاهدة لما تبدد شملي لا تجمعه[1]
رَوَّعْتَ يا دهر قلبي بالبعاد وكم قد بات قلبي ولا شيء يروعه[2]
وأنت يا بين كم قلبٍ تذوّقه مرَّ الأسى وفؤادي كم تجرعه[3]
وكم مَرَامٍ لقلبي ليس يبلغه تصدّه عنه أسباب وتمنعه[4]
من لي بمن قلبه قلبي فأسمعه بَثّي فيبسط من عذري ويوسعه[5]
قل الوفاء فما أشكو إلى أحد إلا أكبَّ على قلبي يقطعه
يا خاليَ القلب قلبي حَشْوُه حرق وهاجع الليل ليلي لست أهجعه
إن خنتَ عهدي فإني لم أخنه، وإن ضيعت ودّي فإني لا أضيعه
هـذا مقام ذليل عز ناصره يشكو إليك، فهل شكواه تنفعه؟
يلومه في الهوى قوم وما علِمُوا أنّ الملامة تغريه وتولعه
من لا يكابد فيه ما أكابده منه، ويوجعني ما ليس يوجعه
تمر أقوالهم صفحاً على أذني مرّ الرياح بسلمى لا تزعزعه[6]
من منقذي من يَدَيْ من ليس يرحمني يقتادني للهوى المُرْدِي فأتبعه
آتيه بالصدق من قولي فيدفعه ظناً، ويكذبه الواشي فيسمعه
لو خفف الثقل عن قلبي وعلله بالوعد كنت أمنّيه وأطْمِعه
لكنه صرّح الهجرانَ فالتهبت نارُ التأسف بالأحشاء تَسْفَعه

---

(١) آلت : حلفت ، وتبدد : تفرق
(٢) روعت : أخفت
(٣) في ب « من الأسى »
(٤) مرام – بفتح الميم – مطلب
(٥) البث : الحزن
(٦) سلمى : اسم جبل من جبال طيء

أقول أسلو فتأتيني بدائعـــه   تَتْرى بكل شفيع لست أدفعه
وليلةٍ زارني فيها على عجـــل   والشوق يحفزه والخوف يفزعه
وبات مستنطقا أوتار مزهره السفصاح يتبعها طورا وتتبعـــه
إذا لوت كفها الملوى سمعت لها   وقعا يلذ على الأسماع موقعه
فبت أنظره بدرا ، وأرشـــفه   خمرا ، وأقطفه وردا ، وأسمعه
وقام والوجد يُبْطِيه ويعجــله   ضوء الصباح وأنفاسى تودعـه

(٣٣)

الناصر لدين الله

الإمام الناصر لدين الله .

كتب إليه خادم اسمه يمن وَرَقَةً تتضمن عتبا ، فكتب إليه الناصر :

يمن يمن يمن يمن ثمن ثمن ثمن ثمن .

ومن شعره يشير إلى ولده الظاهر :

بليت حتى بأدنى الناس من جلدى   يريد موتى ، وبالأرواح أفديه

(٣٤)

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر ابن على بن عبد الله بن تيمية الحرانى ، تقى الدين ، شيخنا الإمام الربانى ، إمام الأئمة ، ومفتى الأمة ، وبحر العلوم ، سيد الحفاظ ، فارس المعانى والألفاظ ، فريد العصر ، قريع الدهر ، شيخ الإسلام ، قدوة الأنام ، علامة الزمان ، وترجمان القرآن ، علم الزهاد ، وأوحد العباد ، قامع المبتدعين ، وآخر المجتهدين ، نزيل دمشق ، وصاحب التصانيف التى لم يسبق إلى مثلها .

قيل[١] : إنّ جدّه محمد بن الخضر حجّ وله امرأة حامل ، ومرّ على دَرْب تَيْماء ،

---

(١) انظر هذه القصة فى وفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة جده المترجم له هنا محمد بن الخضر (الترجمة رقم ٦٢٩)

فرأى هناك جارية طفلة ، قد خرجت من خباء ، فلما رجع إلى حَرّان وجد امرأته قد ولدت بنتا ، فلما رآها قال : يا تيمية ، فلقب بذلك .

وقال ابن النجار : ذكر لنا أن محمدا هذا كانت أمه تسمى تيمية ، وكانت واعظة ، فنسب إليها ، وعُرِف بها .

وولد شيخنا بحَرّان يوم الاثنين عاشر شهر ربيع ، وقيل : ثانى عشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير ، وكانوا قد خرجوا من بلاد حَرّان مهاجرين لسبب جور التتار ، فساروا بالليل ، ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب ، فكاد العدوّ يلحقهم ، ووقفت العجلة ، فابتهلوا إلى الله تعالى ، واستغاثوا به ، فنَجَوْا وسلموا ، وقدموا دمشق فى أثناء سنة سبع وستين ، فسمعوا من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى جزء ابن عوف ، وغير ذلك ، وسمع شيخنا الكثير من ابن أبى اليسر ، والكمال بن عبد ، والشيخ شمس الدين الحنبلى ، والقاضى شمس الدين بن عطاء الحنفى ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفى ، ومجد الدين بن عساكر ، والنجيب المقداد ، وابن أبى الخير ، وابن علان ، وأبى بكر الهروى ، والكمال عبد الرحيم ، وفخر الدين بن البخارى ، وابن شيبان ، والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكى . وخلق كثير ، وشيوخه الذين سمع منهم أزيد من مائتى شيخ ، وسمع مسند الإمام أحمد مرات ، ومعجم الطبرانى الكبير ، والكتب الكبار والأجزاء ، وعنى بالحديث ، وقرأ بنفسه الكثير ، ولازم السماع مدّة سنين ، وقرأ الغَيْلانيات فى مجلس ، ونسخ وانتقى وكتب الطباق والأثبات ، وتعلم الخط والحساب فى الكتب ، واشتغل بالعلوم ، وحفظ القرآن ، وأقبل على الفقه ، وقرأ أياما فى العربية على ابن عبد القوى ، ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهمه ، وبَرَعَ فى النحو ، وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قَصَبَ السَّبْق ، وأحكم أصول الفقه ، وغير ذلك ، هذا كله وهو ابن بضع

عشرة سنة ، فابتهر[1] الفضلاء من فَرْطِ ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه .

نشأ فى تصوّف تام ، وعفاف ، وتألّه ، واقتصاد فى الملبس والمأكل ، ولم يزل على ذلك خَلَفا صالحا برا بوالديه ، تقيا ، ورعا عابدا ناسكا ، صواما قواما ، ذاكرا الله تعالى فى كل أمر ، وعلى كل حال ، رَجّاعا إلى الله تعالى فى سائر الأحوال والقضايا ، وقّافا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، لا تكاد نفسه تَشْبَع من العلم ، ولا تروى من المطالعة ، ولا تمل من الاشتغال ، ولا تَكِلّ من البحث ، وقلّ أن يَدْخُل فى علم من العلوم فى باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك أشياء فى ذلك العلم على حُذّاق أهله ، وكان يحضر المجالس والمحافل فى صغره ، فيتكلم ، ويناظر ، ويُفحِم الكبار ، ويأتى بما تتحير منه أعيان البلد فى العلم ، وأفتى وله نحو سَبْعَ عَشْرَةَ سنةً ، وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت .

ومات والده ، فكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ، ودرس بعده بوظائف ، وله إحدى وعشرون سنة ، فاشتهر أمره ، وبَعُدَ صيته فى العالم ، وأخذ فى تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسى من حفظه ، فكان يورد ما يقوله من غير توقف ولا تَلَعْثُمٍ ، وكذا كان يورد الدروس بتؤدة وصوت جهُورى فصيح .

وحج سنة إحدى وتسعين ، وله ثمانون سنة ، ورجع وقد انتهت إليه الإمامة فى العلم والعمل ، والزهد والورع ، والشجاعة والكرم ، والتواضع والحلم ، والأناة والجلالة والمهابة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، مع الصدق والأمانة ، والعفة والصيانة ، وحسن القصد ، والإخلاص ، والابتهال إلى الله تعالى ، وشدة

---

(١) تقول : بهر فلان فلانا يبهره — من باب فتح — إذا قهره وغلبه ، و « بهرت فلانة النساء » غلبتهن حسنا ، و « بهر القمر النجوم » غمرها بضوئه ، وابتهر : مطاوع بهر

الخوف منه ، ودَوَام المراقبة له ، والتمسك بالأثر ، والدعاء إلى الله تعالى ، وحسن الأخلاق ، ونَفْع الخلق والإحسان إليهم .

وكان — رحمه الله تعالى ! — سيفا مَسْلُولا على المخالفين ، وشَجًا [1] فى حُلُوق أهل الأهواء والمبتدعين ، و إماما قائما ببيان الحق ونُصْرَة الدين ، طَنَّتْ بذكره [2] الأمصار ، وضنت بمثله الأعصار .

وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج : ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

وقال العلامة كمال الدين بن الزملكانى : كان إذا سُئل عن فنّ من الفنون ظنّ الرائى والسامعُ أنه لايعرف غير ذلك الفنّ ، وحكم أنّ أحَداً لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا فى سائر مذاهبهم منه مالم يكونوا عَرَفوه قبل ذلك ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم فى علم من العلوم سواء كان من علوم الشرع أو غيرها إلا فاق فيه أهلَه والمنسوبَ إليه ، وكانت له اليَدُ الطُّولَى فى حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين

ووقعت مسألة فرعية فى قسمةٍ جرَى فيها اختلاف بين المفتين فى العصر ، فكتب فيها مُجَلدة كبيرة ، وكذلك وقعت مسألة فى حدّ من الحدود ، فكتب فيها أيضا مجلدة كبيرة ، ولم يخرج فى كل واحدة عن المسألة ، ولا طوّل بتخليط الكلام والدخول فى شىء والخروج من شىء ، وأتى فى كل واحدة بما لم يكن يَجْرِى فى الأوهام والخواطر ، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها .

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين أيضا على كتاب « رفع الملام ، عن الأئمة الأعلام » لشيخنا : تأليف الشيخ الإمام ، العالم ، العلامة ، الأوحد ، الحافظ ،

---

(١) الشجا : كل شىء يعترض فى الحلق

(٢) طنت بذكره : تغنت ، كناية عن ذيوع صيته وانتشار شهرته

المجتهد ، الزاهد ، العابد ، القدوة ، إمام الأئمة ، قدوة الأمة ، علامة العلماء ، وارث الأنبياء ، آخر المجتهدين ، أوحد علماء الدين ، بركة الإسلام ، حجة الأعلام ، برهان المتكلمين ، قامع المبتدعين ، محيى السنة ، ومن عظمت به لله علينا المنة ، وقامت به على أعدائه الحجة ، واستبانت ببركته وهديه المَحَجَّة ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى ، أعلى الله مَنَاره ، وشيد به من الدين أركانه :

ماذا يقول الواصفون له   وصفاته جَلَّتْ عن الحصر
هو حجــــة لله قاهرة   هو مبتنى أعجوبة الدهر
هو آية فى الخلق ظاهرة   أنوارها أَرْبَتْ على الفجر (١)

وهذا الثناء عليه وكان عمره نحو الثلاثين سنة ، وقد أثنى عليه خَلْق من شيوخه ومن كبار علماء عصره ، كالشيخ شمس الدين بن أبى عمر والشيخ تاج الدين الفزارى وابن منجا وابن عبد القوى والقاضى الجونى وابن دقيق العيد وابن النحاس وغيرهم .

وقال الشيخ عماد الدين الواسطى ، وكان من العلماء العارفين ، وقد ذكره : هو شيخنا السيد إمام الأمة الهمام ، محيى السنة ، وقامع البدعة ، ناصر الحديث ، مفتى الفرق ، الفائق عن الحقائق ، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الرائق ، الجامع بين الظاهر والباطن ، فهو يقضى بالحق ظاهرا ، وقلبه فى العلا قاطن ، أنموذج الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الشيخ الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية أعاد الله بركَتَه (٢) ، ورفع إلى مدراج العلياء درجته ! .

---

(١) أربت : زادت

(٢) فى ث « أعاد الله بركته علينا » ولعله « أعاد الله علينا بركته » للسجع

ثم قال فى أثناء كلامه : والله ثم والله لم أر تحت أديم السماء مثله علما وعملا وجمالا وخُلُقا واتباعا وكرما وحلما فى حق نفسه ، وقياما فى حق الله تعالى عند انتهاك حرماته ، ثم أطال فى الثناء عليه .

وقال الشيخ علم الدين فى معجم شيوخه : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى ، الشيخ تقى الدين أبو العباس الإمام المجمع على فضيلته ونبله ودينه ، قرأ الفقه ، و برع فى العربية والأصول ، ومَهَرَ فى علم التفسير والحديث ، وكان إماما لا يُلْحَق غباره فى كل شىء ، و بلغ رتبة الاجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير بُهِتَ الناسُ[1] من كثرة محفوظه وحسن إيراده و إعطائه كلّ قول مايستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال وخَوْضه فى كل فنّ ، كان الحاضرون يَقْضُون منه العجب ، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة ، والاشتغال بالله تعالى ، والتجرّد من أسباب الدنيا ، ودعاء الخلق إلى الله تعالى .

وكان يجلس فى صبيحة كل جمعة على الناس يُفَسِّر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه و بركة دعائه وطهارة أنفاسه وصِدْق نيته وصفاء ظاهره و باطنه وموافقة قوله لعمله ، وأناب[2] إلى الله خلق كثيرٌ ، وجرى على طريق واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا ورد مايفتح به عليه .

وقال علم الدين فى موضع آخر : رأيت فى إجازة لابن الشهرزورى الموصلى خط الشيخ تقى الدين ، وقد كتب تحته الشيخ شمس الدين الذهبى : هذا خط شيخنا الإمام شيخ الإسلام فريد الزمان بحر العلوم تقى الدين ، مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، وقرأ القرآن والفقه ، وناظر واستدل

---

(١) بهت الناس ـ بالبناء للمجهول ـ تحيروا ، وفي القرآن الكريم (فبهت الذي كفر)

(٢) أناب إلى الله : رجعوا وتابوا من ذنوبهم

وهو دون البلوغ ، وبَرَعَ فى العلم والتفسير ، وأفتى ودرس وله نحو العشرين ، وصنف التصانيف ، وصار من أكابر العلماء فى حياة شيوخه ، وله من المصنفات الكبار التى سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه فى هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرّاس وأكثر ، وفسر كتاب الله تعالى مدّة سنين من صدره أيام الجُمَع ، وكان يتوقّد ذكاء ، وسماعاته من الحديث كثيرة ، وشيوخه أكثر من مائتى شيخ[1] ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى ، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يُلحق فيه ، وأما نقله للفقه ولمذاهب الصحابة والتابعين فضلا عن مذاهب الأربعة فليس له فيه نظير ، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً ، ويَدْرِي جملة صالحة من اللغة ، وعربيته قوية جدّا ، وأما معرفته بالتاريخ والسير فعجَبٌ عجيب ، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ، ويفوق النعت ، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضْرَب بهم المثل ، وفيه زهد وقناعة باليسير فى المأكل والملبس .

وقال الذهبى فى موضع آخر : كان غاية فى الذكاءِ ، وفى سرعة الإدراك ، رأساً فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً فى النقليات ، هو فى زمانه فريد عصره علما وزهداً وشجاعة وسخاء وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وكثرة تصانيف ، إلى أن قال : فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه ، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق ، وإن حضر الحفاظ نَطَق وخَرِسوا ، واستردّ وأبلسوا[2] ، واستَغْنَى وأفلَسُوا ، وإن سُمى المتكلمون فهو فرْدُهم وإليه مَرْجِعهم ، وإن لاح ابنُ سينا يقْدُم الفلاسفةَ فلسهم وبَخَسَهم وهتك أستارهم وكشف عَوَارهم ، وله

---

(١) فى نسخة « أكثر من مائة شيخ »

(٢) أبلسوا : سكتوا ، ويئسوا ، وندموا

يد طولىٰ فى معرفة العربية والصَّرْف واللغة ، وهو أعظم من أن تصفه كلمى ، أو تبينه إشارة قلمى ، فإن سيرته وعلومه ومعارفه و بَحْثَه وتنقلاته يحتمل أن توضع فى مجلدتين .

وقال فى مكان آخر : وله خبرة تامة بالرجال وجَرْحهم وتَعْديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث و بالعالى و بالنازل و بالصحيح و بالسقيم ، مع حفظه لمتونه الذى انفرد به ، فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجيب فى استحضاره واستخراج الْحُجَجِ منه ، وإليه الْمُنْتَهَى فى عَزْوِهِ إلى الكتب الستة والمُسْنَد بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الإحاطة لله ، غير أنه يغترف فيه من بحر وغيره يغترف من السواقى ، وأما التفسير فسَلم إليه فى استحضار الآيات من القرآن وقت إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة ، و إذا رآه المقرى تحير فيه ، ولفرط إمامته فى التفسير وعَظَمة اطلاعه يبين خطأ كثيراً من أقوال المفسرين ، و يُوهِى[1] أقوالاً عديدة ، و ينصر قولا واحداً موافقا لما دل عليه القرآن والحديث ، و يكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصلين أو من الرد على الفلاسفة الأوائل نحواً من أربعة كراريس أو أزيد ، وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد ، وله فى غير مسألة مصنف مفرد فى مجلد .

ثم ذكر بعض مصنفاته ، وقال : ومنها كتاب فى الموافقة بين المعقول[2] والمنقول ، فى مجلدين .

قلت : هذا الكتاب وهو كتاب دفع التعارض[3] العقلى والنقلى فى أربع مجلدات كبار ، و بعض النسخ به فى أكثر .

---

(١) يوهى أقوالا عديدة : يبين ضعفها

(٢) اشتهر باسم « موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ونقوم الآن بتحقيقه

(٣) فى ب ، ث « وهو كتاب ذى التعارض » ونرجح ما أثبتناه

ومن مصنفاته كتاب « بيان تلبيس الجهمية ، فى تأسيس بدعهم الكلامية » فى ست مجلدات ، و بعض النسخ به فى أكثر ، وكتاب « جواب الاعتراضات المصرية ، على الفتيا الحموية » فى مجلدات ، وكذلك كتاب « منهاج السنة النبوية ، فى بعض كلام الشيعة والقَدَرية » وكتاب فى الرد على النصارى سماه « الجواب الصحيح ، لمن بدل دين المسيح » ومن مصنفاته أيضاً كتاب « الاستقامة » فى مجلدين ، وكتاب فى محنته بمصر فى مجلدين ، وكتاب « الإيمان » فى مجلد ، وكتاب « تنبيه الرجل العاقل ، على تمويه المجادل » فى مجلد ، وكتاب الردّ على كسروان الرافضة فى مجلدين ، وكتاب فى الردّ [1] على المنطق ، وكتاب فى الوسيلة ، وكتاب فى الاستغاثة ، وكتاب « بيان الدليل ، على بطلان التحليل » وكتاب « الصارم المسلول ، على شاتم الرسول » وكتاب « اقتضاء الصراط المستقيم [2] مخالَفَةَ أصحاب الجحيم » وكتاب « التحرير ، فى مسألة جفير » وكتاب « رفع المَلَام ، عن الأئمة الأعلام » وكتاب « السياسة الشرعية ، فى إصلاح الراعى والرّعية » وكتاب « تفضيل صالحى الناس ، على سائر الأجناس » وكتاب « التحفة العراقية ، فى الأعمال القلبية » وكتاب « الفرقان ، بين أولياء الرحمن وحزب الشيطان » وكتاب « المسائل الإسكندرية ، على الملاحدة الاتحادية بالسبعينية » وعدد أسماء مصنفاته يحتاج إلى أوراق كثيرة ، ولذكرها موضع آخر .

وله من المؤلفات والقواعد والفتاوى والأجوبة والرسائل والتعاليق مالا ينحصر ولا ينضبط ، ولا أعلم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جَمَعَ مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك ، مع أن تصانيفه كان يكتبها من

---

(١) طبع باسم « الرد على المنطقين » فى الهند

(٢) فى ب ، ث « اقتفاء الصراط المستقيم » تحريف ، وطبع هذا الكتاب أكثر من مرة

حفظه ، وكتب كثيراً منها فى الحبس ، وليس عنده ما يحتاج إليه ويراجعه من الـكتب .

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى رحمه الله تعالى : وهو الذى حَدَانى[1] على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظا ، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا ، إذا تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب عَلَمِهِ وذو دِرَايته[2] ، أوحاضر بالنِّحَلِ والمِلَلِ لم تَرَ أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من روايته ، برّز فى كل فنّ على أبناء جنسه ، ولم ترَ عَيْنُ من رآه مثله ولا رأت عينُه مثلَ نفسه ، كان يتكلم فى التفسير ، فيحضر مجلسة الجمّ الغفير ، ويَرْتَوُونَ من بحر علمه العذب النَّمير ، ويَرْتَعُون من ربيع فضله فى روْضة وغدير ، إلى أن دَبَّ إليه من أهل بلاده الحسد ، وأكبّ أهل النظر منهم بما ينتقد عليه من أمور المنتقد ، فحفظوا عليه فى ذلك كلاما ، قد أوسعوه لثَلْبه مَلاَما ، وفوّقوا لتبديعه سهَاما ، وزعموا أنه خالف طريقهم ، وفرّق فريقهم ، فنازعهم ونازعوه ، وقاطع بعضَهم وقاطعوه ، ثم نازعه طائفة أخرى ينتسبون من الفقراء إلى طريقة ، ويزعمون أنهم على طريق أرق باطنا منهاوأجلى حقيقة ، فكشف تلك الطرائق ، وذكرلها مزاعم مَوَابق[3] ، فآضت على الطائفة الأولى من منازعيه ، واستعانت بذوى الضعف عليه من مقاطعيه ، فوصلوا إلى الأمراء أمره ، وأعمل كل منهم فى كفره فِكْرَه ، فرتبوا محاضر ، وألبوا الرويبضة للسعى بها بين الأكابر ، وسَعَوْا

(١) حدانى : بعثنى وساقنى

(٢) فى ب ، ث « وذو روايته » وهو مكرر مع الفقرة بعده ، ولعل الأصل « وذو رايته » أو « وذو درايته »

(٣) موابق : مهلكة ، واحدها موبق

فى نقله إلى حضرة المملكة بالديار المصرية فنقل ، وأودع السجن ساعة حضوره واعْتُقِل ، وعقدوا لإراقة دمه مجالس ، وحَشَدوا لذلك قوما من عمار الزوايا وسكان المدارس ، من عامل فى المنازعة ، مُخَاتل بالمخادعة ، ومن مُجَاهر بالتكفير مُبَارز بالمقاطعة ، يسيمونه ريب المنون ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، وليس المجاهر بكفره ، بأسو إحال من المخاتل وقد دَبَّتْ إليه عقارب مكره ، فردّ الله كيد كل فى نَحْره ، ونجاه على يد من اصطفاه والله غالب على أمره ، ثم لم يَخْلُ بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة ، إلى أن فوّض بعد أمره إلى بعض القضاة فقلد ما تقلد من اعتقاله ، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى وانتقاله ، وإلى الله ترجع الأمور ، وهو المطلع على خائنة الأعْيُنِ وما تخفى الصدور .

وكان يوما مشهودا ضاقت بجنازته الطريق ، وانتهى بها المسلمون من كل فج عميق ، يتبركون بمشهده يوم تقوم الأشهاد ، ويتمسكون بشرجعه (١) حتى كسروا تلك الأعواد .

ثم ذكر يوم وفاته ومولده ، ثم قال : قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم ، ومدرك غاية الفهوم ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله تعالى بالقاهرة ، قدم علينا ، ثم ذكر حديثا من جزء ابن عرفة .

قلت : أملى شيخنا المسألة المعروفة بالْحَمَوِية سنة ثمان وتسعين فى قَعْدَة بين الظهر والعصر ، وهو جواب سؤال وَرَدَ من حَمَاة فى الصفات ، وجرى له بسبب ذلك محنة ، ونصره الله ، وأذل أعداه ، وما حصل له بعد ذلك إلى حين وفاته من الأمور والمحن والتنقلات ، يحتاج إلى عدّة مجلدات ، وذلك كقيامه فى نوبة

---

(١) الشرجع – بزنة جعفر – النعش والجنازة

غازان سنة تسع وتسعين وستمائة ، وقيامه بأعباء الأمر بنفسه ، واجتماعه هو بنائبه حللو شاة و بنولاى ، و إقدامه وجراءته على المغول ، وعظيم جهاده ، وفعله الخيرَ من من إنفاق الأموال ، و إطعام الطعام ، ودفن الموتى .

ثم توجهه بعد ذلك بعام إلى الديار المصرية ، وسَوْقه على البريد إليها فى جمعة لما قدم التتار إلى أطراف البلاد ، واشتدّ الأمر بالبلاد الشامية ، واجتماعه بأركان الدولة ، واستصراخه بهم ، وحضهم على الجهاد ، و إخباره لهم بما أعدّ الله المجاهدين من الثواب ، و إبدائهم له العذر فى رجوعهم ، وتعظيمهم له ، وتردّد الأعيان إلى زيارته ، واجتماع ابن دقيق العيد به ، وسماعه كلامه ، وثنائه عليه الثناء العظيم ، ثم توجهه بعد أيام إلى دمشق ، واشتغاله بالاهتمام لجهاد التتار ، وتحريضه الأمراء على ذلك ، إلى ورود الخبر بانصرافهم ، وقيامه فى وقعة شقحب [١] المشهورة سنة اثنين وسبعمائة ، واجتماعه بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد وأعيان الأمراء ، وتحريضه لهم على الجهاد ، وموعظته لهم ، وما ظهر فى هذه الوقعة من كراماته ، و إجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوّة إيمانه ، وشدّة نصحه للاسلام ، وفَرْط شجاعته ، ثم توجهه بعد ذلك فى آخر سنة أربع لقتال الكسروانيين وجهادهم ، واستئصال شأفتهم ، ثم مناظرته للمخالفين فى سنة خمس فى المجالس التى عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم ، وظهوره عليهم بالحجة والبيان ، ورجوعهم إلى قوله طائعين ومكرهين ، ثم توجهه بعد ذلك فى السنة المذكورة إلى الديار المصرية فى صحبة قاضى الشافعية ، وعقد له مجلس حين وصوله ، بحضور القضاة وأكابر الدولة ، ثم حَبْسه فى الجبِّ بقلعة الجبل ومعه أخواه سنة ونصفاً . ثم خروجه بعد ذلك ، وعقد مجلس له لخصومتهم ، وظُهُوره [٢] عليهم ، ثم إقرائه للعلم وبَثّه

---

(١) شقحب ـ بزنة جعفر ـ موضع قرب دمشق

(٢) ظهوره عليهم : غلبته لهم

ونَشْره ، ثم عقد مجلس له فى شوال سنة سبع لكلامه فى الاتحادية وطعنه ، ثم الأمر بتسفيره إلى الشام على البريد ، ثم الأمر بردّه من مرحلة وسَجْنه بمجلس القضاة سنة ونصفاً ، وتعليمه أهل الحبس مايحتاجون إليه من أمور الدين ، ثم إخراجه منه وتوجهه إلى الإسكندرية ، وجعله فى بُرْج حبس فيه ثمانية أشهر ، يدخل إليه مَنْ شاء ، ثم توجهه إلى مصر ، واجتماعه بالسلطان فى مجلس حَفَل فيه القضاة وأعيان الأمراء وإكرامه له إكراماً عظيما ، ومشاورته له فى قتل بعض أعدائه ، وامتناع الشيخ من ذلك ، وجَعْله كل من آذاه فى حِلّ ، ثم سكناه بالقاهره ، وعَوْده إلى نشر العلوم ونفع الخلق ، وماجرى بعد ذلك من قضية البكرى وغيرها ، ثم توجُّهه بعد ذلك إلى الشام صحبة الجيش المنصور قاصداً العراقَ بعد غيبته عن دمشق سبع سنين وسَبْع جُمَع ، وتوجُّهه فى طريقه إلى بيت المقدس ، ثم ملازمته بعد ذلك بدمشق لنَشْر العلوم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق ، إلى أن تكلم فى مسألة الحلف بالطلاق[1] ، فأشار عليه بعضُ القضاة بترك الإفتاء بها فى سنة ثمانى عشرة ، فقبل إشارته .

ثم ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى فيها ، ثم عاد الشيخ إلى الإفتاء بها ، وقال : لا يسعنى كتمان العلم ، وبقى كذلك مدة إلى أن حَبَسُوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم أخرج ورجع إلى عادته من الأشتغال والتعليم ، ولم يزل كذلك إلى أن ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين[2] ، كان قد أجاب به من نحو عشرين سنة ، فشَنَّعوا عليه بسبب ذلك ، وكبرت القضية .

وورد مرسوم السلطان فى شعبان من سنة ست وعشرين بجعله فى القلعة ،

---

(١) هى أن من طلق امرأته ثلاث تطليقات بلفظ واحد تعد طلقة واحدة

(٢) حاصله أنه يحرم أن تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة : مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى ، اتباعا لنص الحديث

فأخليت له قاعة حسنة ، وأجرى إليها الماء ، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه ، وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كبيرة تشتمل على نفائس جليلة ونكت دقيقة ومعان لطيفة ، وأوضح مواضع كثيرة التبست على خلق من المفسرين ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة ، وظهر بعضُ ما كتبه واشتهر ، وآل الأمر إلى أن منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم يقول : إن إخراج الكتب من عنده من أعظم النِّقم ، و بقي أشهراً على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين[١] ، فلم يفجأ الناسَ إلا نعيه ، وما علموا بمرضه ، وكان قد مرض عشرين يوماً ، فأسِفَ الخلقُ عليه ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، فأذن لهم في الدخول ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل ، وقرؤوا القرآن ، وتبركوا برؤيته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ، ثم انصرفن ، واقتصر على مَنْ يغسله ويعين في غسله ، ثم بعد ذلك أخرج ، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق ، وامتلأ الجامع وصَحْنه والكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والفوارة ، وحضرت الجنازة في الساعة الرابعة من النهار ، ووضعت في الجامع والجُنْدُ يحفظونها من الناس من شدّة الزحام ، وصلى عليه أولا بالقلعة ، تقدم في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام ، ثم صلى عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الظهر ، وحمل من باب البريد ، واشتد الزحام ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك ، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام ، وكل باب أعظم زحمةً من الآخر ، لكن كان الأعظم

---

(١) اليقين ، هنا : الموت ، وكذلك ورد بهذا المعنى في قوله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

من الأبواب الأربعة باب الفرج الذى أخرجت منه الجنازة و باب الفراديس و باب النصر و باب الجابية ، وعظم الأمر بسوق الخيل ، وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين ، وحمل إلى مقبرة الصوفية فدفن هناك بجانب أخيه الإمام شرف الدين رحمهما الله تعالى !.

وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير ، وغَلّق الناس حوانيتهم ، ولم يتخلف عن الحضور إلا ناس قليل، ومن عَجَزَ عن الزحام ، وحَضَرها من الرجال والنساء أكثر من مائتى ألف ، وشرب جماعة الماء الذى فَضَلَ من غسله ، واقتسم جماعة بقية السِّدر الذى غسل به ، وقيل : إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها نحو خمسائة درهم ، وقيل: إن الخيط الذى كان فيه الزئبق الذى كان فى عنقه لأجل القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما ، وحصل فى الجنازة ضجيج و بكاء عظيم وتضرع كثير، وكان وقتاً مشهوداً، وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلا ونهارا ، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة ، ورثاه الناس بقصائد جمة .

وكانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة رحمه الله تعالى ورضى عنه وأثابه الجنة برحمته ورضوانه ! .

وهذا مانقل من تذكرة الحفاظ للشيخ الإمام الحافظ شمس الدين بن عبدالهادى .

وأما ترجمته فى هذا الكتاب ـ وهو فوات الوفيات لصلاح الدين الكتبي ـ فهو ما يذكر إن شاء الله تعالى :

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ، الشيخ تقىّ الدين ، الحرّانى وذكر من مناقبه وشجاعته على نحو بعض [1] ماتقدّم ، وذكر من شجاعته أنه شكا إليه إنسان من قطلوبك الكبير وظلمه له ، وكان المذكور فيه جَبَروت [2]

---

(١) فى ب ، ث « بضع ماتقدم »

(٢) جبروت : تجبر وطغيان

وأخذ أموال الناس واغتصابها ، وحكاياته فى ذلك مشهورة ، فدخل عليه الشيخ ، وتكلم معه ، فقال له قطلو بك : أنا كنت أريد أن أجىء إليك لأنك عالم زاهد ، يعنى يستهزىء به ، فقال له : لا تعمل علىّ دركوان (هكذا بخط المصنف) فقال له : موسى كان خيرا منى وفرعون كان شرا منك ، وكان موسى يجىء إلى باب فرعون كل يوم ثلاث مرّات ، ويعرض عليه الإيمان .

قال : وصنف فى فنون ، وتصانيفه تبلغ ثلثمائة مجلد ، وكان قوّالا بالحق ، نهّاء عن المنكر ، ذا سطوة وإقدام وعدم مُدَاراة ، وكان أبيض شديد سواد الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنه ، كأنّ عينيه لسانان ناطقان ، رَبْعَة من الرجال ، جهورى الصوت ، فصيح اللسان ، سريع القراءة ، توفى محبوساً فى قلعة دمشق على مسألة الزيارة ، وكانت جنازته عظيمة إلى الغاية ، صلى عليه قاضى القضاة علاء الدين القونوى ، رحمهما الله !.

وذكر تصانيفه :

كتب التفسير ـ قاعدة فى الاستعاذة ، قاعدة فى البَسْملة ، الكلام على الجهر بها ، قاعدة فى إياك نعبد وإياك نستعين ، وقطعة كبيرة من سورة البقرة فى قوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) ثلاث كراريس ، وفى قوله (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) كراسان ، وفى قوله تعالى (يأيها الناس اعبدوا ربكم) ثلاث كراريس ، وفى قوله تعالى (إلا من سَفِه نَفْسَه) كراسة ، آية الكرسى ، كراسان ، وفى قوله (شهد الله أنه لا إلَهَ إلا هو) ست كراريس ، وفى قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله) عشر كراريس ، وغير ذلك من سورة آل عمران ، تفسير المائدة ، مجلد (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) ثلاث كراريس (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) سبع كراريس ، سورة يوسف ، مجلد كبير ، سورة النور ، مجلد كبير ، سورة القلم وأنها أوّل سورة أنزلت ، مجلد ، سورة لم يكن ، سورة الكافرون ، سورة تبت والمعوّذتين ، مجلد ، سورة الإخلاص ، مجلد .

كتب الأصول ـ الاعتراضات المصرية على الفتوى الحموية ، أربع مجلدات ، ما أملاه فى الجب ردًّا على تأسيس التقديس ، شرح أوّل المحصّل ، مجلد ، شرح بِضْعَ عَشْرَةَ مسألة من الأربعين للامام فخر الدين ، تعارض العقل والنقل ، أربع مجلدات[1] ، جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشى ، مجلد ، الجواب الصحيح ردًّا على النصارى ، أربع مجلدات ، منهاج الاستقامة ، شرح عقيدة الأصفهانى ، مجلد ، شرح أوّل كتاب الغزْنَوى فى أصول الدين ، مجلد ، الردّ على المنطق ، مجلد ، زواجر [مجلد] لطيف ، الردّ على الفلاسفة ، أربع مجلدات ، قاعدة فى القضايا الوهمية ، قاعدة فى قياس مالا يتناهى ، جواب الرسالة الصفدية ، جواب فى قول بعض الفلاسفة : إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قوى نفسانية ، مجلد كبير ، إثبات المعاد والردّ على ابن سينا ، شرح رسالة ابن عَبْدُوس فى كلام الإمام أحمد فى الأصول ، ثبوت النبوات عقلا ونقلا والمعجزات والكرامات ، مجلدان ، قاعدة فى الكليات ، مجلد لطيف ، الرسالة القبرصية ، رسالة إلى أهل طبرستان وجيلان فى خلق الروح والنور ، الرسالة البعلبكية ، الرسالة الأزهرية القادرية البغدادية ، أجوبة القرآن والنطق ، إبطال الكلام النفسانى أبطله من نحو ثمانين وجها ، جواب مَنْ حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت ، إثبات الصفات والعلو والاستواء مجلدان ، المواكسية صفات الكمال والضابط ، جواب فى الاستواء و إبطال تأويله بالاستيلاء ، جواب مَنْ قال : لا يمكن الجمع بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفى التشبيه ، أجوبة كون جهة السموات كريّة وسبب قصد القلوب العلو ، جواب : كون الشىء فى جهة العلة مع كونه ليس بجوهر ولا عرض معقول أو مستحيل ، جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ؟ وهل لازم المذهب مذهب ؟ مسألة أهل الإربلية ، مسألة النزول واختلافه باختلاف وقته

---

(١) لعل الأصل « دفع تعارض العقل والنقل » كما ذكر فى ص ٦٩

و باختلاف البلدان والمطالع ، مجلد لطيف ، شرح حديث النزول ، مجلد كبير ، بيان حل إشكال ابن حزم الوارد على الحديث ، قاعدة فى قرب الرب من عابديه وداعيه ، مجلد ، الكلام على نقض المرشد ، المسائل الإسكندرانية فى الرد على الاتحادية والحلولية ، ماتضمنه فصوص[1] الحكم ، جواب فى لقاء الله تعالى ، جواب فى رؤيا النساء ربهن فى الجنة ، الرسالة المدنية فى إثبات الصفات النقلية الهلاوونية ، جواب وَرَدَ على لسان ملك التتار ، مجلد ، قواعد فى إثبات الرد على القدرية والجبرية ، مجلد ، الرد على الروافض والإمامية وعلى ابن مطهر ، أربع مجلدات ، جواب فى حق إرادة الله تعالى لخلق الخلق و إنشاء الأنام لعلة أم لغير علة ، شرح حديث « فَحَجَّ آدم موسى » تنبيه الرجل العاقل على تمويه المجادل ، مجلد ، تناسى الشدائد فى اختلاف العقائد ، مجلد ، كتاب الإيمان ، مجلد ، شرح حديث جبريل فى حديث الإيمان والإسلام ، مجلد ، عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغونه ، مسألة فى العقل والروح ، مسألة فى المقربين : هل يسألهم منكر ونكير ؟ مسألة هل يعذب الجسد مع الروح فى القبر ، الرد على أهل الكسروان ، مجلد ، مجلد فى فضائل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على غيرهما ، قاعدة فى تفضيل معاوية وفى ابنه يزيد ، كتاب فى تفضيل صالحى الناس على سائر الأجناس ، مختصر فى كفر البصرية فى جواز قتال الرافضة ، كراسة ، فى بقاء الجنة والنار وفى فنائهما رداً على مولانا قاضى القضاة تقى الدين السبكى .

كتب أصول الفقه ــ قاعدة غالبها أقوال الفقهاء ، مجلدان ، قاعدة كل حمد وذم من الأقوال والأفعال لا يكون إلا بالكتاب والسنة ، شمول النصوص

---

(١) فى ب ، ث « ماتضمنه خصوص الحكم » وكتاب « فصوص الحكم » مشهور معروف

للأحكام ، مجلد لطيف ، قاعدة فى الإجماع وأنه ثلاثة أقسام ، جواب فى الإجماع والخبر المتواتر ، قاعدة فى كيفية الاستدلال على الأحكام بالنص والإجماع فى الرد على من قال إن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين ، ثلاث مصنفات ، قاعدة فيما نص من تعارض النص والإجماع ، مؤاخذة على ابن حزم فى الإجماع ، قاعدة فى تقرير القياس ، قاعدة فى الاجتهاد والتقليد فى الأحكام ، رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، قاعدة فى الاستحسان فى وصف العموم والإلحاق والإطلاق ، قاعدة فى أن المخطىء فى الاجتهاد لا يأثم ، جواب هل القاضى يجب عليه تقليد مذهب معين ، جواب فى ترك التقليد ، فيمن يقول مذهبى مذهب النبى عليه الصلاة والسلام وليس أنا بمحتاج إلى تقليد الأربعة ، جواب من تفقه فى مذهب ووجد حديثا صحيحاً هل يعمل به أم لا[1] ، جواب تقليدا نفىّ الشافعىّ فى المطر والوتر ، الفتح على الإمام فى الصلاة ، تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة ، تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم ، قاعدة فى تفضيل الإمام أحمد ، جواب هل كان النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة نبيا ، جواب هل كان النبى صلى الله عليه وسلم متعبِّدًا بشرع مَنْ قبله ، قواعد أنّ النهى يقتضى المضادّة

كتب الفقه ـ شرح المحرّر فى مذهب أحمد ، ولم يبيض ، شرح العمدة لموفق الدين ، أربع مجلدات ، جواب مسائل وردت من أصفهان ، جواب مسائل وردت من الصلت ، مسائل [وردت] من بغداد ، مسائل وردت من زرع ، مسائل وردت من الوجنة ، أربعين مسألة ، مسألة الدرّة المضيه فى فتاوى ابن تيمية الماردانية الطرابلسية

---

(١) قد اشتهر عن كل واحد من الأئمة الأربعة ـ رضوان الله عليهم ! ـ أنهم قالوا ما معناه : إذا صح عندكم حديث على خلاف مذهبى فخذوا به واضربوا بقولى عرض الحائط ، وهو كلام أهل العلم المنصفين .

قاعدة فى المياه والمائعات وأحكامها ، طهارة بول ما يؤكل لحمه ، قاعدة فى حديث القُلّتين[١] وعدم رفعه ، قواعد فى الاستجمار وتطهير الأرض بالشمس والريح ، جواز الاستجمار مع وجود الماء ، نواقض الوضوء ، قواعد فى عدم نقضه بلمس النساء ، التسمية على الوضوء ، خطأ القول[٢] بجواز المسح على الخفين ، جواز المسح على الخفين المتخرقين والجورب بين واللفائف ، فيمن لا يعطى أجرة الحمام ، تحريم دخول النساء بلا مئزر فى الحمام والاغتسال ، ذم الوسواس ، جواز طواف الحائض[٣] ، تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم والجمع بين الصلاتين للعذر ، كراهية التلفظ بالنية وتحريم الجهر بها فى الأذكار ، كراهية تقديم بَسْط سجادة المصلى قبل مجيئه ، الكلم الطيب ، فى الركعتين اللتين تصليان قبل الجمعة ، فى الصلاة بعد أذان الجمعة ، القنوت فى الصبح والوتر ، تارك المثانى وكفره ، الجمع بين الصلاتين فى السفر ، فيما يختلف حكمه بالسفر والحضر ، أهل البدع: هل يصلى خلفهم ؟ صلاة بعض أهل المذاهب خلف بعض ، الصلوات المبتدعة ، تحريم السماع ، تحريم الشبابة ، تحريم اللعب بالشطرنج ، تحريم الحشيشة المغيبة والحد عليها وتنجيسها ، النهى عن المشاركة فى أعياد النصارى واليهود وإيقاد النيران فى الميلاد ونصف شعبان وما يُفعَلُ فى عاشوراء من الحبوب ، قاعدة فى مقدار الكفارة باليمين ، فى أن المطلقة بثلاثة لا تحل إلا بنكاح زوج ثان ، بيان الحلال والحرام فى الطلاق ، جواب مَنْ حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة ثم طلق ثلاثا فى الحيض ، الفرق المبين بين الطلاق واليمين ، لمحة المختطف فى الفرق بين اليمين والحلف ، كتاب « التحقيق ، فى الفرق بين الأيمان والتطليق »[٤] ، الطلاق البدعى لا يقع ، مسائل الفرق بين الطلاق البدعى ونحو ذلك ، مناسك الحج فى حجة النبى صلى الله

---

(١) فى ب ، ث « قاعدة فى حديث القلتين والقلتين وعدم رفعه » وحديث القلتين هو قوله عليه الصلاة والسلام « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث »

(٢) كذا ، ولعل الأصل « خطأ القول بعدم جواز المسح على الخفين »

(٣) كذا ، ولعله « عدم جواز طواف الحائض » كما هو نصوص الأحاديث

(٤) فى ب، ث « بين أهل الأيمان والتطليق » وظاهر أن كلمة « أهل » مقحمة

عليه وسلم ، فى العمرة المكية ، فى شراء السلاح بتبوك وشرب السويق بالعقبة وأكل التمر بالروضة وما يلبس المحرم وزيارة الخليل عليه السلام عقيب الحج وزيارة بيت المقدس مطلقا ، جبل لبنان كأمثاله من الجبال ليس فيه رجال الغيب ولا أبدال [1]. جميع أيمان المسلمين مُكَفَّرة .

الكتب فى أنواع شتى — جمع بعضُ الناس فتاويه بالديار المصرية مدّة مقامه بها سبع سنين فى علوم شتى ، فجاءت ثلاثين مجلدا ، الكلام على بطلان الفتوة [2] المصطلح عليها بين العوام ، وليس لها أصل متصل بعلى رضى الله عنه ، كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية ، ما يقوله أهل بيت الشيخ عدى ، النجوم : هل لها تأثير عند القِرَان والمقابلة ؟ وفى المقابلة : هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلة ؟ مجلد ، تحريم أقسام المعزمين بالعزائم المعجمة وصرع الصحيح وصفة الخواتيم ، إبطال الكيميا وتحريمها ولو صحت وراجت .

ومن نظمه على لسان الفقراء المجردين :

والله ما فقرنا اختيار ... وإنما فَقْرُنا اضطرار

جماعة كلنا كُسَالَى ... وأَكْلُنَا ما له عِيار

تسمع منا إذا اجتمعنا ... حقيقة كلها فشارُ

وله أجوبة وسؤالات كان يُسْأَلها نثرا فيجيب عنها نظما ، وليس هذا محل إيراد ذلك ، وأشياء لم يصل ذكرها إلينا ، ولا أسماؤها علينا ، رحمه الله تعالى !

---

(١) الأبدال : جمع بدل ، وللمتصوفة مقال يثبتون فيه البدلاء ، وهم سبعة رجال من سافر من موضع وترك جسداً على صورته حيا بحياته ظاهرا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أنه فقد ، وذلك هو البدل لا غير . (انظر تعريفات السيد الشريف الجرجانى واصطلاحات الصوفية لمحى الدين بن عربى)

(٢) للفتوة اصطلاح صوفى ، وهى أن تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والآخرة .

(٣٥)

أحمد بن أبى قَنَن .

أحمد بن أبى قنن

من شعره :

عاش بُنَيٌّ فصار مثلى يلبس ما قد خلعت عنى
فَسَرَّنِى ما رأيت منه وساءنى ما رآه منى

(٣٦)

أحمد بن صالح السنبلى .

أحمد بن صالح السنبلي

من شعره فى مُكارى :

هَوِيتُه مكاريا شَرَّد عن عينى الكرى
كأنه البدر ، فما يَمَلُّ من طول السُّرَى

وله فى السيفِ عاملِ الجامع :

رَبْعُ المصالح دارس لم يبق منه طائل
هيهات تعمر بقعة والسيف فيها عامل

وله فى زهر اللوز :

للوز زهر حسنه يُصْبِى إلى زمن التصابى
شكت الغصون من الشتا فأعارها بيضَ الثياب
وكأنه عَشِقَ الربيعَ شاب من قبل الشباب

وله وقد وقع مطر كثير يوم عاشوراء :

يوم عاشوراء جادت بالحيا سُحُبٌ تهطل بالدمع الهمول
عجبا حتى السمٰوات بكت رُزْءَ مولاى الحسين ابن البَتول(١)

(٣٧)

الإمام المعتضد بالله : أحمد بن طلحة العباسى ، أمير المؤمنين .

أمير المؤمنين المعتضد بالله

(١) البتول ــ بفتح الباء ــ هى السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان شجاعا ، مُهَابا ، وافر العقل ، ظاهر الجَبَروت ، شديد الوطأة ، من أفراد خلفاء بنى العباس ، يُقْدِم على الأسد وحده لشجاعته .

قال خفيف السمرقندى : كنت معه فى الصيد ، فانقطع عنا العسكر ، فخرج علينا أسد ، فقال : أفيك خير ؟ قلت : لا ، قال : أولا تمسك فرسى ؟ قلت : نعم ، فنزل وتحزم وسَلَّ سيفه ، وقصد الأسد ، وتلقاهُ بسيفه ، فقطع عضده ، ثم ضربه ضربة فلقَتْ هامته ، ومسح سيفه فى صوفِهِ ، وركب ، وصحبته إلى أن مات ما سمعته يذكر ذلك لقلة احتفاله به .

وكان يبخل ويجمع المال ، وفى أيامه سكنت الفتن لعظم هيبته ، وكان يسمى السَّفَّاح الثانى ؛ لأنه جدّد ملك بنى العباس ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، وأسقط المُكُوس ، ونَشَر العدل ، ورفع المظالم عن الرعية ، وكان مزاجه قد تغير من إفراطه فى الجماع وعدم الحمية ، بحيث إنه أكل فى علته زيتونا وسمكا ، وشكوا فى موته ، فتقدّم الطبيب وجَسَّ نبضه ، ففتح عينه ورفَس الطبيب رماه أذرعا ، فمات الطبيب ومات المعتضد رحمه الله تعالى .

ومن شعره :

غلب الشوق اصطبارى لتباريح الفـــراق[1]
إنّ جسمى حيث ماسِرْ تُ وقلبى بالعـــراق
أملك الأرض ولا أمـــلك رفع الاشتياق[2]

وحكى ابن حمدون النديم أن المعتضد كان قد شَرَط علينا أنا إذا رأينا منه شيئا نفكره نقول له ، وإن اطلعنا على عيب واجهناه به ، قال : فقلت له يوما : يا مولانا فى قلبى شىء أردت سؤالك عنه منذ سنين ، قال : ولم أخرته إلى اليوم ؟

---

(١) تباريح الفراق : آلامه .
(٢) هو قريب فى المعنى من قول الرشيد :
* ملك الثلاث الآنسات عنانى *
الأبيات الثلاثة المشهورة .

قلت : لاستصغارى قدرى ولهيبة الخلافة ، قال : قل ولا تخف ، قلت : اجتاز مولانا بلاد فارس فتعرّضَ الغلمانُ للبطيخ الذى كان فى تلك الأرض ، فأمرت بضربهم وحبسهم ، وكان ذلك كافيا ، ثم أمرت بصلبهم ، وكان ذنبهم لا يجوز عليه الصَّلْب ، فقال : أو تحسب أن المصلوبين كانوا أولئك الغلمان ؟ و بأى وجه كنت ألقى الله تعالى يوم القيامة لوصلبتهم لأجل البطيخ ؟ و إنما أمرت بإخراج قوم من قُطَّاع الطريق كان وجَبَ عليهم القتلُ ، وأمرت أن يُلْبَسُوا أقبية[1] الغلمان وملابسهم إقامة للهيبة فى قلوب العسكر ، ليقولوا : إذا صلَب خواصَّ غلمانه على غَصْب البطيخ فكيف يكون على غيره ؟ وأمرت بتلثيمهم لستر أمرهم على الناس .

(٣٨)

ابن عبد الدائم .

أحمد زين الدين المقدسى

أحمد زين الدين ، المقدسى ، الفندقى ، الحنبلى ، الناسخ .

كتب بخطه المليح البديع مالا يوصف لنفسه وبالأجرة ، حتى كان يكتب إذا تفرّغ فى اليوم تسع كراريس ، قيل : إنه يكتب الجزء فى ليلة واحدة ، وكان ينظر فى الصفحة مرّة واحدة ويكتبها ، ولازم النسخ خمسين سنة ، وخطه لا نَقْط ولا ضَبْط ، وكتب ألفى مجلدة .

وكان تام القامة ، حسن الأخلاق والشكل ، ولى خطابة كفرطاب[2] ، وأنشأ خطبا كثيرة ، وحدث ستين سنة ، وكُفَّ بصره فى آخر عمره .

ومن شعره :

إن يُذهِبِ الله من عينىَّ نورهما ... فإنّ قلبى بصير ما به ضرر

والله إنّ لكم فى القلب منزلةً ... ما نالها قبلكم أنثى ولا ذكر

وصالكم لى حياة لا نفادَ لها ... والهجر موت فلا عين ولا أثَرُ

---

(١) الأقبية : جمع قباء ـ بفتح القاف ـ وهو ثوب يلبس فوق الثياب

(٢) فى ب « كفر بطنا » وصوابه عن ث ، وكفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب فى برية معطشة .

ومن شعره أيضا :

عجزت عن حمل قرطاس وعن قلم ‏ من بعد إلْفِيَ بالقرطاس والقلم
كتبت ألفا وألفا من مجلدة ‏ فيها علوم الورى من غير ما ألم
ما العلم فخر امرئ إلا لعامله ‏ إن لم يكن عمل فالعلم كالعدم

توفى سنة ثمان وستين وستمائة .

(٣٩)

ابن عبد الدائم الشارمساحى .

ابن عبد الدائم الشارمساحى

من شعره رحمه الله تعالى :

تخشى الظُّبَا والظِّبَا من فَتْك ناظره ‏ وإن تَثَنَّى فلا تسأل عن الأَسَلِ[١]
لا واخذ الله عينيه فقد نشطت ‏ إلى تلافى وفيها غاية الكسل
يرمى القلوب فلا ندرى أقام بها ‏ هاروت أم ذاك رام من بنى ثُعَلِ[٢]
هذا الغزال الذى راقت محاسنه ‏ فلا عجيب عليه رقة الغزل
لما تواليت من وَجْدٍ ومن شغف ‏ تحقق الناس أنى مغرم بِعَلِى

ومن شعره أيضا :

لا تعجبوا للمجانيق التى رَشَقَتْ ‏ عَكَّا بنار وهدَّتْهَا بأحجار
بل اعجبوا للسان النار قائلة ‏ هذى منازل أهل النار فى النار

(٤٠)

ابن نقادة .

ابن نقاده

من شعره لغزفى يوسف :

يا سائلى ما اسم الذى أحببته ‏ إلى بسر هواه غير مُصَرِّحِ

---

(١) الظبا — بضم الظاء — جمع ظبة ، وهى حد السيف ، والظبا — بكسر الظاء مقصور — الظباء جمع ظبية ، والأسل : الرماح

(٢) بنو ثعل : من أشهر العرب فى الرمى ، وفيهم يقول امرؤ القيس :

رب رام من بنى ثعل ‏ متلج كفيه فى قتره

لـكن إذا فكرت فيه وجدته   معكوسَ سابعِ لفظةٍ فى سبح[١]

(٤١)

شهاب الدين ابن نعمة الحنبلى المقدسى، العابر

الحنبلى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان ابن سرور ، المقدسى ، مفسر المنامات .

كان إليه المنتهى فى تعبير الرؤيا ، واشتهر عنه فى ذلك عجائب ، ويخبر بأشياء ، وكان بعضُ الناس يعتقد فيه الـكشف والـكرامات، و بعضهم يقول : كهانات و إلهامات ، ولـكل منهم فى دعواه شُبَه وعلامات .

قال الشيخ شمس الدين الذهبى : حدّثنى الشيخ تقى الدين بن تيمية أنّ شهاب الدين العابر كان له تابع من الجنّ يخبره بالمغيبات ، وكان صاحب أوراد وتَعَبُّد ، وما برح كذلك حتى مات .

صنف فى التعبير مقدّمة سماها « البدر المنير » وكان عارفا بالمذهب ، وذكر ودرّس بالجَوْزِية ، وكان شيخًا حسن البشر ، وافر الحرمة ، معظما فى النفوس ، أقام بمصر مدّة .

وكانت وفاته بدمشق سنة سبع وتسعين وستمائة ،وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة والأكابر .

وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس : كنت يوما عنده وقد جاءه إنسان ، وقال : رأيت كأنى صِرْتُ أترجة ، فقال : أترجة ألف تاراجيم هاء ، وعدها خمسة أحرف ، وقال : أنت تموت بعد خمسة أيام ، فإنه مَنْ رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت، وهذه زيادة من عنده عدد حروف الأترجة .

وقال بهاء الدين بن غانم : كنت عنده يوما ، فجاء إليه إنسان ومعه آخر ،

---

(١) سبح : أراد بها سورة الأعلى ، وأولها (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى) وسابع لفظة فيها هو قوله سبحانه (فسوى) ومقلوبها « يوسف »

فقال : رأيت رؤيا وقصها ، فقال له : ما رأيت شيئا ، وإنما تريد الاستخفاف ، فخرجا بعدما اعترفا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلما نظرت فى ذيل أحدهما نقطةً من دم ، فذكرت الآية (وجاؤا على قميصه بدم كذب) فاتفق أنى رأيت أحَدَهما بعدُ ، فسألته عن القصة ، فقال لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا : نريد نمتحنه ، وقد صنفنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت .

وحكى عنه أنه جاء إليه آخر ، وقال : رأيت كأن فى دارى شجرة يَقْطِين[1] ، قال : أعندك فى دارك غير الزوجة ؟ قال : نعم جارية ، قال : بعنى إياها ، قال : إنها ملك زوجتى ، قال : قل لها تبيعنى إياها ، فراح وعاد وقال : إنها لا تبيعها ، فقال : امْضِ إلى هذه الجارية فاعتبرها ، فمضى وعاد وقال : إنها طلعت عبدا ، وزوجتى تكتمنى أمره ، وتُلْبسه لبس النساء .

وجاء إليه إنسان وقال : رأيت كأنى قد وضعت رجلى على رأسى ، فقال له : أفسر لك هذه الرؤيا بينى وبينك أوفى الظاهر ؟ فقال : فى الظاهر ، فقال : أنت كنت من ليالى تشرب الخمر وسكرت ووطئت أمك ، فاستَحىٰ ومضى .

وجاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأن قائلا يقول لى : اشرب شراب الهكارى فقال له : فؤادك يوجعك ؟ قال : نعم ، قال : اشرب العسل تبرأ ، فسُئِل : من أين لك هذا ؟ قال : سمعتهم يقولون شراب الدينارى ، ولم أسمع بالهكارى ، فرجعت إلى الحروف فرأيته شراب الملك أرى ، والأرىُ : العسلُ ، وذكرت قوله صلى الله عليه وسلم « كذب بطن أخيك أسقه العسل »[2]

(٤٢)

أحمد بن عبد الملك

العزازى

أحمد بن عبد الملك ، العزازى ، التاجر بقيسارية جركس ، الشاعر المشهور ، كان كيسا ظريفا ، جيد النظم فى الشعر .

---

(١) اليقطين : القرع

(٢) روى البخارى فى كتاب الطب من صحيحه أن رجلا جاء إلى النبي صلي الله عليه وسلم فشكا له انطلاق بطن أخيه ، فقال له «اسقه عسلا» ففعل فزاد ما بأخيه فجاء فشكا ذلك ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «صدق الله ، وكذب بطن أخيك اسقه عسلا»

فمن شعره يمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم :

دمى بأطلال ذات الخال مَطْلُولُ ... وجَيْشُ صبرى مَهْزوم ومفلول(١)

ومن يلاق العيونَ الفاتكاتِ بلا ... صبر يدافعْ عنه فهو مخذول

لم يَدْرِ من سلب العشاق أنفسهم ... بأنه عن دم العشاق مسئول

وبى أغنّ غضيض الطرف معتدل القوام لَدْنٌ مَهَزّ العطف مجدول

كأنه فى تَثَنّيه وخَطْرته ... غصن من البان مطلول ومشمول

سُلاَفة منه تسبينى وسالفة ... وعاسل منه يُصْبينى ومعسول(٢)

وكلما مرضت أجفان مقلته ... يصح الاغرامى فهو منحول

يا بَرْقُ كيف الثنايا الغر من إضَمٍ ... يا برق أم كيف لى منهنّ تقبيل

ويا نسيم الصَّبَا كرر على أذنى ... حديثهنّ فما التكرار مملول

ويا حُدَاة المطايا دون ذى سَلَمَ ... عوجوا وشرقى بانات اللِّوَى قِيلُوا

منازل لأكفّ الغيث توشية ... بها وللنَّوْرِ توشيع وتكليل

كأنما طيب رياها ونفحتها ... بطيب ترب رسول الله مجبول

أوفى النبيين برهانا ومعجزة ... وخير من جاءه بالوحى جبريل

له يد وله باع يزينهما ... فى السلم طَوْلٌ وفى يوم الوغى طُولُ

سلّ الإله به سيفا لملّته ... وذلك السيف حتى الحشر مسلول

وشاد ركنا أثيلاً من نبوته ... والكفر واهٍ وعرش الشرك مثلول

وَيْلٌ لمن جحدوا برهانه وثنى ... عنان رشدهم غىٌّ وتضليل

أولئك الخاسرون الخاسئون ، ومن ... لهم من الله تعذيب وتنكيل

نَمَتْهُ من هاشم أُسْدٌ ضراغمة ... لها السيوف بيوت والقناغِيلُ

---

(١) الأطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار ، ومفلول : مهزوم

(٢) السلافة : الخمر ، والسالفة : صفحة العنق ، والعاسل : أصله الرمح وأراد منه قوامه لأنه يهتز فى اعتدال كالرمح ، والمعسول : أراد ريقه الذى يشبه العسل

إذا تفاخر أرباب العلى فهم الـــغرُّ المغاوير والصِّيدُ البهاليل
لهم على العرب العرباء قاطبـــة به افتخار وترجيح وتفضيل
قوم عمائمهم ذلت لعزتها الـــقعْساء تيجان كسرى والا كاليل

وله أيضا عفى عنه :

منذ عشقت الشارعى الذى بالحسن يختال و يغتال
لم يبق فى ظهرى ولا رَاحتِى تالله لا ماء ولا مال

وقال أيضا :

تعشقته ســـاحر المقلتين كبدر يلوح وغصن يميل
إذا احمرَّ من وجنتيه الأســـيل واحورَّ من مقلتيه الكحيل
فقل للشقائق ماذا ترين وللنَّرجس الغض ماذا تقول
وقالوا : ذبول بأعطـــافه فقلت : يزين القناة الذبول
وعابوا تمرض أجفـــانه فقلت :أصحُّ النسيم العليل

وكتب ابن العزازى إلى ابن النقيب مُلْغزا فى شبابة وأحسن :

وما صفراء شاحبة ، ولـكن يُزَينها النَّضارة والشباب
مكتبـــة وليس لها بَنَان منقبة وليس لها نقاب
تصيح بها إذا قبَّلْتَ فاها أحاديثا تلذ وتستطاب
و يحلو المدح والتشبيب فيها وما هى لاسُعَاد ولا الرَّبَاب

فأجابه ناصر الدين بن النقيب :

أتت عجمية أعربت عنها لسَلْمَان يكون لها انتساب (١)
ويفهم ما تقول ولا سؤال إذا حققت ذاك ولاجواب

---

(١) سلمان : أراد به سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ، وغرضه أن يقول : إنها صنع من بلاد فارس

يكاد لهـــا الجماد يهز عِطفاً ويرقص فى زجاجته الحباب

وقال العزازى ملغزا فى القوس والنشّاب :

ما عجوز كبيرة بلغت عُمْــرا طويلا وَتتّقيها الرجال

قد علا جِسْمَهَا صفار ولم تشــك سَقاما ولا عراها هزَال

وَلَهَا فى البنين سهم وقسم وبنوها كبار قَدْرٍ نِبال

وبنوها لم يُشْبهوها ففى الأمّ أعوجاج وفى البنين اعتدال

وقد قال أيضاً :

قال لى من أحبه عنـــد لثمى : وجناتى يحدّث الوَرْدُ عنهـــا

خَلِّ عنى أما شبعت ، فناديــــت أرَيْتَ الحيـــاة يشبع منها

ومن موشحاته غفر له :

يا ليلة الوصل وكأس العقار دون استتار علمتمانى كيف خلع العذار

اغتنم اللذات قبــل الذهاب

وجرّ أذيال الصِّبَا والشباب

واشرب فقد طابت كئوس الشراب

على خدود تنبت الجلّنار ذات احمرار طَرّزَهَا الحسنُ بآسِ العذار

الراحُ لاشك حياة النفوس

فحلّ منها عاطلات الكئوس

واستَجْلِهَا بين الندامى عروس

تجلىٰ على خُطّابها فى إزار من النُّضار حبابهـــا قام مقام النثار[1]

أما ترى وجه الهنا قد بدا

---

(١) النضار ـ بضم النون ، بزنة الغراب ـ الذهب ، والحباب ـ بفتح الحاء ـ نفاخات الماء ، والنثار ـ بكسر النون ـ ماينثر على العروس

وطائر الأشجار قد غرّدا

والروض قد وَشّاهُ قَطْرُ الندا

فكمل اللهو بكأسٍ تدار على افترار مباسم النوّار غِبَّ الْقَطَار

أجْنِ من الوصل ثمار المُنَا

ووَصل الكأس بما أمكنا

مع طَيِّبِ الريقة حُلْو الْجَنَا

بمقلة أفتكَ من ذى الْفَقَار ذاتِ احورار منصورة الأجفان بالانكسار (١)

زار وقد حل عقود الجفا

وافترّ عن ثغر الرضا والوفا

فقلتُ والوقت لنا قد صفا

ياليلة أنعم فيها وزار شمسُ النهار حُيِّيتِ من دون الليالى القصار

وقال أيضاً (موشح) :

ماسُلَّتِ الأعين الفواتر من غِمْدِ أجفانها الصفاح

إلا أسالت دمَ المحاجر من غير حَرْب ولا كفاح

بالله ما حرّك السواكن غير الظباء الجآذر

لما استجابت بكل طاعن من القدود النواضر

وفوّقت أسهم الكنائن من كل جفن وناظر (٢)

عُرْبٌ إذا صحن يالَ عامر بين سرايا من الملاح

طلت علينا من المحاجر طلائعٌ تحمل السلاح

أحْبِبْ بما تُطْلع الجنوب منها وما تبدى الكلل

---

(١) ذو الفقار : سيف على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه

(٢) فوقت : صوبت وسددت ، والكنائن : جمع كنانة ، وهى وعاء السهام

من أقمُرٍ ما لها مغيب وأغصُنٍ زانها الميل
هيهات أن تعدل القلوب عنها ولو جارت المقل
لما توشَّحن بالغدائر سفَرن عن أوجه صِباح
فانهزم الليل وهو عاثر بذيله واختفى الصباح
وأهيف ناعم الشمائل تهزه نسمة الشَّمال
فينثنى كالقضيب مائل كما انثنى شاربٌ ومال
له عذار كالند سائل لله كم من دم أسال
شُقَّتْ على بينه المرائر من داخل الأنفس الصحاح
تَكلُّ فى وصفه الخواطر وتَخْرَسُ الألسنُ الفصاح
ظبى إلى الأنس لا يميل الشمس والبدر من حُلَاه
والحسن قالوا ولم يقولوا مَبْدَاه منه ومنتهاه
وطرفه الناعس الكحيل هيهات من صنعه النجاه
أذلَّ بالسحر كل ساحِرْ فهو له خافض الجناح
يجول فى باطن الضمائر كما يجول القضا المُتَاح
أما ترى الصبح قد تطلع مذ غمَّضتْ أعين الغَسَق
والبدر نحو الغروب أسرع كهارب ناله فَرَق[1]
والبرق بين السحابِ يلمع كصارم حين يُمْتَشَق[2]
وتحسب الأنجم الزواهر أسنةً ألقت الرماح
فانهزم النهرُ وهو سائر فرد عنْهُ يد الرياح

---

(١) الفرق ـ بالتحريك ـ الخوف

(٢) الصارم : السيف ، ويمتشق : يسل من غمده

وقال أيضاً (موشح):

كأس رويه	جلا علينا النديم	أم سنا مصباح
أم شمس حسن	قد توجهتها النجوم	فى سما الأفراح
هات الكؤوسا	ممزوجة بالرضاب	من ثنايا كا
واخطب عروسا	تروق تحت الحباب	لسجايا كا
وادع الجليسا	لمجالس وشراب	مثل ريّا كَا
واشرب سبيه	بها النفوس تهيم	ولها ترتاح
من بنت دن	أليس نحن الجسوم	وهى الأرواح
خذها مُدَاما	وجر ذيل المجون	أيّما جرّ
وأفضض فِدَامَا	لها من الزرجون	طيب النشر
حيا الندامى	بها سقيمُ الجفون	ناحلُ الخصْر
حر السجيه	حلو الدلال رخيم	خنث مزاح
لدن التثنّى	له قوام قويم	للقنا فضاح
مد الربيع	للورد أىّ بساط	حف بالآس
قم يا خليع	إلى الصَّبُوح بشاطى	نهر باناس[1]
فما الهجُوع	وقد دعاك تعاطى	جذوة الكاس
فى سُندسيه	أجرت عليها الغيوم	مدمعا سحاح
من ماء مزن	وصاب منها النسيم	أرجًا نفاح
لنا خليل	نراه منذ ليالى	غائب عنا
وما الشَّمُول	لذيذة وهْوَ سالى	أليس منا

(١) الصبوح — بفتح الصاد — مايشرب من الخمر صباحا، وباناس: من أنهار دمشق، وقد ذكره الحسن بن عبد الله بن أبى حصينة فى قوله:

ياصاحبي سقى منازل جلق	غيث يروى ممحلات طساسها
فرواق جامعها فباب بريدها	فمشارب القنوات من باناسها

قل يا رسول بأنـنـا فى ظلال روضـة غنّا
زبرجـديه وثمّ شـادٍ وريم وبقـايا راح
ويوم دَجْنٍ وقد دعاك النديم أجب ياصاح
سَـقْيًا لدهر مضى بِعلَلٍ ونهل وبغـزلان
وطيب عمـر قضى بليلة وصل مالهـا ثانى
خلعت عذرى فيها وقلت لخلى ولنـدمانى
فى البابليـه لاتسمعَنْ مَن يلوم واهجر النصاح (١)
واشرب وغنى يا ليـلة لو تدوم دامت الأفراح

وله موشح دو بيتى :

أقسمت عليك بالأسيل القانى أن تنظر فى حال الـكئيب الفانى
أو تقصر عن إطالة الهجران يا من سلب المنام من أجفانى
ما أليقَ هذا الحسن بالإحسان

والله لقد ضاعفت عندى الـكمدا مذجزت من الهجر الطويل الأمدا
أدرك رَمَقِى أوهَبْ فؤادى جَلَدَا يا من أخذ الروح وأبقى الجسدا
ماأصنع بعدالروح بالجُثمانَ ؟

بالله إذا قضيت وجـدا وغرام فابسط عذرى يوم عَتْب وملام
قد كنت خليا من عـذار وقوام لا أعطى لصبوةٍ قيادًا وزمام
حتى عَلِقَتْ بى أعين الغزلان

من لى بسقيم الجفن واهى الخصر يرنو بعيون كحلت بالسحـر
كم أوضح لى عذاره من عذر ما مال به الدلال ميل السكر
إلا سَجَدَتْ معاطفُ الغزلان

---

(١) البابلية : أراد الخمر ، نسبها إلى بابل ، وهو اسم ناحية منها الـكوفة والحلة وينسب إليها السحر والخمر

في مرشفيه موارد للقُبَل يحمى بفتور لحظه والكَحَلِ
كم قلت لمن أكثر فيه عَذَلِي ما دام سواد طرفه لم يَحُلِ

لا تطمع يا عذول فى سلوانى

بدرى بمحيا غصن ذاك القد يسبيك بجلناره فى الخد
ذو مَبْسم عذب وخد وَرْدى مذ عاينت العين نظام العقد

منه نَثَرَتْ قلائد العقيان(١)

سالم لحظات طرفه الرشاق واستكف سهاما مالها من رَاقِ
أو خذلك موثقا من الأحداق واستخبر عن مصارع العشاق

تنبيك عن مقاتل الفرسان

وقال أيضاً (موشح) :

وقفت مذ سارت المحامل واقتربت ساعة الفِراق
أكَفْكِفُ الدمع بالأنامل والدمع يأبى إلا اندفاق
هل لِلعزا بعدهم سبيل أم هل لطيف الكرى مَزار(٢)
هيهات والصبر مستحيل والقلب لا يملك القَرار
إن أوحشت منهم الطلول فطالما آنسوا الديار
ساروا وقد زُمَّتِ المحامل بهم وأظعانهم تُساق
وأقلقوا أضلعا نواحل ترق مع أدمع تُراق
قف باللِّوَى نندب الربوعا على فراق الحبايب
واسفح بأطلالها الدموعا إن كنت خليٍّ وصاحب

---

(١) أراد بقلائد العقيان دموعه ، ونثرها : سكبها

(٢) أراد العزاء فقصره حين اضطر ، وهو الاصطبار والتجلد

مــــلاعب تُنْبِتُ الوَلُوعَا　　سَقْيًا لها من ملاعب

ما بال أقمارهـــا أوافل　　وقد محـــا نورَهَا المحاق[١]

وما لباناتهـــا ذَوَابل　　ولونهـــا وردة تساق[٢]

بكيت من لوعتى ووجدى　　حتى فَنَى كنز أدمعى[٣]

وكان يوم الفراق ودى　　تبكى عيون الحَيَا معى

إن لم أف بعدهم بعهدى　　فكنت فى الحب مُدَّعى

فإن جفا النوم وهو واصل　　فكل شملٍ له افتراق

أو غاضَ دمعى وكان سائل　　فالنيل يعتاده احتراق

مَنْ لفتىً ســاهر الأماق　　قد ذل فى طاعة الهوى

يشكو إلى الله ما يلاقى　　من التباريح والجوى

قد بلغت روحُه التراقى　　مذ بعدت شُقَّة الهوى

صَبٌّ لثقل الغرام حامل　　وحمـل ذَيَّاك لا يطاق

رَاح لـكأس الفراق ناهل　　وطعمها مرة المــذاق

وقال أيضاً رحمه الله :

زمانَ شبابى كنتَ خيرَ زمان　　فلا زلتَ مشكورا بكل لسان

فلله كم جرَّرْت ذيل بطـــالتى　　وأطلقت للَّذَّاتِ فيك عِنانى

وقد كنتُ سباقاً إلى غاية الصِّبا　　مجيباً إذا داعى المجون دعانى

أقبلُ ثغر الـكأس أبيض واضحا　　وألثِمُ خَـــدَّ الراح أحمر قانى

ألا خليانى والتصابى فإننى　　أرى فى التصابى غير ما تَرَيَانِ

سأملأ من طيب العذار مَفَارقى　　وأخضِبُ من صرف الكؤوس بنانى

---

(١) الأوافل : جمع آفل، وهو اسم الفاعل من قولهم « أفل القمر والنجم يأفل أفولا ـ كجلس يجلس جلوسا » إذاغرب ، والمحاق ـ بتثليث الميم ـ استسرار القمر حتى لا يرى غدوة ولا عشية ؛ لأنه طلع مع الشمس فمحقته

(٢) البانات : جمع بانة ، شجرة ، وذوابل : جمع ذابلة　(٣) فنى كرمى : لغة

وقال أيضا رحمه الله :

أرامة للآرام كنت مراتعا ... فمالك للعشاق صِرْتِ مصارعا[1]

فأين غصون كنّ فيك موائسا ... وأين بدور كن فيك طوالعا[2]

وقفنا لتوديع الحمول عشية ... نبث صبابات ونذرى مدامعا

وعُدْنَا وما بل الوداع غليلنا ... ولا بردَتْ منا الدموعُ الأضالعا

سألتكما ماضر حادى ركابهم ... لو احتبس الأظعانَ أو كرّ راجعا

وماذا على المستودعين قلوبَنَا ... بحبلى زَرُود لو رددن الودائعا

تعرضْنَ لى يوم الكثيب كأنما ... تعرض لى سِرْبٌ من الرمل راتعا

وما كنت أدرى أن بين ستورهم ... شموسَ الضحى حتى رفعن البراقعا

وقال أيضاً عفى عنه :

أدرك بقية نفس فات أكثرها ... أصبحْتَ بالهجر تطويها وتنشرها

يا من إذا نظرت عينى محاسنه ... ألومها فى هواه ثم أعذرها

حسبى علاقة حب قد بَرَتْ جسدى ... حتّام اكتمها والدمع يظهرها

ومهجة يتحاماها تجلدها ... إذا هجرتَ ويغشاها تذكرها

يا للرجال أما فى الحب من حَكَمَ ... ينهى العيون إذا جارت ويزجرها

ويا وُلَاةَ الهوى قوموا بنصر فتى ... حقوقه بينات وهى تنكرها

لا تطلبنّ من الأعطاف عاطفة ... فإن أعدَلَها فى الحب أجورُها

وقال أيضا :

يا راشقَ القلب منى ... أصبتَ فاكفف سهامك

ويا كثير التجنى ... منعت عنى سلامك

---

(١) مراتع : جمع مرتع ، وهو موضع اللعب ، وفى القرآن الكريم : (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) والمصارع : جمع مصرع ، وهو المكان يصرع فيه القتيل مثلا

(٢) موائس : اسم الفاعل من « ماس الغصن يميس » أى اهتز

وخنت ذِمة صب ما خان' قط ذمامك
فاردد عليّ منامى فلا عدمْتَ منامك
فمن رأى سوء حالى بكى عليّ ولامك
فلو أردت حياتى لما هززت قوامك
بِمَنْ أحلك قلبى ارْفعْ قليلا لثامك
وابسم لعلى أحيا إذا رأيت ابتسامك
ياخَدَّه ما أُحَيْلى للعاشقين التثامَكْ
بكيت دالا وميما لما تأمّلت لامك[١]

(٤٣)

أحمد بن بنت الأعز[٢]

ابن بنت الأعز

من شعره :

تعطلت فابيضت دواتى لحزنها ومذ قلّ مالى قل منها مدادها
وللناس مُسْوَدُّ اللباس حِدادهم ولكن مبيض الدواة حدادها

وقال أيضاً :

وقالوا بالعذار تَسَلَّ عنه وما أنا عن غزال الحسن سالى
وإن أبدت لنا خدّاهُ مسكا (فإنّ المسك بعض دم الغزال)[٣]

(٤٤)

أحمد الموازينى ، المعروف بالماهر الحلبى

الماهر الحلبى

من شعره يرثى :

برغمى أن أعنِّف فيك دهرا قليلا نكره بعنفيه

(١) بكيت دالا وميما : أراد بكيت دما ، وتأملت لامك : أراد العذار ؛ فإن الشعراء كثيراً مايشبهون العذار باللام

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٤٤٤ واسمه أحمد بن عبد الوهاب ، ووفاته فى سنة ٦٩٩ (٣) عجزه عجز بيت لأبى الطيب المتنبى ، صدره :

* فإن تفق الأنام وأنت منهم *

وأن أرعى النجوم ولست فيها وأن أطأ التراب وأنت فيه

ومنه أيضاً رحمه الله :

أرى نفسى تحدّثها الظنون بأن البَيْنَ بعد غدٍ يكون

وما تَرَكَ الفراق علىّ دمعا يسح ولا تشح به الجفون

وجيش الصبر منهزم فقل لى عليك بأى دمع أستعين

كأنى من حديث النفس عندى جُهَيْنَةُ عنده الخبره اليقين[1]

ومنه أيضاً عفى عنه :

من صح قبلك فى الورى ميثاقه حتى تصح ومَنْ وَفَى حتى تفى

عُرِف الهوف فى الخَلْق مذعرف الهوى بمذلة الأقوى وعِزّ الأضعف

يامن تَوَقَّدُ فى الحشا بصدوده نارى بغير وصاله لا تنطفى

(٤٥)

ابن خلكان مولانا قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خَلِّكان ، الإربلىّ ، الشافعىّ[2] :

تولى قضاء الشام ، ثم عزل عنها بابن الصائغ ، ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين به ، وكان يوما مشهودا[3] ، وجَلَس فى منصب حكمه ، وتكلم الشعراء فقال الشيخ رشيد الدين الفارقى :

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصر ، وعندى أن الكرام جِناسُ

ولكلّ سَبْعٌ شداد و بعد السبع عام فيه يغاث الناس[4]

وقال سعد الدين الفارقى :

---

(١) يشير إلى مثل من أمثال العرب ، وهو قولهم « وعند جهينة الخبر اليقين »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/ ٣٧١ وقد ترجمنا له في مقدمة كتابه

(٣) فى نسخة « وكان يوما مشهوراً »

(٤) يشير إلى قوله تعالى فى قصة يوسف : (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون، ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)

أذقْتَ الشام سبع سنين جدبا   غداة هجرته هجرا جميلا
فلما زرته من أرض مصر   مددت عليه من كفيك نيلا

وقال نور الدين بن مصعب :

رأيت أهل الشآم طرا   ما فيهم قط غير راض
نالهم الخير بعد شرّ   فالوقت بسط بلا انقباض
وعُوِّضُوا فرحَةً بحزن   مذ أنصف الدهر فى التقاضى
وسرهم بعد طول غم   قدومُ قاض وعزلُ قاضى
فكلهم شاكر وشاكٍ   بحال مستقبل وماض

وكان له ميل إلى بعض أولاد الملوك ، وله فيه أشعار رائعة(١) ، يقال : إنه أول يوم زاره بَسَطَ له الطَّرْحة ، وقال له : ماعندى أعز من هذه ، طَأْ عليها ، ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب ، فقال ابن خلكان :

يا سادتى إنى قنعْتُ وحقكم   فى حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفا   ورأيتم هجرى وفرطَ تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحَةَ أن ترى   يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى   ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة   لولاك لم يك حملها من مذهبى
ومن البلية والرزية أننى   أقضى وما تدرى الذى قد حل بى
قسما بوجهك وهو بدر طالع   وبليل طرتك التى كالغيهب(٢)
وبقامة لك كالقضيب ركبْتُ من   أخطارها فى الحب أعْظَمَ مركب
وبطيب مبسمك الشهى البارد الـ   ـعذب النمير اللؤلؤى الأشنب(٣)
لو لم أكن فى رتبة أرعى لها الـ   ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى فى هواك ولَذَّلى   خلع العذار ولو ألح مؤنبى

(١) فى ب « أشعار رائقة »   (٢) الغيهب : الليل الشديد الظلام
(٣) الأشنب : الذى فيه الشنب ، وهو برد وعذوبة فى الأسنان

لـكن خشيت بأن تقول عواذلى : قد جُنَّ هذا الشيخ فى هذا الصبى

فارحم فديتـك حرقة قد قاربت كَشْفَ القناع بحـق ذياك النبى

لا تفضحَنَّ بحبـك الصب الذى جرعته فى الحب أكدر مشرب

قال القاضى جمال الدين عبد القـاهر التبريزى : كان الذى يَهْوَاه القاضى شمس الدين بن خلـكان الملكَ المسعود بن الزاهر[١] صاحب حَمَاة ، وكان قد تيمه حبه ، وكنت أنا عنده فى العادلية ، فتحدثنا فى بعض الليالى إلى أن راح الناس من عنـده ، فقال : نَمْ أنت ههنا ، وألقى علىّ فروة ، فخرج وقام يدور حول البركة فى بيت العادلية ، ويكرر هذين البيتين ، إلى أن أصبح ، وتوضأنا[٢] وصلينا . والبيتان المذكوران :

أنا والله هالك آيس من سلامتى

أو أرى القامَةَ التى قد أقامت قيامتى

ويقال : إنه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيـه ، فاستعفاه ، فألح عليه ، فقال : يقولون : إنك تـكذب فى نسبك ، وتأكل الحشيشة ، وتحب الصبيان ، فقال : أما النسب والـكذب فيه فإذا كان لا بدّ منه كنت أنتسب إلى العباس ، أو إلى علىّ بن أبى طالب ، أو إلى واحد من الصحابة ، وأما النسب إلى قومٍ لم يَبْقَ منهم بقية[٣] ، وأصلهم قوم مجوس ، فما فيه فائدة ، وأما الحشيشة : فالـكل ارتكاب محرم ، وإذا كان ولا بدّ فـكنت أشرب الخمر ، لأنه ألذ ، وأما محبـة الغلمان فإلى غدٍ أجيبك عن هذه المسألة .

وذكره الصاحب كمال الدين بن العديم ، ونسبه إلى البرامكة .

ومن شعره أيضاً :

وسِرْبِ ظباء فى غدير تخالهم بدوراً بأفْقِ المـاء تبدو وتغرب

---

(١) فى ب « بن المظفر صاحب حماة »

(٢) فى ب « وتوضينا وصلينا » بتسهيل الهمزة

(٣) يريد بهؤلاء القوم البرامكة وزراء الرشيد وأمراء دولته الذين نـكبهم واستأصلهم

يقول عذولى والغرام مصاحبي : أمالك عن هٰذى الصبابة مذهب
وفى دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له : دعهم يخوضوا و يلعبوا[١]

وقال أيضاً مضمناً :

كم قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الساري العجول بخده (ما فى وقوفك ساعة من باس)[٢]

وقال أيضا :

لما بدا العارض فى خده بشرت قلبي بالسلو المقيم
قلت : هذا عارض ممطر فجاءنى فيه العذاب الأليم[٣]

وقال أيضاً :

وما سر قلبي منذ شطت بك النوى نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته سوى ذلك الماء الذى كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلا تكلفا وأى سرور يقتضيه التكلف

وقال أيضا :

أحبابنا لو لقيتم فى إقامتكم من الصبابة مالاقيت فى ظعني
لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا والبر من أدمعى ينشق بالسفن

وقال أيضا :

تمثلتم لى والديار بعيدة فخيل لى أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى فأوحشتم لفظا وآنستم معنا

وقال أيضا :

أنظر إلى عارضه فوقه لحاظه يرسل منها الحتوف

---

(١) أخذه من قوله تعالى : (ذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)
(٢) ضمن هذا البيت صدر مطلع قصيدة لأبى تمام ، وعجزه :
* نقضى ذمام الأربع الأدراس *
(٣) أخذه من قوله تعالى : (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به : ريح فيها عذاب أليم) .

تعاين الجنــــة فى خده　　لـكنها تحت ظلال السيوف[١]

وقال فى مِلَاحٍ أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

مُلاَّك بلدتنا بالحسن أربعـة　　بحسنهم فى جميع الخلق قد فتـكوا
تملـكوا مهج العشاق وافتتحوا　　بالسيف قلبى ولولا السيف ماملـكوا

وقال أيضا غفرله :

ألا ياســاريا فى فقد عُمْرٍ　　يقاسى فى السُّرَى حزْناً وسهلا
قطعت نقا المشيب وجُزْت عنه　　وما بعد النقا إلا المصلى

وقال أيضا رحمه الله :

أى ليـل على المحب أطاله　　سائقُ الظُّعْنِ يوم زَمَّ جمـاله
يزجر العيس طاويا يقطع المهــــمه عسفا سهولَهُ ورماله
أيها الســـائق المجدُّ ترفق　　بالمطايا فقد سئمن الرحاله
وأنخْهَا هنيهـــــة وأرحْهَا　　قد بَرَاهافرط السرى والـكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد برّح بالصب فى سُرَاها الإطاله
قد تركتم وراءكم حِلْفَ وجدٍ　　باديا فى محلكم إطـلاله
يسأل الربـع عن ظباء المصلَّى　　ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيل جواب　　غير أن الوقوف فيها عُـلالَه[٢]
هذه سنة المحبين يبكو　　ن على كل منزل لا محَاله
يا ديار الأحباب لازالت الأد　　مُعُ فى ترب ساحتيك مُسَاله
وتمشي النسيم وهو عليل　　فى مغانيـك ساحبا أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما　　أسرع عنا ذهابه وزواله

---

(١) أخذه من قوله عليه الصلاة والسلام « الجنة تحت ظلال السيوف » ولـكنه أراد بالسيوف هنا لحاظه ، مجازا

(٢) المحيل : المتغير ، وأرادالربع الذى كان يسكنه أحباؤه ، والعلالة ـ بالضم ـ التعلل

حيث وجه الشباب طَلْق نضير   والتصابى غصـــونه مَيَّاله
ولنا فيك طِيبُ أوقات أنس   ليتنا فى المنام نلقى مثاله
و بأرجاء جوِّك الرحب سرب   كل عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو   من جفون لحاظُها مغتاله
ورخيم الدلال حلو المعـانى   تَتَثَنَّى أعطافه مختـــاله
ذو قوام تودّ كل غصون البـــان لو أنها تحاكى اعتداله
وجهه فى الظلام بدر تمـام   وعذاراه حـولَه كالْهـالَه[1]
ظبية تبهر العيون جمالاً   وغزال تَغَار منـــه الغزاله
يا خليلى إذا أتيت رُبَى الجز   ع وعاينت روضه وظلاله[2]
قف به ناشداً فؤادى فلى ثَمّ   فؤاد أخشى عليه ضَلاَله
و بأعلى الكثيب بيت أغُضُّ الطَّرْفَ عنه مهابة وجلاله
كل من جئته لأسأل عنـه   أظهر الغىّ غـيرة وتَبالَهْ[3]
أنا أدرى به ولـكنّ صَوْناً   أتعامى عنـه وأبدى جهاله
منزل حبه علىّ قديم   فى زمان الصبا وعصر البطاله
ياعُرَيبَ الحِمَى اعذرونى فإنى   ما تجنبت أرضكم عن ملاله
حاش لله غـير أنىَ أخشى   من عدوّ يسىء فينا المقاله
فتأخرت عنكم قانعا من   طيفكم فى المنام يهدى خياله
أتمنى فى النوم زور خيال   والأمانى أطماعُهَا قتَّاله
يا أهيل النقا وحق ليالى الوصـــل ما صبوتى عليـكم ضلاله
لىَ مذ غبتُمُ عن العـين نار   ليس تخبـو وأدمع هطاله[4]

---

(١) الهالة : دارة القمر ، والطفاوة ـ بضم الطاء ـ دارة الشمس ، ويقال : لا يخرج فلان من جهالته ، حتى يخرج القمر من هالته

(٢) فى ب « إذا أتيت ربى الجرعا وعاينت ـ إلخ »

(٣) تباله : تصنع البله ، فعل ماض (٤) خبت النار تخبو : سكنت وهدأت وطفئت

فصلونا إن شئتمُ أو فَصُدّوا   لا عدمنا كم على كل حالَهْ

وقال أيضا عفى عنه :

يارب إن العبد يخفى عيبه   فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وماله من شافع   لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

وقال أيضا رحمه الله :

أعدمتنى بالجوى يا فاترَ المقل   فصح وجدى على مابى من العلل[1]
ومِلْتَ عنى إلى الواشى فلا عجب   والغصن مازال مطبوعا على المَيَلِ
يا واحد الحسن عِدْنى زورة حُلُمًا   وها يدى إن نومى قد جفا مقلى
يا جيرة بأعالى الخيف من إضم   خَيَّبْتُمُ بجفا كم فى الهوى أملى
وملتمُ بجميل الصبر عن دنف   أجلّ ما يتمنى سرعَة الأجل
تجرى عليه متى غبتم مدامعه   وما عسى ينفع الباكى على طلل

وقال أيضا رحمه الله :

أيا غادرا خانت مواثيق عهده   لقد جُرْتَ فى حكم الغرام على الصب
وأقصيته من بعد أنس وصحبة   وما هكذا فعل الأحبة والصحب
فلله أيام تقضَّتْ حميدة   بقربك واللذات فى المنزل الرحب
وإذ أنت فى عينى ألذ من الكرى   وأشهْى إلى قلبى من البارد العذب
فلهفى على ذاك الزمان الذى غدت   عليه دموع العين دائمة السَّكْبِ[2]
ومذ صرت ترضينى بقول تملُّقٍ   وتظهر لى سلما أشدّ من الحرب
ثنيتُ عنانى عن هواك زهادة   وإن كنت فى أعلى المراتب من قلبى
لأنى رأيت القلب عبدك طائعا   تعذبه كيف اشتهيت بلا ذنب

---

(١) الجوى : شدة الحزن ، والمقل : جمع مقلة ، وهى العين ، وفتورها : ضعف أجفانها

(٢) سكبت العين دمعها تسكبه سكبا : أذرته وهطلت به

ولم تحفظ الودّ الذى هو بيننا ‏ ‏ ولم تَرْعَ أسباب المودّة والحب

ولا أنت فى قيد المحب إذا غدا ‏ ‏ تقلبه الأشواق جنباً إلى جنب

ولا أنت ممن يرعوى لمقالتى ‏ ‏ فأشفى قلبى بالشكية والعَتْبِ

ولارمت عنك القرب إلا جفوتنى ‏ ‏ وأبعدتنى حتى أيست من القرب

وأصغيت للواشى وصدقت قوله ‏ ‏ وضَيَّعْتَ ماينى وبينك بالكذب

فلم يبق لى والله فيك إرادة ‏ ‏ كفانى الذى قاسيت ُفيكَ من العجب

ولا لى فى حبيك ما عشت رغبة ‏ ‏ أبى الله أن تسبى فؤادى أو تصبى

ومن ذا الذى يَقْوَى على حمل بعض ما ‏ ‏ تجرعته بالذل من خلقك الصعب

فلا ترْجُ منى بعد ذا حسن صحبة ‏ ‏ فحسبى سُلُوا بعض ما قلته حسبى

فلا تعتبنِّى قد قطعت مطامعى ‏ ‏ وخففت حتى فى الرسائل والكتب

وقال فى المعنى :

يا معرضـاً عنى بغير جناية ‏ ‏ أما تستحى من فرط تيهك والعجب

سلوتك فاصنع ما تشاء ؛ فإنه ‏ ‏ محا كثرة التقبيح حبك من قلبى

وقال أيضاً دو بيت :

هـذا الصلف الزائد فى معناه ‏ ‏ قد حيرنى فلست أدرى ما هو[1]

كم تحملَّ قلبى من تجنيك ، ولا ‏ ‏ يدرى أحـد بذاك إلا الله

وقال أيضا رحمه الله :

فى هامش خدك البديع القانى ‏ ‏ تصحيح غرام كل صب عانى

قد خرجها البارى فما ألطفها ‏ ‏ من حاشية بالقلم الريحانى[2]

---

(١) الصلف ـ بفتح الصاد واللام جميعا ـ شدة التيه والكبر

(٢) القلم الريحانى : ضرب من الخط ، وورى به هنا عن العذار الذي ينبت فى خد المحبوب

وقال أيضاً رحمه :

يا سعد عساك تطرق الحى عساك ... قصداً فإذا رأيت مَنْ حَلَّ هناك

قل صبك ما زال به الوجد إلى ... أن مات غراما أحسن الله عزاك

(٤٦)

أحمد كتاكت الإشبيلى

أحمد الإشبيلى ، المعروف بالزمن كتاكت .

من شعره :

حضروا فمذ نَظَرُوا جمالَكَ غابوا ... والــكلُّ مذ سمعوا خطابك طَابوا

فــكأنهـــم فى جنة وعليهمُ ... من خمر حبك طافت الأكوابُ

يا سالب الألباب يا من حسنه ... لقلوبنا الوهاب والنهـــاب

القرب منك لمن يحبك جنة ... قد زُخْرِفَتْ والبعد عنك عذاب

يا عامرا منى الفــؤاد بحبه ... بيت العذول على هواك خراب

أنت الذى ناولتنى كأس الهوى ... فإذا سكرت فما عَلَىَّ عتاب

وعلى النقّا حَرَمٌ لعلوة آمن ... من حوله تَتَخَطَّفُ الألباب(١)

لطريقها كيف الوصول ودينهـا ... نار لها بحشاشـــتى إلهاب(٢)

وقال أيضاً غفر له :

يا بارق الحى كرِّر فى حديثك لى ... تذكارهم وأعِدْ روحى إلى بدنى

وأنت يا دمع ما هـذا الوقوف وقد ... جرَى حديثُ الحمى النجدىِّ فى أذنى

وقال أيضاً رحمه الله :

أحن ولــكن نحو ضمِّ قوامه ... وأصبو ولــكن نحو لثم لثامه

وأعشق ما لى غمة من حديثه ... تفرّج إلا من هموم غرامه

---

(١) أخذه من قوله تعالى : (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حوله)

(٢) إلهاب : مصدر « ألهبت النار » أوقدتها ، وقد تقرأ بفتح الهمزة على أنه جمع لهب

وقال أيضا غفر له :

حللتم أهْلَ نعمان بقلبي فكل عذاب حبكم نعيم
وقد أصبحتمُ كنز الأماني فواجد غيركم عندي عديم

وقال أيضاً رحمه الله :

جواز الصبر في أذني محال وما للصبر في قلبي مَجَالُ
شغلتم كل جارحة بحسن فليس لنا بغيركم اشتغال
سقى الهضباتِ من نجدسحابٌ مُلِثٌ الغيث تحدوه الشمال
ولا برحت أثيلات المصلى تَرِف على منابتها الظلال
منازل جيرة ما كان أهنَى بهم لي العيشَ لو دام الوصالُ
تهبُّ نسيمها فأميل سكراً فهل هبت شمال أم شمال (١)

(٤٧)

أحمد بن محمد الشريشي

أحمد بن محمد الشريشي ، كمال الدين (٢) .

كتب إلى بَدْرِ الدين بن الدقاق ناظر أوقاف حلب :

مولاي بَدْرَ الدين صِلْ مُدْنفا صيره حبك مثل الخلال
لا تخش من عارٍ إذا زرتني فما يعاب البدر عند الكمال

(٤٨)

صدر الدين بن وكيل بيت المال

الشيخ صدر الدين بن وكيل بيت المال .

قال لما بلغه هذان البيتان :

يا بدر لا تسمعَنْ قول الكمال فكل ما نَمّق زور محال
فالنقص يعرو البدر في تمه وربما يخسف عند الكمال

---

(١) الشمال الأولى — بفتح الشين أو كسرها — ريح الصبا ، وشمال الثانية — بالكسر — بمعنى الطبيعة والسجية، ولعله أراد بها الخمر ، فإنه يقال للخمر «مشمولة» وذلك نظرا إلى قوله « فأميل سكرا »

(٢) له ترجمة في شذرات الذهب ٤٧/٦ وولادته في سنة ٦٥٣ وتوفي في سنة ٧١٨

فزار البدر المذكور ابن الشريشى ، فلم يحفل به ، فكتب :

إنَّ كمال الدين إذ زرتُه ... أضْحكه الله على كل حال
وَجَدْتُ حَظِّى عنده ناقصاً ... فصح أنّ النقص عند الكمال

وكتب إلى ابن الرفاقى يستعفيه من وكالة بيت المال ، وقد بلغه أنه سعى له فيها :

إلى بابِكَ الميمون وَجَّهْتُ آمالى ... وفى فَضْلك المعهود قَصْدِى و إقبالى[1]
وأنت الذى فى الشام ما زال محسنا ... إلىّ ، وفى مصر على كل أحوالى
أتتنى أيادٍ منك فى طى بعضها ... تَمَلَّكُ رقَّ الحر بالثمن الغالى
وُقمْتَ بحق المكرمات ، وإنما ... هو الرزق لا يأتى بحيلة محتال
علىَّ لكم أن أعمر العمر بالثنا ... وبالمدح مهما عشت من غير إخلال
وقد بقيت لى بعد ذلك حاجة ... لها أنت مسئول فلا تلغ تَسْآلى
أرحنىَ من باب الوكالة عاطفا ... علىّ بإحسان بدأت وإفضال
وصُنْ ماء وجهى عن مشاققة الورى ... فهذا على أرض وهذا على مال
ولا تتأول فى سؤالىَ تركهاَ ... فوالله مالى نحوها وجه إقبال
ورزقى يأتينى وإنى لقانع ... لراحة قلبى من زمانى بإقلال
وحالىَ حال بافتقارٍ يصوننى ... ولبسىَ أسمالى مع العز أسمى لى[2]
وتجبر وقتى كسرة الخبز وحدها ... وأرضىَ ببالى الثوب مع راحة البال
فهذى إليكم قصتى قد رفعتها ... لتغتنمُ أجرى ، ورأيكم العالى

فقطع ابن الرفاقى الأبيات كلها من الورقة ، وأبقى البيت الأخير ، وكتب تحتها :

العالى أن تعود إلى شغلك وعملك

---

(١) فى ب « فضلى وإقبالى » وليس بشىء

(٢) الأسمال : جمع سمل — بفتح السين والميم — وهو الثوب البالى الخلق ، وأسمى لى : أفعل تفضيل ، يريد أرفع منزلة لنفسى

(٤٩)

أحمد بن محمد الصينى، الحلبى ، الصَّنَوْبَرى

أحمد الحلبى
الصنوبرى

من شعره فى الورد :

زعم الورد أنه هُوَ أبْهَى ... من جميع الأنوار والرَّيْحَانِ

فأجابته أعْينُ النرجس الغض ... بِذُلٍّ من فوقها وَهَوَانِ[١]

أيما أحسن التورّدُ أم مقـلة ريم من فضة الأجفان[٢]

أم فماذا يرجو بحُمْرته الخـد إذا لم يكن له عينان

فزهى الورد ثم قال مجيبا ... بقياس مستحسن وبيان

إن وَرْدَ الخدود أحسن من عـين بها صفرة من اليرقان[٣]

وله أيضاً رحمه الله :

أرأيت أحسن من عيون النرجس ... أم من تَلاَحُظهنّ وسط المجلس

درر تَشَقّقُ عن يواقيت على ... قُضُب الزمرد فوق بسط السندس

أجفان كافور خَفَقْنَ بأعـين ... من زعفـران ناعمات الملمس

فـكأنها أقمار ليـل أحدقت ... بشموس أفق فوق غصن أملس

وقال أيضاً :

يا ريمُ قومى الآن ويحك فانظرى ... ما للرُّبى قد أظهـرت إعجابها

كانت محاسن وجهها محجوبة ... فالآن قد كَشَفَ الربيع حجابها

ورد بدا يحكى الخدود ، ونرجس ... يحكى العيون إذا رأت أحبابها

ونبات باقلاء يشبـه نوره ... بُلْقَ الحمـام مشيلة أذنابها

والسَّرْوُ تحسبه العيون غوانيا ... قد شَمَّرَتْ عن سوقها أثوابهـا

---

(١) الغض : الطرى ، والهوان ــ بفتح الهاء بزنة السحاب ــ الخضوع فى مذلة

(٢) الرئم ، والريم : الظبى الخالص البياض

(٣) اليرقان ــ بفتحات ــ آفة من آفات الزرع ، وقيل : دود يكون فى الزرع ، وهو أيضا مرض يصيب الناس

وكانّ إحداهنّ من نَفح الصبا خَوْد تُلَاعب مَوْهنا أترابها[١]
لو كنت أملك للرّياض صيانة يوما لما وطئ اللئــام ترابها

وقال أيضاً :

خجل الورد حين لا حظه النر جس من حسنه وغار البَهَار[٢]
فعَلَتْ ذاك حمــرة ، وعلت ذا صفرة ، واعترى البهار اصفرار
وغدا الأقحوان يضحك عُجْباً عن ثنايا لثامهنّ نُضَار[٣]
ثم نم النمــــام واستمع السو سن لمـــــا أذيعت الأسرار
عندها أبرز الشقيق خدودا صار فيهـــا من لطمه آثار
سُكبت فوقها دموع من الطلّ كما تسكب الدموع الغزار
فاكتسى البنفسج الغض أثوا بَ حدادٍ دخانُهَا الاصطبار
وأضر السقام بالياسمين الـــغض حتى آذى به الأضرار
ثم نادى الخيرِيُّ فى سائر الزهـــر فوافاه جحفل جـــرار
فاستجاشوا على محاربة النر جس بالجحفل الذى لا يبار
فأتَوْا فى جواشن سابغات تحت سجف من العجاج يثار
ثم لما رأيت ذا النرجس الغض ضعيفا ما إن لديه انتصار
لم أزل أعمل التلطف للور د حذارا أن يغلب النــوّارُ
فجمعتــــاهم لدى مجلس فيـــه تُغَنّى الأطيار والأوتار
لو ترى ذا وذا لقلت خدود تدمن اللحظ نحوها الأبصار

وله أيضاً رحمه الله :

بدر غدا يشرب شمسا غدت وحدّها فى الوصف من حدّه

---

(١) نفحت الريح : هبت ، والخود — بالفتح — المرأة الشابة ، والأتراب : جمع ترب — بالكسر — وهو اللدة والسنين

(٢) البهار — بزنة السحاب — نبت طيب الريح جداً له فقاحة صفراء

(٣) النضار — بزنة الغراب — الذهب

تعرب في فيــه ولــكنها من بعــد ذا تطلع في خدّه

وله أيضاً عفى عنه :

ولم أنس ما عاينته من جماله وقد زُرْتُ في بعض الليالي مُصَلاَّه

ويقرأ في المحراب والناس خلفه (ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله)

فقلت : تأمّل ما تقــول ؛ فإنه فعالك يا من تقتل الناسَ عيناه

(٥٠)

أحمد بن محمد بن سالم[١]، الحافظ ، أبو المواهب ، بن صَصْرى ، قاضي القضاة نجم الدين .

قاضي القضاة نجم الدين بن صصري

دخل دار الإنشاء ، ونظم ونثر ، وشارك في فنون ، وكان فصيح العبارة ، قادراً على الحفظ ، طويل الروح ، سالما ، محسنا إلى مَنْ أساء إليه .

بلغه أنّ الشيخ صَدْرَالدين ابن الوكيل نظم فيه بليقة[٢] يهجوه ، فتحيَّل إلى أن وقعت في يده بخطه ، وسير خلف الشيخ صدر الدين ، ووضع الورقة مفتوحة على مُصَلاَّه ، فلما دخل الشيخ صدرُ الدين رأى الورقة وعرفها ، وقاضي القضاة مشغول عنه ، فلما تحقق أن الشيخ صدر الدين قد رأى الورقة قال للطواشي : أحضر للشيخ ماعندك ، فأحضر له بُقْجَةَ[٣] قماش وصرّة فيهاستمائة درهم ، وقال: هذه جائزة تلك البليقة[٢] .

وكان يوما قد توجه إلى صلاة الصبح بالجامع ، فلما كان ببعض الطريق ضربه إنسان بمطرقة رماه الأرض ، وظنّ أنه قد مات ، فلما أفاق حضر إلى بيته وكان يقول : أعرفه ولا أذكره لأحد .

وكان ينطوي على دين وتَعَبُّد ، وله أموال وخَدَم ، وهو من بيت حشمة .

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥٩/٦

(٢) كذا ، ولم أعثر على ما أرادبالبليقة ، ولعل ظاهر السياق يدل على أنه أراد ورقة أو نحوها مما يكتب فيه أو ينقش عليه

(٣) البقجة : ظرف من القماش معروف ، معرب بوغجة

وقيل : إنه قال يوما للشيخ صَدْرِ الدين : فَرّقَ ما بيننا أننى أشتغل على الشمع الـكافورى ، وأنتم على قناديل المدارس .

ودرس بالعادلية الصغرى ، والأمينية ، ثم بالغزالية ، مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ ، ثم ولى قضاء القضاة سنة اثنتين وسبعمائة إلى أن مات رحمه الله تعالى ، وأذن لجماعة فى الفتوى ، وقيل : إنه لم يقـدر أحد يُدَلِّس عليه قضية ولا يشهد زورا ، وكان متحرِّياً فى أحكامه ، بصيراً بقضاياها ، وما سمع عنه أنه ارتشى فى حكومة .

وتوفى بعلة أصابته فجأة بلسانه فى نصف ربيع الأوّل سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، وكان موته مفتاحا لموت رؤساء دمشق وعلمائها .

ورثاه علماء عصره ، ورثاه المرحوم شهاب الدين محمود ، ولشعراء زمانه فيه مدائح كثيرة .

ووجدت منسوبا إليه من الشعر :

ومذ خفيت عنى بدور جمالهم ... غدا سَقَمِى فى حبهم وهو ظاهر
وقد بتُّ مالى فى الغرام مسامر ... سوى ذكرهم يا حَبَّذَاكَ المسامر
وإنى على قرب الديار وبعدها ... مقيم على عهـد الأحبة صابر
ودمعى سريع والتشوق كامل ... ووجدى مديد والتأسف وافر [(١)]
ومالىَ أنصار سوى فيض أدمعى ... إذا بان من أهواه وهو مهاجر
أأحبابَنَا غبتم فغابت مسرّتى ... وأصبح حزنى بعدكم وهو حاضر
وما القصد إلا أنْتُمُ ورضاكُمُ ... وَغَيْرُ هواكم لا تُسِرُّ السرائر
وما فى فؤادى موضع لسواكُمُ ... ولاَ غَيْرُكُمْ فى خاطر القلب خاطر [(٢)]
وما راقنى من بعدكم حسن ناظر ... ولا شاقَنِي زاهٍ من الروض زاهر

---

(١) سريع ، وكامل ، ومديد ، ووافر : من أسماء بحور الشعر

(٢) خاطر الثانى : اسم فاعل فعله « خطر بباله كذا » أي جرى

وما كَلَفى بالديار إلا لأجلكم ... وإلا فما تغنى الرسوم الدواثر

وما حاجر إلا إذا كنتم بها ... إذا غبتُمُ عنها فما هى حاجر

(٥١)

شهاب الدين أحمد بن محمد

أحمد بن محمد

الجعفرى

شهاب الدين أحمد بن محمد[1] بن سلمان بن حمائل الزينبى الجعفرى ، ابن بنت القدوة الشيخ غانم .

إمام ، كاتب ، مترسل ، نديم ، أخبارى ، باشر الإنشاء بصفد وقلعة الروم وفى كل مكان له وقائع مع نواب ذلك البلد وأمرائه ، ويخرج هاربا ، وله أيضا أبيات ، وكتب قدّام الصاحب شمس الدين غريال[2] ، فاتفق أنه هرب مملوك الأمير شهاب الدين قرطاى ، فذهب ، فظفر به الصاحب ، وأمره أن يكتب عنه كتاباً إلى مخدومه يقول فيه : إنما هرب خوفا منك ، فكتب الكتاب ، وجاء فى المعنى المقصود ، فقال : إذا خَشُنَ المقرّ حسن[3] المفرُّ ، فلما وقف الصاحب على ذلك أنكره ، وقال : ماهذه مليحة ، فطار عقل شهاب الدين ؛ لأنه ظنّ أن ذلك يصادف موقعا يهشُّ له ، فضرب الدواة فى الأرض ، وقال : ماأنا ملزم بالغُلْف القُلْف[4] وقد خرج متوجها إلى اليمن ، وكتب لصاحبها ، ثم خرج منها هاربا .

وقد كان خَشِنَ الملبس ، شظف العيش ، مطرح الكلفة ، يلبس البابوج والجمجم ، ويلف الطول المقفص الإسكندرانى ، والقماش القصير ، وكان حلو المعاشرة ، ألف به القاضى فخر الدين ناظر الجيش ، واستكتبه فى باب السلطان .

ولما مات فخر الدين رجع إلى الشام كاتب إنشاء ، واختلّ قبل موته بسنتين .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦/١١٤ وسماه أحمد بن محمد بن غانم ، وذكر بعده أخاه علاء الدين

(٢) فى ث « غبريال »

(٣) المقر : مكان القرار ، والمفر — بالفاء — الفرار والهرب

(٤) الغلف : جمع أغلف ، وهو الذي لم يختن ، وهومن عادة النصارى ، والقلف جمع أقلف ، ويقولون « فلان أقلف القلب » يريدون أنه لا يعى خيرا ، وقالوا « قلوب قلف غلف »

وكان مولده سنة خمسين وستمائة بمكة ، شرّفها الله تعالى ! .

ووفاته بعد أخيه علاء الدين سنة سبع[1] وثلاثين وسبعمائة ، ومات وله سبع وثمانون سنة .

وكان إذا أنشأ أطال فكره ، ونتف شعره وذقنه ، أو وضعه فى فمه وقرَضه بثناياه ، رحمه الله تعالى ! .

ومن شعره :

والله ما أدعو على هاجرى   إلا بأن يُمْحَنَ بالعشق[2]
حتى يرى مقدار ماقد جرى   منه وما قد تمّ فى حقى

وله أيضا رحمه الله تعالى :

يا حسنها من رياض   مثل النُّضار نَضاره[3]
كالزهر زَهْوا وعنها   حسن العبير عِباره

وله أيضا فى صائغ :

بأبى صائغ مليح التَّثَنِّى   بقوام يزرى غصون البان[4]
مَسَكَ الكلبتين ياصاح فاعجب   لغزال بكفه كلبتان

وله أيضا رحمه الله :

طرفك هذا به فُتُور   أضحى كقلبى به فتون
قد كنت لولاه فى أمان   لله ما تفعَلُ العيون

وله أيضا عفى عنه :

مااعتكاف الفقيه أخذاً بأجر   بل لحكم قضى به رمضان
هو شهر تُغَلُّ فيه الشياطين ، ولا شك أنه شيطان

---

(١) فى ب ، ث « سنة تسع وثلاثين » وأثبتنا ما فى الشذرات لأنه المتفق مع ما ذكره من عمره وسنة ميلاده هنا

(٢) يمحن : يبتلى

(٣) النضار — بالضم — الذهب ، والنضارة — بالفتح — الحسن

(٤) التثنى : الميل ، ويزرى : يقلل من قيمتها

وله أيضا عفى عنه :

أيها اللائمى لأكلى كروشاً   أتقنوها فى غايـــة الإتقان

لاتلمنى على الـكروش فحبى   وطنى من دلائل الإيمـان[1]

أخذ هذا المعنى من النصير الحمامى حيث قال :

رأيت شخصاً آكلا كرشةً   وهو أخو ذوقٍ وفيه فطن

وقال : ما زلت محبـــا لهـا   قلت: من الإيمان حب الوطن

وكان قد أضافه الملك الكامل ، ولما خرج نَسِىَ جُبَّته عنده ، فطلبها منه ، فَطَلَه بها ، فـكتب إليه ، أعنى شهاب الدين بن غانم :

يا ذا الذى أطعمنى   فى بيته سبع لُقَمْ

ورام أخـذ جُبَّتى   هذا على الرطل بكم

وكتب إلى قاضى القضاة جمال الدين بن واصل ، وقد أقعده عاقداً بحماة فى مكتب فيه السيف المغيزل :

مولاى قاضى القضاة يا من   له على العبـد ألف مِنَّهْ

إليك أشـكو قرين سوء   بليت منـــه بألف محنه

شهرته بيننا اعتـــداء   أغْمِدْهُ فالسيف سيف فتنه[2]

وكان ليلة فى سماع ، فرقَصُوا ثم جلسوا ، وقام من بينهم شخص ، وطال الحال فى استماعه ، وزاد الأمر وشهابُ الدين ساكت مُطْرِق ، فقال له شخص : ايش بك مطرق ؟ كأنه يُوحَى إليك ، فقال : نعم ، قد أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجنّ .

وكان يوما عنده صاحب حَماة الملك المنصور ، وقد حضر السِّماط ، وكان

---

(١) اشتهر قولهم « حب الوطن من الإيمان »

(٢) أغمده : أراد احبسه ، وأصله « أغمد فلان سيفه » إذا أدخله فى قرابه

أكثره مرقة ، فقال شهاب الدين ، لما قيل له الصلاة : بسم الله الرحمن الرحيم ، نويت رفع الْحَدَثِ واستباحةَ الصلاة ، الله أكبر .

وكان المظفر ولد المنصور يكره شهاب الدين ، فاغتنم الوقيعة فيه عند والده ، فقال : اسمع ما يقول ابن غانم ، يهجو طعامنا ، ويشبهه بالماء الذى يرفع به الحدث ، فعاتبوه على ذلك ، فقال : ما قصدت ذلك ، ولكن البسملة فى كل شىء مستحبة ، والحَدَثُ الذى نويت رفعه حدث الجوع ، واستباحة الصلاة الأكل ، قال : فما معنى الله أكبر ، قال : على كل ثقيل ، فاستحسن الملك ذلك ، وخلع عليه .

واجتمع ليلة عند كريم الدين الكبير فى مولد بعلاء الدين بن عبد الظاهر ، فجاء إليه شخص ، وقال : معاوية الخادم يقصد الاجتماع بك ، فقال : ويلك ! من يفارق عليا ويروح إلى معاوية ؟

وكان مع صاحب حماة قد خرج مرّة إلى صحراء المقبرة ، وكان إذ ذاك فى خدمة الملك الظاهر ، وقد ضربت الوطاقات ، وامتلأت الصحراء خياماً ، فاحتاج شهاب الدين بن غانم إلى الخلاء ، وما كان يرى الدخول إلى الخربشت ، فصعد إلى شجرة تين ليتخلى ، والملك المنصور يشاهده ولم يعلم ما يريد ، فأرسل إليه شخصا ليرى ما يصنع ، فلما صار تحت الشجرة قال له : يامن فى هذه الشجرة أطعمنى من هذه التينة ، فقال له : خذ ، وسَلَحَ فى وجهه ، قال : ماهذا ؟ قال : أطعمتك من التينة ، فلما سمع الملك المنصور القضية وقع مغشيا عليه من الضحك .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

قالوا : ذؤابته مقْصُوصة حسدا	فقلت : قاطعها للحسن صواغ[1]
صدغان كان فؤادى هائما بهما	فكيف أسلو وكل الشعر أصداغ

(١) الذؤابة — بضم الذال — الناصية أى مقدم الرأس ، وقيل : هى منبت الناصية من الرأس

(٥٢)

سيف الدين السامرى

أحمد بن محمد بن على بن جعفر ، الصدر الأديب ، الرئيس ، سيف الدين ، السامُرِّىُّ ، نسبة إلى سامُرَّا[١] ، نزيل دمشق .

شيخ متميز ، متمول ، ظريف ، حلو المجالسة ، مطبوع النادرة ، جيد الشعر ، طويل الباع فى الهجو ، من سَرَوَات الناس ببغداد ، قدم الشام بأمواله ، وحَظِى عند الملك الناصر صاحب الشام ، وامتدحه ، وعمل تلك الأرجوزة المشهورة بالسامرية التى أولها :

يا سائق العيس إلى الشَّـــآم   وقاطـعَ الوِهـادِ وَالآكام

حط فيها على الـكتاب ، وأغرى الناصر بمصادرتهم .

وكان مزَّاحا ، كثير الهزل ، لا يكاد يتحمل ، مع أن الصاحب بهاء الدين ابن حنا صادره وأخذ منه نحو ثلاثين ألف دينار عند ما قدم أخوه نور الدولة السامرى من اليمين ، ونُـكب فى دولة المنصور ، وطلبه الشجاعى إلى مصر ، وأخذت منه حوزها وغيرها ومائتا ألف درهم ، وكان يسكن داره المليحة التى وقف عليهـا خانقاه ووقف عليها باقى أملاكه .

وكانت وفاته سنة ست وتسعين وستمائة .

ومن شعره :

ما سُرَّ مَنْ رَّا ومن أهلها   عند اللطيف الخالق البارى ؟
وأى شىء أنا حـــتى إذا   أذْنَبْتُ لا يغفر أوزارى ؟
يا رب مالى غير سب الورى   أرجو به الفوز من النـــار !

---

(١) سامرا ــ ويقال سامراء ، ويقال : سر من را ، ويقال : سر من رأى ، ويقال سر من راء ــ مدينة على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخا . وقد ينسبون إليها « السرمرى »

وكان قد سافر مع وجيه الدين بن سويد إلى الموصل ، فحضر المكاسة فعفوا عن جمال الوجيه ، ومكسوا جمال السامري ، وأجحفوا به ، فقال :

صحبت وجيه الدين فى العمر مرة   ليحمل أثقالى ويخفر أحمالى
فوازننى عن كل حق وباطل   وعن فرسى والبغل والفرس الخالى

فبلغ ذلك صاحب الموصل ، فأطلق القفْلَ بأجمعه .

وقال :

قبح الله كل من بدمشق   من أصَيْحابنا سوى ابن سعيد
فهْوَ معْ شُحِّه وما يتعاطا   ه من اللؤم أصْلَحُ الموجودِ

وقال يهجو خاله وخال أبيه :

إذا ما قيل مَنْ بالكرخ نذل   لئيم الأصل مذموم الفعال
أجبتهمُ إجابة لَوْذَعِى   هما النذلان خال أبى وخالى

وكتب إلى نور الدين الإسْعَرْدِى مع غلام حسن الصورة يأخذ له ورقة برواحه إلى مصر من والى دمشق ، وكان النور كاتبا عنده :

أمولاى نور الدين عارض هذه   بغير كلام إن أردت يفام
فلا تخش أمراً إن خلوت ولُطْ به   حلالا فتأخير اللياط حرام
وقد رام إطلاقا إلى مصر فانْهَهُ   فلى فيه وجد زائد وغرام
ونجل الخطيب التاج نصر ينيكه   إذا حل مصراً ليس فيه كلام
أغار على تلك الروادف أنها   تدال لغيرى لائط وتسام
وليس عن المملوك إن غاب شخصه   عن العين فى أرض الشآم مقام
ومولاى من عهد التفقه شيخنا   به نهتدى فى الفسق وهو إمام
سقى الله أيام النظامية التى   فسقنا بها والمنكرون نيام
نغازل فيها كل أحوى مهفهف   تدار علينا من لماه مدام[1]

(١) الأحوى : وصف من الحوة — بضم الحاء وتشديد الواو مفتوحة — وهى حمرة الشفة ، واللمى — بفتح اللام مقصورا — الريق ، والمدام : الخمر

من الغيد يحكى الخيزرانة قامةً   على مثلها عذر المحب يقام
وإن علم المولى الوجيه محمد   وعاتبنى فيه فأنت تلام
وليس على المملوك بعد وصوله   إليك وإيصال الجواب ملام

فأجابه نور الدين الإسعردى بقوله :

عجبت لسيف الدين كيف يَجُودلى   بظبى له فيه هوًى وغرام
يمينا لقد بالغت فيه مروءة   كعادتك الحسنى ولست تلام
فلا تَخْشَ من نصر فليس بضائر   إذا ما تراضوا ما عليك أثام
وذكرتنى عهد النظامية الذى   أفاد المنى والمنكرون نيام
ولم أنس بالمستنصرية أنسنا   على الأنس فى دار السلام سلام
سقى نَهْرَ عيسى والمحول والحِمَى   الرصافىّ والكرخ المنيع غمام
وعيشك ماذكرى لعيش بها انتسى   ووجد ، ولا بى لوعة وغرام
ولكن لى قلبا لديه تحية   وذكر لمن فارقته وذِمام(١)

ومن شعر سيف الدين السامرى :

أترى وميض البارق الخفاق   يهدى إلى أهل الحمى أشواقى
ولعل أنفاس النسيم إذا سرى   يحكى تحية مغرم مشتاق
أحبابنا ما آن بعدَ فراقكم   أن تسمحوا لمحبكم بتلاق
بنتم فَضَنَّتْ بالرقاد نواظرى   أسفا وجادت بالدموع مآقى
أجريت من جفنى على أطلالكم   دمعا غدا وقفا على الإطلاق
أتراكُم ترعون صبا رُغْمُ   أحشاءه بقطيعة وفراق
بين الدموع وحرّ نار جوانحى   عذبت بالإغراق والإحراق
بالله يا ريح الشمال تحملى   وأقرى سلام الواله المشتاق

(١) الذمام — بكسر الذال — العهد

وإذا مررت على الديار فبلغى أهل الكثيب بكل ما أنا لاقى

فهناك لى رَشأ أغنّ مهفهف يُصْمِى القُلُوبَ بأسْهُم الأحْدَاقِ

مُتَمَنِّعٌ من قَدِّه بمثقَّفٍ وَمِنَ الجفونِ بأسْهُمٍ وَرِقاقِ

فإذا انثنى فضح النقا وإذا رنا سفكت لواحظه دم العشاق

ويزين غصن القد منه شعره وكذا الغصون تزان بالأوراق

ومن شعره فى ابن المقدسى لما حبس فى العرزاوية :

ورد البشير بما أقرّ الأعينا فشفى الصدور وبَلَّغَ الناس المنا

واستبشروا وتزايدت أفراحهم فالخلق مشتركون فى هذا الهنا

ثبتت مخازى ابن القتيلة عند من وجدت لديه فى الخيانة والخنا

بشهادة الستر الرفيع وقولها من غير واسطة لسلطان الدنا

وبنى البناء بلا أساس ثابت فانهار ما شاد الفكيح وما بَنَى

وتقدّم الأمر الشريف بأخذ ما نهب اللعين من البلاد وما اقتنى

يا سيد الأمرا ويا شمس الهدى ياماضى العزمات يا رحب الفِنَا[٢]

يا من له عزم وجأش ثابت يغنيه عن حمل الصوارم والقنا

عَجِّل بذبح العلج وادفنه وما من حق علج مثله أن يُدْفَنَا

واغلظ عَلَيْه ولا ترق ، وكل ما يلقى بما كسبت يداه وماجَنَى

فلكم يتيم مدقع ويتيمة من جوره ماتا على فرش الضَّنَى

ولكم غنىّ ظل فى أيامه مسترفدا للناس من بعد الغِنَى

إن أنكر العلج العظيم فعاله بالمسلمين فأوّل القتلى أنا

---

(١) انثنى : انعطف ، وأراد إذا ولاناظهره ، والنقا ـ بفتح النون مقصورا ـ الكثيب من الرمل ؛ ورنا : نظر

(٢) الفنا ـ بكسر الفاء ـ أصله الفناء ، فقصره لإقامة القافية والوزن ، والفناء : الساحة أمام البيت ، أو هو ما امتد من جوانب البيت ، و « فلان رحب الفناء » كناية عن كثرة الواردين عليه

ولما عَدَّلَ القاضى صدرُ الدين بن سناء الدولة جمال الدين بن اليزدى ، وخلع عليه خلعة بطَيْلَسَان ، وأحضرهُ مجلسه مع العدول ، وأشهد عليه ، قال السامرى:

طاب شُرْبُ المدام فى رمضان واصْطِفاقُ العيدان عند الأذانِ
والزنا واللواط فى حرم الله وتَرْكُ الصلاة بالقرآن
منذ صار اليزدى فى سِلكِ الشا م يطوف الحانات بالطيلسان(١)
وإذا صارت العدالة فى الفساق واللاتطين بالمردان
فجدير بأن أكون نبيا ويكون الصديق لى التلمسانى
يا عُدُولَ الشآم قد سمح القا ضى لأصحابه بنيل الأمان
قامروا واشربوا وقودوا ولوطوا وافسقوا والحدوا إذن بأمان
وارفعوا عنكم التستر بالفسق فلا حاجة إلى الكتمان

قال : فلما بلغت الأبياتُ القاضىَ صدرَ الدين عز عليه ، وأعرض عن اليزدى ، ومنعه من الشهادة ، فحضر اليزدى إلى سيف الدين السامرى ، ودخل عليه ، ولا زال به إلى أن عمل :

قل لقاضى القضاة أيده الله ولا زال للجماعه ظِلاًّ
قد تصدّقت بالعدالة حوشيت بقول الأغراض إن يقض عدلا
والئن أجمعوا على فسق ذاك الشيخ والبائس الذى قل عَقْلاَ
عدلوا عن طرائق العدل فيه ورَمَوْه بالزور والإفك ثقلا
نبزوه بقلة الدين والخير وترك الصلاة ظلما وجهلا
وإذا لاط أو زنى وهو شاب فعليه عارٌ إذا صار كهلا

---

(١) الحانات : جمع حان ، وهو بيت الخمار ، ووقع فى ث « الخانات » وهو جمع خان — بالخاء المعجمة — وهو بمعناه ، وأطلق على منزل المسافرين ، وعلى موضع البيع والشراء

وجهه فى مجالس الحكم تجدى   من رآه بشراً وكيسا وفضلا
إن تحلى بالطيلسان فبالحق   جدير بمثله يتحلَّى
كل من كان شاهداً بمحال   أو بزور لما تولى تولَّى
وكذا لم يزل لكل اجتماع   بين خلين بالتجمع أهلا

وكتب إلى طوغان وأيذمُرَ ، ولكل منهما أستادار يسمى العلم سنجر ونائب البر يسمى الشجاع همام :

اسم الولاية للأمير ، وماله   فيها سوى الأوزار والآثام[1]
وجناية القتلى وكل مصيبة   تجبَى منافعها إلى همام
سيفان قد وليا ، وكل منهما   ماضى العزائم دائم الإقدام
وبباب كل منهما علم ينكل   ما يجود به من الإنعام
ماالناس عندهما بناس ، لا، ولا   يريان هذا الناس كالأنعام
وقد استحلاَّ منهم مالم يزل   من مالهم ودمائهم بحرام
فمتى أرى الدنيا بغير تشاجر   والقطع والتنكيس للأعلام

(٥٣)

أمير المؤمنين المستعين بن المعتصم العباسى

أحمد بن محمد بن هارون أمير المؤمنين ، أبو العباس ، المستعين ، بن المعتصم ابن هارون الرشيد ، ابن المهدى ، بن المنصور .

كان يلثغ بالسين يجعلها ثاء ، وكان مُسْرِفا ، مُبَذِّراً للخزائن ، وخُلع بالمعتز ، ثم خلع نفسه ، ويقال : إنه قيل له : اختَرْ أى بلد تكون فيه ، فاختار واسط[2] ،

---

(١) الأوزار : جمع وزر — بالكسر — وهو الإثم والذنب
(٢) واسط : بلدة فى الوسط بين الكوفة والبصرة ، منها إلى كل واحدة منهما خمسون فرسخا ، وربما قيل لها « واسط الحجاج » لأنه الذى عمرها فيما بين سنة ٨٣ وسنة ٨٦

فلما أخذوه لما قال له بعض أصحابه : لأى شىء اخترتها وهى شديدة الحر ؟ فقال : ما هى أحر من فقد الخلافة .

أورد له المرزبانى فى معجم الشعراء لما خلع :

أستعين الله فى أمرى على كل العباد
وبه أدفع عنى كيد باغ ومعادى

وأورد له صاحب المرآة :

أحببت ظبيا ثمين كأنه غصن تين
بالله يا عالمين ما فى الثما مثلين
من لامنى فى هواه لوثته بالعجين

قلت يريد :

أحببت ظبيا سمين كأنه غصن تين
بالله يا عالمين ما فى السما مسلمين

قلت : ولا فى الأرض ؛ لأنهم اتخذوك خليفة .

وقيل : إنه كان يأمر المغنين أن يغنوه بهذا الشعر وأشباهه ، فيتضاحكون ويتغامزون عليه .

وصنع يوما هذين البيتين :

شربت كأسا أذهبت عن ناظرى الحمرا
فنشطتنى ولقد كنت حزينا حائرا

ثم قال: أجيزوها ، فقال أحدهم :

هذا خرا هذا خرا هذا خرا هذا خرا

وكان للطف أخلاقه يحتمل ذلك منهم .

وقال لهم يوما ، وأومأ بيده إلى الباب : أى شىء تصحيف باب ؟ فقالوا :

لا ندرى ، فقال : لم لاتقولون باب ؟ فيقولون : باسم الله عليك ، ويقول : أى شىء تصحيف مخدة ؟ ويضع يده عليها ، فيقولون : باسم الله عليك !

وكان السبب فى توليته الخلافة أن الأتراك لما قتلوا المستنصر خافوا من تولية الخلافة لأحد أولاد المتوكل فيأخذ بثأر أبيه وأخيه ، فولوا المستعين ، وكان خاملا يرتزق بالنَّسْخ ، فلما جاءه الأمر بغتة من غير تطلع إليه قال :

جاء لطف الله بالأمر الذى لا أرتجيه

فعلىَّ اليومَ أن أقضىَ حق الله فيه

وأعداؤه رَوَوْا أنه قال : حَقَّ الشُّرْب فيه ، رحمه الله تعالى ورضى عنه !

(٥٤)

أبو الطيب ابن الحلاوى ، الموصلى ، الشاعر

أحمد بن محمد بن أبى الوفا بن الخطاب[1] بن الهزبر ، الأديب الكبير ، شرف الدين ، أبو الطيب بن الحلاوى ، الشاعر ، الموصلى .

ولد سنة ثلاث وستمائة ، وقال الشعر الجيد الفائق ، ومدح الخلفاء والملوك ، وكان فى خدمة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، وكان من مِلَاح الموصل ، وفيه لطف وظَرْف وحُسْن عشرة ، وخفة روح ، وله القصائد الطنانة التى رواها الدمياطى عنه :

توفى سنة ست وخمسين وستمائة .

فمما رواه الشيخ شرف الدين الدمياطى له رحمه الله :

حكاه من الغصن الرطيب وَرِيقُهُ ... وما الخمر إلا وجنتاه وريقه[2]

هلال ولكن أفقُ قلبى محله ... غزال ولكن سفح عينى عقيقه

وأسمر يحكى الأسمر اللَّدْنَ قدّه ... غدا راشقا قلب المحب رشيقه[3]

على خدّه جمر من الحسن مُضرم ... يشب ولكن فى فؤادى حريقه

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٢٧٤

(٢) «وريقه» فى صدر البيت وصف من قولهم « غصن وريق » أي كثير الورق ، و«وريقه» فى آخر البيت مؤلف من واو العطف ، ومن ريق ، ومن ضمير المتغزل فيه

(٣) الرشيق : وصف من الرشاقة ، والأسمر اللدن : الرمح

أقرّ له من كل حسن جليله ووافقه من كل معنى دقيقه

بديع التثنى راح قلبى أسـيرَه على أن دمعى فى الغرام طليقه

على سالفيه للعـذار جريره وفى شفتيه للسـلاف عتيقه

يهدد منه الطرف مَنْ ليس خصمه ويسكر منه الريق مَنْ لا يذيقه

على مثله يَسْتحسن الصب هَتْكه وفى حبه يجفو الصديق صديقه

من الترك لا يصبيه وجد إلى الحمى ولا ذكر ما كان الغُوَير يسوقه

ولا حـلّ فى حى تلوح قبابه ولا سار فى ركب يساق وسوقه

ولا بات صبا بالفريق وأهله ولـكن إلى خاقان يعزى فريقه

له مَبسم ينسى المدام بريقِهِ ويخجل نوار الأقاحى بريقهُ[1]

تداويت من حرّ الغرام ببَرْده فأضرم من حر الحريق رحيقه

إذا خفق البرق اليمانى موهنًا تذكره قلبى فزاد خفوقه

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا مع البدر قال الناس : هذا شقيقه

رآنى خيالا حين وَافَى خياله فأطرق من فرط الحياء طروقه

وأشبهت منه الخصر سُقْما فقد غدا يحملنى كالخصر ما لا أطيقه

فما بال قلبى كل حب يهيجه وحتّام طرفى كل حسن يشوقه

فهذا ليوم البين لم تطف ناره وهـذا لبعد الدار ما جفّ مُوقه[2]

ولله قلبى ما أشـدّ عفافه وإن كان طرفى مستمراً فسوقه

أرى الناس أضحَوْا جاهلية حبه فما باله عن كل صب يعوقه

فما فاز إلا من يبيت صبوحه مدام ثناياه ومنهـا غَبُوقُه

وقال أيضاً رحمه الله :

أألقى من صُدُودِك فى جحيم وثَغرُكَ كالصِّرَاطِ المستقيم

---

(١) الأقاحى : جمع أقحوانة ، وهو نبت له زهر أبيض فى وسطه كتلة صفراء والبريق - بفتح الباء - الضياء واللمعان

(٢) الموق - بضم الميم - طرف العين مما يلى الأنف

وأسهرنى لديك رقيم خدّ فواعجباً أأسهر بالرقيم
وحقّام البكاء بكل رسم كأن على رسما للرسوم

واجتمعوا فى بعض الأيام عند شخص يُلَقَّب بالشمس، فقالوا: له أطْعِمْنا شيئاً، فامتنع، فقال بعضهم: الطامع فى مَنَال قرص الشمس، فقال ابن الحلاوى: كالطامع فى مِثَالِ قُرْص الشمس.

وأنشده بعض الأفاضل لغزا فى شبابة:

وناطقة خَرْسَاء بادٍ شحوبها تكنفها عشر وعنهن تخبر
يَلَذُّ إلى الأسماع رَجْعُ حديثها (إذا سد منها منخر جاش منخر)(١)

فأجابه فى الوقت:

نهانى النهى والشيب عن وَصْلِ مثلها (وكم مثلها فارقتها وهى تصفر)(٢)

وسئل أن ينظم أبياتاً تكتب على مشط للملك العزيز محمد صاحب حلب، فقال رحمه الله تعالى:

حللت من الملك العزيز براحة غدا لثمها عندى أجَلّ الفرائض
وأصبحت مفتر الثنايا لأننى حللت بكف بَحْرُها غير غائض
وقبلت سامى كفه بعد خده فلم أخل فى الحَالَيْنِ من لثم عارض

وقال، وهو مشهور عنه:

جاء غلامى وشكا أمر كميتى ومكا
وقال لى: لا شك برذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما مشى ولا تحركا
فقلت من غيظى له مجاوبا لما حَكَى

---

(١) عجزه عجز بيت لتأبط شرا، من كلمة له فى الحماسة صدره فى شعره:

* فذاك قريع الدهر ما عاش حول *

(٢) عجزه عجز بيت لتأبط شرا من كلمته التى منها البيت السابق، وصدره قوله:

* فأبت إلى فهم وما كدت آئبا *

تريد أن تخدعـــنى	وأنتَ أضـــلُ المشتكى
ابن الحـــلاوىِّ أنا	خـــل الرثاء والبكى
فلا تخادعــنى ودع	حـــديثك المعلكا
لو أنه مســير	لمـــا غدا مشبكا
فمذ رأى حـــلاوة الألفاظ	منى ضَحِكاَ

وكتب إلى القاضى محيي الدين بن الزكى يصف خطه :

كتبتَ ، فلولا أن هـذا مُحلل	وذاك حرَام ، قِستُ خطك بالسِّحر
فوالله ما أدرى أزهْرُ خَميلةٍ	بطِرْسِك أم دُرٌّ يلوح على نَحْرِ
فإن كان زهراً فهو صنع سحابة	وإن كان درا فهو من لجة البحر

وقال يمدح الملك الناصر داود صاحب الكرك :

أحْيَا بموعـــده قتيلَ وعوده	رشأ يشيب وصـــالَهُ بصدوده
قمـــر يفوق على الغزلة وجهه	وعلى الغزال بمقلتيه وجيده (١)
ياليته يَعِدُ الصـــدود ، فإنه	ما زال ذا لَهَج بخلف وعوده
يفترّ عن عذب الرضاب حياتُنا	فى ورده والمـوت دون وروده
بَرَد يذيب ولايذوب وإنمـــا	أدنى زفير الوجد عذب بَرُوده
لم أنسه إذ جاء يسحب بُرْدَهُ	والليل يخطر فى فصول بروده
والصبح مأسـور أحدَّ لأسره	جنحُ الظلام تأسفاً لفقيده (٢)
والليل يرفُلُ فى ثياب حِداده	والصبح يرسُفُ فى نصول حديده
وكذلك لم تَنَمِ الجفون مخافة	من أن يعانى الصبحُ فكَّ قيوده
بمدامة صفراء يحمل شمسهـــا	بدر يغير البدر عند سعوده

---

(١) الغزالة : أراد الشمس ، والجيد : العنق

(٢) أحد : لبس الحداد ، وفاعله « جنح الظلام » يريد أن الليل إنما اسود حدادا على أسر الصبح

كأس كأن مدامها من ريقه … وحبابها من ثغره وعقوده
ما زال يُرْشِفُنا شقيقةَ ريقه … طيبا و لثمنا شقيق خدوده
حتى تحكم فى النجوم نعاسها … والتذَّ كل مسهد بهجوده
ورأى الصباح تخلصاً من أسره … فأتى يكرّ على الدجى بعموده
قمر أطاع الحسن سُنَّةَ وجهه … حتى كأن الحسن بعض عبيده
أنا فى الغرام شهيدُه ، ماضره … لو أن جنة وصلِه لشهيده

وقال أيضاً رحمه الله :

تبدَّى له فى الخد من نبط خَطٌّ … وأخجل منه القدَّ ما ينبت الخط[1]
ولم ندر لما هزَّ عاملَ قده … وصارمَ جفنيه بأيهما يسطو
رحيقٌ ثغر ، بابلىٌّ لواحظ ، … له سالف كالورد بالمسك مختط[2]
من الترك لاوادى الأراك يحله … ولاداره رَمْلُ المصلَّى ولا السقط
كليث الشَّرى فى الحرب بأساً وسطوة … وفى السلم كالظبى الغرير إذا يَعْطُو
يحف به لين المعاطف مائساً … فيمنعه ثقل الروادف أن يخطو
حمى ثَغْره من مشرفى القد عامل … له ناظر ما العدلُ فى شرعه شرطُ
له حاجب كالنون خط ابن مقلة … يُزَيِّنها كالخال فى خده نقط
فللبدر ما يثنى عليه لثامه … وللغصن منه ماحَوَى ذلك المِرْط[1]
يقولون يحكى البدرُ فى الحسن وجهَهُ … و بدر الدجى عن ذلك الحسن منحط
كما شبهوا غصن النقا بقَوَامه … لقد بالغوا بالمدح للغصن واشْتَطوا

ولما توجَّه بدرُ الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى العجم للاجتماع بهولاكو كان ابن الحلاوىّ معه ، فمرض بقيز يزد ، وتوفى بها ، وقيل : بسلماس ، وهو فى حدود الستين من عمره .

---

(١) أراد بالخط فى النصف الأول العذار ، والخط فى آخر النصف الثانى مرفأ تجلب منه الرماح .

(٢) الرحيق : من أسماء الخمر ، أراد أن رضابه كالخمر ، وأن ألحاظه تسحر .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

لحاظ عينيك فاتنات جفونها الوُطْفُ فاترات(١)

وبين خمر ودرّ ثغر منك ثنايا مفرّقات

يا حَسَناً صــدّه قبيح فجمع شملى به شَتَاتُ

قد كنت لى واحداً ولـكن عَدَاك عن وصلىَ العداة

إن لم يكن منك لى وفاء دَنت بهجرانك الوفاة

حياتُ صُدْغيك قاتلات فما لملسوعها حياة

والثغر كالثغر فى امتناع يحميه من لحظك الرماة(٢)

يا بَدْرَ تم له عـذار بحسنه تمت الصفات

مُنَمنَمُ الوَشْى فى هواه يا طالما نمت الوشاة

نبات صُدْغ حلاك حسنا والحلو فى السكر النَّبات

وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ لاينادمه ، ولايحضره فى مجلسه ، وإنما كان ينشده أيام المواسم والأعياد المدائح التى يعملها فيه ، ففى بعض الأيام رآه فى الصحراء فى روضة مُعْشِبة وبين يديه بِرْذَوْنَ له مريض يرعى ، فجاء إليه ، وَوقف عنده ، وقال : ما لى أرى هـذا البرذون ضعيفاً ؟ فقام وقبل الأرض ، وقال : يا مولانا السلطان حالُه مثلُ حالى ، وما تخلفت عنه فى شىء ، يدى فى يده فى كل رزق رزقنا الله تعالى، فقال: هل عملت فى برذونك هذا شيئاً ؟ قال: نعم ، وأنشده بديها :

أصبح برذونى المـرقَّع يا لَلدَّهْرِ فى حسرة يكابدها

رأى حمـير الشعير عابرة عليه يوما فظل ينشدها

(قِفَا قليلاً بها علىَّ فلا أقلّ من نَظْرَةٍ أزَوّدُها)(٣)

---

(١) الوطف : جمع أوطف ، وهوالـكثير الشعر من الحواجب

(٢) الثغر الأول الفم ، والثغر الثانى موضع المخافة مما يلى العدو

(٣) هذا البيت من كلام أبي الطيب المتنبى من قصيدة أولها :

أهلا بدار سباك أغيدها أبعد مابان عنك خردها

فأعجب السلطان بديهته ، وأمر له بخمسين ديناراً وخمسين مكوكا[1] من الشعير ، وقال له : هذه الدنانير لك ، وهذا الشعير لبرذونك ، ثم أمره بملازمة مجلسه سائر الندماء ، وأقطعه إقطاعا ، ولم يزل يرقى عنده إلى أن صار لا يصبر عنه رحمهما الله تعالى !.

(٥٥)

ناصر الدين ابن المنير الإسكندراني

أحمد بن محمد بن منصور ، القاضى ، ناصر الدين بن المنير ، الإسكندرانى[2] .
ولد سنة عشرين وستمائة .

وكان عالما فاضلا مفننا ، له اليدُ الطُّولَى فى الأدب وفنونه ، وله مصنفات مفيدة ، وتفسيره نفيس ، وولى قضاء الإسكندرية وخطابتها مرّتين ، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول : ديار مصر تفتخر برجلين فى طرفيها : ابن المنير بالإسكندرية ، وابن دقيق العيد بقُوص ، وله ديوان خطب ، وتفسير حديث الإسراء فى مجلد على طريقة المتكلمين .

وتوفى مُستهل ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة بالثغر

وكتب إلى الفائزى يسأله رفع التصقيع عن الثغر :

إذا اعتلّ الزمان فمنك يَرْجُو بنو الأيام عاقبــةَ الشفاء
وإن يَنْزِلْ بساحتهم قضاء فأنت اللطف فى ذاك القضاء

وقل فيمن نازعه الحكم :

قل لمن يبتغى المناصب بالجهــل تنحَّ عنها لمن هو أعلم
إن تكن فى ربيع وُليتَ يوما فعليك القضاء أمسى محرم

---

(١) المكوك - بفتح الميم وتشديد الكاف مضمومة - اسم المكيال يختلف مقداره باختلاف الناس عليه فى البلاد

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥ /٣٨١

وكتب إلى قاضى القضاة شمس الدين بن خلكان :

ليس شمس الضحى كأوصاف شمس الدين قاضى القضاة حاشا وكلّا
تلك مهما عَلَتْ محت ظلا وهذا مهما علا زاد ظلا[1]

وقال فى ناصر الدين أبى الحسين الجزار :

قد اعتبرت البرايا فتوة وتساوى
فمنهمُ من يساوى شيئا ومن لا يساوى
همُ الدراهم فيها محاسن ومساوى
من لم يكن ناصريا فإنه عكاوى

وفيه يقول البرهان الغزولى :

أقول لخل قد غدا متكبرا علىّ : ترفَّقْ إننى منك أكبر
و إن كنت فى شك فعندى دليله بأنى غزولى وأنت منير

وفيه يقول أيضا ، وقد قطع جوارى المتصدّرين :

ألا يا ابن المنيرِ لا تدارى فذنبك ليس يُمحَى باعتذار
لبست ثياب لؤم عنك شقت ومن يكسى ثياب العارعارى
قوَى حُبُّ العبيد عليك حتى أراك سعيت فى قطع الجوارى[2]

(٥٦)

أحمد المتيم ، الإفريقى .

أحمد المتيم الإفريقى

من شعره :

تلوم على ترك الصلاة حليلتى فقلت : اغزبى عن ناظرى أنت طالق
فوالله لا صلّيْت لله مفلسا يُصلى له الشيخ الجليل وفائق

---

(١) صدر هذا البيت غير مستقيم ، ولو قيل * تلك مهما علت محت فى الحلا ظلا * لاستقام ، واللام الثانية من « ظلا » فى النصف الثانى

(٢) قوى هنا كرمى لغة فى قوى كرضى ، وفى « الجوارى » تورية ، ومعناه القريب جمع جارية وهى الأمة ، ومعناه البعيد المراد جمع جار وهو الراتب

ولا عَجَبٌ إن كان نوحاً مصليا لأنَّ له قسراً تدين الخلائق

لماذا أصلى ؟ أين مالى ومنزلى ؟ وأين خيولى والحُلى والمناطق ؟

أصلى ولافتر من الأرض تحتوى عليه يمينى ؛ إننى لمنافق

بلى إنْ علىّ الله وَسّعَ لم أزل أصلى له مالاح فى الجوّ بارق

وقال فى مليح تركى :

قلبى أسير فى يَدَىْ مقلةٍ تركية ضاق لها صدرى

كأنها من ضيقها عروة ليس لها زر سوى السّحْرِ

(٥٧)

أحمد بن الثقفى

أحمد بن الثقفى[١] .

كان جيد الذهن ذكيا ، ولكن أداه إلى الاستخفاف بالقرآن والشرع ، فضرب القاضى المالكى عنقه بين القصرين فى ربيع الأول من سنة إحدى وسبعمائة ، وطيف برأسه ، وقد تكهل .

ومن شعره :

الكُسُّ للعجز غدا معاندا من القدم

فانظره يبكى حسدا فى كل شهرَيْنِ بدم[٢]

(٥٨)

أبو عطاء أفلح ابن يسار

أفلح بن يسار[٣] .

هو أبو عطاء السِّندى ، مولى بنى أسد ، ومنشؤه بالكوفة ، وكان من مخضرمى الدولتين ، وكان أبوه سِنْدِيا عجميا لا يفصح ، وكان فى لسان أبى عطاء عجمة ولثغة ، وكان إذا تكلم لا يفهم كلامه ، ولذلك قال لسليم بن سليم الكلبى :

---

(١) له ذكر فى شذرات الذهب ٦/٢ وقال : قتل على الزندقة . ووصفه بالذكاء والإتقان (٢) لوكان « فى كل شهر من دم » لكان أدق

(٣) له ترجمة فى الشعر والشعراء (٤٨٢ أوربة) وسماه مرزوقا ، وله ترجمة فى الأغانى ٧٨/١٦ وسماه أفلح بن يسار كما ذكر المؤلف

أعوزتني الرواة يا ابن سليم   وأبى أن يقيم شعرى لسانى
وغلا بالذى أجَمْجِمُ صدرى   وجفانى لعُجْمتى سلطانى
وازدرتنى العيون إذ كان لونى   حالكاً مُجتوًى من الألوان[1]
فضربت الأمور ظهرا لبطن   كيف أحتال حيلة لبيان[2]
وتمنيت أننى كنت بالشعر   فصيحا وكان بعض بيانى
ثم أصبحت قد أنخت ركابى   عند رَحْب الفِناء والأعطان
أَعطِنِى ما تضيق عنه رُوَاتى   بفصيح من صالح الغلمان
يُفْهِم الناسَ ما أقول من الشعر   فإن البيان قد أعيانى
واعتمدنى بالشكر يا ابن سليم   فى بلادى وسائر البلدان
سترى فيهمُ قصائد غُرًّا   فيك سباقَةً بكل لسان

فأمر له بوَصِيفٍ ، فسماه عطاء ، وتَبَنّاه ، وروّاهُ شعره ، فكان إذا أراد إنشاد مديح لمن يمتدحه أو يجتديه أو إنشاء شعر أمره فأنشد .

قيل : إنه قال له يوما و إنَّا منذ داوتا وقلتَ لبيأ ما أنت تصنأ ، يعنى : وإنك منذ دعوتك وقلتَ لبيك ما كنت تصنع .

وشهد أبو عطاء حربَ بنى أمية و بنى العباس ، وأبلى مع بنى أمية ، وقتل غلامه عطاء مع ابن هُبَيرة ، وانهزم هو .

وحكى المدائنى أنّ أبا عطاء كان يقاتل المُسَوّدة وقدّامه رجل من بنى مرّة يكنى أبا يزيد قد عُقِر فرسه ، فقال لأبى عطاء : أعْطِنى فرسك أقاتل عنك ، وقد كانا أيقنا بالهلاك ، فأعطاه أبو عطاء فرسه ، فركبه المرئُ ومضى على وجهه ناجيا ، فقال أبو عطاء :

---

(١) تقول « أسود حالك » إذا كان شديد السواد ، والمجتوى : المكروه

(٢) ظهرا لبطن : أراد أنه قلبها على جميع وجوهها

لعمرك إننى وأبا يزيد   لَكَالسّاعِى إلى لمع السَّرَابِ
رأيت مَخِيلة فَطَمِعْتُ فيها   وفى الطمع المذلة للرّقاب
فما أعياك من طلب ورزق   وما أغناك عن سَرَقِ الدواب
وأشهد أن مُرَّة حَىُّ صِدْقٍ   ولكن لَسْتَ فيهم فى النصاب

وعن المدائنى أنّ يحيى بن زياد الحارثى[١] وحمادا الراوية كان بينهما و بين مسلم ابن هبيرة ما يكون بين الشعراء من النِّفَاسة ، وكان مسلم يحب أن يطرح حمادا فى لسان مَنْ يهجوه ، قال حماد : فقال لى يوما بحضرة يحيى بن زياد : أتقول لأبى عطاء السندى أن يقول زج وجرادة ومسجد بنى شيطان ؟ قلت : نعم ، فما تجعل لى على ذلك ؟ قال : بغلتى بسَرْجها ولجامها ، فأخذت عليه بالوفاء مَوْثقا ، وجاء أبو عطاء فجلس إلينا ، فقال: مرحبا بكم، هيا كم الله ! فرحبنا به ، وعرضنا عليه العشاء ، فأبى، وقال: هل عندكم نبيذ ؟ فأتيناه بنبيذ كان عندنا ، فشرب حتى احمرّت عيناه ، فقلت له : يا أبا عطاء ، كيف عِلْمُكَ باللغز ؟ فقال : جيد ، فقلت :

أبِنْ لى إن سألتُ أبا عطاء   يقيناً ، كيف علمك بالمعانى ؟

فقال :

خبيراً عالما فاسأل تجِدْنِى   بها طَبًّا وآياتِ المثانى[٢]

فقلت:

فما اسم حَدِيدة فى رأس رمح   دُوَيْنَ الكعب ليست بالسِّنَانِ[٣]

فقال :

هو الزُّجُّ الذى لو بات ضَيْفاً   لصدرك لم يزل لك عَوْلَتَانِ[٤]

---

(١) ذكر الجاحظ فى الحيوان هذه القصة وذكرها ابن قتيبة وأبو الفرج
(٢) تقول « فلان طب بكذا » بفتح الطاء — تريد أنه عارف خبير به ، وآيات المثانى : القرآن الكريم ، أقسم به
(٣) فى ب « فما اسم جريدة » تحريف
(٤) في ب «لم يزل لك لوعتان» والعولة : البكاء ، وكذلك هو فى الشعراء والأغانى.

فقلت:

فما صَفْرَاء تُدْعَى أمّ عَوْفٍ كأنّ رُجَيْلَتيها منجلان

فقال:

أردت زَرَادةً، وأقول: حقّاً بأنك ما أردت سوى لسانى

فقلت:

أتعرف مَسْجداً لبنى تَمِيم فُوَيْقَ الميل دون بنى أبان؟

فقال:

بنو شَيْطان دون بنى أبان كقرب أبيك من عبد المَدَانِ

قال حماد: فرأيت عينيه قد ازدادت حمرة، ورأيت الغضب فى وجهه، وتخوفته، فقلت: يا أبا عطاء، هذا مقام المستجير بك، ولك نصف ما أخذته، قال: فأصدقنى، فأخبرته، فقال: أوْلى لك، قد سَلِمت وقد سَلِم لك جُعْلك، خذه بورك لك فيه! ولا حاجة لى إليه، وانفلت يهجو مسلم بن هبيرة.

وفد أبو عطا السندى على نصر بن سيار، ثم أنشده:

قالت بريكة بنتى وهى عانية إن المُقَام على الإفلاس تعذيب

ما بال همّ دخيل بات محتضرا رأسَ الفؤاد فنوم العين توجيب[1]

إنى دعانى إليك الخير من بلدى والخير عند ذوى الإحسان مطلوب

فأمر له بأربعين ألف درهم.

وتوفى بعد الثمانين والمائة، رحمه الله تعالى!

(٥٩)

علاء الدين الجاولى

أطنبغا، علاء الدين الجاولى، مملوك ابن نا كل.

---

(١) « نوم العين توجيب » هكذا وقع في كل أصول هذا الكتاب، والمراد أنه قليل جدا، وأصل هذا من قولهم « وجب فلان عياله توجيبا » إذا أطعمهم كل يوم أكلة واحدة (وجبة ـ بفتح فسكون)

كان عند الأمير علم الدين سنجر الجاولى(١) دوادار ألطنبغا لما كان بغزة .
كان حسن الصورة ، تامّ القامة ، وكان الجاولى يحسن إليه ، ويبالغ فى الإنعام عليه ، وكان نادرا فى أبناء جنسه : فى الشكل المليح ، ولعب الرمح ، والفروسية ، والذكاء ، ولعب الشطرنج والنرد ، ونظم الشعر الجيد ، لا سيما فى المقطَّعات فإنه يجيدها ، وله القصائد المطولة ، ويعرف الفقه على مذهب الإمام الشافعى ، ويعرف أصولا ، ويبحث جيدا ، ولكنه سال ذهنه لما اجتمع بالشيخ تقى الدين بن تيمية ، ومال إلى رأيه ، ثم تراجع عن ذلك إلا بقايا ، وكان حسن العشرة ، لطيف الأخلاق .

ومن شعره :

سَبِّحْ فقد لاح برق الثغر بالبرد واستسق كأس الطلا من كف ذى مَيَدِ
مستعذَبَ اللفظ ، للأتراك نسبته له على كل صب صولة الأسد
يا عاذلى خَلِّنِى فالحسن قَلَّده عقدا من الدر لا حبلا من المسد
ويل لمن لامنى فيه ومقلته نفاثة النَّبْل لا نفاثة العقد

وله أيضا رحمه الله :

خَوْدٌ زها فوق المراشف خالها فلأن فتنت به فلستُ ألام
فكأنَّ مبسمها وأسْوَدَ خالها مسك على كأس الرحيق ختام

وله أيضا رحمه الله :

وبارد الثغر حلو بمرشف فيه حُوّه
وخصره فى انتحال يبدى من الضعف قوه

وله أيضا :

ردفه زاد فى الثَّقالة حتى أقعد الخصر والقوام السويّا

---

(١) لعلم الدين سنجر بن عبد الله الجاولى الشافعى ترجمه فى شذرات الذهب ١٤٢/٦ وقد توفى فى سنة ٧٤٥

نَهَضَ الخصر والقوام وقاما وضعيفان يغلبان قويا

وله أيضا :

تخاطبنى خَوْد فأبدِى تصامُماً فتكثر تكرار الخطاب وتجهر

فأصْغِى لها أذنا وأظهر عجمة لكيما أرى درا من الدر ينثر

وله أيضا :

وصالُكَ والثريا فى قِرانِ وهجرك والجفا فرسا رِهَانِ

فديتك ماحفظت لشؤم بختى من القرآن إلا (لن ترانى)[1]

وله أيضا :

سل وَمِيضَ البُرَيْقِ عن خفقانى وعليل النسيم عن جثمانى

ولهيب الهجير عن نار قلبى وجفاء الخيال عن أجفانى

وله أيضا :

إن عاد لمحُ البرق يخبر عنكم وأتى القَبُولُ مبشراً بقَبُولى[2]

فلأقدحنّ البرق من نار الحشا ولأخلعنّ على النجوم نحولى

وله أيضا :

انهَلّ مدمعها درًّا وفى فمها در وبينهما فرق وتمثال

لأن ذا جامدٌ فى الثغر منتظم وذاك منتثر فى الخدّ سيال

وله أيضا :

جاءنى الورد فى بديع زمان فقطفناه فى مُنىً وأمان

ونهبْنا فيه لذيذ وصال وهتكنا فيه عَرُوسَ الدنان

وغلطنا فيه ببعض ليال فخلطنا شعبان فى رمضان

---

(١) يشير إلى قوله تعالى فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك ، قال : لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى ـ الآية)

(٢) القبول الأول : الريح تقابل الصبا ، والقبول الثانى مصدر قبله.

وتوفى بدمشق ثامن ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، رحمه الله .

(٦٠)

أيدمر المحيوى

أيدَمُرُ المحيوى ، فخر الترك ، عتيق محيى الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى.

قال ابن سعيد المغربى فى كتاب « المشرق » فى ترجمة هذا : بأى لفظ أصفه ، ولو حشدت جيوش البلاغة لفضله لم أكن أنصفه ؟

نشأ فى الدوحة السعيدية فَنَمَّتْ أزاهره ، وطلع بالسماء النُّبَاتية فنَمَتْ زواهره ، جمعت لأفنانه أنواع الفنون والفهوم ، حتى خرج آية فى كل فن وبرع فى المنثور والمنظوم ، مع الطبع الفاضل الذى عضده ، وبلغه من رياسة هذا الشأن ما قَصَدَه ، لاسيما حين سمعت قوله الذى أتى فيه بالإغراب ، وترك مهياراً مُعَلَّقا منه بالأهداب :

بالله إن جزت الغُوير فلا تُغِر ... باللين منك معاطِفَ الأغصان[١]

واسْتُرْ شقائق وجنتيك هناك لا ... يَنْشَقُّ قلبُ شقائقِ النعمان

وله أيضا رحمه الله :

الروض مقتبل الشبيبة مونق ... خَضِلٌ يكاد غَضَارَةً يتدفق

نثر النَّدَى فيه لآلىء عقده ... فالزهر منه مُتَوَّج وممنطق

وارتاع من مر النسيم به ضحى ... فغدت كمائم نَوْره تتفتَّق

وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى ... منهـا ومنه سنا شموس تشرق

والغصن ميَّاس القَوَام كأنه ... نَشْوان يُصْبِح بالنسيم ويغبَق

والطير ينطق معربا عن شجوه ... فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق

غرِدًا يغنى للغصون فينثنى ... طربا جيوبُ الظل منه تشقق

والنهر لما راح وهو مسلسل ... لا يستطيع الرقص ظل يصفق

---

(١) فى ب ، ث « بالله إن جزت العوير فلا تعر » بالعين المهملة فى الكلمتين « العوير » و « تعر » وهو تحريف ماأثبتناه

وسُلافَة باكرتها في فتيـة مِنْ مثلها خُلق لهم وتَخلّقُ
شربت كثافتَها الدهورُ فما ترى في الـكأس إلا جذوة تتألق[١]
يسعى بها ساقٍ يَهِيج إلى الهوى ويرى سبيل العشق مَنْ لا يعشق[٢]
تتنادم الألحاظ منـه على سَنَا خدّ تكاد العين فيـه تنرق[٣]
رَاقَ العيون غضاضة ونضارة فهو الجديد ورَقَّ فهو معتّقُ
ورنا كما لمع الحسام المنتضَى ومشى كما اهتز القضيبُ المورِقُ
وأضَلَّنَا من فرقـه وجبينه ليل تألق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردّدُ لفظـــة ليقولهـا ، لكنها لاتنطق
فإذا العيون تجمعت في وجهه فاعلم بأن قلوبها تتفرق

وله أيضاً رحمه الله :

وافاك شهر الصوم يخـبر أنه جار بأيمن طائر ميمون
ما زال يُمْحَقُ بدرُهُ شوقا إلى لقيك حتى عاد كالعُرجون

وله أيضاً رحمه الله :

رعى الله ليلا ما تبَدّى عِشاؤه لأعيننا حتى تطلع صبحه
كأن تَغَشّيه لنا وانفراجه لقربهما إطباقُ جفن وفتحه

وقال أيضاً ، وقد ركب مولاه البحر فانكسر المركب :

غضب البحرُ من حجابٍ منيع حائل بينـــه وبين أخيه
دَفعَتْهُ حَمِيَة الشوق حتى خرق الحجب عَـلَّه يلتقيه[٤]

وقال موشحة :

بات وسُمّاره النجوم ساهر ، فمن ترى عَلّمك السهدَ ياجفون

---

(١) يريد أنها معتقة قديمة العهد
(٢) في ب « يهيجه الهوى »
(٣) في ث « تكاد العين منه تفرق »
(٤) في ب « ترقته حمية الشوق » تحريف

صبا إلى مذهب التصابى　صابى　لا يعـــدل
فجنبه خافق الجنـاب　نـابى　مبلبـــــــل
والطرف من دائم السكاب　كابى　مخبــــــل
لسانه للهوى كتوم　ساتر لما جرى　والشأن أن يكتم الشؤن

سباه مستملح المعـانى　عـانى　به البصر
يذكر عن شَذْوِهِ الأغانى　غـانى　إذا ذكر
يقـول ما ناظر رآنى　رانى　إلا القمر
يرنو إلى وجهه الحليم　حائر لما يرى　مرأى به تفتن العيون

من أين للبدر فى الـكمال　مالى　فيـوصف
والغصن هَلْ عطفه بحالى　حالى　مزخـرف
وعارض النقص للهلال　لالى　التـكلف
ولا فم الشمس منه ميم　ظـاهر لمن قَـرَا　ولا من الحاجبين نون

ما كنت لولا درى بشانى　شانى　أخشى افتضاح
أفدى الذى راح للمثانى　ثانى　عِطفِ المزاح
ذُبْتُ مِنَ الصَّدِّ إذ جفانى　فانى　فلا جناح
لما لوى الجيد قلت رِيمٌ　نافـــر ثم انبرى　يثنى كما تنثنى الغصون

أيا نَدَامَاى إن بالى　بالى　ففـــردوا
صوتا أنا عنه لا بَقَالى　قالى　فــرددوا
فى رُتَبِ المجد ذا المعالى　عالى　مُمَجَّــدد
دام له العــز والنعيم قاهرا مقتـــدرا　يُعِزُّ من شاء أو يهين

وقد عارض هذا الموشح السراج النجار (١) الحلبى بقوله :

مانا حت الورق فى الغصون إلا هاجت على تغريدهـا لوعةُ الحزين

هل ما مضى لى مع الحبايب آيـب بعد الصدود

أم هل لأيامنا الذَّواهب واهب بأن تعود

مَعْ كل مصقولة الترائب كاعب هيفاء رُودْ

تَفتَرّ عن جوهر ثمين جل أن يحلا بحمى نفضت من الجفون

وأهيف ناعم الشمايل مايل فى برده

فى أنفس العاشقين عامل عامل من قده

يرنو بطرْفٍ إلى المقاتل قاتل فى غِمْدِهِ

أسْطى من الأسد فى العرين فعلا وأقتلا لعاشقيه من المنون

قاسوه بالبدر وهو أحلى شكلا من القمر

فَرَاش هُدْب الجفون نبْلا أبـلى بهـا البشر

وقال لى وهو قد تجلّى جَـلَّ بارى الصور

ينتصف البدر من جبينى أصـلا فقلت لا قال: ولا السِّحر من عيونى

عُلِّقته كامل المعانى عانى قلبى به

مبلبل البال مذ جفانى فانى فى حبـه

كم بتُّ من حيث لا يرانى رانى لقـربه

وبات من صُدْغه يُريني نملا يسعى إلى رضابه العاطر المَصُونِ

بتنا وما نال منـا منا طيب الوسن

يفض من خمره دَنًّا دنا يَشْفِى الحزن (٢)

---

(١) فى ث «الحار»

(٢) فى ب ، ث «يفض من خمره لدنا» ودن : اسم مكان من أعمال بغداد ، وهو بلفظ الدن الذي يعمل فيه الخل والخمر.

وكلما مال أو تثنى غنى بصوت حسن

لا تستمع فى هوى المجون عذلا وانهض إلى راح تقى سورة الشجون

٦١

عز الدين أيدمر السناتى

عز الدين أَيْدَمُر ، السناتى .

كان جنديا ، وله معرفة بتعبير الرؤيا والأدب .

من شعره :

ورد الورد فأوردنا المداما وأرح بالراح أرواحا هَيَامَى[١]

وأُجْلُهَا بكرا على خُطَّابها بنت كرم قد أبت إلا الكراما[٢]

ذات ثغر جوهرىّ وصفه فى رحيق وصفه يشفى الأواما[٣]

رنّقت باللؤلؤ الرطب على وجنة كالنار لا تألو اضطراما

أقبلَتْ تسعى بها شمسُ الضحى تخجل البدر إذا يبدو تماما

بجفون بابلىّ سحرُهَا سُقْمُهَا أهدى إلى جسمى السّقَاما[٤]

ونضير الورد فى وجنتها نبتهُ أنبت فى قلبى الغرَاما

وَدَّت الأغصان لما خطرت لو حكت منها التثنى والقوَاما

قل لى خالٌ على وَجْنتها حين ناديت أما تخشى الضراما[٥]

مُنْذُ ألقيت بنفسى فى لظَى خدها ألفيت برداً وسلاما[٦]

---

(١) هيامى : جمع هيمى ، مثل عطشى وعطاشى

(٢) بنت الكرم : الخمر ، ويقال للخمر بكر

(٣) الأوام : العطش

(٤) بابلى : منسوب إلى بابل ، وهى بلد ينسب إليها السحر

(٥) الضرام : الحريق (٦) ألفيت ـ بالفاء ـ وجدت

حرف الباء

٦٢

بكر بن النطاح الحنفى

بكر بن النَّطَّاح[١] ، الحنفى ، قيل : هو عجلى .

كان شاعرا ، حسن الشعر ، كثير التصرف فيه ، وكان صُعْلوكا يقطع الطريق ثم اقتصر عن ذلك ، وكان كثيرا ما يصف نفسه بالشجاعة والإقدام ، وهو القائل :

هنيئاً لإخوانى ببَغْداد عيدُهُم   وعيدِى بحلوان قراعُ الكتائبِ

وأنشدها أبا دُلَف ، فقال له : إنك لتصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت عندك لذلك أثرا ، فقال : أيها الأمير ، وما ترى عند رجل حاسِرٍ أعْزَل ؟ فقال : أعطوه سيفا ورمحا ودرعا وفرسا ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقيه مالٌ لأبى دُلَفَ يُحْمَل إليه من بعض ضياعه ، فأخذه ، وجرح جماعة من غِلمانه ، فهربوا ، وسار بالمال ، فلم ينزل إلا على عشرين فرسخا ، فلما اتصل خبره بأبى دُلَفَ قال : نحن جَنَيْنَا على أنفسنا ، وكنا أغنياء عن إهاجته وكتب إليه بالأمان ، وسوَّغه المال[٢] ، وأمره بالقدوم عليه ، فرجع ، ولم يزل معه يمدحه حتى مات .

وكان قد لحق أبو دلف إنسانا قد أردف آخر خلفه ، فطعنهما فشكَّهما بالرمح ، فتحدث الناس فى ذلك ، فلما عاد دخل عليه بكر بن النطاح فأنشده :

قالوا ويَنْظِم فارسين بطعنة   يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبن لو كان مَدَّ قناته   ميلاً إذًا نظم الفوارس ميلا[٣]

فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم .

وله فيه :

له راحة لو أن مِعْشَارَ جودها   على البركان البرأندى من البحر

---

(١) لبكر بن النطاح أبى وائل ترجمة فى الأغانى (١٧/١٥٣ بولاق) وقد ذكر أنه عجلى من بنى سعد بن عجل ، واحتج على ذلك بقوله :

فإن يك جد القوم فهر بن مالك   فجدي عجل قرم بكر بن وائل

(٢) سوغه المال : جعله له سائغا   (٣) الأغانى « لو أن طول قناته »

أبا دُلَفٍ بورِكتَ فى كل بلدةٍ كما بورِكَتْ فى شهرِها ليلةُ القدرِ

وله فيه أيضا :

إذا كان الشتاء فأنت شمس وإن كان المَصيفُ فأنت ظل

وما تدرى إذا أعطيتَ مالا أيكثر فى سماحك أم يَقِلُّ(١)

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وقصد مالك بن طَوْق ، ومَدَحه ، فأثابه ، فلم يرضه ، فخرج من عنده وكتب له رقعة و بعث بها إليه ، وفيها :

فليت جَدَى مالِكٍ كله وما ترتجى منه من مطلب(٢)

أصيب بأضعاف أضعافه ولم أنتجعه ولم أرغب(٣)

أسأت اختيارى فقل الثواب لى َالذنبُ جهلا ولم يذنب

فلما قرأها وجه جماعة فى طلبه ، وقال : الويل لكم إن فاتكم ، فلحقوه ، وردُّوه فلما رآه قام إليه وتلقَّاه ، وقال : يا أخى عجلت علينا ، وما كنا نقتصر على ذلك وإنما بعثت إليك نفقة ، وعوَّلنا على ما يتلوها ، واعتذر إليه ، ثم أعطاه حتى أرضاه ، فقال بكر بن النطاح يمدحه :

فتى جاد بالأموال من كل جانب وأوهبها فى عَوْدِهِ وبداتِه(٤)

فلو خذلت أمواله جود كفه لقاسم من يرجوه شَطْرَ حياته

فإن لم يجد فى العمر قسمة باذل وجاز له الإعطاء من حسناته

لجاد بها من غير كفر بربه وشاركهُمْ فى صومه وصَلاَته

وله أيضا رحمه الله :

كريم إذا ما جئت طالب فضله حَبَاكَ بما تحوى عليـه أنامله

---

(١) فى ب ، ث « أيكثر فى سماعك » وصوبنا ماترى عن الأغانى

(٢) الجدى : العطاء (٣) انتجعه : قصده لطلب حاجته

(٤) بداته : أصلها بدأته — بفتح الباء وسكون الدال بعدها همزة — فألقى حركة الهمزة على الدال الساكنة ثم سهل الهمزة بقلبها ألفا

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بهـــا فليتق الله سائله

وله أيضا غفر له :

ملأت يدى من الدنيا مرارا فما طمع العواذل فى اقتصادى

وما وجبت علىّ زكاة مال وهل تجب الزكاة على جواد؟

٦٣

بكر بن على الصابونى

بكر بن على الصابونى .

قال ابن رشيق فى الأنموذج : كان شيخا مُعَمَّرًا مطبوعا صاحب نوادر وهجاء خبيث ، وأقدر الناس على بديهه ، وكان نقِىَّ الشيبة والثياب ، حسن الصمت والخطاب .

من شعره رحمه الله تعالى :

أمْرَضَ بالوعظ القلوبَ الصِّحاح ما قاله الهاتف عند الصباح

يوقظنى من نومتى فى الدجى شخص سمعتُ القول منه كفاح

يقول : كم ترقد يا غافلا والدهر إن لم يَغْدُ بالموت راح

تركَنُ للدنيا كأن لا براح منها ، وتغدو لاهيا فى مزاح

ما الدهر والأيام فى مَرِّهَا إلا كبرق خاطف ثم راح

٦٤

أبو بكر البالسى

أبو بكر[(١)] بن قوام بن على بن قوام بن منصور بن معلى ، البالسى .

أحد مشايخ الشام ، كان شيخا زاهدا عابدا قانتا لله ، عديم النظير ، كثير المحاسن ، وافر النصيب من العلم والعمل ، صاحب أحوال وكرامات .

ولد بصفين[(٢)] سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ونشأ ببالس[(٣)] ، وكان حسن الأخلاق،

---

(١) لأبى بكر بن قوام ترجمة فى شذرات الذهب ٢٩٥/٥

(٢) صفين ـ بزنة سكين ـ موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربى .

(٣) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة

لطيف الصفات ، وافر الأدب والعقل ، دائم البشر ، كثير التواضع ، شديد الحياء ، متمسكا بالآداب الشرعية ، تخرَّجَ به غيرُ واحدٍ من العلماء والمشايخ ، وتتلمذ له(١) خلق كثير ، وقُصِدَ بالزيارة .

قال : كنت فى بدايتى تطْرُقنى الأحوال كثيرا ، فأخبر شيخى بها ، فينهانى عن الكلام فيها ، ويقول : متى تكلمت فى هذا ضربتك بهذا السوط ، ويقول : لاتلتفت إلى شىء من هذه الأحوال ، إلى أن قال لى : سيحدث لك فى هذه الليلة أمر عجيب ، فلا تَجْزَع ، فذهبت إلى أمى وكانت ضريرة ، فسمعت صوتا من فوق ، فرفعت رأسى ، فإذا نور كأنه سلسلة متداخلٌ بعضُه فى بعض ، فالتف على ظهرى حتى أحْسَسْتُ ببَرْده فى ظهرى ، فرجعت إلى الشيخ ، فأخبرته ، فحمد الله تعالى ، وقبلنى بين عينىّ ، وقال : الآن تمت عليك النعمة يابنى ، أتعلم ما هذه السلسلة ؟ قلت : لا ، قال : هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأذن لى بالكلام حينئذ .

قال حفيده : حدثنى الشيخ الإمام شمس الدين الخابورى قال : سألت الشيخ عن قوله تعالى : (إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم) فقال : غير عيسى وعُزَيز : تفسيرها (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) فقلت له : ياسيدى ، لاتعرف تكتب ولاتقرأ ، من أين لك هذا ؟ قال : ياأحمد ، وعزّة المعبود لقد سمعتُ الجواب فيها كما سمعتُ سؤالك .

وبعث إليه الملك الكامل على يد فخر الدين خمسةَ عشرَ ألف درهم ، فما قبلها ، وقال : لا حاجة لنا بها ، أنفقها فى جُنْد المسلمين .

وجاءته امرأة وقالت له : عندى دابة قد ماتت ، ومالى من يخرجها عنى ، قال : امضى وحَصِّلى حبلا حتى أبعث من يجرها ، فمضت وفعلت ، فجاء بنفسه وجرّ الدابة ، فجاء الناس وجرُّوها عنه .

---

(١) تقول « تلمذ فلان لفلان » بزنة دحرج ، وتقول « تتلمذ له » كتدحرج

وكان لا يَدَعُ أحداً يقبل يديه ، ويقول : من أمكن من تقبيل يده نَقَصَ من حاله شيء .

وتوفى بقرية علم[١] سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ودفن بها ، فأوصى أن يدفن فى تابوت ، وقال لابنه : يا بنى لا بدّ أن أنقل إلى الأرض المقدسة ، فنقل بعد اثنتى عشرة سنة إلى دمشق سنة سبعين ، ودفن بزاويته أسفل عقبة دُمَّر ، رحمه الله تعالى !.

(٦٥)

مجد الدين بهرام شاه الملك الأمجد

بهرام شاه بن فرُّوخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب ، السلطان الملك الأمجد ، مجد الدين ، أبو المظفر ، صاحب بَعْلَبَكّ[٢] .

ولىَ بعلبك بعد أبيه ، وكان أديباً فاضلا شاعراً ، له ديوان شعر موجود بأيدى الناس ، أخِذَتْ منه بعلبك سنة سبع وعشرين وستمائة ، أخذها منه الأشرف موسى ، وسلَّمها إلى أخيه الصالح إسماعيل ، فقدم الأمجد إلى دمشق ، وأقام بها قليلا ، وقتله مملوك له مليح فى أوائل سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ودفن بتربة والده على الشرق[٣] الشمالى ، وكان سبب قتله أنه كان له غلام محبوس فى خزانة الدار ، فجلس ليلة يلهو بالنَّرد ، فولع الغلام برزَّة الباب ، فقلعها ، وهجم على الأمجد وهو غافل مشتغل باللعب ، فقتله ، وهرب ، ورمى بنفسه من السطح فمات ، وقيل : لحقة المماليك عند وقعته ، فقطعوه بالسيوف ، وقيل : رآه بعض أصحابه فى المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال :

---

(١) علم — بفتح العين واللام جميعا — جبل فرد شرقى الحاجر فيه نخل وفيه ماء ، و« علم بنى الصادر » يواجه القنوين تلقاء الحاجر ، و« علم السعد » أحد جبلين من دومة على يوم ، والذى فى الشذرات « وتوفى ببلاد حلب »

(٢) البهرام شاه بن فروخ شاه ترجمة فى شذرات الذهب ١٢٦/٥ وكانت وفاته فى سنة ٦٢٨ وانظر له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٣١/١٣

(٣) في الشذرات « الشرف الشمالى »

كنت من ذنبى على وَجَلِ   زال عنى ذلك الوجَل
أمنت نفسى بوائقها   عشت لما متُّ يا رجل

وله أيضاً رحمه الله :

قولوا لجيران العقيق والنقَّا   حتام يُهْدُون إلينا القلقا
يا ساكنى قلبى عسى مبشر   يخبرنى متى يكون الملتقى
ما لبقائى بعد بُعْدِى عنكم   معنى ،فإن لقيتكم طاب البقَا
أشقانى الدهر فإن أسعدنى   بجمع شملى بكم زال الشقا
أهوا كم وأتقى ، وقلَّ ما   يجمع ما بين الغرام والتُّقىَ
حبكم سفينة ركبتها   مأمونة فكيف أخشى الغرَقَا
حاشالمن أصبح يرجوالوصل أن   يمسى بنار هجركم محترقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يميناً لقد بالغتَ يا خلُّ فى العذل   وما هكذا فعل الأخلاء بالخل
إذا أنْتَ لم تسعد خليلك فى الهوى   فذَرْهُ لقد أمسى عن العذل فى شغل
ولا تحسبَنَّ اللوم يذهب وجده   فلومك بالمحبوب يُغْرِى ولا يسلى
ومَا كنت ممن يذهب الوجد حزْمَه   لعمرك لولا أسهُمُ الأعين النجل

ومن شعره أيضا عفى عنه :

دعوت بماء فى إناء ، فجاءنى   غلام بها صرفا فأوسعته زجراً
فقال : هو الماء القَرَاح ، وإنما   تجلَّى لها خدِّى فأوهمك الخمرا(١)

وكتب إليه الشيخُ تاج الدين الكندى :

لاتضجرنكم كُتْبى وإن كثرت   فإن شوقى أضعاف الذى فيها

(١) الماء القراح : الذى لم يخالطه شىء

والله لو ملكت كيفى مسالمة   من الليالى التى حَظِّى يُحاكيها[1]
لما تَصَرَّمَ لى فى غير داركم   عمر ، ولا مت إلا فى نواحيها

فأجابه الأمجد :

إنا لتتحفنا بالأنس كتبكُمُ   وإن بعدتم فإن الشوق يدنيها
وكيف نضجر منها وهى مُذْهِبة   من وحشة البين لوعاتٍ نعانيها
فإن وصفتم لنا فيها اشتياقكم   فعندنا منكم أضعاف مافيها
سَلُوا نسيم الصبا تهدى تحيتنا   إليكم فَهْىَ تدرى كيف تهديها

ومن شعره أيضاً :

طوبى لقيمنا أَخْنَىٰ على قمر   يجلو براحته عن وجهه الكَلَفَا[2]
أو درة كمنت فى خدرها فغدا   يفض باللطف عن أنوارها الصَّدَفَا

وأورد له القوصى[3] فى معجمه :

ما هواك وإن تقادم عهده   فشفيعُ وجهك ما يزال يُجِده
لا تحسبن على التقاطع والنوى   يَنْسَاك مشتاق تعاظم وجده
يهواك ماهب النسيم ، وحبذا   نفح النسيم الحاجرىِّ وبَرْدُه
ما كان يكلف بالرياح صبابة   لولا تجنيه ولولا بعده
تَسْرِى إليه بنفحة من عقده   إن المنى فيما تضمن عقده
ماذا الملام من الغرام ، وفى الحشا   منه لهيب هوًى تضرم وَقْدُه ؟
يروم عاذله المضلل رده   عن رأيه ؟ هيهات ! خُيِّبَ قصده
ماذا عليه إذا تضاعف ما به   حتى يعود وقد تناهى حده
إن الهوى طمع يولد داءه   أمل يُقَوِّيه الهوى ويمده

---

(١) يحاكيها : يشابهها ، وأراد أن حظه كالليل

(٢) فى ب ، ث « أجى على قمر »   (٣) فى ب « القاضى »

فلكم تملك رق حر عَنْوة   أمسى وأصبح وهو فيه عبده
وبأيمنِ الوادى غزالٌ أراكةٍ   أصبو إليه وإن تزايد صده
يختال والأغصان يعطفها الصبا   فيغار منه إذا تمايل قده
والأقحوان إذا تبسم ثغره   والورد مَطْلول الجوانب خده
قد كان سوَّفنى الوصال وليته   من بعد مَطْل أن ينجزَّ وعده

(٦٦)

أبو وهيب بهلول بن عمرو الكوفى

بهلول بن عمرو ، أبو وهيب ، الصيرفى ، المجنون ، من أهل الكوفة[١] .

حدّث عن أيمن بن نائل ، وعمرو بن دينار ، وعاصم بن أبى النجود ، وكان من عقلاء المجانين ، ووسوس ، وله كلام مليح ، ونوادر ، وأشعار ، واستقدمه الرشيد وغيره من الخلفاء ليسمع كلامه .

توفى فى حدود التسعين والمائة .

قال الأصمعى : رأيت بهلولا قائما ومعه خبيص[٢] ، فقلت له : إيش معك قال : خبيص ، فقلت : أطعمنى ، قال : هو ليس لى ، قلت : لمن هو ؟ قال : هو لحمدونة ابنة الرشيد بعثته لى آكله لها .

وقال محمد بن إسماعيل بن أبى فديك : قد رأيت بهلولا فى بعض المقابر ، وقد أدلى رجليه فى قبر ، وهو يلعب بالتراب ، فقلت : ما تصنع هنا ؟ قال : أجالس أقواماً لا يؤذوننى ، وإن غبت لا يغتابونى ، فقلت : قد غلا السعر مرة ، فهل تدعو الله تعالى فيكشف عن الناس ؟ فقال : والله ما أبالى ، ولو كان كل حبة بدينار ، لله علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا ، ثم صَفَّق بيديه ، وأنشأ يقول :

---

(١) ترجم له الشعرانى فى الطبقات الكبرى (١/٧٩ بولاق) وذكر أنه كان يفد على الرشيد العباسى فيعظه

(٢) الخبيص : الحلواء المخبوصة ، وخبص الحلواء يخبصها خبصا ـ من باب ضرب ـ خلطها وعملها ، والمخبصة ـ بزنة الملعقة ـ التى يقلب بها الخبيص .

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللـذات عيناه
شغلت نفسك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه[١]

وقال الحسن بن سهل : رأيت الصبيان يرمون بهلولا بالحصى ، فأدمته حصاة ، فقال :

حسبي الله توكلت عليه من نواصي الخلق طرًّا بيديه
ليس للهـارب في مهـربه أبداً من راحة إلا إليه
رُبَّ رام لي بأحجار الأذى لم أجد بُدًّا من العطف عليه

فقلت له : تعطف عليهم وهم يرمونك ؟ فقال : اسكت لعل الله يطلع على غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضنا لبعض .

وقال عبد الله بن عبد الكريم : كان لبهلول صديق قبل أن يجنّ ، فلما أصيب بعقله فارقه صديقه ، فبينما بهلول يمشي في بعض طرقات البصرة إذ رأى صديقه ، فلما رآه صديقه عدل عنه ، فقال بهلول :

ادنُ مني ولا تخافنَّ غدري ليس يخشى الخليل غدر الخليل
إنَّ أدنى الذي ينالك مني سترُ ما يتقي وبثُّ الجميل

قال الفضل بن سليمان : كان بهلول يأتي سليمان بن علي فيضحك منه ساعة ثم ينصرف ، فجاءه يوماً ، فضحك منه ساعة ، ثم قال : عندك شيء نأكله ؟ فقال لغلامه : هات لبهلول خبزاً وزيتوناً ، فأكل ثم قام لينصرف وقال لسليمان : يا صاحب إن جئنا إلى بيتكم يوم العيـد يكون عندكم لحم ؟ فخجل سليمان .

---

(١) « ماذا » مفعول لتقول : أي ماذا تقول لله حين تلقاه ؟ وهذا استعمال مولد وأسماء الاستفهام لا يتقدم عاملها عليها ؛ لأن لها صدر الـكلام

وجاء إلى بعض أشراف الكوفة ، وقال : أشتهى أن آكل عسلا بسرقين ، فدعا بهما ، فأكل من العسل ، وأمعن فيه ، فقال له الرجل : لم لا تأكل السرقين كما قلت ؟ قال : العسل وحده أطيب .

وعَبِثَ به الصبيان يوماً فنفر منهم والتجأ إلى دار بابُهَا مفتوح ، فدخلها ، وصاحب الدار قائم له ضفيرتان ، فصاح به : ما أدخلك دارى ؟ فقال : ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض .

وسأله يوماً علىُّ بن عبد الصمد البغدادى : هل قلت شيئاً فى رقة البشرة ، فقال : اكتب :

أضمر أن أضمر حبى له   فيشتكى إضمار إضمارى
رَقَّ فلو مرّت به ذرّة   لخضبته بدمٍ جارى

فقال : أريد أرقّ من هذا ، فقال :

أضْمَرَ أن يأخذ المِرَاة لكى   يبصر وجهاً له فأدناها(١)
فجاز وَهْمُ الضمير منه إلى   وجنته فى الهوى فأدماها

فقال : أريد أرق من هذا أيها الأستاذ ، فقال : نعم وما أظنه ، اكتب :

شبَّهته قمراً إذ مرَّ مبتسما   فكاد يجرحه التشبيه أو كَلَمَا
ومرَّ فى خاطرى تقبيلُ وجنته   فَسَيَّلَتْ فكرتى فى وجنتيه دما

فقال : أريد أرق من هذا ، فقال : يا ابن الفاعلة أرق من هذا كيف يكون ؟ رويدك لأنظر ، إن كان قد طبخ فى المنزل حريرة أرق من هذا ، رحمه الله تعالى !

---

(١) المراة : أصلها المرآة — بسكون الراء وهمزة مفتوحة بعدها ألف ، فألقى حركة الهمزة على الراء ثم سهل الهمزة بقلبها ألفا ، فلما التقى ألفان حذفت إحداهما

٦٧

البرنس الفرنسيس

البرنس الفرنسيس(١)، الإفرنجى .

لما أسِرَ نوبة دمياط تسلمه الطّوَاشى جمال الدين صبيح المعظمى ، ووضع رجليه فى قيد ، وسجنه فى الدار التى كان فيها فخرالدين بن لُقْمان كاتب الإنشاء ، فلذلك قال الصاحبُ جمالُ الدين بن مَطْروح : لمابلغ المسلمين عودةُ الفرنسيس فى المرة الثانية ، وكان فى المرة الأولى قد أسره الملك المعظم تُورَان شاه ، و بقى فى أيدى المسلمين مدة ، ثم أطلق بعد تسليم دمياط إلى المسلمين ، وتوجه إلى بلاده ، وفى قلبه النار مما جرى عليه من ذَهَاب أمواله وقتل رجاله وأسْرِه ، فبقيت نفسه تحدثه بالعودة إلى مصر لأخذ ثأره ، فاهتم لذلك اهتماما عظيما فى مدة سنين إلى سنة ستين وستمائة ، فقصد مصر ، فقيل له : إن قصدت مصر ربما يجرى لك مثل النوبة الأولى ، والصوابُ أن تقصد تونس ، وكان ملكها محمد بن يحيى الملقب بالمستنصر ، فإنك إن ظَفِرت به تمكنت من قصد مصر فى البر والبحر ، فقصدتونس ، وكاد يستولى عليها ، ومعه جماعة من الملوك ، فأوقع الله تعالى فى عسكره وباء عظيما ، فهلك فرنسيس فى سنة إحدى وستين وستمائة ، ورجع مَنْ بقى من عسكره إلى بلادهم ، ووصلت البشرى بذلك إلى الملك الظاهر ، وكان قد قال ابنُ مطروح حين بلغه عودته فى المرة الثانية :

قل للفرنسيس إذا جئته ... مَقَالَ حَقٍ من مَقُولٍ فصيح(٢)

آجرك الله على ما جرى ... من قتل عُبّاد يسوع المسيح

أتيت مصرا تبتغى ملكها ... تزعم أن الزَّمر بالطبل ريح(٣)

فساقك الحَيْنُ إلى أدهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح

---

(١) سماه المقريزى (١/٣٣٣و٣٦٣) «ريدافرنس» وقال « ويقال له الفرنسيس واسمه لويس بن لويس، وريدافرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أفرانس» أى ملك فرنسا

(٢) فى المقريزى « من قؤول فصيح » وهو المحفوظ

(٣) كذا ، وفى المقريزى « أن الزمر - ياطبل - ريح »

وكل أصحابك أوردتهم بسوء أفعالك بَطْنَ الضَّريح(١)
خمسون ألفا لا يُرَى منهم إلا قتيل أو أسير أو جريح(٢)
وفقـك الله لأمثالهـا لعلَّ عيسى منكم يستريح(٣)
إن كان باباكُمْ بذا راضيا فرب غش قد أتى من نَصِيح(٤)
وقل لهم إن أضمروا عودة لأخذ ثأر أو لقصْدٍ صحيح(٥)
دار ابن لقمان على حالها والقيدُ باقٍ والطواشى صبيح

واشتهرت هذه الأبيات، وسارت بها الرُّكْبَان، خصوصا البيت الأخير، فلهذا قال بعض المغاربة لما قدم الفرنسيس تونس شعرا:

يافرنسيس هذه أختُ مصر فتيقَّنْ لمـا إليه تصير(٦)
لك فيها دار ابن لقمان قبر وطوَاشيكَ مُنْـكَرونَكير

وقد قال آخر فى المعنى الأول أيضا:

قل للفرنسيس إن كلا له من المسلمين شاكر
لأنه محسن إلينـا بقَوْدِهِ نحونا العساكر
ساق إلى مصر ما اُقْتَنَاهُ أمة عيسى من الذخائر
وأورد الجمع بَحْرَ حَرْبٍ مصدره بالمنون آخر
أركبهم أدهما خِضَما ورابحَ السر فهو خاسر
ورام باباهُمُ أمورا فأخلفت ظَنَّه المقادر
وأذهل القومَ هولُ حربٍ تشخص من خوفِهِ النواظر
لم تَعْمَ أبصارهم ولكن قد عميت منهم البصائر
ولم يفد وفق فيلسوف طِلَّسْمُهُ كاهن وساحر

---

(١) فى المقريزى « وكل أصحابك أودعتهم ، بحسن تدبيرك »
(٢) فى المقريزى « سبعون ألفا »
(٣) فيه « ألهمك الله إلى مثلها » (٤) فيه « إن يكن الباب بذا »
(٥) فيه « إن أزمعوا » و « أولفعل صحيح » (٦) فيه « فتأهب لما إليه تصير »

فإن يعد طالبا لثار من أرض دمياط فليبادر
فذلك البحر تعرفوه والسيف ماض والجيش حاضر
أعاده الله عن قريب لمثلها ؛ إنه لقادر
بحيث لم يبق للنصارى من بعد كسر الصليب جابر
ويستريح المسيحُ منهم من كل عِلْجٍ وكل كافر

(٦٨)

بولص الراهب

الحبيش الراهب بولص[١] .

كان كاتبا أوّلا ، ثم ترهب وانقطع في جبل حلوان بالديار المصرية .

يقال : إنه ظَفِر بمال دفين فى مغارة ، فواسى به الفقراء من كل ملة ، وقام عن المصادَرين بجملة وافرة .

وكان أول ظهور أمره أنه وقعت نار بحارة الباطنية سنة ثلاث وستين فأحرقت ثلاثا وستين دارا جامعةً ، ثم كثر الحريق بعد ذلك حتى أحرقت رَبْعَ فرج ، وكان وقفا على أشراف المدينة ، والوجه المطل على النيل من ربع العادل ، واتهم بذلك النصارى ، فعزم الملك الظاهر على استئصال النصارى واليهود ، وأمر بوضع الحلفاء والأحطاب فى حظيرة كانت فى القلعة وأن تُضْرَم النار فيها وتُلقَى فيها اليهود والنصارى ، فجمعوا حتى لم يبق منهم إلا مَنْ هرب ، وكتفوا ليرموا فيها ، فشفع فيهم الأمراء ، فأمر أن يشتروا أنفسهم ، فقرر عليهم فى كل سنة خمسمائة ألف دينار ، وضمنهم الحبيش المذكور ، وحضر موضع الجباية منهم ، فكان كل مَنْ عجز عما قرر عليه وَزَنَ الحبيشُ عنه ، سواء كان يهوديا أو نصرانيا ، وكان يدخل الحبوس ومَنْ كان عليه دين وَزَنه عنه ، وسافر إلى الصعيد وإلى الإسكندرية ووَزَن عن النصارى ما قرر عليهم ، وكل الناس قد عرفوه ، فكان

---

(١) لبولص الراهب ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٣٢٢ ، وقال « المعروف بالحبيس » بالسين المهملة — وإنه عثر على كنز الحاكم ، وذكر وفاته فى سنة ٦٦٦

بعضُ الناس يتحيل عليه ، فإذا رآه قد دخل المدينة أخذ معه اثنين صورة أنهما من رُسُل القاضى أو المتولى ، وأخذا يضربانه ويجذبانه ، فيستغيث به : يا أبونا يا أبونا ، فيقول : ماباله ؟ فيقولان : عليه دين ، أو اشتكت عليه زوجته ، فيقول : على كم ؟ فيقول : على ألفين ، أو أقل ، أو أكثر ، فيكتب له على شقفة أو غيرها إلى بعض الصيارف بذلك المبلغ ، فيقبضه منه .

وقيل : إن مبلغ ما وصل إلى السلطان وما واسى به الناس فى مدة سنتين ستمائة ألف دينار مضبوطة بقلم الصيارف الذين كان يَضَع عندهم المال ، وذلك خارج عما كان يعطى من يده .

وكان لا يأكل من هذا المال ولا يشرب ، بل النصارى يتصدقون عليه بمؤنته ، فلما كان سنة ست وستين وستمائة أحضره الملك الظاهر بيبرس ، وطلب منه المال أن يحضره أو يعرفه من أين وَصَل إليه ، فجعل يغالطه ويدافعه ولا يفصح له عن شىء ، فعذَّبه حتى مات ولم يقر بشىء ، وأخرج من قلعة الجبل ورمى ظاهرها على باب القرافة ، وكانت قد وصلت إلى الظاهر فتَاوى فقهاء إسكندرية بقتله ، وعللوا ذلك بخوف الفتنة من ضعفاء النفوس من المسلمين ، انتهى .

(٦٩)

الملك الظاهر بيبرس

الملك الظاهر بيبرس بن عبد الله .

السلطان الأعظم ، ركن الدين ، أبو الفتح الصالحى[١] .

قال عز الدين محمد بن على بن إبراهيم بن شدَّاد : أخبرنى الأميرُ بدرُ الدين أن مولد الملك السلطان الظاهر بيبرس بأرض القَبْجَاق ، سنة خمس وعشرين وستمائة تقريبا ، وكانت العيارَة[٢] قد أغارت على القبجاق فأسروا جماعة ، وكنت أنا والظاهر فيمن أسر ، فبيع فيمن بيع ، وحُمل إلى سِيوَاسَ ، فاجتمعتُ به فى

---

(١) للملك الظاهر ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٣٥٠ وذكر أنه ولد فى حدود ٦٢٠ وانظر السلوك للمقريزى فى المواضع المذكورة فى فهرس الجزء الأول وعلى الأخص ٦٣٦ وانظر البداية لابن كثير ١٣/٢٧٤ (٢) العيارة : يراد بها قطاع الطريق

سيواس ، ثم افترقنا ، واجتمعت به بحلب بخان ابن قليج ، ثم افترقنا ، وحمل إلى القاهرة ، فشَرَاه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار[١] ، وبقى عنده ، فلما قبض عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب أخذ الملك الظاهر فى جملة ما استرجعه ، وقدّمه على طائفة من الجدارية ، فلما مات الصالح وملك بعده المعظم وقتل ووَلّوا عز الدين أيبك التركمانى ، وقتل الفارس أقطاى الجمدار ، وركب الظاهر والبحرية وقصدوا القلعة فلم ينالوا مقصُودَهم ، فخرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للتركمانى ، مهاجرين إلى الملك الناصر صاحب الشام ، وكان مع الظاهر بلبان الرشيدى[٢] وأنوس[٣] الدمشقى وسنقر الرومى ، وسنقر الأشقر ، و بيسرى الشمشى ، وقلاوون الألفى ، و بلبان المستعرب[٤] وغيرهم ، فأكرمهم الملك الناصر ، وأطلق للظاهر ثلاثين ألف درهم وثلاث أقطار جمال وثلاث أقطار بغال وخيلا وملبوسا ، وفرق فى البقية الأموال والخِلَع ، وكتب إليه المعز أيبك يحذره منهم ، فلم يُصْغِ إليه ، وعين للظاهر إقطاعا بحلب ، فسأله العوض عن ذلك بزرعين وجِينين ، فأجابه ، وتوجّه إليها ، ثم خاف الناصر فتوجه بمن معه من خوشتاشيته إلى الكرك ، فجهز صاحبها معه عسكرا إلى مصر فخرج إليهم عسكر من مصر ، فكسروهم ، ونجا الظاهر و بيليك الخازندار إلى الكرك وتواترت إليه كتب المصريين يُحرِّضونه على قصد مصر ، وجاء إليه جماعة من عسكر الناصر ، وخرج عسكر مصر مع الأمير سيف الدين قطز وفارس الدين أقطاى المستعرب ، فلما وصل المغيثُ صاحب الكرك والظاهر إلى غزة انعزل إليهما من عسكر مصر أيبك الرومى و بلبان الكافورى وسنقر شاه العزيزى و بدر الدين بن خار يغدى وأيبك الحموى وهارون القيمرى ، واجتمعوا وقويت شوكة الظاهر ،

---

(١) كان علاء الدين أيدكين البندقدار مملوكا للملك الصالح نجم الدين أيوب ، واعتقل مدة بحماة ، وفى أثناء هذا الاعتقال اشترى ركن الدين بيبرس ، ثم أخذه منه الملك الصالح ، فترقى عنده ، وتنقلت به الأحوال حتى ملك مصر والشام .

(٢) فى ب ، ث «يلبان الرشيدى» (٣) كذا ، وصوابه «أزدمر عز الدين»

(٤) كذا ، وصوابه « بلبان المسعودى »

وتوجهوا إلى عسكر الصالحية ، والتقوا بعسكر مصر سنة ست وخمسين ، واستظهروا عليهم ، ثم انكسر الظاهر والمغيث وهربا ، وأسر جماعة وقتلوا صبرا ممن ذكرته أولا .

ثم حصل بين الظاهر والمغيث وحشة ، ففارقه ، وعاد إلى الناصر على أن يقطعه إقطاعات مائة فارس ، من جملتها نابلس وجينين وزرعين(١) ، فأجابه إلى ذلك ، ومعه جماعة حلف لهم الناصر : منهم بيسرى الشمسى ، وأوتامش السعدى ، وطيبرس الوزيرى ، وأقوش الرومى الدوادار ، وكسفدى الشمسى ، ولاجين الدرفيل ، وأيدغمش الحلبى ، وأيبك الشيخى ، وخاص ترك الصغير ، وبلبان المهرانى ، وسنجر الإسفردى ، وسنجر الهمامى ، وجماعة ، فأكرمهم ووفى لهم ، فلما قبض على أستاذه حرض الملك الظاهر الملك الناصر على قصد مصر ، فلم يجبه ، فسأله أن يقدمه على أربعة آلاف فارس ، أو يقدم غيره ليتوجه إلى شط الفرات ليمنع التتار من العبور ، فلم يمكنه من ذلك ، ففارقه ، وتوجه إلى الشهرزورية ، وتزوج منهم ، ثم جهز إلى المظفر قطز من استحلفه له ، وعاد إلى القاهرة ، فدخلها سنة ثمان وخمسين ، فخرج المظفر إلى لقائه ، وأنزله فى دار الوزارة ، وأقطعه قصبة قليوب لخاصته ، فلما خرج المظفر للقاء التتار جهز الظاهر فى عسكر لكشف أخبارهم ، فأول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم القتال .

ولما انقضت الوقعة بعين جالوت ، تبعهم الظاهر يقص آثارهم إلى حمص ، وعاد ، فوافى المظفر بدمشق ، ولما عاد المظفر إلى مصر اتفق الظاهر مع الرشيدى ، وبهادر المعزى ، وبكتون الجوكندارى ، وبيدغان الركنى ، وبلبان الهارونى ، وأنس الأصفهانى ، على قتل المظفر ، فقتلوه على الصورة التى تذكر فى ترجمته إن شاء الله تعالى .

---

(١) وقع فى الأصول هنا وفيما قبله « جيش » وصوابه ما أثبتناه موافقا لما فى السلوك ، و « جينين » بكسر الجيم بعدها ياء ساكنة فنون مكسورة — بلد بين نابلس وبيسان من أرض الأردن بها عيون ومياه ، وزرعين : لها ذكر فى السلوك (٨١/١ و ٨٤ و ٤٦٤)

وساقوا إلى الدهليز ، فبايع الأمير فارس الدين أتابك للملك الظاهر ، وحلف له ، ثم الرشيدى ، ثم الأمراء ، وركب معه الأتابك ، و بيسرى ، وقلاوون ، وجماعة من خواصه .

ودخل قلعة الجبل سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين ، وجلس فى أيوان القلعة[١]، وكتب إلى الأشرف صاحب حمص ، و إلى منصور صاحب حماة ، و إلى مظفر الدين صاحب صهيون ، و إلى الإسماعيلية ، و إلى علاء الدين بن صاحب الموصل نائب حلب ، و إلى مَنْ بالشام ، يُعَرفهم ما جرى ، وأفرج عَمّن[٢] فى المحبوس من أصحاب الجرائم .

وأقر الصاحب زين الدين بن الزبير على الوزارة ، وكان قد تلقب بالملك القاهر ، فقال له الصاحب زين الدين : ما لُقِّبَ أحد بالملك القاهر وأفلح ، لقب به القاهر بن المعتضد ، فلم تطل أيامه فخلع ، وسَمَلُوا عينيه[٣] ، ولقب به الملك القاهر ابن صاحب الموصل ، فسقم ، ولم تطل أيامه ، فأبطله ، ولقب بالظاهر ، وزاد إقطاعاتِ مَنْ رأى استحقاقه من الأمراء ، وخلع عليهم ، وسَيَّر أقوش الخجندى لتوقيع الأمير علم الدين الحلبى ، فوجده قد تسلطن بدمشق ، فشرع الظاهر فى استفساد من عنده ، فخرجوا عليه ، ونزعوه من السَّلْطَنة ، وتوجه إلى بعلبك ، فأحضروه منها ، وتوجهوا به إلى مصر .

وصفا الملك بالشام للملك الظاهر ، وضبط الأمور ، وساس الملك أتم سياسة ، وفتح الفتوحات ، و باشر الحروب بنفسه .

وكان جباراً فى الأسفار وفى الحِصارات والحروب ، وخافه الأعادى من

---

(١) فى ب « وجلس فى أبواب القلعة » تحريف

(٢) فى ب « وأفرج على من فى المحبوس »

(٣) سمل عينيه : كحلها بحديدة محماة فسالت

التتار والفرنج ، وغيرهم ؛ لأنه روّعهم بالغارات والكبسات ، وخاض الفرات بنفسه ، فألقت إليه العساكر بأنفسها خلفه ، ووقع على التتار ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسر مائتى نفس ، وفى ذلك قال محيى الدين بن عبدالظاهر :

تجمَّعَ جيش الشرك من كل فرقة ... وظنوا بأنا لا نُطِيقُ لهم غلبا
وجاءوا إلى شط الفرات وما دَرَوْا ... بأن جياد الخيل تقطعها وَثْبا
وجاءت جنود الله فى العدد التى ... تميس لها الأبطال يوم الوغى عجبا(١)
فعمنا بسدٍّ من حديد سباحة ... إليهم ، فما اسطاع العدوّ له نَقْبا

وقال بدر الدين يوسف بن المهمندار :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا ... والخيلُ تطفح فى العَجَاج الأكدر(٢)
وقد اطلخَمَّ الأمر واحتدم الوغى ... ووَهَى الجبان وساء ظن المجترى(٣)
لرأيت سدا من حديد ما يرى ... فوق الفرات وفوقه نار ترى
طفرت وقد مَنَع الفوارس مَدَّهَا ... تجرى ولولا خيلنا لم تطفر(٤)
ورأيت سيل الخيل قد بَلَغَ الزُّبى ... ومن الفوارس أبحرا فى أبحر
لما سبغنا أسهما طاشت لنا ... منهم إلينا بالخيول الضُّمَّرِ
لم يفتحوا للرمى منهم أعينا ... حتى كحلن بكل لَدْنٍ أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم ... دون الهزيمة رمْحُ كل غضنفر
ما كان أجْرَى خَيْلَنَا فى إثرهم ... لو أنها برؤسهم لم تعثر
كم قد قلعنا صخرة من صخرة ... ولقد ملأنا محجراً من محجر
وجرت دماؤهُمُ على وجه الثرى ... حتى جرت منها مجارى الأنهر

---

(١) تميس : تتبختر ، يريد أن أبطال الحروب يتمايلون عجبا فى يوم الوغى بمالهم من العدد والعديد (٢) العجاج ـ بزنة السحاب ـ الغبار

(٣) اطلخم : اشتد وصعب المخرج منه ، وهو من الألفاظ التى نصوا على نبوها عن الفصاحة (٤) طفرت ـ بالطاء المهملة ـ وثبت ، وفي ب «وقد مد الفوارس» محرفا

2 vol.
Cairo 1951
p. 62ff.

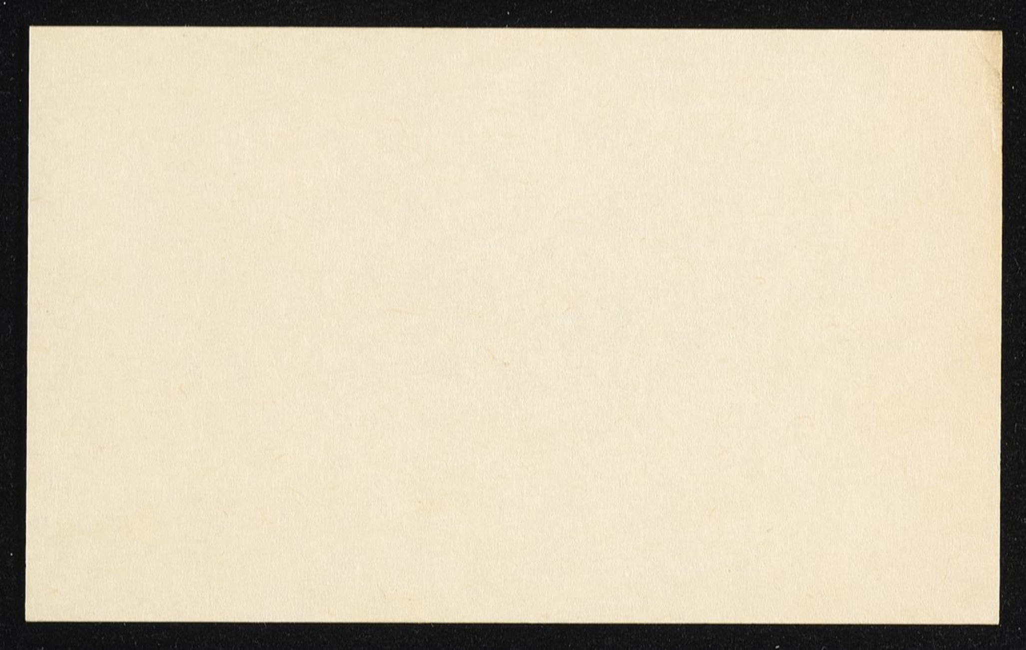
Ibn Shākir al-Kutubī

Fawāt al-wafayāt

Būlāķ 1299, i 35

(biogr. extract from the Tadhkirāt al-Ḥuffāẓ of Ibn ʿAbd al-Hādī), i, 42

2 vol.



والظاهر السلطان فى آثارهم يذرى الرؤس بكل عَضب أبتر[١]

ذهب الغبار مَعَ النجيع بصقله فكأنه فى غمده لم يشهر

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب :

ولما تراءينا الفرات بخيلنا سَكَرناه منها بالقوى والقوائم[٢]

فأوقفت التيار عن جريانه إلى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وقال الحكيم موفق الدين عبد الله بن عمر المعروف بالوزان :

الملك الظاهر سلطاننا نَفْدِيه بالمال وبالأهل

اقتحم الماء ليُطْفِئ به حرارة القلب من الغل

وقال الشيخ شهاب الدين محمود من قصيدة :

لما ترافصت الرؤوسُ وحركت من مطربات قسيك الأوتار

خُضْتَ الفرات بسابح أقصى مُنَى هُوجِ الصبا من نعله الآثار

حملتك أمواجُ الفرات ومَنْ رأى بحراً سواك تُقِله الأنهار

وتقطعت فرقاً ولم يك طودها إذ ذاك إلا جيشك الجرار

رَشَّتْ دماؤهم الصعيد فلم يطر منهم على الجيش السعيد غُبارُ

شكرت مساعيك المعاقلُ والورى والترب والآساد والأطيار

هذِى منعت ، وهؤلاء حميتهم وسقيت تلك ، وعَمَّ ذى الإيثار

وعمر الجسورَ الباقية إلى اليوم بالساحل والأغوار ، وأمن الناس فى أيامه .
فلما عاد من وقعة إبلستين[٣] أقام بالقصر الأبلق بدمشق ، فأحس فى نفسه توعكا ،

---

(١) يذرى الرؤوس : يرخص قيمتها فيطيح بها ، والعضب ـ بالفتح ـ السيف القاطع

(٢) سكر النهر يسكره سكرا ـ مثل نصر ينصر نصرا ـ أى سدفاه ، وكل شق سد فقد سكر ، والسكر بالكسر ـ ماتسد به (٣) فى ب ، ث «البلستين»

فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر السلحدار ، وكان قد شرب قمزا[١] ، فأشار عليه بالقيء ، فاستدعاه ، فاستعصى عليه ، فلما كان ثانى يوم — وهو يوم الجمعة ثانى عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة — ركب من القصر إلى الميدان على عادته ، والألم يقوى عليه ، فلما أصبح اشتكى حرارة فى باطنه ، فصنعوا له دواء ، فشربه ، فلم ينجح ، فلما حضر الأطباء أنكروا استعماله الدواء ، وأجمعوا على أن يسقوه مسهلا ، فسقوه ، فلم ينجح ، فحركوه بدواء آخر ، فأفرط الإسهال به ، ودفع دماً محتقناً ، فتضاعفت حُمّاه ، وضعفت قواه ، فتخيل خواصه أن كبده تتقطع ، وأن ذلك عن سم شربه ، فعولج بالجوهر ، وذلك يوم عاشره ، ثم أجهده المرض إلى أن توفى يوم الخميس ثامن عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، فأخفوا موته ، وحمل إلى القلعة ليلا ، وغسلوه ، وحنطوه ، وكفنوه ، وصبروه .

ودفنه مهتاره[٢] الشجاع عنتر ، والفقيه كمال الدين المعروف بابن المنبجى وعز الدين الأفرم ، وجعلوه فى تابوت ، وعلقوه فى بيت من بيوت البحرية بقلعة دمشق ، وكتب الأمير بدر الدين بيليك[٣] الخزندار مطالعة بيده إلى ولده الملك السعيد .

وركب الأمراء يوم السبت ، ولم يظهروا الحزن ، وكان الظاهر قد أوصى أن يدفن على السابلة قريباً من داريا[٤] ، وأن يبنى عليه هناك ، فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل السور ، فابتاع دار العقيقى بثمانية وأربعين ألف درهم ، وأمر أن يبنى مدرسة للشافعية والحنفية ، ودار حديث ، وقبة للدفن ، ولما نجزت حضر الأمير علم الدين سنجر الحموى ، المعروف بأبى حوض ، والطواشى صفى الدين جوهر الهندى المصرى إلى دمشق لدفن الملك الظاهر ، وكان النائب

---

(١) القمز : نبيذ يصنع من لبن الخيل . وكان الظاهر مولعا به

(٢) المهتار : من يكون تحت يده مايلبسه السلطان من الأقبية والكلوتة وسائر الثياب ، والسيف والخف وغير ذلك ، وتحت يده عدة غلمان (٣) فى أبى الفدا « تتليك »

(٤) داريا — بفتح الدال والراء وتشديد الياء — قرية كبيرة من قرى غوطة دمشق

عز الدين أيدمر ، فعرفاه ما رَسَمَ به الملك السعيد ، فحمل تابوته ليلا ، ودفن خامس شهر رجب الفرد من السنة ، فقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

صاح هذا ضريحُهُ بين جفني قد دروه من كل فج عميق

كيف لا وَهوَ من عقيق جفوني دفنوه منها بدار العقيق

وفى سنة سبع وسبعين أعملت أعزِيَته بالديار المصرية ، ونصبت الخيام العظيمة ، وصنعت الأطعمة الفاخرة ، فاجتمع الخاص والعام ، وحضر القراء والوعاظ ، وخلع عليهم ، وأجيزُوا بالجوائز السنية .

ذكر أولاده رحمه الله تعالى : الملك السعيد ناصر الدين بركة ، وأمه بنت حسام الدين بن كرخان الخوارزمى ، والملك نجم الدين خضر ، وأمه أم ولد ، والملك بدر الدين سلامش ، وله من البنات سبع من بنت سيف الدين دماجى التترى .

ذكر فتوحاته : قيسارية ، أرسوف[١] ، صفد[٢] ، طبرية ، يافا ، الشقيف ، أنطاكية ، بغراس ، القصير[٣] ، حصن الأكراد ، حصن عكار ، القرين[٤] ، صافيتا[٥] ، مرقية ، حلب .

وناصَفَ الفرنج على : المرقب ، وبانياس[٦] ، وبلاد أنطرسوس[٧] ، وعلى سائر ما بقى فى أيديهم من البلاد والحصون .

ووَلَّى فى نصيبه الولاة والعمال .

---

(١) أرسوف — بفتح الهمزة وسكون الراء وضم السين المهملتين — مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا ، وإليها ينسب أبو يحيى زكريا بن نافع الأرسوفى ووقع فى الأصول « أرشوف » بالشين المعجمة — تحريف ، وانظر ابن إياس ١/١١١

(٢) صفد : هو الصواب ، ووقع فى ب ، ث « صفط »

(٣) فى ب ، ث « القصر » تحريف ، والقصير هنا : بلد قرب أنطاكية

(٤) القرين : فى أرض معليا قرب صفد

(٥) فى ب ، ث « صافيتاه » وصافيتا — بكسر الفاء — بلد قرب عرقة شرقى طرابلس الشام

(٦) فى ب ، ث « بلميناس » تحريف

(٧) فى ابن إياس « طرسوس » وفى ب « الطرسوس »

واستعاد من صاحب سيس : در بساك[١] ، وديركوش[٢] ، وتلميش[٣] ، وكفردنين ، ورعبان[٤] ، والمرزبان .

وملك من المسلمين: دمشق ، و بعلبك ، وعجلون ، و بصرى ، وصرخد ، والصلت، وحمص، وتدمر، والرحبة، وزلبيا[٥] ، وتل باشر ، وصهيون، و بلاطنس[٦] ، ونرزية ، وحصون الإسماعيلية[٧] ، والشو بك ، والكرك ، وشيزر ، و البيرة .

وفتح الله تعالى عليه بلاد النو بة ودُنقُلة وغيرها .

ذكر عمائره : عمر قلعة الجبل ، دار الذهب ، و برحبة الحبارج قبة عظيمة محمولة على اثنى عشر عمودا من الرخام الملون ، وطبقتين مطلتين على رحبة الجامع ، وعمر برج الزاوية المجاور لباب السر ، وأخرج منه رواشن ، و بنى عليه قبة ، وأنشأ جواره طباقا للمماليك ، وأنشأ برحبة القلعة داراً كبيرة لولده الملك السعيد ، وأنشأ دورا كثيرة للأمراء ظاهر القاهرة مما يلى القلعة ، و إصطبلات ، وأنشأ حماما بسوق الخيل لولده ، والحبس الأعظم ، والقنطرة التى على الخليج والميدان .

وجدد الجامع الأقمر ، والجامع الأزهر ، و بنى جامع العافية بالحسينية ، أنفق عليه ألف ألف درهم ، وزاوية للشيخ خضر ، وحماما ، وفرناً ، وطاحوناً ، وقبة على المقياس مزخرفة ، وعدة جوامع فى الأعمال المصرية ، وجدد قلعة الجزيرة ، وقلعة العمودين ، وقلعة السويس ، وعَمَّرَ جسرا بالقليو بية ، وجدد الجسر الأعظم على بركة الفيل ، وأنشأ القنطرة المعروفة بقنطرة السباع التى أخربها الملك الناصر بن

---

(١) فى ب ، ث « درياك » تحريف (٢) فى ب ، ث « دركيس » تحريف

(٣) فى ب ، ث « بليس » تحريف (٤) فى ب ، ث « رجبان » تحريف

(٥) لا يوجد هذا الاسم فى المقريزى (٦٣٨/١) الذى ذكر هذه العبارات كلها بحروفها على وجه الصحة كما ذكرناه فى الحواشى السابقة ، وانظر ابن إياس ١١١/١

(٦) فى ب ، ث « بلا طيش » تحريف

(٧) فى موضع « نرزية وحصون الإسماعيلية » من المقريزى « وقلعة الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والخوابى والرصافة ومصياف » وأكثرها فى ابن إياس

قلاوون بعده ، وقنطرة على بحر ابن منجى لها سبعة أبواب ، وقنطرة بعنية السيرج ، وقنطرة عند القصر بسبعة أبواب ، وستَّ عشرة قنطرة يسلك منها إلى دمياط ، وقنطرة لخليج القاهرة للمرور عليها إلى الميدان ، وقنطرة عظيمة لخليج الإسكندرية ، وحفر خليج الإسكندرية ، وكان ارتدم ، وحفر بحر أشموم وقد عمى ، وحفر ترعة الصلاح وخورسخَا ، وقد حفر المخابرى وحَفَر بحر السرْدوس والكافورى وترعة لبشا وزاد فيها قصبة ، وحفر بحر الصمصام ، وحفر فى ترعة أبى الفضل ألف قصبة ، وتمم عمارة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمل منبره ، وأحاط بالضريح درابزين ، وذَهَّبَ سقفه ، و بيضه ، وجدد البيمارستان بالمدينة ، ونقل إليه سائر المعاجين والأكحال والأشربة ، و بعث إليه طبيبا من الديار المصرية ، وجدد قبة الخليل عليه السلام ، ورَمَّ شَعَثه ، وأصلح أبوابه وميضأته ، و بيضه ، وزاد فى راتبه المجرَى عليه وعلى قُوّامه ومؤذنيه ، ورتب له من مال البلد ما يجرى على الواردين عليه والمقيمين به ، وجدد بالقدس الشريف ما كان تَدَاعى من قبة الصخرة ، وجدد قبة السلسلة وزخرفها ، وأنشأ خانا للسبيل ، و بنى به مسجدا وطاحونا و بستانا وفرنا ، و بنى على قبر موسى عليه الصلاة والسلام قبة ومسجدا ، وهو عند الكثيب الأحمر ، ووقف عليها وقفا ، وجدد بالكرك برجين كانا صغيرين فهدمهما وكبرهما وعلاهما ، ووسع مشهد جعفر الطيار ، ووقف عليه وقفا زيادة على وقفه ، وعمر جسر دامية بالغور ، ووقف عليه وقفا برسم ما عساه يتهدم من عمارته ، وأنشأ جسورا كثيرة بالساحل والغور ، وعمر قلعة قابون ، و بنى بها جامعا ، ووقف عليه وقفا ، و بنى حوض السبيل ، وجدد جامع الرملة ، وأصلح مصالحها ، وأصلح جامع زرعين وما عداه من جميع البلاد الساحلية ، وجدد ماسورة لقلعة صفد ، و بنى برَبَضها جامعا حسنا ، وكانت الشقيف قلعتين مجاورتين فجمع بينهما ، و بنى بها جامعا وحماما ودار نيابة ، وجدد قلعة الصبيبة[1] بعد ما خرّبها التتار ، وكان التتار

---

(١) فى ابن إياس « قلعة الصبية » وما هنا موافق لما فى السلوك

هدموا شراريف رؤس قلعة دمشق ورؤس أبراجها فجدد ذلك ، و بنى الطارمة[1]
التى على سوق الخيل ، و بنى حماما خارج باب النصر ، وجدد ثلاث إصطبلاتٍ
على الشرف الأعلى ، و بنى القصر الأبلق بالميدان ، ولم يكن مثله ، وجدد مشهد
زين العابدين بجامع دمشق ، وجدد رؤس الأعمدة والأساطين وذهَّبها ، وجدد
باب البريد وفَرَشَه بالبلاط ، ورَمَّ شعث مغارة الدم ، وجدد دور تلك الضيافة
للرسل والمترددين مجاورة للحمام ، وجدد ما تهدم من قلعة صرخد وجامعها
ومساجدها ؛ وكذلك فعل ببصرى و بعجلون والصلت ، وجدد ما تهدم من قلعة
بعلبك ، وجدد قبر نوح عليه الصلاة والسلام ، وجدد أسوار حصن الأكراد ،
وعَقَد قلعتها حَنَايا ، وحال بينها و بين المدينة بخندق ، و بنى عليها أبرجة بطلاقات ،
وجدد من حصن عكار ما كان استهدم ، وزاد الأبرجة ، وزاد مكان المحدثة ،
وعمل بها الحفراء ، و بنى من القصير إلى المناخ إلى قارا إلى حمص أعمدة وأبرجة
فيها الحمام والحفراء ، وكذلك من دمشق إلى تدْمُر والرحبة إلى الفرات ، وجدد
سفح قلعة حمص والدور السلطانية بها ، وقلعة شميس أنشأها بجملتها ، وأصلح قلعة
شيزر وقلعتى السفنج و بكاس وقلعة بلاطنس ، و بنى قلاع الإسماعيلية الثمان ،
و بنى ماتهدم من قلعة عين تاب والراوندان ، و بنى بأنطاكية جامعا مكان الكثيب
وكذلك ببغراس ، وأنشأ قلعة البيرة ، و بنى بها الأبرِجَةَ ، ووسع خندقها ، وجدد
جامعها ، وأنشأ بالميدان الأخضر شمالى حلب مصطبة كبيرة مرخمة ، وأنشأ الجسر
للقلعة ، و بنى فى أيامه ما لم يُبْنَ فى أيام غيره .

وكانت العساكر فى الديار المصرية فى أيام غيره عشرة آلاف فارس فضاعفها
أربعة أضعاف ، وكانت الملوك قبله مقتصدين فى النفقات والعُدَد وعسكره بالضد
من ذلك ، وكانت كُلَف المطبخ الصالحى النجمى ألف رطل لحم بالمصرى كل يوم

(١) الطارمة : بيت من الخشب يجعل سقفه على هيئة قبة ويعد لجلوس السلطان ،
فارسية الأصل ، وتجد لها ذكرا في خطط المقريزى (١/٣٥ و ٢/٤٤٤)

فضاعفها عشر مرات ، فكانت فى الأيام الظاهرية كل يوم عشرة آلاف رطل ، وتوابلها عشرة آلاف[1] درهم ، ويصرف من خزانة الكسوة كل يوم عشرون ألف درهم ، ويصرف فى ثمن القرط لداوبه ودواب من يلوذ به كل سنة ثمانمائة ألف درهم ، ويقوم بكلف الخيل والبغال والجمال والحمير كل يوم خمسة عشر ألف عليقة عنها ستمائة أردب ، ويصرف للمخابز للجرايات خلا ما يصرف لأرباب المراتب لمصر خاصة كل شهر عشرون ألف إردب .

وكان رحمه الله تعالى قد منع الخمر والحشيش ، وجعل الحد على ذلك السيف ، فأمسك ابن الكازرونى وهو سكران ، فصلبه ، وفى خلفه جرة خمر ، فقال الحكيم شمس الدين دانيال رحمه الله تعالى :

لقد كان حَدُّ السكر من قبل صلبه ... خفيفَ الأذى إذ كان فى شرعنا جَلْدَا

فلما بدا المصلوبُ قلت لصاحبى : ... ألا تُبْ فإن الحد قد جاوز الحدا

وقال القاضى ناصر الدين بن المنير :

ليس لإبليس عندنا طمع ... غَيْرُ بلاد الأمير مأواه

منعته الخمر والحشيش معا ... أحرمته ماءه ومرعاه

وقال ناصر الدين بن النقيب الفقعسى :

منع الظاهر الحشيش مع الخمـ ... ـر فولّى إبليس من مصر يَسْعَى

قال : مالى وللمقام بأرض ... لم أمتع فيها بماء ومرعى

وقال الحكيم شمس الدين بن دانيال :

نهى السلطان عن شرب الحميَّا ... وصير حدها حد اليمانى[2]

فما جسرت ملوك الجن خوفا ... لأجل الخمر تدخل فى القنانى

---

(١) فى ب « عشرون ألف درهم »

(٢) الحميا — بزنة الثريا — الخمر

وقال آخر :

الخمر يا إبليس إن لم تقم | وتوسع الحيلة فى ردهـــا
لا نَفَقَتْ سوق المعاصى ولا | أفْلَحْتَ يا إبليس من بعدها

ولما أراد الظاهر أن يقرر القطيعة[1] على البساتين بدمشق واحتاط عليها وعلى الأملاك والقرى وهو نازل على الشقيف قال له القاضى شمس الدين بن عطاء الحنفى : هذا ما يحل ، ولا يجوز لأحد أن يتحدث فيه ، وقام مُغْضَبا ، وتوقف الحال ، وضعفت البساتين تلك السنة ، وحملت ، وعدمت الثمار جملة كافية ، فقال فى ذلك مجد الدين بن سحنون خطيب النيرب رحمه الله تعالى :

واها لأعطاف الغصون وما الذى | صنعته أيدى البرد فى أثوابهـا
صبغت حمائمها الصَّبَا وكأنهـا | قد ألبست أسفا على أربابها

وقال نور الدين بن مصعب :

لهفى على حلل الغصون تبدلت | من بعد خضرة لونهـــا بسواد
وأظنها حَزِنَتْ لفرقة أهلهـــا | فلذاك قد لبست ثياب حداد

قال : فظن الناس أن السلطان يرحمهم بذلك ، فلما أراد التوجه إلى مصر أحضر العلماء ، وأخرج فتاوى الحنفية باستحقاقها ، بحكم أن دمشق فتحها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عَنْوة ، ثم قال : مَنْ كان معه كتاب عتيق أجريناه ، وإلا فنحن فتحنا هذه البلاد بسيوفنا ، ثم قرر عليهم ألف ألف درهم ، قال : فسألوه [أن] يُقسطها، فأبى ، وتمادى الحال ، فعجلوا له أربعمائة ألف درهم بواسطة فخر الدين الأتابك وزير الصحبة ، ثم أسقط الباقى عنهم بتوقيع قوئ على المنبر ، رحمه الله تعالى !

---

(١) ورد لفظ القطيعة بما يفيد أنه ضرب من الجباية (الضريبة) غير العادية فى السلوك للمقريزى (٥١/١ و ٣٨٨)

حرف التاء

(٧٠)

تنكز

تنكز[١] : الأمير الكبير ، المعظم ، المهيب ، سيف الدين ، نائب السلطنة بالشام جُلِبَ إلى مصر وهو حَدَث ، فنشأ بها ، وكان أبيض إلى السمرة ، رشيق القد ، مليح الشعر ، خفيف اللحية ، قليل الشيب ، حسن الشكل ، جَلَبه الخواجا علاء الدين السيواسى ، فاشتراه الأمير حُسَام الدين لاجين ، فلما قتل لاجين فى سلطنته صار من خاصكية السلطان الملك الناصر ، وشهد معه وادى الخزندار[٢] ، ثم وقعة شَقحب .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تاريخه : أخبرنى القاضى شهاب الدين ابن القَيْسَرَانى قال : قال لى : أنا والأمير سيف الدين دانيال من مماليك الأشرف أمَّره الملك الناصر على عشرة قبل توجهه إلى الكرك ، وكان قد سلم إقطاعه إلى الأمير صارم الدين صاروخا[٣] المظفرى ، فكان على مصطلح الترك أغاته ، ولما توجه السلطان إلى الكرك كان فى خدمته ، وجهزه من دمشق رسولا إلى الأفرم ، فاتهمه أن معه كتبا إلى أمراء الشام ، فحصل له منه مَهَابة شديدة ، وفتش ، وعرض عليه العقوبة ، فلما عاد إلى السلطان عرفه ما جَرَى له ، وقال : إن عدت إلى الملك فأنت نائب دمشق ، فلما عاد إلى المملكة جعل الملك سيف الدين أرغون الدوادار نائب مصر بعد إمساك الجوكندار الكبير ، وقال لتنكز ولسنودى : احضرا كل يوم عند أرغون ، وتعلما منه النيابة والأحكام ، فبقيا كذلك سنة يلازمانه ، فلما مَهَرَا جهز سيف الدين سنودى إلى حلب نائبا ، وسيف الدين تنكز إلى دمشق نائبا ، فحضر إليهما على البريد هو والحاج سيف الدين أرقطاى وحسام الدين

---

(١) في كل الأصول «تنكر» بالراء المهملة في جميع الترجمة ، وانظر ابن إياس ١/ ١٧١

(٢) « وادى الخزندار » واقع فيما بين حماة وحمص ، ووقع فى ب ، ث «وادى الجرندار» تحريف

(٣) كذا ، وهو فى شذرات الذهب ٦/ ١٣٨ صارم الدين صاروجا ـ بالجيم مكان الخاء ـ وذكر وفاته فى سنة ٧٤٢ ، وانظر ابن إياس ١/ ١٦٦

طرنطاى[١] الشمقدار ، فكان وصولهم إليها فى شهر ربيع الأول سنة اثنى عشرة وسبعمائة ، وتمكن فى النيابة ، وسار بالعساكر إلى مَلَطْيَة فافتتحها ، وعظم شأنه ، وهابه الأمراء بدمشق ونواب الشام ، وأمن الرعايا ، ولم يمكن أحدا من الأمراء ولا أرباب الجاه يقدر أن يظلم آحدا آدميا أو غيره ، خوفا من بطشه وشدة إيقاعه ، ولم يزل فى ارتفاع وعلو درجة تتضاعف إقطاعاته و إنعامه وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح حتى كتب له : أعزالله أنصار المقرِّ[٢] الكريم العالى الأميرى ، وفى الألقاب : الأتابكى الزاهدى العابدى ، وفى النعوت : معز الإسلام والمسلمين ، سيدالأمراء فى العالمين ، وهذالم يكتب عن سلطان لنائب ولا غيرنائب على اختلاف الوظائف .

وكان السلطان لا يفعل شيئا فى الغالب حتى يشاوره فيه[٣] ، وقلما كتب إلى السلطان فى شىء فردّه ، وكلما قرره من إمرة ونيابة و إقطاع وقضاء أو غير ذلك ترِدُ التواقيع السلطانية بإمضاء ذلك .

وكان قد اعتمد شيئا ما سمع عن غيره ، وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل إلا حساب ما يدخل فى خزانته من الأموال وما يستقر له ، فإذا حال الحول عمل أوراقا بما يجب صرفه من الزكاة ، فيأمر بصرفه إلى أصحاب الاستحقاقات ، وزادت أمواله وأملاكه .

وعمل الجامع المعروف به بحكر السماق بدمشق ، وأنشأ إلى جانبه تربة وحماما ، وعَمَّر تربة إلى جانب الخواصين لزوجته ، وعمل دارا للقرآن إلى جانب داره ، دار الذهب ، وأنشأ بالقدس رباطا ، وعمر القدس ، وساق إليه الماء وأدخله الحرم ، وعمل به حمامين وقيسارية مليحة إلى الغاية ، وعمر بصفد البيمارستان المعروف به ، وجدد القنوات

---

(١) فى ب ، ث «طرفطاى» (٢) فى ب «أعز الله أنصار المعز الكريم» محرفا

(٣) فى ب « حق يصير يشاوره فيه » . وكلمة « يصير » مقحمة وليست فى ث

بدمشق ، وكانت مياهُهاقدتغيرت ، وجدد عمائرالمساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها ، واعتنى بأمرها ، وله فى سائر الشام أملاك وعمائر وآثار .

ولم يكن عنده دَهَاء ، ولا له باطن ، ولا يتحمل شيئا ، ولا يصبر على أذى ، ولم يكن عنده مداراة للأمراء ، ولايرفع لهم رأسا[١] ، وكان الناس فى أيامه آمنين على أموالهم ووظائفهم ، وكان كل سنة يتوجه إلى الصيد بالعسكر ، وغدا فى بعض السفرات إلى نواحى الفرات ، وأقام فى ذلك البر خمسة أيام يتصيد ، وكان الناس [يجفلون[٢]] قدامه إلى بلاد تورين والسلطانية ، وما كان قصده غير الحق ، والعمل به ، ونصرة الشرع ، خلا أنه كانت به سوْدَاء يتخيل بها الأمر فاسداً ، ويبنى عليه ، فهلك بذلك أناس ، ولايقدرأحد من مَهَابته [أن][٢] يوضح له الصواب ، ولا يقول الحق فيما يفعله ، وكان إذا غضب لا سبيل له إلى الرضا ولا العفو ، وإذابَطَشَ بَطَشَ بَطْشَ الجبارين ، ويكون الذنب صغيرا فلايزال يكبره ويزيده ويوسعه إلى أن يزيد فيه عن الحد .

وكان الشيخ حسن بن دمرتاش قد أهمه أمره ، وخافه ، يقال : إنه نمَّ عليه عند السلطان ، وقال : إنه قصد الحضور عندى والمخامرة عليك ، فتنكر السلطان ، وكان فى تلك[٣] الأيام قد عزم السلطان على أن يجهز الأمير بشتاك ، ويلبغا البخارى[٤] ، وعشرين أميراً من الخاصكية ليحضروا عرس أولاده ، ويجهز معهم بنات السلطان ، فبعث يقول : ياخوند ، إيش الفائدة فى حضور هؤلاء الأمراء الكبار إلى دمشق ، والبلاد الساحلية فى هذا العام مُمْحِلة ، ويحتاج العسكر إلى كلفة كثيرة ، أنا أحضر بأولادى إلى الباب ، ويكون الدخول هناك ، فجهز إليه السلطان طاجار الدوادار ، وقال له : السلطان يسلم عليك ،

---

(١) فى ب « ولايرفع بهم رأسا »

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ب

(٣) فى ب « فى ذلك الأيام »

(٤) انظر ترجمته فى شذرات الذهب ٦/٢١٢

ويقول لك : إنه ما بقى يطلبك إلى مصر ، ولا يجهز إليك أميراً كبيراً حتى لا تتوهم ، فقال تنكز : أنا أتوجه بأولادى إليه ، فقال طاجار : لو وصلت إلى بلبيس ردّك ، وأنا أكفيك هذا المهم ، وأنا بعد ثمانية أيام أكون عندك بتقليد جديد وإنعام جديد ، فَلَبَّثه[1] بهذا الكلام ، ولو كان توجه إلى السلطان لكان خيراً له ، ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

وكان أهل دمشق فى تلك المدة قد أرجفوا بأنه قد عزم على التوجه إلى بلاد التتار ، فوقع هذا الكلام فى سمع طاجار الدوادار ، وكان قد عامله تنكز فى هذه المرة معاملة لاتليق به ، فتوجه من عنده مُغْضَباً ، وكأنه حَرَّفَ الكلام ، والله أعلم ، فتغير السلطان تغيراً عظيما ، وقد جهز عشرة آلاف فارس من مصر ، وجهز بريدى[2] إلى الأمير طشتمر [المعروف] بحمص أخضر[3] نائب صفد ، وأمره بالتوجه إلى دمشق لمسك تنكز ، وكتب إلى الحاجب وإلى الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى ، وإلى الأمراء بالقبض عليه ، وقال : إن قدرتم على تعويقه فهو المراد ، والعساكر تصل إليكم من مصر ، فوصل الأمير سيف الدين طشتمر الظهر إلى المزّة ، وجهز إلى الأمير سيف الدين الفخرى ، وكان دوادار قد وصل بكرة النهار ، واجتمع بالأمراء ، واتفقوا ، وتوجه أيتمش الحاجب إلى القاقون[4] ، ووعّر الطريق ، ورمى الأخشاب فيها ، وأحمال التبن ، وقال للناس : إن غريم السلطان يعبر عليكم الساعة ، فلا تمكنوه ، وركب الأمراء ، واجتمعوا إلى باب النصر .

هذا كله وهو فى غفلة عما يُرَاد به ، منتظر ورود طاجار الدوادار ، وكان قد

---

(١) لبثه : جعله يتمهل وينتظر ، وقال الراجز :

* لبث قليلا يلحق الهيجا حمل *

وانظر هذه القصة فى ابن إياس ١/١٧١ كذا (٢) كذا

(٣) كلمة «المعروف» ساقطة من ب ، ث وفيهما «أحضر» بحاء مهملة ، وانظر ابن إياس ١/١٦٤ (٤) في ث «القابون» وفي ب «القابور» تحريف

خرج فى ذلك النهار إلى القصر الذى بناه فى القطائع ، فتوجه إليه الأمير سيف الدين قرشى [١] ، وعرفه بوصول طشتمر ، فبُهِتَ لذلك ، وسُقِط فى يده ، وقال : ما العمل ؟ قال : تدخل إلى دار السعادة ، فحضر ، ودخل إلى دار السعادة ، وغلقت أبواب المدينة ، وأراد الكبس والمحاربة .

ثم علم أن الناس ينهبون ، ويعمل السيف فى البلد ، فآثر إخماد الفتنة ، وأن لا يجرد سلاحاً ، فجهز إلى الأمير سيف الدين طشتمر ، وقال له : فى أىّ شىء جئت ؟ قال : أنا جئتك رسولا من عند أستاذك ، فإن خرجت إلىّ قلت لك ما قال لى ، وإن رُحْتَ إلى مطلع الشمس تبعتك ، ولا أرجع إلا إن مات أحدنا ، فخرج إليهم ، واستسلم ، فأخذ سيفه ، وقيد خلف مسجد القدم [١] ، وحمل إلى السلطان ، وعين معه الأمير ركن الدين بيبرس السلحدار ، ثالث عشر من ذى الحجة سنة أربعين وسبعمائة ، وتأسف أهلُ دمشق عليه ، ويا طول أسفهم ، فسبحان مزيل النعم ، الذى لا يزول ملكه ، ولا يتغير عزه ، ولا تطرأ عليه الحوادث ! واحتيط على حواصله ، وأودع طغاى وجنغاى [٢] مملوكاه فى القلعة ، وبعد مدة يسيرة حضر الأمير سيف الدين بشتاك ، وطاجار الدوادار ، والحاج أرقطاى وتيمة عشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وحال وصولهم حلفوا الأمراء ، وشرعوا فى عرض حواصله ، وأخرجوا ذخائره وودائعه ، وتوجه بشتاك إلى مصر ومعه من ماله ثلثمائة ألف وستة وثلاثون ألف دينار مصرية ، وألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وجواهر ، وبلخش ، وأقطاع مثمنة ، ولؤلؤ غريب الحب ، وطرز زركش ، وكلوتات ، وحوائص ذهب ، وجامات مرصعة ، وأطلس وغيره من القماش ما كان جملته ثمانمائة حمل ، وأقام بعده برسبغا ، وتوجه فى أثره بعد ما استخلص من الناس ومن بقايا أموال تنكز ، ومعه أربعون ألف دينار وألف

---

(١) كذا

(٢) فى نسخة « خبغاى » ولم أعثر على ما يصحح اسمه

ألف وأربعمائة ألف درهم ، وأخذ مماليكه وجواريه وخيله المثمنة إلى مصر ، وأما هو فإنه جهز إلى إسكندرية ، وحبس بها مدة دون الشهر ، ثم قضى الله تعالى فيه أمره .

يقال : إن المقدم ابن صابر[1] توجه إليه ، وكان ذلك آخر العهد به ، ثم مات ، وصلى عليه أهل الإسكندرية :

فكأنه بَرْقٌ تألَّقَ بالحمى ثم انثنى فكأنه لم يلمع

ثم ورد مرسوم السلطان بتقويم أملاكه ، فعمل ذلك بالعدول وأرباب الخبرة ، وحضرت محاضر إلى ديوان الإنشاء لتجهز إلى الأبواب السلطانية .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : فنقلت منها ما صورته : دار الذهب بمجموعها و إصطبلاتها ستمائة ألف درهم ، دار الزمرد مائتا ألف درهم ، دار الزردكاش وما معها مائتا ألف وعشرون ألف درهم ، الدار التى بجوار جامعه بدمشق مائة ألف درهم ، الحمام الذى بجوار الجامع مائة ألف درهم ، خان العرصة مائة ألف درهم ، وخمسون ألف درهم ، إصطبل حكر السماق عشرون ألف درهم ، الطبقة التى بجوار حمام ابن يمن أربعة آلاف وخمسمائة درهم ، قيسارية المرجليين مائتا ألف وخمسون ألف درهم ، الغرز والحوش بالقنوات من غير أرض عشرة آلاف درهم ، حوانيت التعديل عشرة آلاف درهم ، الأهراء من إصطبل بها دراص عشرة آلاف درهم ، خان البيض وحوانيته مائة ألف وعشرة آلاف درهم ، حوانيت باب الفرج خمسة وأربعون ألف درهم ، حمام القاقون[2] عشرون ألف درهم ، حمام القصير العمرى ستة آلاف درهم ، الدهيشة والحمام مائتا ألف وخمسون ألف

(١) سماه ابن إياس « الحاج إبراهيم بن صابر ، مقدم الدور » وذكر أنه خنقه بالسجن ١٧٢/١ بولاق (٢) انظر الهامشة ٤ فى ص ١٧٧

درهم ، بستان العادل مائة ألف وثمانون ألف درهم ، بستان التجيبي والحمام والفرن مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، و بستان الجيلي بحَرَستَا ألف درهم ، الحدائق بحرستا مائة ألف وخمسة وأربعون ألف درهم ، بستان القوصى بحرستا ستون ألف درهم ، بستان الدردور بزيدين خمسون ألف درهم ، الجنينة المعروفة بالحمام بزيدين سبعة آلاف درهم ، بستان الرزال خمسة وثلاثون ألف درهم ، الجنينة و بستان غيرهما ثمانون ألف درهم ، مزرعة البوقي والعنبري مائة ألف درهم ، الحصة بالدفوف القبلية بكفر بطنا [ثلثاها] ثلاثون ألف درهم ، بستان السفلاطوني بالمنجية خمسة وسبعون ألف درهم ، حقل البيطارية لها خمسة عشر ألف درهم ، الفاتيكيات والرشيدي والكروم بزملكا مائة ألف وثمانون ألف درهم ، مزرعة المرقع بالقابون مائة ألف وعشرة آلاف درهم ، الحصة من غراس غيطة الأعجام عشرون ألف درهم ، نصف الغيطة المعروف بزريبة خمسة آلاف درهم ، غراس قوائم جواردار الجالق ألفا درهم ، النصف من غراس الهامة ثلاثون ألف درهم ، الحوانيت التي قبالة الجامع مائة ألف درهم ، الإصطبلات التي عند الجامع ثلاثون ألف درهم ، بيدرز بردين ثلاثة وأربعون ألف درهم ، أرض خارج باب الفرج ستة عشر ألف درهم ، القصر وما معه خمسمائة ألف درهم وخمسون ألف درهم ، ربع ضيعة القصرين مائة وعشرون ألف درهم ، نصف البيطارية مائة ألف وثمانون ألف درهم ، حصة من البويضاء مائة ألف وخمسة وثمانون ألف درهم ، نصف بوابة مائة وثمانون ألف درهم ، العلانية بعيون ألفاسها ثمانون ألف درهم ، حصة دير ابن عصرون خمسة وسبعون ألف درهم حصة دوير اللبن ألف وخمسمائة درهم ، الدير الأبيض خمسون ألف درهم ، التنورية اثنان وعشرون ألف درهم ، العزيل مائة ألف وثلاثون ألف درهم ، حوانيت داخل باب الفرج أربعون ألف درهم .

الأملاك التي بمدينة حمص : الحمام خمسة وعشرون ألف درهم ، الحوانيت

---

* أكثر أسماء الأماكن التي ذكرت هنا لم يتيسر لي تحقيقها فتركتها على هي ما عليه في ب، ث

سبعة آلاف درهم ، الربع ستون ألف درهم ، الطاحون الراكبة على العاصى ثلاثون ألف درهم ، ردوقبجق خمسة وعشرون ألف درهم ، الخان مائة ألف درهم ، الحمام الملاصقة للخان ستون ألف درهم ، الحوش الملاصق له ستون ألف درهم ، المناخ ثلاثة آلاف درهم ، الأراضى المحتكرة سبعة آلاف درهم .

الأملاك ببيروت : الخان مائة وخمسة وثلاثون ألف درهم ، الحوانيب والفرن مائة وعشرون ألف درهم ، المصبنة[١] بآلاتها عشرة آلاف درهم ، الحمام عشرون ألف درهم ، المَسْلَخ عشرة آلاف درهم ، الطاحون خمسة آلاف درهم ، قرية زيالا[٢] خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى بالبقاع : مرج الصفا بسبعمائة ألف درهم ، التل الأخضر مائة ألف وثمانون ألف درهم ، المباركة خمسة وسبعون ألف درهم ، المسعودية مائة ألف وعشرون ألف درهم .

الضياع الثلاثة : المعروفة بالجوهرى أربعمائة درهم وسبعون ، السعادة أربعمائة ألف درهم ، أبروطياستون ألف درهم ، نصف تبرود الصالحية والحوانيت أربعمائة ألف درهم ، الناصرية مائة ألف درهم .

رأس المسابير : الرؤس سبعة وخمسون ألف درهم ، حصة من حزبة روف اثنان وعشرون ألف درهم ، رأس الماء والدلى بمزارعها خمسة آلاف درهم وخمسمائة ، حمام صرخد خمسون ألف درهم ، طاحون الفوار ثلاثون ألف درهم ، السالمية سبعة آلاف وخمسمائة درهم ، طاحون المغار عشرة آلاف درهم ، قيسارية أذرعات اثنا عشر ألف درهم ، قيسارية عجلون مائة ألف وعشرون ألف درهم .

الأملاك بقار الحمام خمسة وعشرون ألف درهم ، الهرى ستمائة ألف درهم ، الصالحية والطاحون والأراضى مائة ألف وخمسة وعشرون ألف درهم ، راسليتا

---

(١) المصبنة : الموضع الذى يصنع فيه الصابون

(٢) فى نسخة « زلايا » وفى أخرى « لايا »

ومزارعها مائة وخمسة وعشرون ألف درهم ، القصيبية أربعون ألف درهم ، القريتين المعروفة إحداهما بالمزرعة والأخرى بالفيسبية تسعون ألف درهم .

هذا جميعه خارجٌ عمّا له من الأملاك فى وجوه البر بصفد وعجلون والقدس الشريف ونابلس والرملة وطحولية والرحبة والديار المصرية .

ولما كان فى أوائل شهر رجب سنة أربع وأربعين وسبعمائة حضر تابوته من الإسكندرية إلى دمشق ، ودفن فى تربته جوار جامعه المعروف بإنشائه ، رحمه الله تعالى ! فقال الشيخ صلاح الدين الصفدى :

فى نَقْلِ تنكز سرّ ... أراده الله ربه[1]
أتى به نحو أرض ... يحبها وتحبه

٧١

توبة ابن الحمير

توبة بن الحمير ، الخفاجى[2] .

أحد المتيمين ، صاحب ليلى الأخيلية ، ويأتى ذكرها فى حرف اللام إن شاء الله تعالى .

كان يهوى ليلى ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوّجه ، وزوّجها فى بنى الأدلع[3] فكان يكثر زيارتها ، فشكوه إلى قومه ، فلم يُقلع ، فشكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن أتاهم ، فعلمت بذلك ليلى ، ثم إن قومها كَمَنُوا له فى الموضع الذى تَلْقاه فيه ، فلما جاء خرجت إليه سافرةً حتى جلست فى طريقه ، فلما رآها سافرة فَطِنَ لما أرادت ، فركض فرسَه ونجا، وقال قصيدته التى منها :

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابَنِي منها الغداة سُفُورُهَا

(١) فى ب ، ث « فى قتل تنكزسر » وأثبتنا ما وقع فى ابن إياس ١٧٢/١

(٢) له ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبه (٢٦٩ أوربة) والأغانى (١٠/ ٦٧ بولاق) وكلمة «الخفاجى» وقعت فى ب «المحتاجى» تحريف قبيح

(٣) فى ب ، ث « الأولغ »

ثم إن توبة قتلته بنوعوف بن عقيل فى حدود الثمانين من الهجرة ، رحمه الله تعالى ! فقالت ليلى ترثيه :

نظرتُ ودونى من عماية منكب ... وبطن الركاء أىَّ نظرة ناظرِ [1]

وتوبة أحْيَى من فتاة حَيِيَة ... وأجرأ من ليث بِخَفَّانَ خادر [2]

ونعم فتى الدنيا وإن كان فاجرا ... ونعم الفتى إن كان ليس بفاجر

ولها فيه مراثٍ أخر .

ثم إن ليلى أقبلت من سفر فمرت بقبر توبة وهى فى هَوْدَج ، ومعها زوجها ، فقالت : والله لا أبرح حتى أسلم على توبة ، فجعل الزوج يمنعها وهى تأبى إلا أن تُلِم به ، فنزلها ، فصعدت أكَمَةً عليها قبر توبة ، فقالت : السلام عليك يا توبة ، ثم حولت وجهها نحو القبر ، وقالت : ماعرفت له كذبة قط ، فقالوا : وكيف ذلك ؟ قالت : أليس هو القائل :

ولو أن ليلى الأخْيَلية سَلَّمت ... علىّ ودونى جَنْدَل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... إليها صَدًى من جانب القبر صائح

وأُغْبَطُ من ليلى بما لا أنالُهُ ... ألا كلُّ ماقَرَّتْ به العينُ صالح

فما باله لم يسلم على كما قال ، وكان إلى جانب قبر توبة بومة كامنة ، فلما رأت الهودج واضطرابه فزعت وطارت فى وجه الجمل ، فنفر ، ورمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، ودفنت إلى جانبه .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : ما كذب توبة بعدُ ؛ لأنه قال : « أوزقا إليها صدى من جانب القبر » والصدى هو ذكر البُومِ ، وهذا من عجائب الاتفاق ، رحمهما الله تعالى !

---

(١) ورد فى ب ، ث « نظرت ودونى من غمامة » وفيهما « وبطن الردى من أى نظرة ناظر » تحريف

(٢) خفان ـ بالخاء المعجمة ـ ووقع فى ب ، ث « بحفان » بحاء مهملة ، تحريف ، وخفان : مأسدة قرب الكوفة ، وخادر : ملازم للعرين .

(٧٢)

توبة بن على التكريتى الوزير

توبة[١] بن على بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، الصاحب ، تقى الدين ، توبة التكريتى المعروف بالبيع[٢] .

ولد يوم عرفة بعرفة سنة عشرين وستمائة ، وتعَانى التجارة والسفر ، وتَعرّف بالسلطان حسام الدين لاجين لما كان أميرا ، وعامله ، وخدمه ، فلما صار سلطانا ولاه وزارة الشام مدة ، ثم عزله ، وصودر غير مرة ، ثم سلمه الله تعالى .

وكان مع ظلمه وعَسْفه فيه مروءه ، وحسن إسلام ، وتقرب إلى أهل الخير ، وعدم خبث ، وهمة عالية ، وسَمَاح ، وحسن خلق ، ومزاح ، واقتنى الخيل المسوّمة والدور الحسنة ، واقتنى المماليك الملاح ، وعمر لنفسه تربة حسنة تصلح لملك ، وبها دفن لما مات سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وحضر جنازته ملك الأمراء والقضاة

يقال عنه : إنه كان عنده مملوك مليح اسمه أقطوان ، فخرج ليلة وأقطوان خلفه إلى وادى الربوة ، فمروا على مسطول وهو نائم ، فلما أحس بوقع حوافر الخيل فتح عينيه وقال : يا الله توبة ؟ فقال له : مالكَ يا قواد ، إيش تعمل بتوبة ؟ شيخ نَحْس مقلع الأسنان ، قل : يا الله أقطوان .

ويقال : إنه أتى إليه رجل من بادية تكريت ، وقال له : يا مولانا الصاحب أشتهى منك شفاعة إلى شيخ الخانقاه السميصانية حتى ينزلنى فيها ، فدعا بنقيبه وقال له : رُحْ مع هذا إلى شيخ الخانقاه ، وسلم عليه من جهتى ، وقل له : تقبل شفاعتى فى هذا وتنزله فى الخانقاه ، فلما جاء شيخ الشيوخ وأدى الرسالة قال له : قل للصاحب : هذا ما هو صوفى ، ولا ينزل عمره فى خانقاه ، وهذه الخانقاه شَرْطُها أنه لاينزل فيها إلا صوفى مؤدب يعرف آداب القوم ، فجاء إليه الرجل باكيا ، وقال له : ياسيدى

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٤١/٥

(٢) فى ب ، ث « المعروف بالتبع » وأثبتنا مافى الشذرات لقوله « فلما أخذت التتار بغداد حضر إلى الشام وتولى البيعية بدار الوكالة _ إلخ »

لم يسمع من رسالتك ، فغضب ، وأرسل خلف الشيخ ، وقال : يا مولانا ، لأىّ معنى ماتنزل هذا ؟ قال: يامولاى ماهذاصوفىّ ، فقال الصاحب للرجل : ما تعرف تأكل رز مفلفل ؟ قال : بلى والله ، قال : ماتعرف ترقص فى السماع ؟ قال : بلى ، قال : ما تعرف تلوط بالمليح ، قال : بلى والله ، قال : صوفىّ أنت طول عمرك .

ولشمس الدين بن منصور موقع غزة فيه ، وقد أعيد إلى الوزارة :

عتبت على الزمان وقلت مهلا أقمت على الخنا ويئست توبه

تعالىٰ فى التجاهل والتمادى وعاد إلى التقى وأتى بتوبه

ولعلاء الدين الوداعى الكندى فيه ، وقد سقط عن حصان :

فديناك لا تخش من وقعة فإنّ وقوعك للأرض فخر

سقوط الغمام بفصل الربيع ففى البرّ بُرٌّ وفى البحر درّ

وله أيضا فيه رحمه الله تعالى :

إنى حلفت يميناً لم آت فيها بحَوْبه

مذ أقعدتنى الليالى لا قمت إلا بتوبه

(٧٣)

الملك المعظم توران شاه غياث الدين

توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل الكبير ، الملك المعظم ، غياث الدين[١] .

لما توفى الملك الصالح والده جمع فخر الدين بن الشيخ الأمراء ، وحلفوا له ، وكان بحصن كَيْفاَ ، وسَيَّرُوا إليه الفارس أقطاى ، فساق على البريد لا يعترض عليه أحد من الملوك ، فكاد يهلك عطشاً ، حتى قدم دمشق ، ودخل بأُبَّهَة السلطنة فى أواخر رمضان ، ونزل القلعة ، وأنفق الأموال ، وأحبه الناس ، ثم سار إلى

---

(١) انظر تاريخ ابن إياس ١/٨٥،٨٦،٨٨،٨٩،٩٨ ، وانظر السلوك للمقريزى فى المواضع التى ذكرت فى الفهرس (المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب)

مصر بعد عيد الأضحى ، فاتفق كسرة الإفرنج — خذلهم الله تعالى ! — عند قدومه ، ففرح الناس ، وتَيَمَّنُوا (١) بوجهه ، لكن بَدَتْ منه أمور نفرت الناس عنه .

منها : أنه كان فيه خفة وطيش .

وكان والده الصالح يقول : ولدى ما يصلح للملك ، وألحَّ عليه يوماً الأمير حسام الدين بن أبى على ، وطلب إحضاره من حصن كَيْفَا ، فقال : أجيبه لكم حتى تقتلوه ! فكان الأمر كما قال أبوه .

قال سعد الدين بن خيمونة : لما قدم المعظم طال لسان كل من كان خاملا فى حياة أبيه ، ووجدوه مختلَّ العقل ، سيىء التدبير ، رفع خبر فخر الدين شيخ الشيوخ بحواصله إلى جوهر الخادم ، وانتظر الأمراء أن يعطيهم كما أعطى أمراء دمشق فلم يكن لذلك أثر ، وكان لا يزال يحرك كتفه الأيمن مع نصف وجهه ، وكثيرا ما يعبث بلحيته ، وكان إذا سكر ضرب الشمع بالسيف ، وقال : هكذا أفعل بمماليك أبى ، ويتهدد الأمراء بالقتل ، فشوَّش قلوبَ الجميع ، ومَقَتُوه ، وصادف بخله .

قال سبط ابن الجوزى : بلغنى أنه كان يقعد على السماط بدمشق ، فإذا سمع فقيهاً يقول مسألة يقول : لا نسلم ، و يصيح به (٢) .

ومنها : أنه احتجب عن الناس ، وانهمك على اللذات ، والفساد مع الغلمان ، على ما قيل ، ويقال : إنه تعرض لحظايا أبيه .

ومنها : أنه قَدَّم الأراذل ، وأخر خَوَاصَّ أبيه ، وكان قد وعد الفارس أقطاى لما جاء إليه إلى حصن كَيْفَا أن يُؤَمِّره ، فما وفى له ، فغضب .

---

(١) فى ب « وتهنوا » تحريف

(٢) فى ب « ويصيح بها » وليس بشىء

وكانت شجرة الدر زوجة أبيه قد ذهبت من المنصورة إلى القاهرة ، فجاء هو إلى المنصورة ، وأرسل إليها يُهَدِّدها ويطالبها بالأموال ، فعاملت[1] عليه ، فلما كان اليوم السابع من المحرم سنة ثمان وأربعين وستمائة ضربه بعضُ البحرية وهو على السماط ، فتلقى الضربة بيده ، فذهبت بعض أصابعه ، فقام ودخل البرج الخشب الذى هناك ، وصاح : مَنْ جرَحنى ؟ فقالوا : بعض الحشيشية ، قال : لا والله إلا البحرية ، والله لأفنينهم ، وخاط المزين جُرْحَه ، وهو يهددهم ، فقالوا : تمموه وإلا أبادنا ، فدخلوا عليه ، فهرب إلى أعلى البرج ، فرموا النار فى البرج ، ورَمَوْه بالنشاب ، فرمى بنفسه ، وهرب إلى النيل ، وهو يقول : ما أريد ملكا ، دعونى أرجع إلى حصن كَيْفا ، يامسلمين مافيكم مَنْ يصطنعنى ؟ فما أجابه أحد ، فتعلق بذيل الفارس أقطاى ، فما أجارهُ ، ونزل فى البحر إلى حلقه ، فقتلوه ، وبقى ملقى على جانب النيل ثلاثة أيام ، حتى شفع فيه رسول الخليفة فوارَوْه .

وكان الذى باشر قتله أربعة ، فلما قتل خطب على منابر الشام ومصر لأم خليل شجرة الدر .

ثم تسلطن الملك المعز أيبك التركمانى[2] .

وكان المعظم توران شاه قوىّ المشاركة فى العلوم ، حسن البحث ، ذكيا .

قال ابن واصل : لما دخل المعظم دمشق قام الشعراء ، فابتدأ العدل تاجُ الدين بن الدجاجية ، فقال :

كيف كان القدوم من حصن كيفا   حين أرغمت للأعادى أنوفا

---

(١) فى ث « فعملت عليه »

(٢) انظر المواضع التى ذكرت فى فهرس ابن إياس (عز الدين أيبك التركمانى)

فأجابه المعظم فى الوقت :

الطريق الطريق يا ألف نحس تارة آمنا وطـورا مخُوفا

وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح يرثيه :

يا بعيد الليـل من سَحَرِهْ دائمـا يبكى على قمره[1]

خَلِّ ذا واندُبْ معى ملـكا ولت الدنيـا على أثره

كانت الدنيا تطيب لنا بـين باديه ومُحْتَضَرِهْ

سـلبته الملك أسرتهُ واستَوَوْا غدرا على سُرُرِهْ

حسدوه حين فاتهـمُ فى الشباب الغَضِّ من عمره

وفيه يقول نور الدين بن سعيد :

ليت المعظم لم يَسِرْ من حصه يوما ولا وافى إلى أملاكه

إن العناصر إذ رأته مكملا حسدته فاجتمعت على إهلاكه

واتفق يوم خروجه من دمشق[2] مطر عظيم ، فقال نور الدين بن سعيد :

إن المعظم خير أملاك الورى سُرَّتْ به الدنيا وتُعْذَرُ فيه[3]

و ما رأيت دمشق يوم قدومه ضحكت ، ويوم وداعه تبكيه

---

(١) تبع فى هذه الأبيات قول الشاعر أبى ولف العجلى

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

(٢) فى ب « واتفق يوم خروجه من مصر » خطأ ، ولا يتفق مع ماذكر فى ثانى البيتين .

(٣) فى ب « وتغدر فيه »

حرف الثاء

(٧٤)

ثابت بن ثاوان

ثابت بن ثاوان ، نجم الدين ، أبو البقاء ، التفليسى ، الصوفى

من شعره :

اغتنم يومك هــذا إنما يومك ضيف

وانتهب فرصَةَ عمرٍ حاضر، فالوقت سيف

لا تضيع هذه الأنفـــاس فالتضييع حَيْفُ

عَدّ عن سوف أو الـــساعة أو أين وكيف

حرف الجيم

(٧٥)

جرول بن أوس
(الحطيئة)

جرول بن أوس بن مالك ، الحُطَيئة الشاعر[١]
لقب بالحُطَيئة لقربه من الأرض ، فإنه كان قصيرا
وهو من فحول الشعراء وفصحائهم ، وكان ذا شر ، وأسلم ثم ارتدّ ، وكان هَجَّاء ، قال يهجو أمه :

تَنَحَّىْ فاجلسى عنى بعيدا   أراح الله منك العالمينا
أغِرْبالاً إذا استودعتِ سرا   وكانونا على المتحدثينا[٢]
حياتُكِ ماعَلِمْتُ حياةُ سوءٍ   وموتك قد يَسُرُّ الصالحينا

والتمس يوما إنسانا يهجوه ، فلم يجد ، فضاق عليه ذلك ، فقال :

أبَتْ شفتاى اليوم إلا تكلما   بشر ، فما أدرى لمن أنا قائلُهْ

وجعل يردّد هذا البيت فى حَلْقه ولا يرى إنسانا ، فاطلع فى حَوْض ماء ، فرأى وجهه فيه ، فقال :

أرى لىَ وجها قَبَّحَ الله خلقه   فقُبِّحَ من وجه وقبح حامله

وقدم المدينة فى سنة مُجْدِبة ، فجمع أشرافُها له من بينهم إلى أن تكمل له أربعمائة دينار ، وأعطوه إياها ، فلما كان يوم الجمعة استقبل الإمام ونادى : من يَحْمِلنى على بغلين كفاه الله كبة جهنم .

قال الأصمعى : كان الحطيئة سَؤُولا ، مُلْحِفا ، دنىء النفس ، كثير الشرّ ، قليل الخير ، بخيلا ، قبيح المنظر ، رَثّ الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين .

وهجا الزِّبرقان بن بدر بالأبيات التى منها :

دع المكارم لا ترْحَلْ لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

---

(١) له ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة ١٨٠ أوربة وفى الأغانى ٢/٤٣ بولاق

(٢) أراد تشبيهها بالغربال فى أنها لا تبقى شيئاً حتى تذيعه ، وكانون هنا شهر من شهور الروم يأتى فيه الشتاء .

فاستعدى عليه الزِّبْرِقان إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فرفعه عمر إليه واستنشده ، وقال لحسان : أتراه هجاه ؟ قال : نعم ، وسَلَح عليه ، فحبسه فى بئر ، وألقى عليه غطاء ، فقال :

ماذا تقول لأفْرَاخٍ بذى مَرَخ زغب الحواصل لا ماء ولا شَجَرُ
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليدَ النهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروك بها إذ قَدَّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأَثَرُ

فأخرجه ، وقال : إياك وهجاء الناس ، قال : إذًا تموت عيالى جوعا ، هذا مكسبى ، ومنه معاشى ، قال : إياك والقذع ، قال : وما القذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس ، فتقول : فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله أهْجَى منى ، فقال عمر رضى الله تعالى عنه : لو لا أن يكون سُنَّة لقطعت لسانه ، ولكن اذهب فأنت له يازبرقان ، فألقى الزبرقان فى رقبته عمامته ، واقتاده بها ، فعارضَتْه غَطَفان ، وقالت له : يا أبا شَذرة[1] أخوتك وبنو عمك فهبه لهم ، فوهبه لهم .

وقيل : إن عمر رضى الله تعالى عنه لما أطلقه اشترى منه أعراضَ المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ليؤكد الحجة عليه .

ولما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ واجتمع إليه قومه ، فقالوا : يا أبا مليكة ، أوص ، فقال : ويل للشعراء من رُواة السوء ، فقالوا له : أوص يرحمك الله ، فقال : من هو الذى يقول :

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز[2]

---

(١) فى ب ، ث « يا أبا سدرة » بمهملتين ، وأثبتنا ما فى الأغانى

(٢) البيت للشماخ بن ضرار الغطفانى ، وهو فى وصف قوس ، وأنبض : أراد رمى ، وترنمت : صوتت ، والثكلى : التى فقدت ولدها أو عزيزا عليها ، والجنائز : تقال بفتح الجيم . عن الميت نفسه ، وبكسر الجيم بمعنى الخشبة التى يحمل عليها الميت إذا كان فيها الميت ، فإن لم يكن فيها الميت فسرير أو نعش

فقالوا : أوص ويحك بما ينفعك ، فقال : أبلغوا جماعة امرىء القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيالكَ من ليل كأن نجومه ... بكل مُغارِ الفتل شدت بيذْبُل

فقالوا : اتَّقِ الله ، ودع عنك هذا ، فقال : أبلغوا الأنصار أن شاعرهم هو أشعر العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حتى ماتهر كلابهم ... لا يَسْألون عن السواد المقبِلِ(١)

فقالوا : إن هذا لا يغنى عنك شيئا ، فقل غيرما أنت فيه ، فقال :

الشعر صعبٌ وطويل سُلَّمه ... إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زَلَّتْ به إلى الحضيض قدمه ... يريد أن يعربه فيعجِمُهْ

فقالوا : هذا مثل ما كنت فيه ، فقال :

قَدْ كُنْتُ أحْيَاناً شَدِيدَ المُعْتَمَدْ ... وكُنْتُ ذا غَرْبٍ عَلَى الخَصِمِ الألَدّْ
فَوَرَدَتْ نفسى وما كادَتْ تَرِدْ

فقالوا : يا أبا مليكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا ، ولكننى أجزع على المديح الجيد ، يُمْدَح به من ليس له أهلا ، فقالوا : مَن أشعر الناس ؟ فأومأ بيده إلى فيه ، وقال : هذا إذا طمع فى خير ، واستعبر باكيا ، فقالوا له : قل لا إلهَ إلا الله ، فقال :

قالت وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ ... عَوْذٌ بربى منكم وحجْرُ

قالوا : ما تقول فى عبيدك وإمائك ؟ قال : هم عبيدى ، ما عاقَبَ الليل النهار ، قالوا : فأوص للفقراء بشىء ، قال : أوصيهم بالإلحاح فى المسألة ، وأست المسئول أضيق ، قالوا : فما تقول فى مالك ؟ قال : للأنثى مثل حظ الذكر ،

---

(١) البيت لحسان بن ثابت فى مدح أبناء جفنة

قالوا : ما هكذا قضى الله عز وجل ! قال : لكنى هكذا قضيت ، قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كلوا أموالهم وافعلوا بأمهاتهم ، قالوا : فهل تعهد غير هذا ؟ قال : نعم ، احملونى على أتان واتركونى راكبا حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأتان مَرْكَب لم يمت عليه كريم قط ، فحملوه على أتان ، وجعلوا يذهبون به ويجيئون حتى مات ، وهو يقول :

لا أحد ألأم من حُطَيَّه ... هجا بنيه وهجا المريه[1]

من لؤمه مات على فُرَيَّه

الفُرَيَّة : الأتان .

وتوفى فى حدود الثلاثين للهجرة .

(٧٦)

أبو الجعد

أبو الجعد المعروف بشعر الزنج .

كان وقّاداً ببغداد ، وقصته طويلة ، وأمره عجيب[2] ، أفضت به الحال فى تصرفاته إلى أن صار وقاداً فى أتون حمام .

عشق غلاماً من أبناء بغداد ، وقال الشعر فجوده ، واشتد كلفه بالغلام ، وكان الغلام ظريفا ، مغرماً بالتفاح ، لا يكاد يفارقه فى أوانه ، فجاء يوماً شعر الزنج ، فقعد بإزاء الغلام ، وبيد الغلام تفاحة ، وهو يقلبها تارة ، ويشمها تارة ، ويُدْنيها من خده تارة ، ومن فِيه تارة ، فقال شعر الزنج :

تفاحة أكرمها ربها ... يا ليتنى لو كنت تفاحه

تقبل الحب ولا تستحى ... من مسكه بالكف تفاحه

---

(١) الحطية : تصغير حطيئة ، والمرية : تصغير المرأة ، والفرية : تصغير فريئة ، وفى كل واحد من هذه الألفاظ الثلاثة تسهيل الهمزة بقلبها ياء وإدغامها فى الياء

(٢) فى ب ، ث « أمضت به الحال »

تجرى على خديه جوالَةً نفسى إلى شمك مرتاحه

فلما سمع الغلام ذلك رمى بها فى الطريق ، فأخذها شعر الزنج ، واشتد كلفه بالغلام ، واشتد إعراض الغلام عنه ، فعمد شعر الزنج إلى تفاحة حمراء عجيبة ، فكتب عليها بالذهب :

أنى لأعذركم فى طول صدكمُ من راقب الله أبدى بعض ما كتما
لكن صدودكم يؤذى لمن علقت به الصبابة حتى يرجع الكلما[1]

ورمى بالتفاحة إلى الغلام ، فقرأ ما فيها ، ثم قام ودخل بيته ، وأبطأ ، وعاد فرمى بها إلى شعر الزنج ، فأخذها وهو يظن أنه قد رَقَّ له ، وإذا هو قد كتب بالأسود تحت كل سطر :

نصدُّ عنكم صدود المبغضين لكم فلا تردُّوا إلينا بعدها كلما
وما بنا الناس لو أنَّا نريدكمُ فاصبر فؤادك أومت هكذا ألما

فاشتعلت نيران شعر الزنج ، وتضاعف وَجْده ، ثم ظنَّ أن الغلام يستوضع حرفته بالوقادة فتركها ، وصار ناطوراً[2] يحفظ البساتين ، وقصد بستان التفاح الذى لا يوجد فى بغداد أكثر منه تفاحاً ، فأتى إلى صاحب له ومعه تفاح كثير ، وقال : أحب أن تهدى هذا التفاح إلى الغلام ، وتعمد المكتوب منه ، فنظر ، فإذا هو قد كتب على بعضه ببياض لمَّا كان فى شجره ، من جملتها مكتوب عليها هذه الأبيات فى تفاحة حمراء مكتوب عليها ببياض :

جُودُوا لمن تَيَّمه حبكم فهاما[3]
وصار ضَوْء يومه من حزنه ظلاما

---

(١) الصبابة : بفتح الصاد ــ شدة العشق
(٢) الناطور : حارس البستان ، وجمعه نواطير
(٣) تيمه : ذلله واستعبده ، وهام : أصابه الهيام وهو شبه الجنون

وكتب على الأخرى :

مهجة نفس أبيك مرتاحه يشكو هواها بلفظ تفاحه[١]

فأهدى ذلك التفاح إليه ، فلما قرأ ما عليه قام ، وقد خجل ، وصار شعر الزنج يختار أكثر التفاح ، ويكتب عليه الشعر ، ويحتال بصنوف الحيل فى إيصاله إلى الغلام .

وقال الحاكى : كنت يوماً جالسا أنا والغلام إذ اجتاز بنا بائع فاكهة جل ما معه تفاح ، فأجلسه الغلام ، وابتاع منه التفاح بما أراد دون مُما كسة ، وسر الغلام برخص التفاح ، وجعل يقلبه ويعجب من حسنه ، وإذا هو بتفاحة صفراء ، مكتوب عليها بالأحمر .

تفاحة تخبر عن مهجة أذابها الهجرُ وأضناها
يا بؤسَهَا ماذا بها وَيْلَهَا أبعدها الحب فأقصاها

ففطن حينئذ وخالطنى ، وقال : ما ترى يكتبون الناس على التفاح طلباً للمعاش ، فتغافلت عنه ، وكان شعر الزنج قد دفع التفاح إلى البائع ، وقال له : تلطف فى إيصاله إلى الغلام وبِعْهُ إياه بما أراد .

ثم إن شعر الزنج أهدى إلىّ يوماً تفاحاً كثيراً أحمر كالشقائق ، وأبيض كالفضة ، وأصفر كالذهب ، منه ما كتب عليه ببياض فى حمرة ، وبحمرة فى بياض ، وعلى أحدها شعر :

نبتُّ فى الأغصان مخلوقة من قلب ذى شوق وأحزان
صفرنى سُقمُ الذى لونهُ يخبر عن حالى وأشجانى[٢]

وعلى أخرى بأحمر :

---

(١) صدر هذا البيت قلق ولا يستقيم وزنه

(٢) الأشجان : جمع شجن ، وهو الحزن

تفاحة صيغت كذا بدعة   صفراء فى لون المحبينا

زَيَّنَهَا ذو كمد مدنف   بدمعه إذ ظل محزونا

فامنن فقد جئت له شاكيا   وُقِيتَ من بلواه آمينا

وعلى أخرى :

كتبْتُ لما سُفِكت مهجتى   بالدم كى ترحم بلوائى

رفعت هذى قصتى أشتكى الـ   هجر فوقِّعْ لى بإعفائى

قال : فرحمته ، وأدركتنى رقة له ، وحفظت التفاح جميعاً ، وعملت دعوة ودعوت الغلام وإخوته ، واجتمعنا على مجلس أنس ، وأحضرت التفاح ، فلما أحضرته فرأوا منه شيئاً لم يروا مثله ، ثم تعمدت وضع التفاح المكتوب بين يدى الغلام ، فعجب منه ، وقرأ ما عليه ، وقال لى خفية : ترى من كتب هذا الذى عليه ؟ فقلت له : الذى كتب على ذلك التفاح الذى ابتعته ذلك اليوم ، قال : ومن كتبه ؟ قلت : شعر الزنج ، قال : فخجل ، ثم استهدانيه ، فقلت : لا تستهده فإنه من أجلك عمل ولك حضر ، ثم أخذت فى رياضته على الحضور مع شعر الزنج للمفاكهة(١)، فوجدته شديد النفور منه والبغض فيه ، فتركته ومضيت إلى أبيه ، فقلت له : هل أنا عندك متهم فى ولدك ؟ فقال : حاش لله ولا فى أهلى ، فحكيت له خبر شعر الزنج مع ولده من أوله إلى آخره ، وقلت له : إن هذا الأمر إن تمادى ظهر حاله ، واشتهر ولدك ، وصار أحدوثة للخاص والعام ، وأنا أرى أن اجتماعه بى فى منزلى بحضر من أهله سواك مما يكف لسانه ويستر أمره ، فقال : افعل ما تراه مصلحة فأنت ممن لا يتهم ، قال : فعرفت شعر الزنج بما جرى له ، وقلت له : إذا كانت ليلة كذا وكذا فاحضر وادخل بلا استئذان كأنا لم نشعر بك ، واجلس إلى أن نومئ إليك بالقيام ، ثم دعوت الغلام وإخوته فى الليلة المحدودة ، واجتمعنا

---

(١) فى ب ، ث « للفاكهة » وصوبنا ما أثبتناه

فى مجلس أنس ، وشربنا فلم نشعر إلا وشعر الزنج داخل علينا ، فلما رآه الغلام خجل ، واستوحش ، وهم بالخروج ، فمنعناه ، وكان بحضرتنا تفاح كثير أحمر والفتى يكثر شمه واللعب به والتنقل منه فى أثناء شربه ، فجعل شعر الزنج يتأمَّلُ الغلام ، ثم قال :

يا قمرا فى سَـعْد أبراجه	وبيت أحزانى وأتراحى[1]
ويا قضيبـًا مائلا مائلا	أكْثَرَ فى حبى له اللاَّحِى[2]
أبصرته فى مجلسٍ ساعة	والليل فى حـلة أمساحى
فى فتية كلهمُ سـيد	صالت عليهم سطوة الراح
يعضُّ تفاحًا بتفاحـة	ويشرب الراح على الراح

فخجل الغلام واحمر ، فقال شعر الزنج عدة مقاطيع والغلام يزداد خجلا وتوريدا ، فقلنا لشعر الزنج : يكفيك قد أخجلت الفتى ، فأومأنا إليه بالقيام على الوفق الذى كان بيننا ، فوثب وهو يبكى ، وانصرف وقد انهار الليل ، فلم نزل فى ذكره بقية ليلتنا إلى الصباح ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٧٧)

جعفر بن محمد العلوى

جعفر بن محمد ، العلوى ، الأديب ، المصرى .

من شعره فى مهندس مليح الصورة :

وذى هيئة يُزْهى بحسن وصنعة	أموت به فى كل يوم وأبعث
محيط بأشكال الملاحة وجهه	كأن به إقليدسا يتحدث
فعارضُهُ خطٌّ ، استواء وخالُهُ	به نقطة، والصدغ شكل مثلث

ومن شعره فى مليح مغنّ بيده طار :

غَنَّى بطارٍ طار قلبى له	بأنمُلٍ كالأنجم الخُنَّسِ

(١) الأتراح : جمع ترح – بفتح التاء والراء جميعا – وهو الحزن والكدر

(٢) اللاحى : اللائم العاذل

كأنه والطار فى كفه بدر الدجى يلعب بالشمس

ومن شعره رحمه الله تعالى :

وافيت نحوكُمُ لأرفع مبتدا شعرى وأنصب خفص عيش أخضرا
حاشا كم أن تقطعوا صِلَةَ الذى أو تصرفوا من غير شىء جعفرا

توفى بعد الستمائة، رحمه الله تعالى !.

(٧٨)

قمر الدولة
جعفر بن على

جعفر بن على بن دواس ، المعروف بقمر الدولة .

من أهل مصر ، نشأ بطرابلس الشأم ، وكان شاعرا رقيق الألفاظ ، عذب الإيراد ، لطيف المعانى ، وله فى الغناء وضرب العود وطربه طريقة حسنة بديعة .

من شعره :

إن صار مولاى ذا يَسَار فإننى ذلك المقِـلُّ
كالشمس إن زيدتِ ارتفاعا يقصر فى ءلهـا وظل

وقال رحمه الله تعالى :

لما رأيت المشيب فى الشَّعَر الأسـود قد لاح صِحْتُ واحزنى
هـذا وحق الإله أحسبه أول خيط سدى من الكفن

وقال أيضا :

أنا مِمَّنْ إذا أَتَى صاحبُ البَيْتِ للكِرَى (١)
تَتَجـافَى جنوبُهُم كلَّ وقتٍ عن الكَرَى

وقال أيضا :

لا يظن العَدُوُّ أنَّ انحنائى كبرا عند ما عدمْتُ شَبَابى
ضاع مِنِّى أعز ما كان منى فأنا ناظـر له فى التراب

---

(١) الكرى — بكسر الكاف — أجرة البيت ، وأصله الكراء ، ومن حقه أن يكتب بالألف ، لكنه كتب بالياء لتكميل الجناس

وأرشَقُ من هذا قولُ القائل :

وعهدى فى الصبا زمنا وقَدِّى حكى أَلِفَا ابن مُقْلَة فى الكتاب
فقد أصبحت منحنيا كأنى أفتش فى التراب على شبابى

ومن شعر قمر الدولة :

تعجبَتْ دُرُّ من شيبي فقلت لها لا تعجبى فطلوع البدر فى السدف
وزادها عجبا أن رحت فى سمل وما درت دُرُّ أن الدر فى الصدف

وله أيضا :

قلت لمن نادمنى ليلةً عند التدانى نَحِّ قمصانك
فامتثل المرسوم من وقته فقلت عند الصبح قم صانك

(٧٩)

جعفر بن محمد المتوكل على الله

جعفر بن محمد ، المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد [١] .

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الواثق ، وذلك فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وقتل سنة سبع وأربعين ومائتين .

وكان أسمر ، مليح العينين ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، ولما استخلف أظهر السنة، وتكلم بها فى مجلسه ، وكتب إلى الآفاق برفع [٢] المحنة ، وإظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم .

وقال إبراهيم بن محمد التيمى قاضى البصرة : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، قاتَلَ أهل الردة حتى استجابوا ، وعمر بن عبد العزيز ، ردّ مظالم بنى أمية ، والمتوكل ، محَا البدَعَ وأظهر السنة .

وقال محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب : إنى جعلت دعائى فى المشاهد

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢ / ١١٤

(٢) المراد بالمحنة هنا القول بخلق القرآن ، وقد بدأت فى عهد المأمون العباسى عم المتوكل صاحب الترجمة ، وفيها أوذى قوم من كبار أئمة المسلمين وعلمائهم ، ومنهم إمام أهل السنة والحديث أحمد بن محمد بن حنبل

كلها المتوكل ، وذلك أن عمر بن العزيز جاء الله به لرد المظالم ، وجاء بالمتوكل لرد الدين .

وقال يزيد المهلبي : قال المتوكل يوما : يا مهلبي ، إن الخلفاء كانت تتغضب على الرعية لتطيعها ، وأنا ألينُ لهم ليحبونى و يطيعونى .

يقال : إنه سَلّم عليه بالخلافة ثمانية كل منهم ابن خليفة : منصور بن المهدى ، والعباس بن الهادى ، وأبو أحمد بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وموسى بن المأمون ، وأحمد بن المعتصم ، ومحمد بن الواثق ، وابنه المنتصر بن المتوكل .

وكان جوادا ممدّحا ، يقال : ما أعطى خليفةٌ ما أعطى المتوكل .

وبايع بولاية العهد لولده المنتصر ، ثم أراد عزله وتولية أخيه المعتز لمحبته لأمه وكان يتهدده و يشتمه و يحط منزلته لأنه سأله النزول فأبى ، واتفق أن الترك انحرفوا على المتوكل لأنه صادَرَ وصيفاو بُغَا فاتفقوا مع المنتصر [١] على قتل أبيه ، فدخلوا عليه فى مجلس لهوه فقتلوه .

رآه بعضهم فى النوم فقال له : ما فعل الله بك؟ قال: غفرلى بقليل من السنة أحييته

ورؤى أيضا كأنه بين يدى الله تعالى ، فقيل له : ما تصنع ها هنا ؟ قال : أنتظر محمدا ابنى أخاصمه إلى الله الحكيم الكريم العظيم .

وقيل : كان له أربعة آلاف سُرِّيّة وطئ الجميع .

ودخل دمشق ، وعزم على الإقامة بها لأنها أعجبته ، ونَقَلَ دواوين الملك إليها ، وأمر بالبناء بها ، فغلت عليه الأسعار ، وحال الثلج بين السابلة والمِيرَة ، فأقام بها شهرين وأياما ثم رحل إلى سَامُرَّا ، وكان قد بُنِىَ بأرض دَارَيّا قصر عظيم ، ووقعت محبته فى قلبه بالموافقة .

---

(١) وقع فى ب ، ب هنا « المستنصر » تحريف ، مع ذكرها « المنتصر » قبل ذلك بسطر واحد .

وكان المتوكل قد أمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضى الله تعالى عنه ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ويحرث ، ومنع الناس عن زيارته ، و بقى صحراء ، وكان معروفا بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شَتْمَه على الحيطان ، وهجاه الشعراء دعبل وغيره ، وفى ذلك يقول يعقوب ابن السكيت ، وقيل : هى للبسَّامى :

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... فى قتله فتتبعوه رميما

(٨٠)

جعفر بن حنزابة

جعفر بن حِنزابة[١]، الوزير ، المحدث، أبو الفضل ، البغدادى ، نزيل مصر. وَزَرَ أبوه للمقتدر فى السنة التى قتل فيها ، وتقلد أبو الفضل وزارة كافور الإخشيدى بمصر، قال الخطيب : كان يذكر أنه سمع من أبى القاسم البَغَوى ، وكان يُمْلِى الحديث بمصر، و بسببه خرج الدارقطنى إلى هناك ، وكان ابن حنزابة يريد أن يصنف مُسْنَدًا ، فأقام عنده مدة ، وحصل بسببه له مال كثير ، وروى عنه الدارقطنى أحاديث .

ولد سنة ثمان وثلثمائة ، وتوفى سنة إحدى وتسعين وثلثمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

مَنْ أخمل النفس أحياها وروَّحها ... ولم يبت طاويا منها على ضجر[٢]

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها ... فليس تقصف إلاَّ عالىَ الشجر

قال السِّلَفى : كان ابن حنزابة من الثقات مع جلالته ورياسته .

---

(١) فى ب ، ث « بن خنزابة » بالخاء معجمة — تحريف ، وهو أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة وقد ذكره أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ٣٠٣/٤ وذكر أن وفاته فى سنة ٣٩١ وله ترجمة فى ابن خلكان(رقم ١٣٠)

(٢) فى ث « وروحها » بالحاء المهملة ، ولها وجه

ولما مات كافور وَزر لأبى الفوارس أحمد بن الإخشيد ، فقبض على جماعة من أرباب الدولة ، وصادر يعقوب بن كِلّس[١] ، فهرب إلى الغرب ، وَرَد على أبى عُبَيد[٢] ، وكان قد أخذ منه أربعة آلاف دينار ، ثم إن ابن حنزابة لم يقدر على رضا الإخشيد ، فاختفى مرتين ، ونُهبت داره ، ثم قدم أمير الرملة الحسن بن عبد الله ابن طُغْج ، وغلب على الأمور ، فصادر الوزير ابن حنزابة وعذبه ، فنزح إلى الشام ، ثم إنه بعد ذلك رجع إلى مصر ، وممن روى عنه الحافظ عبد الغنى بن سعيد ، وكان الوزير فى أيامه ينفق على أهل الحرمين من الأشراف وغيرهم ، واشترى دارا إلى جانب المسجد من أقرب الدور إلى القبر الشريف ليس بينها و بينه إلا حائط ، وأوصى أن يدفن فيها ، وقرر عند الأشراف ذلك ، فأجابوه ، فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين ، وخرج الأشراف من مكة ، وحملوه ، وسَعَوْا به وطافوا ووقفوا به بعرفة ، ثم ردوا به إلى المدينة ، ودفنوه فى الدار التى اشتراها ، وحضر جنازته القاضى الحسين بن على بن النعمان وقائد القواد وسائر الأكابر .

وقال المسبحى : لما غسل جعل فى فيه ثلاث شعرات من شَعَر النبى صلى الله عليه وسلم كان ابتاعها بمال عظيم ، وكانت عنده فى درج مختوم الأطراف بمسك ، وأوصى أن تجعل فى فيه إذا مات ، ففعل ذلك .

وقال الشريف محمد بن أسعد الحرانى المعروف بالنحوى : كان الوزير يَهْوَى النظر إلى الحشرات من الأفاعى والحيات والعقارب وأم أربعة وأربعين وما يجرى هذا المجرى ، وكان فى داره التى تقابل دار السكاكى قاعة لطيفة مرخمة فيها تلك الحيات ، ولها قَيِّم وفراش وحاوٍ يستخدمون برسم نقل تلك

(١) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، ووفاته فى سنة ٣٨٠ وله ترجمة فى ابن خلكان (الترجمة رقم ٨٠٢ فى ٦/٢٦ بتحقيقنا)

(٢) كذا ، وهو قد لقى القائد جوهر بن عبد الله قائد المعز الفاطمى ، وعاد معه لى مصر ، ووز للمعز الفاطمى

الحيات وحطها ، وكان كل حاو بمصر يصيد ما يقدر عليه من الحيات ، ويتناهون في ذوات العجب من أجناسها ، وفى الكبار ، وفى الغريب منها ، وكان ينيبهم على ذلك أجل الثواب ، ويبذل لهم الجزيل ، حتى يجتهدوا فى تحصيلها ، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة ، ويدخل المستخدمون والحُوَاة فيخرجون مافى تلك السلل ، ويطرحونه على ذلك الرخام ، ويُحَرِّشون بين الهوام ، وهو يستعجب من ذلك ، ويستحسنه ، فلما كان ذات يوم أنفذ خلف ابن المدبر الكاتب ، وكان من كتاب أيامه ودولته ، وهو عزيز عنده ، ويسكن جواره ، فأنفذ يقول له فى رقعة : إنه لما كان البارحة وعرض علينا الحيات والحشرات ، الجارى بها العادات ، انساب منها الحية البتراء وذات القرنين الكبرى والعقربان الكبير وأبو صوفة ، وما حصلوا لنا إلا بعد عناء طويل و بعد مشقة وجملة بذلناها للحواة ، ونحن نأمر الشيخ وفقه الله تعالى بالتوقيع إلى حاشيته بصَوْن ما وجد منها إلى أن ينفذ الحواة بردها إلى سللها ، فلما وقف ابن المدبر عليها قلب الرقعة وكتب : أتانى أمر سيدنا الوزير — أدام الله تعالى نعمته ، وحرس مدته ! — بما أشار إليه من أمر الحشرات ، والذى أعتمد عليه فى ذلك أن الطلاق يلزمه ثلاثا إن بات هو أو أحد من أولاده فى الدار ، والسلام .

(٨١)

جعفر بن محمد بن ورقاء ، الشيبانى[1] .

جعفر بن محمد ابن ورقاء الشيبانى

كان من بيت إمرة وتقدم وآداب ، ولد بسامرا سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، وتوفى فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة .

وكان المقتدر يجريه مجرى بنى حَمْدان ، وتقلد عدة ولايات ، وكان شاعرا ، كاتبا ، جيد البديهة والروية ، وكان يأخذ القلم ويكتب ما أراد من نثر ونظم

---

(١) أنظر النجوم الزاهرة ٣/٢١٣ فى حوادث سنة ٣١٣

كأنه عن حفظه ، وكان بينه و بين سيف الدولة مكاتبات بالشعر والنثر مشهورة

ومن شعره :

ولما عبثن بأوتارهن قبيل التبلُّج أيقظنني

جَسَسْنَ البهوم وأتبعنها بنقر المثانى فهيجنني

عمدن لإصلاح أوتارهنّ فأصلحنهن وأفسدنني

وله :

هَزَزْتُكَ لا أنى علمتك ناسيا لحقِّى ، ولا أنى أردت التقاضيا

ولكن رأيت السَّيْف من بعد سله إلى الهزِّ محتاجا و إن كان ماضيا

وأنشد المذكور :

قالوا : تَعزَّ لقد أسرفت فى جزع فالموت كأس عميم مُرُّ مشربه

فقلت : إن غرامى والفقيد معا بانا فما أنا مشغول بعطلبه

قالوا : فعينك إحميها فقد رمدت من فيض دمع مُلِثٍّ القطر مسكبه

فقلت : مالىَ فيها بعده أرب هل يحفظ المرء شيئا ليس من أربه

ما كنت أذخرها إلاّ لرؤيته وللبكاء عليه إن فجعت به

(٨٢)

جعفر بن محمد ابن عبد العزيز

جعفر بن محمد بن عبد العزيز بن أبى القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس ابن يحيى ، وأوصل الشيخ أثير الدين نسبه إلى الحسين بن علىّ رضى الله عنهما ، وأنشد له :

لا تلمْنا إذ رقصنا طربا لنسيم هبّ من ذاك الخبا

طبق الأرض بنشرٍ عطرٍ فيه للعشاق سرٌّ ونبا[1]

---

(١) نبا : أصله نبأ — بالهمز — ومعناه الخبر ، أو العظيم منه خاصة ، ثم سهل الهمزة فصارت ألفا

يا أهيل الحى من كاظمة　　قد لقينا من هواكم نَصَبَا
قلتم جُزْ لترانا بالحمى　　وملأتم حيكم بالرُّقبا
ليس أخشى الموت فى حبكم　　ليس قتلى فى هواكم عجبا
إنما أخشى على عرضكم　　أن يقول الناس قولا كذبا :
استحلُّوا دمه فى حبهم　　فاجعلوا وصلى لقتلى سببا

توفى بعد الثمانين وستمائة تقريبا ، رحمه الله تعالى !

(٨٣)

جعيفران الموسوس

جعيفران الموسوس ، ابن على بن أصفر بن السَّرِى بن عبدالرحمن ، الأنبارى من ساكنى سامرا .

ومولده ببغداد ، وكان أبوه من أبناء جند خراسان ، وظهر لأبيه أنه يختلف إلى بعض سَرَاريه فطرده ، وحج تلك السنة ، وشكا ولده إلى موسى بن جعفر الكاظم ، فقال له موسى : إن كنت صادقا عليه فليس يموت حتى يفقد عقله ، وإن كنت قد تحققت ذلك منه فلا تساكنه فى منزلك ، ولا تطعمه شيئا من مالك فى مدة حياتك ، وأخرجه عن ميراثك ، وسَأَلَ الفقهاء عن حيلة تخرجه عن ميراثه ، فدلوه على الطريق فى ذلك ، وأشهد عليه أبا يوسف القاضى ، فلما مات أبوه أحضر الوصى للقاضى بينة عدولا تشهد على أبيه بما كان احتال على منعه ميراثه ، فلم ير أبو يوسف ذلك ، وعزم على أن يورثه ، فقال الوصى : أنا أدفع هذا عن الميراث بحجة واحدة ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وجعيفران يقول : قد ثبت عندك أمرى فلا تدفعنى ، فاستمهل الوصى إلى غد ، وكتب فى رقعة خبره وما قاله موسى بن جعفر ، ورفعها لمن يدفعها إلى القاضى ، فلما قرأها دعا الوصى ، فاستحلفه على ذلك ، فحلف باليمين الغموس ، فقال : تعال غدا مع صاحبك

فحضر إليه ، فحكم أبو يوسف للوصى ، فلما أمضى الحكم وسوس جعيفران ، واختلط(١) ، وكان إذا ثاب إليه عقله قال الشعر الجيد .

وعن عبد الله بن سليمان الكاتب عن أبيه ، قال : كنت ليلة أشرِفُ(٢) من سطح دارى على دار جعيفران ، وهو فيها وحده ، وقد تحركت عليه السوداء ، وهو يدور فى الدار طول ليله ، ويقول :

طاف به طيف من الوسواس فقرَّ عنـــه لذة النعاس

فمـــا يرى يأنس بالأناس ولا يلذ عشرة الجـلاس

* وهو غريب بين هذى الناس *

ولم يزل يرددها حتى أصبح ، ثم سقط كأنه بقلة ذابلة .

وعنه قال : غاب عنا أياما ، وجاءنا عريانا ، والصبيان خلفه ، وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا فى الدار ، فلما بلغ إلىّ وقف عندى ، وتفرقوا عنه ، فقال يا أبا عبد الله :

رأيت الناس يدعونى بمجنون على حال

ولـكن قولُهُمْ هذا لإفلاسى وإقــلالى

ولو كنت أخا وفرٍ رخياً ناعم البـــال

رأونى حَسَنَ العقل أحل المنزل العـالى

وماذاك على خـير ولـكن هيبة المال

قال : فأدخلته منزلى ، فأكل ، وسقيته أقداحا ، ثم قلت له: تقدر على أن تغير تلك القافية ؟ قال : نعم ، ثم قال بديهة :

---

(١) اختلط : أصيب بمس

(٢) أشرف : أنظر من عال

رأيت الناس يَرْمُونِيَ أحياناً بوسواس
ومن يَضْبِطُ يا صاح مقال الناس فى الناس؟
فدع ما قاله الناس ونازع صفوة الكاس
فتى حر صحيح الود ذا بر وإيناس
وإن الخلق مغرور بأمثالى وأجناسى
ولو كنت أخا مالٍ أتونى بين جلاسى
يجيئونى يحيونى على العينين والرأس
ويدعونى عزيزا غير أن الذل إفلاسى

ثم قام ليبول ، فقال بعضُ مَنْ حضر : أى معنى فى عشرتنا لهذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف وهو سكران ؟ ففطن جعيفران لقوله ، فخرج وهو يقول :

ونَدَامى أكلونى إذ تغنيت قليلا
زعموا أنىَ مجنو ن أرى العُرْىَ جميلا
كيف لا أعرى وما أبـ صر فى الناس منيلا
إن يكن قدساءكم قر بى فخلوا لى السبيلا
وأتموا يومكم سَرَّ كمُ الله طويلا

قال : فرفقنا به ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذ إلا بقربك ، وأتيناه بثوب لَبِسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

(٨٤)

شجاع الدين جلدك بن عبد الله المظفرى

جلدك بن عبد الله[١] ، المظفرى ، البغوى ، شجاع الدين ، والى دمياط .

---

(١) ترجم له فى شذرات الذهب ٥/١٢٧ وله ذكر فى السلوك ١ /٢٠٢ و٢٢٤

قال شهاب الدين القوصى فى معجمه : أنشدنى شجاع الدين جلدك لنفسه :

خذوا حذركم من ساحر الطرف أغْيَدِ فكم قتل العشاق عمدا ولا يَدِى(١)
ولا تردوا ماء بمدين حسبة فليس بها ما ينفع الهائم الصَّدِى(٢)
ولما نزلنا وادىَ الود لم أزل أبلُّ ثراه لاثما بتودد
ونادى كليمُ الشوق مولاه ربه فلما تجلَّى دُكَّ طُورُ تجلدى
وخر فؤادى صاعقاً لم أفق لما بدا من سناذاك الجمال المحمدى
سألتكما يا أهل نجدٍ وحاجر على جمرات الوجد مَنْ هو مُنْجِدِى
وكم ليلة أفنيت بالرشف ثغره وجدت على ذاك الشنيب المنضد(٤)
وبات كما شاء اختيارى على المنى وبت وإياه كحرفٍ مُشَدَّدِ.

وسمع جلدك كثيراً من الحديث النبوى على الحافظ السِّلفى ، وروى عنه ، وكان مولاه تقى الدين عمر بن شاهنشاه ولى نيابة الإسكندرية ودمياط ، وشهد مصر ، وذكر أنه نسخ بيده أربعاً وعشرين ختمة ، وكان سمحا ، جوادا ، محباً للعلماء ، مكرماً لهم ، يساعدهم بماله وجاهه ، وله غزَوات مشهورة ، ومواقف مذكورة ، ومدح بالشعر ، وبنى بحَمَاة مدرسة ، قال النفيسى أحمد القرطبى يمدحه بقصيدة منها :

أحرقت يا ثغر الحبيب حشَاىَ لما ذقتُ بَرْدَكْ
أتظن غصن البان يعجبنى وقد عاينت قدك
أوخِلْتَ آس عذارك الغضى يحمى منك وردك

---

(١) الأغيد : الناعم ، ولا يدى : أى لا يغرم الدية

(٢) الصدى : العطشان

(٣) الشنيب والأشنب : الذى به الشنب ، وهو برد وعذوبة في الأسنان

يا قلبَ مَنْ لانت معاطفه علينا ما أشَدَّك
أنطني جلد القوى أو أن لى عزمات جلدك

وتوفى فى شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !.

(٨٥)

جنكزخان
طاغية التتار

جنكزخان[١] طاغية التتار وملكهم الأول الذى خرب البلاد ، ولم يكن للتتار قبله ذكر ، إنما كانوا ببادية الصين ، فملكوه عليهم ، وأطاعوه طاعة أصحاب نبى لنبيهم ، وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، واستولى على بخارى وسمرقند سنة ست عشرة ، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة ، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السند وصل إلى مدينة ينكث[٢] من بلاد الخِطا ، فمرض بها ومات فى رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة ، فكانت أيام مملكته خمساً وعشرين سنة ، وكان اسمه قبل أن يلى الملك تمرجين ، ومات على دينهم وكفرهم ، وخلف من الأولاد ستة ، وفوض الأمر إلى أركناى[٣] أحَدِهم بعد ما استشار الخمسة الباقين ، فلما هلك امتنع أركناى من الملك ، وقال : فى إخوتى وأعمامى مَنْ هو أكبر منى ، فلم يزالوا به بعد أربعين يوماً حتى تملك عليهم ، ولقبوه القان الأعظم ، ومعناه الخليفة فيما قيل ، وبعث جنوده ، وفتح الفتوحات ، وطالت أيامه ، وولى بعده موركونا وهو القان الذى هولاكو بعضُ مُقَدَّميه ، وولى بعده أخوه قبلاى ، وطالت أيام قبلاى ، وبقى فى الأمر إلى سنة أربع وسبعمائة ، ومات بمدينة خان باق .

---

(١) ترجم له فى شذرات الذهب ٥/١١٣ وذكر أنه هلك فى شعبان من سنة ٦٢٤ ، قال : وكان من دهاة العالم وأفراد الدهر وعقلاء الترك ، وهو جد ابنى العم بركة ، وهولاكو . وقد تكرر ذكره فى السلوك (انظر المواضع المذكورة فى فهرس الجزء الأول) وتردد ذكره فى النجوم الزاهرة (انظر المواضع التى وردت فى فهرس الجزء السابع) (٢) كذا ، والمعروف أن جنكزخان دفن فى برخان من بلاد التركستان الصينى (٣) كذا ، ولعله « أوغطاى » أحد أولاد جنكزخان

يقال : إنه لما كان السلطان خوارزم شاه يغزو هؤلاء التتار و يقتلهم ويسبي ذَرَاريهم وأولادهم ويمنعهم من الخروج عن حدود بلادهم اجتمع[١] التتار وشكوا ما يلاقون من خوارزم شاه وما هم فيه من الضيق والبلاء ، فقال لهم جنكزخان : إن ملكتمونى عليكم والتزمتم لى بالطاعة وأتباع النسق الذى أضع لكم شرعه رددت خوارزم شاه عنكم ، فالتزموا له بذلك .

وكان مما وضعه لهم أنه قال : كل من أحَبَّ امرأة بنتاً كانت أو غيرها لم يمنع من التزوج بها ولو كان زبالا والمرأة بنت ملك ، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة ، ويتضاعف نسلهم ، ويكثر عددهم ، فلما تقرر ذلك دخلوا على خوارزم شاه ، وعقدوا مهادنة عشرين سنة ، فما جاءت العشرون سنة إلا وهم أمم لا يُحْصَوْنَ .

وكان من جملة ما قرره أنه إذا حَرَّمَ القان[٢] على أحد شيئاً فلا يحل له أن يأتيه إلى الممات ، وقرر لهم أن من رُعف وهو يأكل قُتل كائنا من كان ، وقرر لهم أن كل من لم يمض حكم النسق ولم يعمل به قتل أيضاً ، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم ؛ لعلمه أنه يداخلهم الحسدُ له ويستصغرونه ، فتركهم يوما وهم على سِمَاطه ورعف نفسه ، فلم يجسر أحد أن يمضى فيه حكمه لمهابته وجَبَرُوته ، فتركوه ولم يطالبوه بما قرره ، وهابوه فى ذلك ، فتركهم أياما ، وجمعهم وقال : لأى شىء ما أمضيتم حكم النسق فىّ وقد رعفت وأنا آكل بينكم ؟ فقالوا : لم نجسر على ذلك ، فقال : لم تعملوا بالنسق ، ولا أمضيتم أمره ، وقد وجب قتلكم ، فقتل أكابرهم واستراح منهم .

---

(١) فى ب « اجتمعوا التتار »

(٢) تقدم فى كلام المؤلف أن « القان » معناه الخليفة

والترك يزعمون أنه ولد الشمس ؛ لأن فى صحاريهم أماكن فيها غاب ، وذلك الغاب لا يقربه أحد من الذكران ، وأن أمة أعتقت فرجها وراحت إلى ذلك الغاب وغابت فيه مدة وأتتهم ، وقالت : هذا من الشمس ؛ لأن الشمس دخلت فى فرجى فى بعض الأيام وأنا أغتسل ، فحملتُ بهذا ، ويقال : إنه كان حدادا ، والله أعلم .

(٨٦)

أمين الدين جوبان بن مسعود الدنيسرى

جوبان بن مسعود بن سعد الله ، أمين الدين ، الدنيسرى ، القواس ، التوزى كان من أذكياء العالم ، وكان له النظم الجيد ، وقال شمس الدين الجزرى : اسمه رمضان ، وجوبان لم يكن يعرف الخط ولا النحو ، وكانت كتابته من جهة التنوير فى غاية القوة بحيث إنه استعار من القاضى عماد الدين بن الشيرازى درجا بخط ابن البوَّاب ونقل ما فيه إلى درج بورق التوز ، وألزق ورق التوز على خشب وأوقف عليه ابن الشيرازى ، فأعجبه ، وشهد له أن فى بعض ذلك شيئا أقوى من خط ابن البواب ، واشتهر بذلك فى دمشق ، وبقى الناس يقصدونه يتفرجون عليه وكان له ذهن خارق .

وتوفى فى حدود الثمانين وستمائة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه ! .

ومن شعره :

إذا افترَّ جُنْحُ الليل عن مَبْسِم الفجر	ولاح به ثغر من الأنجم الزهر[1]
وفاحت له من عابق الروض نكهة	رشفنا به برد الرضاب من الخمر[2]
وعهدى بوجه الأرض مبتسما فلم	تغرز فيها الدمع من مقل الغدر
إذا أرجف الماء النسيم لوقته	كساه شعاع الشمس دِرْعًا من التبر
وبحر الرياض الخضر بالزهر مزبد	كأنا به فى فُلْكٍ مجلسنا نسرى

---

(١) افتر : ضحك وتبسم ، والمبسم : موضع الابتسام ، وهو الفم ، وقد جعل الليل يضحك وجعل للفجر مبسما على التجوز

(٢) الرضاب – بضم الراء – ماء الفم (الريق)

ومن شهب الكاسات بالنجم يهتدى ... إذا تاه سارى العقل فى لجة السكر
نصون الحميا فى القنانى وإنما ... نصون القنانى بالحميا ولا ندرى[(١)]
ولما حكى الراووق فى العين شكله ... وقد علِقَ العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم ، فكله ... عيون على أيام عهد الصبا تجرى
عجبت له والراح تبكى به فلم ... غدت بحباب الكاس باسمة الثغر
إذا ما أتانى كأسها غير مُتْرَع ... تحققت عين الشمس فى هالة البدر[(٢)]
يناولنيها مخطَفُ الخصر أغيد ... فلله ذاك الأغيد المخطف الخصر
ينادمنا نظما ونثرا ، ولفظه ... ومبسمه يغنى عن النظم والنثر
فلم يسقنى كأس المدامة دون أن ... سقانى بعينيه كؤوسا من السحر
وقال وفرط السكر يَثْنِي لسانه ... إلى غير ما يرضى التُّقَى وَهْو لا يدرى
رِدُوا من رضابى ما يعيض عن الطلا ... إذا كان وجهى فيه يُغْنِي عن الزهر[(٣)]
ومن كان لا تحوى ذراعاهُ مِيزَرِى ... فدون الذى تحوى أنامله خصرى

وقال أيضا :

أصغى إلى قول الوشاة بجملتى ... مستفهما عنه بغير مَلالِ
لتلقطى زهرات ورد حديثكم ... من بين شوك مَلاَمة العذال

وقال على طريقة الصوفية والتهكم بهم :

مُتُّ فى عشقىَ معشوقا أنا ... ففؤادى من فراقى فى عَنَا[(٤)]
غبت عنى فتى يجمعنى ... أنا من وجدىَ منى فى فَنَا
أيها السامع تدرى ما الذى ... قلت والله فلا أدرى أنا

---

(١) الحميا : الخمر ، والقنانى : الزجاجات ، واحدها قنينة بزنة سكينة
(٢) أترع الكأس : ملأها
(٣) ردوا : أمر من ورد يرد ، وأصله أن يأتى الماء ليشرب أو يسقى دوابه
(٤) فى ب « فغرامى من فؤادى فى عنا » والعنا : العناء والجهد والمشقة

وقال أيضا :

ألذ العشق ما قتلا ... وأشقى الناس مَنْ عذلا

إذا جار الحبيب على ... محبيه فقــد عدلا

أحاول أن يُقال قضى ... وأحذر أن يقال سلا

ويمكن أن أموت جوًى ... وأما أن أحول فلا[1]

ولى قمر يغــامزنى ... على اللحظاتِ إن غفلا

فما لاحظتــه إلا ... يُضَرَّجُ خده خجلا

وإن طالبته بالعــدل فى حكم الهوى عذلا

وقال فى البان[2] :

نقش زهر البان إذ نابه ... واهتز عند الصبح عجبا وفاح

وقال مَنْ فى الروض مثلى وقد ... تُعْزَى إلى غصنى قدود الملاح

فحدق النرجس يهزو به ... وقال حقا قلتَهُ أو مزاح

بل أنت بالطول تحامقت يا ... مقصوف عدوا بالدعاوى القباح

قال له البان : أما تستحى ... ما هــذه إلا عيون وقاح

وقال أيضا :

إذا كبرت نفسُ الفتى قلَّ عقله ... وأمسى وأضحى ساخطا متعتبا

وإن جاء يستقضى من الناس حاجة ... يرى أنها حق عليهم مرتبا

وإن طالبوه الناسُ يوما بحقهم ... لَوَى وجهه غيظا عليهم وقَطَّبَا[3]

يرى أن كل الناس قد خلقوا له ... عبيدا وفى كل القلوب محببا

فلا يرتضى إن لم يكن تحت أمره ... من الكون يجرى ما أراد وما أَبَى

---

(١) الجوى ـ بفتح الجيم مقصوراً ـ الحزن (٢) البان : شجر سبط القوام ، لين ، ورقه كورق الصفصاف ، واحدته بانة ، وتشبه به قدود الملاح لطوله

(٣) طالبوه الناس : هو لغة ضعيفة اشتهرت بين النحاة باسم « لغة أكلونى البراغيث » والمشهور فى العربية « طالبه الناس »

وقال أيضا :

لاح الهلال ابن يوميه فذكرنى   شُرْبَ المدامة تُجْلَى فى يد الساقى

كأن سقاة الكاس قد نقضت له   بالميل والخمر شفاف عن الباقى[1]

وقال فى شبابة :

وناطقة بأفواه ثمان   تميل بعقل ذى اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار   يخالف بين تقطيع الحروف

يخاطبنا بلفظ لا يعيه   سوى من كان ذا طبع لطيف

فصَيْحة عاشق ونديم داع   وهيئة موكب ومُدَامُ صُوفِى

وقال فى طاسة :

ومعشوقة تسقى المحب رُضَابَهَا   بلثم هَنِيٍّ الرشف غير ممنع

إذا استودعت ردت بغير خيانة   و إن ضربت أنت بغير توجع[2]

مُبَذلة لم تحم عن لثم لاثم   وصاحبها فى غبطة بالتمتع

تجود بما تحوى فتُحيِى ببذلها   وتنقل ما تملى وتحفظ ما تَعِى

تقبلها الأفواه من كل جانب   فما خص منها موضع دون موضع

وقال فى منكورس :

ظبى من الأتراك لا يتركنى   أقطف بالمقلة ورد خدّه

نصف اسمه الأول منك لم يزد   وعكس باقيه شبيه قدّه[3]

وقال أيضا :

ارْبَحْ وخذ نسيئة   واشرب وكُلْ وامْطُلْ ودافع

فأحق ما أكل المحا   بى مالُ أرباب المَطَامع

---

(١) صدر هذا البيت غير مستقيم الوزن مع عجزه والبيت قبله ، وهو مع ذلك كله غير ظاهر المعنى   (٢) أنت : أراد صوتت

(٣) نصف اسمه الأول هو لفظ « منك » ونصفه الثانى « ورس » وعكسه « سرو » وهو شجر بهى المنظر

وقال فى حمام :

جئت أريد الحمام يوماً ... فغرنى النقش والحصير

حتى إذا جزت نلت ريحا ... كأنما تُنْبَشُ القبور

والناس عند الصدور فيها ... قد يبست منهمُ الصدور

يَغْرِف هذا من حوزهذا ... وقد علا منهم الهدير

أنقل خوف الوقوع رجلى ... فيها كما ينقل الضرير

جهنم لا يصاب فيها ... وَهَجٌ بل الكل زمهرير

قد عرفت فالحديث عنها ... بنحس أوصافها يسير

وكلما جاءها زبون ... قالت : ألم يأتكم نذير

وقال أيضاً :

حمانا الترك وانتهكوا حمانا ... ولن يبقى التواصل بالصدود(١)

حمونا بالصوارم والعوالى ... وجاروا باللواحظ والقدود

وقال أيضاً :

عذول لا يمل ولا يميل ... ووجد لا يقل ولا يقيل

ومحبوب يلذ له عذابى ... وإن لم أرضه فأنا المَلُولُ

فجسمى مثل موثقه ضعيف ... وليلى مثل موعده طويل(٢)

يميل على كُلَّ الميل ظلماً ... و بعض البعض ودى لا يميل

أراق دمى بناظره وألوى ... ألا يرضى وقد رضى القتيل

---

(١) فى ب « ولن يفى التواصل بالصدود » ولكل وجه

(٢) الموثق — ومثله الميثاق — العهد

وقال مواليا رحمه الله :

تغيب وتبطى أقول السّاتجى وأقوم[١]

أجرد عليها ومسيها مسا ميشوم

تجى ومعها الشوّا والنقل والمشموم[٢]

أسكت ومن هون قال الناس ذا مطعوم

وقال مواليا عفى عنه :

أفارقه وأقول إنى قد اتسليت ورحت قلبى وزال الهم واتخليت

واذكر مساويه فى حـقى إذا وليت

وإذا رجع جانسيت الـكل واتخليت

وقال دو بيت

يمشى مرحا بتيهه والعجب كالريم إذا خاف لحاق السرب

ما يسرع فى المشية إلا حذرا أن ترسم عينى شخصه فى قلبى

وقال دو بيت :

جاءت سحراً تشق فجر الغلس كالطيف توارت فى ظلال الحلس

ما أطيب ما سمعت من منطقها لا تسل عما لقيته من حرسى

وقال دو بيت :

زارت سـحراً تراقب السمارا رعباً وترعى بالبيوت الفـارا

بالمهجة أفدى خاطراً عن لها حتى ركبت من أجلى الأخطارا

---

(١) السا : أى الساعة

(٢) الشوا — بكسر الشين — الشواء ، ويراد به اللحم المشوى ، والنقل — بفتح النون وسكون القاف — ماينتقل من الشراب إليه ومنه إلى الشراب من فاكهة ونحوها

وقال دو بيت :

لا أستمع الحديث من غيركم   من لذة فكرى واشتغالى بكم
ألوى نظرى كأننى أفهمه   من قائله وخاطرى عندكم

وقال دو بيت :

فى مهجته من مهج العشاق   ما قام دليله على الإحراق
والسالف قد دَبَّ على حمرتها   والورد يرى من خلل الأوراق[1]

---

(١) السالف والسالفة : صفحة العنق ، وقيل : ناحية مقدمها من عند معلق القرط إلى الترقوة . وهما سالفتان .

حرف الحاء

(٨٧)

حسان بن نمير، الدمشقى (عرقلة)

عرقلة الدمشقى[١] : حسان بن نمير ، أبو الندى ، الكلبى، الدمشقى ، النديم الخليع ، المطبوع .

كان من أهل دمشق ، وكان السلطان صلاح الدين قد وعده لما كان بدمشق فى أول أمره ، وهو أمير من أمراء نور الدين ، أنه إن ملك مصر أعطاه ألف دينار ، فلما ملك مصر بعث إليه عرقلة يقول :

قل للصلاح مُغِيثِى عند إعسارى ... يا ألف مولاى أين الألف دينار[٢]

أخشى من الأسر إن وافيت أرضكم ... وما تفى جنة الفردوس بالنار[٣]

فَجُدْ بها عاضديات مُوَفَّرة ... من بعض ماخلف الطاغى أخو العار

حُمْراً كأسيافكم غرًّا كخيلكم ... عتقا ثقالا كأعدائى وأطمارى

فسير له ألفاً ، وأخذ من إخوته مثلها ، فجاءه الموت فجأة ، ولم ينتفع بفجاة الغنى ، وكانت وفاته فى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين وكان أعور ، رحمه الله تعالى ! .

ومن شعره :

أما دمشق فجَنَّاتٌ مزخرفة ... للطالبين بها الولدانُ والحُورُ

ماصاح فيها على أوتاره قمرٌ ... إلا وغناه قمرىٌّ وشحرور

يا حبذا ودروع الماء تنسجها ... أناملُ الريحِ إلا أنها زور

وقال أيضاً :

ترى عند من أحببته لاعدمته ... من الشوق ماعندى وماأنا صانع

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤/٢٢٠

(٢) فى الشذرات « قل للصلاح معينى »

(٣) فى الشذرات « إن حاولت أرضكم »

جميعى إذا حدثت عن ذاك أعين ... وكلى إذا نوجيت عنه مسامع

وقال أيضاً رحمه الله :

كتم الهوى فوشَتْ عليه دموعُه ... من حرّ جمر تحتويه ضلوعه
صَبٌّ تشاغل بالربيع وزهره ... زمناً وفى وجه الحبيب ربيعه
يا لائمى فيمن تمنّع وصلُه ... عن صبه أحلى الهوى ممنوعه
كيف التخلص إن تجنى أو جَنَى ... والحسن شيء لا يُرَدُّ شفيعُه
شمس ولكن فى فؤادى حرها ... قمر ولكن فى القَبَاء طلوعُه
قال العواذل : ما الذى استحسنته ... منه وما يسبيك ؟ قلت : جميعه

وقال أيضاً رحمه الله :

يا معشر الناس حالى بينكم عجب ... وليس يعلم إلا الله كيف أنا
أحب سُمْرَ القنا من أجل مُشْبِهِها ... لونا وأحسد حتى مَنْ به طُعنا
تنام أجفانه المرضى وقد زعموا ... بأن كل مريض يألف الوَسَنَا
يهوى خلافى كما أهوى رضاه ، فإن ... دنوت منه تناءى ، أو نأيت دنا

وقال من أبيات :

أنا السموأل فى حفظ الوفاء لهم ... وهم إذا وَعَدُوا بالوصل عرقوبُ[1]
ما فى الخيام وقد سارت حُمُولهمُ ... إلا محب له فى الركب محبوب
كأنما يوسف فى كل راحلة ... والحى فى كل بيت منه يعقوب[2]

وقال أيضاً رحمه الله :

بروق الغوادى أم بروق المباسم ... أشاقك وَهْناً أم هديل الحمائم ؟

---

(١) السموأل : هو السموأل بن عادياء ، مضرب المثل فى الوفاء ، وعرقوب : رجل من أهل يثرب ، يضرب به المثل فى إخلاف الوعد

(٢) يوسف : ضرب به مثلا للحسن المفارق ، ويعقوب : ضرب به مثلا للحزن

كأن بك الوجد الذى بى من الأسى ... وقد عِيلَ صبرى بين واش ولائم

تروّق ورق الغوطتين لواحظى ... وينحل جسمى حب غزلان جاسم (١)

أأحبابَنَا إن كنتمُ قد عزمتُمُ ... على البعد من أطلالكم والمعالم

فلا تُرْسِلُوا برقاً إلى غير ساهر ... ولا تبعثوا طيفا إلى غير نائم

وقال أيضا غفر له :

حىِّ بالحىِّ من قباب المصلَّى ... منزلا مونقا وماء وظلا

فَقُرَى جلّقٍ فباب الفراديس ... فباب البريد ، عيش تولى

قال لى طيفهم : سلوت هوانا ... قلت : لا والذى دنا فتدلى

قال : بل قلّ ماعهدناك فيه ... قلت : لاوالذى لموسى تجلى

كل شىء يُمَلُّ منه إذا زا ... د وحاشا هوا كم أن يملا

لو رآنى مجنون ليلى إذا ما ... جَنَّ ليلِى لصام شكراً وصلى

يتقلَّى من القلى فلعمرى ... أى صب من القلى ما تقلى

وقال أيضاً رحمه الله :

مِيلُوا إلى دار من ذاق اللمى ميلوا ... كحلا ، وما جال فى أجفانها ميل

هذا بكائى عليها وهى حاضرة ... لا فرسخ بيننا يوما ولا ميل

كأنما قدها رمح ، ومبسمها ... دمى ودمى على الأطلال مطلول

إنى لأعشق ما يحويه برقُعُهَا ... ولست أبغض ما تحوى السراويل

وقال فى المروحة :

ومحبوبة فى القيظ لم تَخْلُ من يد ... وفى البرد تَقْلُوهَا أكف الحبائب

(١) الغوطتين : أراد الغوطة ، فثناها ، والغوطة : هى الكورة التى منها دمشق استدارتها ثمانية عشر ميلا يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها ، قاله ياقوت ، وجاسم : اسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، وهى بلد أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، واشتهرت بأنها مسكن الظباء

إذا ما الهوى المقصور هَيَّجَ عاشقا ... أتت بالهوا الممدود من كل جانب

وقال رحمه الله تعالى :

دمشق حُيِّيتِ من حى ومن نادى ... وحبذا حبذا واديك من وادى

يارائحـــا غاديا عرج على بَرَدَى ... وخَلِّنى من حديث الرائح الغادى[1]

كم قـــد شربت به من ماء دالية ... فى ظل دالية تنبيك عن عاد

فى جنب ساقية من كف ساقية ... كادت تَثَنَّى بقـد غير مياد[2]

لها بعينى إذا ماست معاطفها ... جمـــال مَيَّاسة فى عين مقـداد

وقال أيضا رحمه الله .

قال قوم بَدَا عـذار وهيب ... فاسْلُ عنه فقلت لا كيف أسـلو

أنا جلد على لقا أســـد عينـــيه أأخشى عذاره وهو نَمْلُ

وقال أيضا :

كثر الخوْن وقلَّتِ الإخوان ... فاليوم لاحسن ولا إحسـان

ياليت شعرى أين كنت من الدُّنا ... والنـاس ناس والزمان زمان

وقال أيضا رحمه الله :

عارضاها إن تبدت عارضاها ... وسلاها عن فؤاد ماسلاها[3]

بأبى جارية جائزة ما ... إن شفت علة قلبى شفتاها

أتمـنى قبـلة من يدها ... وسوانى ملَّ من تقبيل فاها[4]

وقال وكان أعور وله معشوق طويل :

لى حبيب قده قـــدٌّ من السمر الرقاق

من رآه ورآنى ... قال ذا غير اتفاق

---

(١) بردى ـ بفتحات ـ نهر دمشق (٢) لعلها « بقد جد مياد »

(٢) سلاها الأولى : أمر من السؤال ، وسلاها الثانية ماض من السلو : أى اسألاها عن فؤاد لم يسلها

(٣) « تقبيل فاها » يجرى على لغة تلزم الأسماء الخمسة الألف فى الأحوال كلها

أعور الدجال يمشى ... خلف عُوج بن عناق

وقال فى قوم مدحهم فأعطوه شعيرا :

يقولون لم أرخصت شعرك فى الورى ... فقلت لهم إذ مات أهل المكارم
أجاز على الشعر الشعير وإنه ... كثير إذا خلّصته من بهائم

وقال أيضا رحمه الله :

عسى من ديار الظاعنين بشير ... ومن جور أيام الفراق مجير
لقد عِيلَ صبرى بعدهم وتكاثرت ... همومى ولكنّ المحب صبور[1]
وكم بين أكناف الثغور متيم ... كئيب غزته أعين وثغور[2]
سقى الله من سطرى ومقرى منازلا ... بها للندامى نظرة وسرور[3]
ولا زال ظل النيرين فإنه ... طويل ، وعيش المرء فيه قصير
فيا بَرَدَى لا زال ماؤك باردا ... عسى شَبِم من حافتيك نمير
أبى العيش إلا بين أكناف جلّقٍ ... وقد لاح فيها نضرة وسرور
وكم بحمى جيرون سِربُ جآذر ... حبائلهن المال وهى نفور
ولكن سأحويه إذا كنت قاصدا ... إلى بلد فيه الصلاح أمير

وقال ، وقد تولى صلاح الدين يوسف شحنكية دمشق فى الأيام النورية :

رُوَيدكُمُ يا لُصوص الشآم ... فإنى لكم ناصح فى المقال
أتاكم سمىُّ النبىّ الكريم ... يوسف رب الحجى والجمال
فذاك يُقَطِّع أيدى النساء ... وهذا يقطع أيدى الرجال

وقال أيضا رحمه الله :

عندى إليكم من الأشواق والبُرَحا ... ما صير الجسم من فرط الضَّنَى شبحا

---

(١) عيل صبرى : ضعف

(٢) الثغور الأول : جمع ثغر ، وهو موضع المخافة مما يلى بلاد العدو ، والثغور الثانى : جمع ثغر ، وهو الفم

(٣) سطرى – بفتح فسكون – قرية من قرى دمشق ، ومقرى – بفتح فسكون أيضا – قرية بالشام من نواحى دمشق ، وهذا البيت أنشده ياقوت فى « سطرى »

أحبابنـــا لاتظنونى سلوتـكم   الحـال ما حال والتبريح مابرحا
لو كان يسبح صَبٌّ فى مدامعه   لـكنت أول من فى دمعه سبحا
أو كنت أعـلم أن البين يقتلنى   ما بنت عنكم ولـكن فات ماذبحا

(٨٨)

الحسن بن أحمد أبى سعيد ، الجنابى ، القرمطى [١] .

الحسن ابن أحمد الجنابى القرمطى

مولده بالأحساء ، توفى بالرملة سنة ست وستين وثلثمائة .

غلب على الشام ، وكان كبير القرامطة ، واستناب على دمشق وشاح بن عبد الله ، وقدم إلى دمشق ، وكسر جيش المصريين ، وقتل جعفر بن فلاح ، ثم توجه إلى مصر وحاصرها شهورا ، وكان يظهر طاعة أمير المؤمنين الطائع .

قال القاضى فى كتابه « الإشعار ، بما للملوك من النوادر والأشعار » : إن أبا على القرمطى قال فى بعض الليالى لـكاتبه أبى نصر بن كشاجم : ما يحضرك فى هذه الشموع ؟ فقال : إنما نحضر مجلس السيد لنسمع كلامه ، ونستفيد من أدبه، فقال القرمطى بديها رحمه الله تعالى :

ومجدولة مثل صدر القناة   تعرّت وباطنها مكتسى
لها مقلة هى روح لها   وتاج على هيئة البرنس
إذا غازلتها الصَّبا حركت   لسانا من الذهب الأملس
وإن رَنَّقَتْ لنعاس عَرَا   وقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج فى وقت تلقيحها   ضياء يُجَلِّى دجى الحندس
فنحن من النور فى أسعد   وتلك من النار فى أنحس

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣/٥٥ وضبط الجنابى بفتح الجيم ـ وقيل بضمها ـ وتشديد النون ، وآخره موحدة ، وقال : نسبة إلى جنابة بلد بالبحرين ، وضبط القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ، وقال : والقرمطة فى اللغة تقارب الشىء بعضه من بعض ، ويقال : خط مقرمط ، ومشى مقرمط ، إذا كانا كذلك ، لأن أبا سعيد والد الحسن المذكور كان قصيرا مجتمع الخلق ، وانظر أيضا معجم البلدان لياقوت (جنابة) ٣/١٤٢

(٨٩)

الحسن بن أحمد بن محمد بن جكينا ، الشاعر ، البغدادى[1] .

الحسن بن أحمد ابن جكينا الشاعر

كان من ظرفاء الشعراء الخلعاء ، وأكثر أشعاره مقطعات .

وذكره العماد الكاتب وقال : أجمع أهل بغداد على أنه لم يُرْزَقْ أحد من الشعراء لطافة شعره ، توفى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

من شعره :

لافتضاحى فى عوارضه سبب والنـــاس لُوَّامُ[2]
كيف يخفى ما أكابده والذى أهواه نمـــامُ

وقال أيضاً رحمه الله :

تزايد القول فيه أن له وَرْدًا جَنِيًّا فى صفحة الخدّ
فنكرشت عارضاه تُشْعر أنّ الشوك لا بدّ منه للورد

وقال أيضاً رحمه الله :

لمـــا بدا خط العذا ر يزين خـــدّيه بمشق
فظننت أن سواره فوق البياض كتاب عتقى
فإذا به من ســـوء حظى عهدة كتبت برقى

وقال أيضاً عفى عنه :

ولائم لام فى اكتحالى يوم استباحوا دَمَ الحسين
فقلت : دعنى، أحقُّ عضوٍ ألبس فيـه السواد عينى

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٨٨/٤

(٢) البيتان فى الشذرات ، وفيه « افتضاحى فى عوارضه » بغير لام ، وما هنا هو الصواب

وأحسن منه قول أبى الحسين الجزار :

ويعود عاشوراء يذكرنى رُزء الحسين فليت لم يعد

ياليت عيناً فيه قد كحلت لشَماتَةٍ لم تخل من رمد

ويَدًا به لمسرة خضبت مقطوعة من زندها بيدى

أمَّا وقد قتل الحسين به فأبو الحسين أحق بالكمد

ولابن حكينا فى الشريف ابن الشجرى صاحب الأمالى :

يا سيدى والذى يعيذك من نظم قريض يَصْدَا به الفكر

ما فيك من جدِّك النبىِّ سوى أنك لا ينبغى لك الشعر

(٩٠)

أبو نصر الحسن بن أسد

الحسن بن أسد[١] بن الحسن بن الفارقى[٢] ، أبو نصر .

شاعر ، رقيق حواشى النظم ، كثير التجنيس ، كان فى أيام نظام الملك والسلطان ملكشاه ، شمله منهما الجاه بعد أن قبض عليه لأنه تولى آمد وأعمالها باستيفاء مالها ، فخلصه الكامل الطبيب ، وكان نحويا رأسا ، وإماما فى اللغة ، وصنف فى الآداب تصانيف .

اتفق أنه كان شاعر من العجم يعرف بالغسانى وفد على أحمد بن مروان ، وكانت عادته إذا وفد عليه يكرمه وينزله ، ولا يستحضره إلا بعد ثلاثة أيام ، واتفق أن الغسانى لم يكن أعدّ شعرا يمدحه به ثقةً بنفسه ، فأقام ثلاثة أيام ولم يفتح عليه بشىء ، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد ولم يغير منها غير الاسم ، فغضب الأمير وقال : هذا الأعجمى يَسْخَر منا ، وأمر أن يكتب بذلك إلى ابن أسد ، فأعلم الغسانىَّ بعضُ الحاضرين بذلك ، فجهز الغسانى غلاما له جَلْدا إلى ابن أسد

---

(١) له ترجمة موجزة فى شذرات الذهب ٣/ ٣٨٠

(٢) فى ب ، ث « الغارفى » تحريف ، وأثبتنا ما فى الشذرات

يدخل عليه ويُعَرِّفه العذر ، فوصل الغلام إلى ابن أسد قبل وصول قاصد ابن مروان ، فلما علم ذلك كتب الجواب إلى ابن مروان أنه لم يقف على هذه القصيدة أبدا ، ولم يرها إلا فى كتابه ، فلما وقف ابن مروان على الجواب أساء على الساعى وسبه ، وقال : إنما تريد إساءتى بين الملوك ، ثم أحسن إلى الغسانى ، وأكرمه غاية الإكرام ، وعاد إلى بلاده ، فلم يمض على ذلك مدّة حتى اجتمع أهلُ ميّافارقين ودعوا ابن أسد على أن يؤمروه عليهم ، وأقيمت[1] الخطبة للسلطان ملك شاه وإسقاط اسم ابن مروان ، فأجابهم إلى ذلك ، وحشد ابن مروان ، ونزل على ميافارقين ، فأعجزه أمرها ، فسير إلى نظام الملك والسلطان يستمدّهما ، فأنفذا إليه جيشا ومددا مع الغسانى الشاعر ، وكان قد تقدّم عند السلطان ، فصَدَقوا الحملة على ميافارقين ، فملكوها عنوة ، وقبض على ابن أسد ، وجىء به إلى ابن مروان ، فأمر بقتله ، فقام الغسانى وجرد العناية فى الشفاعة حتى خلصه وكفله بعد عناء شديد ، ثم اجتمع به وقال : أتعرفنى ؟ قال : لا والله ، ولكن أعرف أنك مَلَك من السماء مَنَّ الله على بك لبقاء مُهْجتى ، فقال : أنا الذى ادّعَيْتُ قصيدتك وسَتَرْتَ علىّ ، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فقال ابن أسد : ما سمعت بقصيدة جحدت فنفعت صاحبها إلا هذه ، فجزاك الله خيرا ! وانصرف الغسانى من حيث جاء ، وأقام ابن أسد مدّة ، وتغيرت حاله ، وجفاهُ إخوانه ، وعاداه أعوانه ، ولم يقدر أحد على مُرَافدته ، حتى أضرَّ به العيش ، فنظم قصيدة مدح بها ابن مروان ، فلما وقف عليها غضب وقال : ما يكفيه أن يخلص منا رأسا برأس حتى يريد منا الرِّفْدَ[2] ، لقد أذكرنى بنفسه ، أصلبوه ، فصلب سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

---

(١) كذا ، ولعله « وإقامة الخطبة »

(٢) الرفد ــ بكسر الراء وسكون الفاء ــ العطاء

ومن شعره رحمه الله :

أريقاً من رضابك أم رحيقا رَشَفْتُ فلست من سكرى مفيقا[1]
وللصَّهباء أسماء ، ولكن جهلْتُ بأن فى الأسماء ريقا

ومنه أيضاً رحمه الله :

ولرب دانٍ منك تكره قربه وتراه وهو عشاء عينك والقَذَى[2]
فاعرف وخل مجربا هذا الورى واترك لقاءك ذا كفافا والق ذا

وقال أيضاً غفر له :

يا من جلا ثغره الدرّ النظيم ومن تخال أصداغه السود العناقيدا
أعطف على مستهام ضيم من أسف على هواك وفى حبل العَنَاقِيدَا[3]

وله أيضاً رحمه الله :

لا يصرف الهم إلا شَدْوُ محسنة أو منظر حسن تهواه أو قَدَحُ
والراح للهم أنفاها فخذ طرفا منها ودع أمة فى شربها قدحوا
تكن يخال إذا ما المزج خالطها سقاتها أنهم زندا بها قدحوا

وقال أيضاً :

تراك يا متلف جسمى ويا مكثر إعلالى وأمراضى
من بعد ما أضنيتنى ساخط علىّ فى حبك أم راضى

وقال أيضاً رحمه الله :

قد كان قلبي صحيحا كالحمى زمنا فمذ أبحت الهوى منه الحمى مرضا
فكم سخطت على من كان شيمته وقد أبحت له فيك الحمام رِضَا
يا من إذا فوقت سَهْمًا لواحظه أضحى لها كل قَلْبٍ قُلَّبٍ غرضا

---

(١) الرحيق : من أسماء الخمر ، وكذلك الصهباء

(٢) العشا — بفتح العين مقصورا — ضعف البصر ليلا ، وقد مده هنا للضرورة

(٣) العناقيدا : من كلمتين « العنا » أى الجهد والمشقة ، و « قيدا » ماض مبنى للمجهول ، والعناقيدا فى البيت قبله جمع عنقود

نا الذى إن يمت حبا يمت أسفا ⁂ وما قضى فيك من أغراضه غرضا
ألبستُ ثوب سَقَام فيك صار له ⁂ جسمى لدقته من سقمه عرضـا
وصرت وقفـا على هم تجاذبنى ⁂ أيدى الصبابة فيـه كلما عرضا
ما إن قضى الله شيئا فى خليقته ⁂ أشد من زفرات الحب حين قَضَى
فلا قضى كاف نَحْبا فأوجعنى ⁂ إن قيل إن المحب المستهام قضى

(٩١)

نصر الدين الحسن بن شاور النفيسى

الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن .

هو ناصر الدين بن النقيب الكنانى المعروف بالنفيسى .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : جالسته بالقاهرة مراراً ، وكتبت عنه ، وكان نظمه حسنا ، وتوفى سنة سبع وثمانين وستمائة .

روى عنه الدمياطى والشيخ فتح الدين ، وغيرهما ، وله كتاب سماه « منازل الأحباب ، ومنازه الألباب » مجلدين ، وله ديوان مقاطيع فى مجلدين ، وشعره جيد عذب مُنْسجم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة ، وهو أحد فرسان تلك الحَلْبة الذين كانوا من شعراء مصر فى ذلك العصر ، ومقاطيعه جيدة إلى الغاية رحمه الله .

من شعره :

يا من أدَارَ بريقه مَشْمولة ⁂ وحَبَابها الثغر النقى الأشنب
تُفَّاح خـدك بالعذار مُمَسَّك ⁂ لـكنه بدم القـلوب مخضب

وقال أيضا رحمه الله :

يا مالـكى ولديك ذلى شافعى ⁂ مالى سألتُ فما أجَبْتَ سؤالى
فوخدك النعمان إن بليتى ⁂ وشكيتى من طرفك الغزّالِ [١]

---

(١) النعمان : أراد الأحمر ، أو الناعم ، والغزالى : أراد الباعث إلى كثرة الغزل ، نسبه إلى الغزال وهو اسم المبالغة من « غزل »

وقال أيضا عفى عنه :

وما بين كفى والدراهم عامر ... ولست بها دون الورى ببخيل

وما استوطنتها قَطُّ يوما وإنما ... تمر عليهـــا عابرات سبيل [١]

وقال أيضا رحمه الله :

ما كان عيبـا لو تفقدتنى ... وقلت هل أتهم أو أنجدا

فعادة السادات من قبلُ أن ... يفتقـدوا الأتباعَ والأعبدا

هــذا سليمان على ملـكه ... وهو بأخبـــار له يقتدى

تَفَقَّد الطير وأجناسها ... فقال مالى لا أرى الهدهدا

وقال أيضا عفر له :

أراد الظبى أن يحكى التفاتك ... وجيدك، قلت لاياظبى فاتك

وفدّى الغصنُ قدّك إذ تثنّى ... وقال الله يبقى لى حيــاتك

ويا آسَ العذار فدَتْك نفسى ... وإن لم أقتطف بفمى نباتك

ويا ورد الخدود حمتك عنى ... عقاربُ صدغه فَامن جناتك

ويا قلبى ثَبَتَّ على التجـنى ... ولم يثبت له أحـــد ثباتك

وقال أيضا رحمه الله :

أقول لنوبة الحمى اتركينى ... ولايك منك لى ماعشت أوبَة

فقالت كيف يمكن ترك هذا ... وهــل يبقى الأمير بغير نوبه

وقال أيضا رحمه الله :

حُدِّثْتَ عن ثغره المحلىّ ... فمِلْ إلى خـده المورد

خـــد وثغر فجلّ رب ... بمبدع الخلق قد تفرد

---

(١) أخذ معنى هذا البيت من قول الشاعر :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا ... لكن يمر عليها وهو منطلق

هذا عن الواقدى يروى وذاك يروى عن المبرد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أنا العذرى فاعذرنى وسامح وجُرَّ علىَّ بالإحسان ذيلا
ولما صرت كالمجنون عشقا كتمت زيارتى وأتيت ليلا[1]

وقال أيضا رحمه الله :

وجردت مع فقرى وشيخوختى التى تراها فنومى عن جفونى مُشَرد
فلا يَدَّعِى غيرى مَقَامى فإننى أنا ذلك الشيخ الفقير المجرد

وقال أيضا عفى عنه :

أعملت نفسى فى السماء وقد بدا فيها هلال جسمه منهوك
فكأنما هى شقة ممدودة وكأنه من فوقها مكوك

وقال رحمه الله تعالى :

قالوا فلان ناظر فأجبتهم ما ناظر إلا إلى أعطافه
لم يدر مَسْحَ الأرض قلت أزيدكم أخرى ولا مسح على أطرافه

وقال أيضا رحمه الله :

الصب من بعدكم مفرد ودمعه النيل وتخليقه
وخَدُّه مما بكاكم دما مقياسه والدمع تخليقه

وقال أيضا عفا الله عنه :

وما بى سوى عين نظرت لحسنها وذاك لجهلى بالعيون وغِرَّتِى
وقالوا به فى الحب عين ونظرة لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتى

---

(١) قوله « وأتيت ليلا » يحتمل أنه أراد أتيت فى الليل، وأنه أراد زرت ليلى وهو اسم معشوقة المجنون

وقال أيضا رحمه الله :

قالوا قد احترقت بالنار راحته   وهى الغمام ومنها الوابل الغَدَقُ
وقال قوم وما ضَلّوا وما وهموا   بأنها النيل قلت النيل يحترق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أبلم قلدوه أمر الرعايا   وهو فى حلية الوزارة عطل
فهو بالبوق فى الوزارة طبل   وهو فى لدَّسْتِ حين يجلس سطل

وقال أيضا غفر الله له :

يا غائبا لو قضيت من أسف   من بُعْدِهِ ما قضيت ما يجب
ما ترك السقم بعد بعدك لى   والله جنبا عليه أنقلب

وقال أيضا رحمه الله :

يقول جسمى لنحولى وقد   أفرط بى فرط ضنى وا كتئاب
فعلت بى يا سقم ما لم يكن   يلبس والله عليه الثياب

وقال أيضاً رحمه الله :

لا تأسفن على الشباب وفَقْدِهِ   فعلى المشيب وفقده يُتَأَسَّفُ
هذاك يخلُفهُ سواه إذا انقضى   ومضى ، وهذا إن مضى لا يخلف

وقال أيضا غفر الله له :

عجبت للشيب كنت أكرهه   فأصبح القلب وهو عاشقه
وكنت لا أشتهى أراه فقد   أصبحت لا أشتهى أفارقه

وكتب إلى السراج الوراق :

ما زلت مذغبت عنك فى بلدى   تصفح حتى[1] أزحت علتها
أقتُ أجرانها على عَجَلٍ   وبعد هذا خزَّنْتُ غَلَّتَهَا

---

(١) فى ب، ث « تصفح حتى إذا ما أزحت علتها » وكلمتا « إذا ما » زائدتان على الوزن ، ولا يحتاجهما المعنى

وكتب إليه ابن سعيد المغربى :

أيا ساكنى مصر غدا النيل جاركم ... فأكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر
وكان بتلك الأرض سحر، وما بقى ... سوى أثر يبدو على النظم والنثر

فأجابه ابن النقيب :

ولما حلت الثغر زاد حلاوة ... وخليته أغلى من الشذر والدر
فرحت وبى شوق وما كنت شَيِّقًا ... لملثم ذاك الثغر لولاه فى الثغر(١)
فلا تطلبن سحر البيان بأرضنا ... فكم فيه موسى مبطل آية السحر
ولا رقّةَ الشعر الذى كان أولا ... وكيف رقيق الشعر مع قسوة الدهر

وكتب ابن النقيب إلى السراج الوراق :

يا ساكن الروضة أنت المشتهى ... من هذه الدنيا وأنت المقتضى(٢)
ويا سرور النفس بين الشعرا ... أنت الوضى" فيهمُ والمرتضى
ويا سراجاً لم تزل أنواره ... تعيد مُسْوَدّ الليالى أبيضا
مالى أراك قاطعا لواصل ... ومعرضا عن مقبل ما أعرضا

فأجابه السراج الوراق :

يا سهم عتب جاء من كنانة ... أصبْتَ من سواد قلبى الغرَضَا
لكن أسوت ماجرحته بما ... أعقبته من العتاب بالرضا
يا ابن النقيب ما أرى مَنْقَبَة ... إلا وأولئك الثناء الأبيضا
إن ولائى حَسَن فى حسن ... إذ ما أرى لعمر أن يرفضا

وقال أيضا تغمده الله برحمته :

قَلَّدتُ يوم البين جيدَ مودعى ... دررا نظمت عقودها من أدمعى

---

(١) شيقا : مشتاقا ، وملثم : مصدر ميمى بمعنى اللثم

(٢) المشتهى هنا : اسم مفعول فعله « اشتهى الشىء يشتهيه » والمشتهى : اسم متنزه من متنزهات مصر وفيه يقول ابن الفارض :

وطنى مصر وفيها وطرى ... ولعينى مشتهاها مشتهاها

وحدا بهم حادى المطىّ فلم أرى ... قلبي ولا جلدى ولا صبرى معى

وَدَّعتهم ثم انثنيت بحسرة ... تركتْ معالم معهدى كالبَلْقعِ [1]

ورجعت لا أدرى الطريق ولا تسَلْ ... رَجَعَتْ عداك المبغضون كمرجعى

وأشد مابى فى القضية شامت ... قد جاءنى فى صورة المتوجِّع

يا صاحبي أنْصِتْ لأخبار الهوى ... حاشا لمثلك أن تقول ولا يعى

إنى أحدث فى الهوى بعجائب ... وغرائب حتى كأنى الأصمعى

يا نفس قد فارقت يوم فراقهم ... طيبَ الحياة ففى البقا لا تطمعى

هيهات يرجع شملنا بالأجرع ... وتعود أحبابى الذى كانوا معى [2]

ما كان أحسننا وهم جيراننا ... والشمل ملتئم بتلك الأرُبعِ

بحياتكم جودوا علىّ تكرما ... فعسى خيالكم يُلم بمضجعى

فلقد عدمت الصبر يوم فراقكم ... وتضرمَتْ نار الأسى فى أضلُعِى

يا نازحين فهل لكم من عودة ... نزح التفرق مابقى من مدمعى

إن لم تعودوا للديار وترجعوا ... لهلكت من شوق وفرط توجُّعِى

أترى يعود الدهر يجمع بيننا ... ويلذ طيب حديثكم فى مسمعى

ويقرّ قلبٌ قد أطيل خفوقه ... وتنام عين بعد كم لم تهجع [3]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

نحن الا قطاعة الأجناد ... وبرايات غر هذا النادى

نحن إلا حكاية وخيال ... وحديث لحاضر ولبادى

نحن إلا غسالة لمراق ... لقدور تفرغت وزبادى

نحن إلا زبالة ضمها الزبال فوق الأكوام للوقاد

(١) انثنيت : رجعت ، والبلقع ـ بزنة جعفر ـ القفر الخالى من السكان

(٢) الأجرع ، وأنثاه الجرعاء : مكان فيه صغار الحصى ، والذى : أراد الذين

(٣) يقر : يسكن ويهدأ ويثبت .

جردونا فما قطعنا فردو ناوقد أحسنوا إلى الإغماد

وعرضنا على براذين جيش ما استعدت لحملة وطراد

وأتينا من القماش إليهم بخليع مرقع وكداد

وسروج تطاير الجلد عما كان من تحتها من الأعواد

قد نبذنا عنها مياثرها اللبد وخان البلدان عهد الوكاد

كشف الله ذلك الستر عنها فرأينا عوراتهن بوادى

ورماح لم تعتقل لطعان وسيوف ما جردت لجلاد

صدئت فى الجفون من كثرة اللبث وملت بها لطول الرقاد

فهو لا فرق فى يد الفارس الكشحان منا أو فى يد الحداد

أترى من يكون فى هذه الحال مطيقا مكاد تلك البلاد

ويخوض الفرات فى شهر كانون وهو شهر مصعب فى القياد[1]

ودعونى بمفردى وما ذاك إلا لوحدتى وانفرادى

ألقيت جثتى على طمرات نجب شاقتنى لجر الجياد

كيف أقوى على الجهاد وخبزى ما أراه يكفى لسفرة زاد

وقال أيضاً رحمه الله :

إذا صرصر البازى فلاديك صادح ولا فاختة فى أيكة يترنم[2]

وما الموت إلا طيب طعمه إذا تدايك فروج وزبب حصرم[3]

وقال أيضا رحمه الله :

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا والعلق لا شىء لديه ولا معه

فأجبتهم إنفاقه من صرمه قالوا صدقت فذاك ينفق من سعه

---

(١) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن

(٢) صرصر : صاح

(٣) الفروج : الصغير من الديوك ، وتدايك : فعل مايفعل الديك . وزبب : حصرم : جعله مثلا لمن يتشايخ قبل الأوان

وقال عفا الله عنه :

يا ناظرى ما خلت أنك هكذا عونا علىّ وأنت من أعدائى

أرميتنى وفعلت بى والله ما لا تفعل الأعداء بالأعداء

فإذا ابتلاك الله يوما بالبكى والسهد فاعلم أنه بدعائى

وقال أيضا رحمه الله :

كم تجنّيْتَ أمردا وتأبيت وكم تهت بالملاحة زائد

ثم صار الجميع إذ ضرب الحىّ وبقى وجهنا ووجهك واحد(١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا قُفْلَ باب الرزق يا ذا الذى ما زال عند الفتح قفلا عسر

أفرطت فى العسر ولا بد أن تنفشّ أو تندق أو تنكسر

وقال أيضا رضى الله عنه :

ألا يا أمير الملاح اتئد فقد ذَلَّ مَنْ بالجمال انتصر

ولا بدَّ تعزل عما قليل إذا قام عارضك المنتظَرْ

وقال أيضا رحمه الله :

قالت بماذا قصرت شعراً من أسود الرأس والعذار

فقلتُ: إن تسألى فهذى قصارة الليل والنهار

(٩٢)

الأمير أبو الفتح ابن أبى حصينة

الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبى حصينة ، الأمير أبو الفتح .

توفى فى حدود الخمسمائة ، رحمه الله تعالى !.

---

(١) كذا ، والبيت غير مستقيم الوزن ، ولعل البيت هكذا :

ثم زال الجميع إذ صرت ألحى وبقى وجهنا ووجهك واحد

والحى : أي ذا لحية

من شعره يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس :

سرى طيف هند والمطىُّ بنا تسرى ... فأخفى دجى ليل وأبدى سنا فجر

خليـــلىّ فكأنّى من الهم وأركبا ... فجاج الموامى الغُـبْرَ فى النُّوَبِ الغبر (١)

إلى ملك من عامــــر لو تمثلت ... مناقبه أغنت عن الأنجم الزهر (٢)

إذا نحن أثنينا عليـــــه تلفقت ... إليه المطايا مُصْغِيات إلى جـبر

وفوق سرير الملك من آل صالح ... فتىً ولدته أمه ليـــلة القدر

فتى وجهه أبهى من البـدر منظراً ... وأخلاقه أشهى من الماء والخمر

أبا صالح أشكو إليـــك نوائبا ... عَرَتْنِى كما يشكو النبات إلى القَطْرِ (٣)

لتنظر نحـــوى نظرة إن نظرتَها ... إلى الصخر فَجَّرْتَ العيون من الصخر

وفى الدار خلفى صبية قد تركتهم ... يطلون إطلال الفراخ من الوكـر

جنيت على روحى بروحى جنـــاية ... فأثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى

فَهَبْ هِبَةً يبقى عليـــك ثناؤها ... بقاء النجوم الطالعات التى تسرى

قال الأمير أسامة بن مرشد : فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضى والشهود ، وأشهد على نفسه بتمليك ابن أبى حصينة ضيعة من ملكه لها ارتفاع كثير ، وأجازه ، وأحسن إليه ، فأثرى ، وتموّل .

ولما امتدح نصر بن أبى صالح بحلب قال له : تمنَّ ، قال : أتمنى أن أكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ، ويخاطَبُ بالأمير ، وقرّبه ، وصار يحضر مجلسه فى زُمْرة الأمراء ، ثم وهبه يوما أيضا مكانا بحلب قبل حمام الواسانى ، فعمله داراً ، وعرّضها ، وزخرفها ، وتمم بناءها ، وكمل حالها ، ونقش على دائرة الدرابزين :

---

(١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق المسلوك فى الجبل ، والموامى : جمع مومأة وهى الصحراء (٢) المناقب : جمع منقبة ، وهى المفخرة

(٣) عرتنى : نزلت بى ، والقطر ـ بفتح فسكون ـ المطر

دار بنيناها وعشنا بها … في دَعةٍ من آل مرداس[١]
قوم مَحَوْا بؤسى ولم يتركوا … عَلَيَّ في الأيام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا … فليفعل الناس بالناس

ولما تكامل بناء الدار عمل دعوة ، وأحضر إليها نصر بن صالح ، فلما أكل الطعام ورأى حسن بناء الدار ونُقُوشها وقرأ الأبيات قال : يا أمير ، كم خسرت على بناء الدار ؟ قال : يا مولانا مالى علم ، بل هذا الرجل قد تولَّى عمارتها ، فسأل المعمار ، فقال : غرم عليها ألفى دينار مصرية ، فأحضر من ساعته ألفى دينار مصرية وثوب أطلس وعمامة مذهبة وحصانا بطوق ذهب وسرفسار ذهب[٢] ، وقال له :

قل لبنى الدنيا ألا هكذا … فليفعلَنَّ الناس بالناس[٣]

و بعد أيام حضر رجل من أهل المعرة ينبز بالزقوم كان من أراذلها وفيه رجله[٢] فطلب خبز جندى ، فأعطي ذلك ، وجعل من أجناد المعرة ، فلما وصل نظم أحمد ابن محمد الزويدة المعرى :

أهل المعرة تحت أقبح خطة … وبهم أناخ الخطب وهو جسيم
لم يكفه تأميرهُ ابنَ حصينة … حتى تجند بعـــده الزقوم
يا قوم قد سئمتْ لذاك نفوسُنَا … يا قوم أين الترك أين الروم

فاشتهرت الأبيات بالمعرة وحلب ، وسمعها الأمير أبو الفتح ، فقحم على باب ابن الزويدة ، ففتح له ، وقال : الآن والله كان عندى الزقوم وقال : والله مابى من الهجو مابى من كونك قَرَنْتَنى بابن أبى حصينة ، فقال له : قبحك الله ! وهذا هجو ثان .

---

(١) الدعة — بفتح الدال والعين جميعا — هدوء النفس واطمئنان البال وسكون الخاطر (٢) كذا (٣) فى ب ، ث « فلفعل الناس بالناس » فى الموضعين ، ولا يستقيم وزن البيت

(٩٣)

أبو محمد شمس الدين تاج العارفين الحسن بن عدي

الحسن بن عدى[١] بن أبى البركات بن صخر بن مسافر ، الملقب بتاج العارفين ، شمس الدين ، أبو محمد ، شيخ الأكراد ، وجَدُّه أبو البركات هو أخو الشيخ عدى رحمهما الله تعالى !

وكان شمس الدين من رجال العالم رأيا ودهاء ، وله فضل وأدب وشعر وتصانيف فى التصوّف ، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبى : و بينه و بين الشيخ عدى من الفَرْق ، كما بين القَدَم والفَرْق[٢] ، وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رق قلبه ، و بكى وغشى عليه ، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ، ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يتشحَّطُ[٣] فى دمه ، فقال : ما هذا؟ فقالوا : و إيش هذا من الكلاب حتى يبكى سيدنا الشيخ ؟ فسكت حفظا لدسته ولحرمته ، وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فقبض عليه وحبسه ، ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفا من الأكراد ؛ لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده ، فخشى أن يأمرهم بأدنى إشارة فيخربون بلاد الموصل ، وفى الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بد أن يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه ، وما يعتقدون أنه قُتل .

وكانت قتلته سنة أربع وأربعين وستمائة ، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه !

ومن شعره :

سطَا وله فى مذهب الحب أن يسطو   مليح له فى كل جارحة قسط

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٢٢٩

(٢) الفرق الأول واحد الفروق ، والفرق الثانى أصله موضع فرق الشعر من الرأس ، وأراد به هنا الرأس

(٣) يتشحط فى دمه : يتضرج به ، ويضطرب فيه ، ووقع فى الشذرات «يخبط» وفيه « فقالوا : و إلى إيش هو هذا الكلب حتى يبكى سيدنا » وفى ب «ولا إيش»

ومن فوق صحن الخد للنقط غاية   تدل على ما يفعل الشكل والنقط

(٩٤)

أبو على الحسن بن على العبدى (الهمام)

الحسن بن على بن نصر بن عقيل ، أبو على ، العبدى ، الواسطى ، البغدادى ، المنعوت بالهمام .

مدح طائفة بالشام والعراق ، وأقام بدمشق ، وكان شيعيا ، روى عنه القوصى ، واتصل بخدمة الأمجد صاحب بعلبك .

توفى سنة ست وتسعين وخمسمائة

ذكره العماد الكاتب فى الخريدة .

ومن شعره رحمه الله :

ذمَّا مَعى قلبى وليلى فى الهوى   فكلاهما بالطيف نم وأخبرا

ذا أيقَظَ الرقباء فرطُ وجيبه   بين الضلوع وذاك أشرق إذ سَرَى[1]

وقال أيضا رحمه الله :

أين من ينشد قلبا   ضاع يوم البين منى ؟

تاه لما راح يقفو   أَثَرَ الظبى الأغَنِّ

سكن البيد فعلمى   فيهما لارجم ظن

أن هذا فى لظى حزن وذا فى روض حسن

نُحْ معى شوقا إلى البـانة يا روقُ وغَنِّ

كلنا قد علم الحب   بنـا عاشق غصن

(٩٥)

القاضى المهذب الحسن بن على

الحسن بن على بن إبراهيم بن الزبير بن محمد ، الملقب بالقاضى المهذب[2] .

---

(١) وجب القلب يجب ـ كوصف يصف ـ وجيبا : أى خفق واضطرب

(٢) له ترجمة قصيرة فى شذرات الذهب ٤/١٩٧ وقد أنشد له فيها ثلاثة الأبيات اللامية ، وله ترجمة فى معجم الأدباء ٩/٤٧ وله ترجمة فى الطالع السعيد ١٠٠

كان كاتباً مليح الخط ، جيد العبارة ، مليح الألفاظ ، واختص بالصالح ابن رُزِّيك ، ويقال : إن أكثر الشعر الذى فى ديوان الصالح إنما هو من شعر المهذب ، وحصل له من مال الصالح شىء جم ، ولما مات ابن الحباب شمت به ابن المهذب ، ومشى فى جنازته بثياب مذهبة ، فاستقبح الناس فعله ، ونقص بهذا السبب ، ولم يعش بعده إلا شهراً واحداً .

ومن شعره :

لقد طال هذا الليل بعد فراقه ... وعهدى به قبل الفراق قصير

وكيف أرجِّى الصبح بعدهم وقد ... تولَّتْ شموس بعدهم و بدور

وله أيضاً رحمه الله :

أقصِرْ فديتك عن لومى وعن عَذَلِى ... أولا فخذ لى أماناً من ظُبَى المُقَل [1]

من كل طرف مريض الجفن ينشدنى ... (يا رب رام بنجد من بنى ثعَل) [2]

إن كان فيه لنـــا وهو السقيم شفاً ... (فربما صحت الأجسام بالعلــل)

وله فى رفاء :

بليت برفاء لواحظُ طرفــه ... بنا فعلت ما ليس يفعـله النصل

يجور على العشاق والعـدل دأبه ... ويقطعنى ظلما وصنعته الوصـل

وله أيضاً رحمه الله :

ولئن ترقرق دمعــه يوم النوى ... فى الطَّرف منه وما تناثر عقده

فالسيف أقطع ما يكون إذا غدا ... متحـــيراً فى صفحتيه فرنده

وقال يرثى صديقاً له وقع المطر بعد موته :

بنفسىَ من أبكى السموات فقده ... بغيث ظَنَنـــنَّاه نوال يمينه

---

(١) الظبي : جمع ظبة — بضم ففتح — وهى حد السيف ، والمقل جمع مقلة — بضم الميم — وهى العين ، والإضافة من إضافة المشبه به إلى المشبه

(٢) فى الشذرات « ينشدلى » وبنو ثعل : أشهر العرب بالإصابة فى الرمى

فما استعبرت إلا أسًى وتأسفا ... وإلا فماذا القطر فى غير حينه

وله أيضا عفى عنه :

لا ترجُ ذا نحس وإن أصبحت ... من دونه فى الرتبة الشمسُ
كيوانُ أعلىٰ كوكب موضعا ... وهـو إذا أنصفته نحس(١)

وله أيضا رحمه الله :

إذا أحرقت فى القلب موضع سكناها ... فمن ذا الذى من بعد يكرم مثواها
وما الدمع يوم البين إلا لآلئٌ ... على الرسم فى رسم الديار نثرناها
وما أطلع الزهرَ الربيعُ وإنما ... رأى الدمع أجياد الغصون فحلاها
ولما أبان البين سر صدورنا ... وأمكن فيها الأعين النجل مرماها
عددنا دموع العين لما تحدرت ... دروعا من الصبر الجميل نزعناها
ولما وقفنا للوداع وترجمت ... لعينىَّ عما فى الضمائر عيناها
بدت صورة فى هيكل فلوَ انّنا ... ندين بأديان النصارى عبدناها
وما طربا صغنا القريض، وإنما ... جلا النور مرآة القرائح مرآها
وليلة بتنا فى طلا وشبيبتى ... سُرَاى وفى ليل الذوائب مسراها
تأرج أرواح الصَّبَا كلما سرت ... بأنفاس رَيَّا آخر الليل رياها
ومهما أدرنا الكأس باتت جفونُنا ... من الراح تسقينا الذى قد سقيناها

ومنها :

ولو لم يجد يوم الندى فى يمينه ... لسائله غير الشبيبة أعطاها
فيا ملكَ الدنيا وسائس أهلها ... سياسة من ساس الأمور وواساها
ومن كلَّفَ الأيام ضد طباعها ... وعاين أهوال الخطوب وعاناها
عسى نظرة تجلو بقلبى وخاطرى ... صداه فإنى دائما أتصداها(٢)

---

(١) كيوان : اسم لزحل بالفارسية ، وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة
(٢) أتصداها : أتعرض لها

ومنه القصيدة التى كتبها إلى الداعى لما قبض على أخيه باليمن يستعطفه على أخيه الرشيد فأطلقه ، وهى :

يا رَبْعُ أين ترى الأحبة يمموا ... هل أنجدوا من بعدنا أو أتْهَمُوا[(١)]

نزلوا من العين السواد و إن نأوا ... ومن الفؤاد مكان ما أنا أكتم

رَحَلوا وفى القلب المعنَّى بعدهم ... وجـد على مر الزمان مخيم

وتعوضت بالأنس روحى وَحْشَةً ... لا أوحش الله المنازلَ منهم

إنى لأذكركم إذا ما أشرقت ... شمسُ الضحى من نحوكم فأسلم

لا تبعثوا لى فى النسيم تحيـة ... إنى أغار من النسيم عليكم

إنى امرؤ قد بعْتُ حظى راضيا ... من هـذه الدنيا بحظى منكم

فسلوت إلا عنكم وقنعت إلا منـكم ... وزهـدت إلا فيكم

ما كان بعد أخى الذى فارقته ... ليبوح إلا بالشكاية لى فَمُ

هو ذاك لم يملك علاه مالك ... كلا ولا وجدى عليـه متمم[(٢)]

أقْوَتْ مغانيه وعطل ربعه ... ولَرُبَّمَا هجر العرينَ الضيغم[(٣)]

ورمت به الأهوال همة ماجد ... كالسيف يمضى عزمه و يصمم

يا راحلا بالمجد عنـا والعلا ... أترى يكون لكم علينا مَقْدَمُ

يفديك قوم كنت واسط عقدهم ... ما إن لهم مذ غبت شمل يُنْظَمُ

جهلوا فظنوا أن بعدك مَغْنم ... لمـا رحلتَ و إنما هو مَغْرم

ولقد أقر العينَ أن عِدَاكَ قد ... هلـكوا ببغيهم وأنت مُسَلَّم

أقيال بأس خيرُ مَنْ حمل القَنَا ... وملوك قحطان الذين هم هم

متواضعين ولو ترى ناديهم ... ما اسطعْتَ من إجلالهم تتكلم[(٤)]

---

(١) أنجدوا : ساروا إلى نجد ، وأتهموا : ساروا إلى تهامة

(٢) أراد مالك بن نويرة ومتمم من نويرة أخاه

(٣) فى ب « لما رمى هجر العزيز الضيغم » وفى ث « ولربما هجر العزيز » وكلاهما تحريف ، والضيغم : الأسد ، والعرين — بفتح العين — مسكنه ، وهو فى المعجم كما أن أثبتناه

(٤) فى معجم الأدباء « متواضعون » وكل صحيح عربية

وكفاهم شرفا ومجـدا أنهم ... أن أصبح الداعى المتوج منهم
هو بدر تم فى سمـاء علاهم ... وبنو أبيـه بنو زريع أنجم
ملك حمـاه جنة لعفاته ... لـكنه للحاسـدين جهنم
مع أننى سيرت فيك شواهدا ... كالدر بل أبهى لدى من يفهم
تغدو وهوج الذاريات رواكد ... وتبيت تسرى والـكواكب نوم

(٩٦)

الحسن بن على الساسكونى

الحسن بن على السّاسكونى(١) .

من شعره :

أيروم هـذا القلب برء جراحه ... وسيوف لحظك تنتضى لـكفاحه(٢)
يا مستبيح دم المتيم عامـدا ... أنسيت يوم البعث حمل جناحه(٣)
نظرى الذى فى الحب قد أفسدته ... وفساده فى الحب عين صلاحه
حتّام تطرف طرف عينى بالبكى ... وإلام طرفى مولع بطلاحـه
يا ويح مودع سره فى جفنـه ... فلقد أراد الستر من فضّاحـه
ليت الحبيب غداة أثمر خـده ... لم يمن عن عينى جنى تفاحـه
يا لائم المشتاق تبغى نصحه ... مره بهم لتكون من نصاحـه
أو فانظر الرشأ الذى خلخاله ... لو شاء صيره مكان وشاحـه
يفـتر عن شـبم تلألأ نوره ... كالروض لاح لديك نور أقاحه(٤)
ويدير ناظره فيسكرنا فقـل ... رشأ ينوب بعينه عن راحـه
ملك إذا رتج العـدا أبوابهم ... كانت مفاتحها رؤوس رماحه

---

(١) الساسكونى : نسبة إلى ساسكون ، قال ياقوت « ساسكون من قرى حماة ، ينسب إليها المهذب حسن الساسكونى شاعر شاب عصرى أنشدنى له بعض أصحابنا أبياتا فى الجبول » اهـ (٢) انتضى السيف : استله من غمده ، وقد شبه ألحاظه بالسيوف ، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه (٣) الجناح — بضم الجيم — الإثم
(٤) يفتر : يبسم ويضحك ، وشبم — بفتح فكسر — أصله البارد ، وأراد الفم

يُرْجَى ويخشى فالمنية والمنى مقرونتان بصفحه وصفاحــــه
سمح لوَ أن الغيث كلم قبله بشرا لعنفه لفرط سماحـــه[1]
هو بحر جودٍ فابتعد عن لجه لا يغرقنك وَادْنُ من ضحضاحه[2]
يعلو وينزل للرعية فضـــله كالطَّود يدفع ماءه لبطاحـــه[3]

وقال يمدح زين الدين أتابك :

أعن لؤلؤ رطب تبَسَّمْتِ أم ثغر ومن ريقة أسكرتني أم من الخمر
وعطفك تيهاً ماس أم خوط بانة وطرفك أم هاروت ينفث بالسحر
فعنك نهـــانى لائمى ولو أنه يحاول نصحى بَدَّلَ النهى بالأمر
وها فاَ نْذِرِى إن كنت ناذرة دمى لديك ، وياشوقى إلى ذلك النذر
وإنى لأهوى أن تبوئى بقتلتى ليبعثنى خصما لك الله فى الحشر

وقال أيضا يهجو عروضيا نحويا :

لا تنكروا ما ادّعى فلان من الـــشعر إذا قيل إنه شـــاعر
فالنحو ثم العروض قد شهدا له على الشـــعر أنه قادر
يقصر ممـدوده ويرفعـــه فى الجر نصب الغرمول فى الآخر
يريك وهو البسيط دائرة تجمع بين الطويل والوافر

وقال فى طراحة فيروز أخضر :

أنا أرض تغـــار منى السماء إذ يطانى بأخمصيه البهاء
فاض من كفه المنى فاستدارت فى حواشيه روضة غنـــاء

وقال ، وقد ناوله مليح خاتما فصّه عقيق ولوزاته فضة :

وأهيَفٍ ناولنى خاتما فخلتـه ناولنى فاه
كأنما الفص ولوزاته لسانه بين ثنـــاياه
فصل فيه أنه خاتم من فضة قد صاغه الله

---

(١) الغيث : المطر ، وعنفه : لامه أشد اللوم ، والسماح : الجود
(٢) الضحضاح ــ بفتح الضادين ــ الماء القريب الغور
(٣) الطود ــ بالفتح ــ الجبل

(٩٧)

أبو على الحسن بن عضد الدولة الجذامى

الحسن بن عضد الدولة ، أبى الحسن ، أخى المتوكل على الله ملك الأندلس ابن يوسف بن هود ، الجذامى(١) .

قال الشيخ أثير الدين : رأيته بمكة ، وجالسته ، وكان يظهر منه الحضور مع من يكلمه ، ثم لا يظهر الغيبة منه ، وكان يلبس نوعا من الثياب مما لم يعهد لبس مثله بهذه البلاد ، وكان يذكر أنه يعرف شيئا من علوم الأوائل ، وكان له شعر ، منه :

خُضْتُ الدجُنَّةَ حتى لاح لى قَبَسٌ ... وبان بانُ الحمى من ذلك القبس

فقلت للقوم هذا الربع ربعهم ... وقلت للسمع لا تخلو من الحدس

وقلت للعين غُضِّى عن محاسنه ... وقلت للنطق هذا موضع الخرس

وقال الشيخ شمس الدين : هو الشيخ الزاهد الكبير أبو على بن هود ، المرسى ، أحد الكبار فى التصوف على طريقة الوحدة .

مولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بِمُرْسِية ، وكان أبوه نائب السلطنة بها ، حصل له زهد مفرط ، وفراغ عن الدنيا ، وسكرة عن ذاته ، وغفلة عن نفسه ، واشتغل بالطب والحكمة ، وزهديات الصوفية ، وخلط هذا بهذا ، وحج ، ودخل اليمن ، وقدم الشام ، وكان ذا هيبة ، ووقار ، وشيبة ، وسكون ، وفنون ، وتلامذة وذبول ، وكان على رأسه قبع كشف(٢) ، وعلى جسده دلق ، كان غارقا فى الفكرة ، عديم اللذة ، متواصل الأحزان ، فيه انقباض عن الناس ، وحمل مرة إلى والى البلد وهو سكران ، أخذوه من حارة اليهود ، فأحسن

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٢٤٦ ، وسماه « بدر الدين حسن بن على بن أمير المؤمنين أبى الحجاج يوسف ، المغربى ، الأندلسى ، نزيل دمشق المعروف بابن هود » وقال « ووصفه الذهبى بالاتحاد والضلالة » (٢) كذا

الوالى به الظنّ ، وأطلقه ، وقال : سقاه اليهود خُبْثًا منهم ليغضوا منه بذلك ، وكان قد نالهم منه أذى ، وأسلم على يده جماعة : منهم سعيد ، وبركات ، وكان يحب الكوارع المغمومة ، فدعوه إلى بيت واحد منهم ، وقدموا له ذلك ، فأكل ثم غاب ذهولا على عادته ، فأحضروا الخمر ، فلم ينكر حضورها ، فأداروها ، ثم ناولوه منها قَدَحا ، فاستعمله تشبها بهم ، فلما سكر أخرجوه على تلك الحلة ، وبلغ الخبر الوالى ، فركب وحضر إليه ، وأردفه خلفه ، وبقى الناس خلفه يتعجبون من أمره ، وهو يقول لهم بعد كل فترة : إيش جرى من ابن هود بشرب العقار ؟ يعقد القاف كافا فى كلامه ، وكان يشتغل اليهود عليه فى كتاب « الدلالة » وهو مصنف فى أصول دينهم للريس موسى .

قال الشيخ شمس الدين : قال شيخنا عماد الدين الواسطى : أتيت إليه وقلت له : أريد أن تسلكنى ، فقال : من أىّ الطرق ؟ من الموسوية ، أو من العيسوية ، أو المحمدية ؟ .

وكان إذا طلعت الشمس يستقبلها ويُصَلِّب على وجه .

وصحب العفيف عمران الطبيب ، والشيخ سعيد المغربى ، وغيرهما ، ولم يصل عليه إلا القاضى بدر الدين بن جماعة .

ودفن بسفح قاسيون سنة سبع وتسعين وستمائة[1] .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : كان بعض الأيام يقول له تلميذه سعيد : أرنى فاعل النهار ، فيأخذ بيده ويصعد إلى سطح فيقف باهتا إلى الشمس نصف نهار ، وكان يمشى فى الجامع ، باهت الطرف ، ذاهل العقل ، وهو رافع

---

(١) فى الشذرات عن المناوى فى طبقاته أن وفاته كانت فى سنة تسع وتسعين وستمائة ، واتفق مع ما هنا على أنه دفن بقاسيون

أصبعه السبابة كالمتشهد ، وكان يوضع فى يده الجمر فيقبض عليه ذهولا عنه ، فإذا أحرقه رجع إلى حسه فألقاه من يده ، وكان يحفر له الحفر فى طريقه فيقع فيها ذهولا وغيبة .

ومن شعره عفا الله عنه :

فؤادىَ من محبوب قلبىَ لايخلو ... وسرى على فكرى محاسِنَهُ يجلو
ألا يا حبيب القلب يا من بذكره ... على ظاهرى من باطنى شاهد عَدْلُ
تجلَّيْتَ لى منى علىّ فأصبحت ... صفاتى تنادى : ما لمحبوبنا مثل
أوَرِّى بذكر الجزع عنه وبانة ... ولا البان مطلوبى ولا قصدىَ الرمل
وأذكر سُعْدىَ فى الحديث مغالطا ... بليلىٰ ولا ليلى مرادى ولا جُمْلُ
ولم أر فى العشاق مثلى ؛ لأننى ... تلذ لى البلوى ويحلو لى العذل
سوى معشر حلوا النظام ومزقوا الثياب فلا فرض عليهم ولا نَفْلُ
مجانين إلا أن ذل جنونهم ... عزيز ، على أعتابهم يسجد العقل

وله قصيدة منها :

علم قومى بى جهل ... إن شانى لأجَلّ
أنا عبد أنا رب ... أنا عز أنا ذل (١)
أنا دنيا أنا أخرى ... أنا بعض أنا كل
أنا معشوق لذاتى ... لست عنى الدهر أسلو (١)

وهى طويلة جدا ، والله تعالى أعلم بحاله .

---

(١) بهذا ونحوه تمسك الذهبى على أنه اتحادى

(٩٨)

بدر الدين
الحسن بن على
الـكاتب

الحسن بن على ، الشيخ بدر الدين ، المحدث ، الكاتب المجود .

كان فاضـلا ، ينظم وينثر ، وله كتاب برُبى الجابية بدمشق ، وكان يكتب القصص بالأمينيـة ، وكتب عليه جماعـة . وهو كتب على الشيـخ نجم الدين بن النضيض .

توفى سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وقد ناهز السبعين .

كان الملك الأوحد له معه صحبة ، فتحدث له مع الأفرم أن يدخل ديوان الإنشاء بدمشق ، فرسم له بذلك ، فأبى ، فلامَهُ الملك الأوحد على ترك ذلك ، فقال : أنا إذا دخلت إلى الديوان ما يرتَّبُ لى أكثر من خمسة دراهم كل يوم ، ولم يجلسونى فوق بنى فضل الله ، ولا بنى القلانسى ، ولا بنى القَيْسَرانى ، ولا فوق بنى غانم ، ولم يجلسونى إلا دونهم ، ولو تكلمت قالوا : أبصر الصقعة واحد كان فقيه كتاب يريد أن يقعد فوق السادة الموقعين ، وإن جاء سفر ما يخرجون غيرى ، وإن تكلمت قالوا : أبصر الصقعة ، يحتشم عن السفر فى ركاب ملك الأمراء ، وها أنا كل يوم أحصِّلُ من المكتب الثلاثين درهما والأكثر والأقل ، وأنا كبير هذه الصناعة ، وأحكم فى أولاد الرؤساء والمحتشمين .

ومن شعره فى فرحة بنت المخايلة المغنية :

ما فرحتى إلا إذا واصلت　　　فَرْحَةُ بين الـكس والـكاس
لا أن أراها وَهْىَ فى مجلس　　　ما بين طباخ وهرَّاسِ

ومن شعره رضى الله تعالى عنه :

وقد عنفونى فى هَوَاه بقولهم　　　ستطلع منه الذهن واصبر على الحزن

فقلت لهم : كفوا فإنى واقـع   وحقـكم بالوجـد فيه إلى الذقن

(٩٩)

أبو الجوائز الحسن بن على الواسطى

الحسن بن على بن محمد الكاتب ، أبو الجوائز ، الواسطى[١] .

أقام ببغداد زمناً طويلا ، وذكره الخطيب فى تاريخـه ، وقال : عُلِّقت عنه أخبار ، وحكايات ، وأناشيد ، وأمالٍ عن ابن سكرة الهاشمى ، وغيره ، ولم يكن ثقـة ، فإنه ذكر لى أنه سمع من ابن سُكَّرة ، وكان يصغر عن ذلك ، وكان أديباً شاعراً .

ومن شعره :

دع الناس طرًّا واصرف الودَّ عنهم   إذا كنت فى أخلاقهم لا تسامح
ولا تبـغ من دهر تظاهر زَيْفُهُ   صفاء بَنِيـهِ فالطباع جوامح
وشيئان معدومان فى الأرض : دِرْهم   حـلال ، وخل فى المودَّة ناصح

ومن شعره أيضا رحمه الله :

يا خجلتى من قولها   خان عهودى وَلَهَا[٢]
وحق من صيرنى   وقفا عليها ولهـا[٣]
ما خَطَرَتْ بخاطرى   إلا كستنى ولهـا[٤]

وكانت وفاته فى سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

---

(١) له ترجمة فى ابن خلـكان ذكر فيها كل ما ذكره هنا (رقم ١٦٥) فليس هو من الفوات

(٢) ولها : الواو للعطف ، لها : ماض من اللهو ، وفى ابن خلـكان « واحزنى من قولها »   (٣) ولها : الواو للعطف ، واللام جرف جر ، وها : ضمير الغائبة

(٤) الوله ـ بفتح الواو واللام ـ أن يشتد العشق حتى يشبه الجنون

وقال أيضاً غفر له :

براني الهوى برىَ المُدَى وأذابنى صدودك حتى صرت أنحل من أمسِ
فلست أرى حتى أراك وإنما يبين هباء الذرِّ فى أفق الشمس

(١٠٠)

أبو العالية الحسن بن مالك العمى

الحسن بن مالك ، أبو العالية ، الشامى ، مولى العميين ، و بنو العم : قوم من فارس نزلوا البصرة فى بنى تميم أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

كان أديباً شاعراً ذا دراية من أصحاب الأصمعى ، وكان إذا جلس الأصمعى أو غيره وتكلم معه انتصف منه وزاد عليه .

ومن شعره :

ولو أننى أُعطِيتُ من دهرىَ المنى وما كلُّ من يعطى المنى بِمُسَدَّدِ
لَقُلْتُ لأيَّامٍ مَضَيْنَ ألا ارْجِعِى وقُلْتُ لأيامٍ أتَيْنَ ألاَ ابْعَدِى

حدث المبرد قال : قال الجماز لأبى العالية : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت على غير ما يحب الله وغير ما أحب أنا وغير ما يحب إبليس ؛ لأن الله عز وجل يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك ، وأنا أحب أن أكون على غاية الجِدَة والثروة ولست كذلك ، وإبليس يحب أن أكون منهمكا فى المعاصى واللذات ولست كذلك .

ومن شعره أيضاً :

أذم بغداد والمُقَامَ بها من غير ما خبرة وتجريب
ما عند سُكَّانها لمختبط رِفْد ولا فرجة لمكروب(١)
قوم مواعيدهم مُطَرَّزة بزخرف القول والأكاذيب
خلوا سبيل العلى لغيرهم ونازعوا فى الفسوق والحوبِ

(١) المختبط : هو من يتعرض لك ابتغاء معروفك من غير أن تكون له وسيلة يمت بها إليك ، والرفد — بالكسر — العطاء .

يحتاج راجى النوال عندهم إلى ثلاث من غير تكذيب
كنوز قارون أن تكون له وعُمْر نوح وصَبْرُ أيوب

وكانت وفاته يوم تمام الأربعين والمائتين، رحمه الله تعالى!

(١٠١)

أبو الحسين الحسن بن المبارك

الحسن بن المبارك بن محمد بن الخل، الفقيه، أبو الحسين[١].

كان شاعراً، ظريفاً، رشيق القول، مليح المعانى، مدح وهجا، وتنوع فى قول الشعر، وقال الدوبيت.

قال محب الدين بن النجار: روى شعره أبو بكر بن كامل الخفاف وأبو القاسم على - هو ابن الحسين بن هبة الله الدمشقى - فى معجم شيوخهما، وكلهم سماه الحسن، وسماه ابن السمعانى أحمد، ورأيت بخطه «وكتب الحسن».

وتوفى فجأة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

ومن شعره رحمه الله تعالى:

رَوِّحَا روحى براح ليس بالماء القَرَاحِ
وادركانى بالأغانى قبل إدراك الصباح
فهو يوم قد بدت فيه أمارات الفلاح
يوم لهو وفنون من مجون ومزاح
سِيَّمَا والغيم قد أقبل من كل النواحى
واستغاث الماء فى دجلة من جور الرياح
ودَعَا عذْلكما لى فى فسادى وصلاحى

---

(١) وقع فى الاصول «أبو الحسنين» وقد ذكر فى شذرات الذهب ١٦٤/٤ أبا الحسن محمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف بابن الخل، الفقيه الشافعى البغدادى، وذكر عقيبه أخاه أبا الحسين أحمد بن المبارك، ولابن الخل ترجمة في ابن خلكان (رقم ٥٦٥) وذكر فيها أبا الحسين أحمد بن المبارك، وهو هذا؛ ولكنه عقدها لأخيه أبى الحسن محمد الفقيه

ففساد العقل أن أبصر في ذا اليوم صاحى

وقال أيضاً رحمه الله :

زار طيف الخيال نِضْوَ خيال زورةً ما تموهت بالوصال
غير أن المحب يرضى بِطَيْفٍ أو بوعد منغص بمطال
وعلى أنه يسر ولكن حين يسرى عنى يزيد خبالى
آهِ من قلة التجلد والصبر، وويلى من كثرة العذال
وبنفسى ذاك الغزال وحاشا حسنه أن أقيسَهُ بالغزال
والبديع الذى إذا بلبل الأصداغ أعدى القلوب بالبلبالِ
ومُحَيَّاه كالهلال إذا أقمر فى تمه ولا كالهلال

وقال أيضاً رحمه الله :

قلت لها لا تقتلى مدنفاً هَوَاكِ قد هَيَّجَ بلباله
مازال يرجو منك وَصْلاً إلى أن قطع الهجران أوصاله
فابتسمت تيها وقالت وكم قد قتلت عيناى أمثاله

(١٠٢)

أبو محمد الحسن ابن محمد الوزير المهلبى

الحسن بن[١] محمد بن عبد الله بن هارون ، أبو محمد ، الوزير المهلّبى ، من ولد المهلب ابن أبى صُفرة .

كان كاتب معز الدولة بن بُوَيه ، ولما مات الصيمرى قلده معز الدولة الوزارة مكانه ، وقرّبه ، وأدناه ، واختص به ، وعظم جاهه عنده ، وكان يدبر أمر الوزارة للمطيع من غير تسمية الوزارة ، ثم جُدِّدت له الخِلَع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمِنْطقة ، ولقبه المطيع بالوزارة ، ودبر الدولتين ، وكان ظريفا

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٩/٣ وله ترجمة فى وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ١٧٠ فى ٣٩٢/١ بتحقيقنا) فليس هو من الفوات ، وله ترجمة فى معجم الادباء ١١٨/٩

نظيفاً ، قدأخذ من الأدب بِحَظٍّ وافر ، وله همة كبيرة ، وصَدْر واسع ، وكان جامعاً لخلال الرياسة ، صبوراً على الشدائد .

وكان أبوالفرج الأصبهانى وسخا فى ثوبه ونفسه وفعله ، فوا كَلَ الوزيرَ المهلبى على مائدة ، وقدمت سكباجة وافقت من أبى الفرج سعلة ، فندرت من فمه قطعة بلغم وقعت فى وسط الصحن ، فقال المهلبى : ارفعوا هذا وهاتوا من هذا اللون فى غير هذا الصحن ، ولم يَبِنْ فى وجهه استكراه ، ولا داخل أبا الفرج حياء ولا انقباض .

وكان من ظَرْفِ الوزير المهلبى إذا أراد أكل شىء من أرز بلبن وهرايس وحلوى رقيق وقف إلى جانبه الأيمن غلام معه نحو من ثلاثين مِلْعَقَة زجاجا مجروداً [١] ، فيأخذ المِلْعَقَة من الغلام الذى على يمينه ويأكل بها لقمة واحدة ثم يدفعها إلى الغلام الذى على يساره لئلا يعيد المِلْعَقَة إلى فيه مرة ثانية

ولما كثر على الوزير استمرار ما يجرى من أبى الفرج جعل له مائدتين إحداهما كبيرة عامة ، والأخرى لطيفة خاصة يواكله عليها مَنْ يدعوه إليها .

وعلى صنعه ما كان يصنعه بأبى الفرج ما خلا من هجوه ، كان أبو الفرج قال:

أبعين مفتقر إليك نظرتَنِي ... فأهنتنى وقذفتنى من حالق

لستَ الملومَ أنا الملوم لأننى ... أنزلت آمالى بغير الخالق

ويروى أن هذين للمتنبى ، رواهما له الكندى [٢] .

وكان قبل وزارته قد سافر مرة ، ولقى فى سفرِهِ مشقة شديدة ، واشتهى اللحم فلم يقدر عليه ، وكان معه رفيق يقال له أبو عبد الله الصوفى ، فقال المهلبى ارتجالا شعراً :

---

(١) فى ب « زجاجا مجرورا »

(٢) هما فى ترجمة المتنبى منسوبان إليه ، وقال ابن خلكان (الترجمة رقم ٤٩) «وكان الشيخ تاج الدين الكندى — رحمه الله ! — يروى له بيتين لا يوجدان فى ديوانه وكانت روايته لهما بالسند الصحيح المتصل ، فأحببت ذكرهما، وهما» ثم ذكر هذين البيتين .

ألا موت يباع فأشـــتريه   فهذا العيش مالا خير فيه
إذا أبصرتُ قبراً من بعيد   وددت لو أننى مما يليـه
ألا موت لذيذ الطعم يأتى   يُخَلِّصنى من الموت الكريه
إلا رَحِمَ المهيمنُ نفسَ حر   تصدق بالوفاة على أخيـه

فلما سمع هذه الأبيات اشترى له بدرهم لحما وطبخه وأطعمه ، وتفارَقا ، وتقلبت الأحوال بالمهلبى ، وولى الوزارة ، وضاقت الأحوال برفيقه الصوفى ، فقصده وكتب إليه شعراً :

ألا قل للوزير فَدَتْهُ نفسى   مقال مُذكر ما قد نسيه
أتذكر إذ تقول لضيق عيش   (ألا موت يباع فأشتريه)

فلما قرأ الأبيات تذكره ، وأمر له فى الحال بسبعمائة درهم ، ووقع له فى رقعته (مَثَلُ الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) ثم دعاه وخلع عليه ، وقـــلده عملا يليق به

ولما ترقت به الحال قال :

رق الزمان لفاقتى   ورَثَى لطول تقلقى [1]
فأنالـــنى ما أرتجيـــه   وحاد عما أتقى
فلأصفحنْ عما جناه   من الذنوب السُّبَّقِ
حتى جنايتـــه بما   فعل المشيب بمفرقى

ومن شعره رحمه الله :

قال لى من أحبُّ والبين قد جـــدوفى مهجتى لهيب الحريق
ما الذى فى الطريق تصنع بعدى ؟   قلت : أبكى عليك طول الطريق

---

(١) الفاقة : الفقر ، والتقلق : الاضطراب وكثرة النقلة فى البلاد

قال أبو إسحاق الصابى : كنتُ يوما عند الوزير المهلبى ، وقد أخذ ورقة وكتب فيها .

فقلت بديها :

له يد أبدعت جوداً بنائلها ومنطق دره فى الطِّرْسِ ينتثر(١)

فحاتم كامن فى بطن راحته وفى أناملها سَحْبَان يستتر(٢)

ومن شعره رحمه الله :

الجود طبعى ولكن ليس لى مال وكيف يصنع مَنْ بالقَرْض يحتال

فهاك خطى فخذه منك تذكرة إلى اتساع فلى فى الغيب آمال

ومنه أيضاً عفى عنه :

أتانى فى قميص اللاذ يسعى عَدُوٌّ لى يلقب بالحبيب

فقلت له فديتك كيف هذا بلا واشٍ أتيت ولا رقيب

فقال الشمس أهدت لى قميصاً كلون الشمس فى شفق الغروب

فثوبى والمدامُ ولونُ خدى قريب من قريب من قريب

ومنه أيضاً رحمه الله :

تطوى بأوتارها الهموم كما تطوى دجى الليل بالمصابيح

ثم تغنت فخلْتُهَا سمحت بروحها خلعة على روحى

وكان أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزَرى الواعظ المُلَقَّب بالطاهر كثيرَ الملازمة للوزير المهلبى ، فاتفق أن غسل ثيابه ، فأنفذ الوزير يدعوه ، فاعتذر ، فلم يقبل ، وألح فى استدعائه ، فكتب إليه شعراً :

عبدك تحت الحبل عريان كأنه ـ لا كان ! ـ شيطان

---

(١) الطرس ـ بالكسر ـ الذى يكتب فيه

(٢) حاتم : مضرب المثل فى الجود ، وسحبان وائل : مضرب المثل فى الفصاحة

يغسل أثوابا كأن البلى فيها خليط وهى أوطان
أرقّ من دِينى وإن كان لى دين كما للناس أديان
كأنها حالىَ من قبل أن يصبح عندى لك إحسان
يقول مَنْ يبصرنى معرضا فيها وللأقوال برهان
هذا الذى قد نسجت فوقه عناكب الحيطان إنسان

فأنفذ إليه جُبّة وقيصا وعمامة وسراويل وخمسمائة درهم ، وقال : أنفذت إليك ما تلبسه ، وما تدفعه إلى خياط ، فإن كنت غسلت التكة وإلا عرفنى لأنفذ إليك عوضها .

ومن شعر الوزير المهلبى :

تصارمتِ الأجفانُ لما هجرتنى فما نلتقى إلا وَلِى عبرة تجرى[1]

وطَوّلَ ياقوت ترجمته .

وكانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، بطريق واسط ، وحمل إلى بغداد ، رحمه الله تعالى !

(١٠٣)

أبو على الحسن ابن محمد الأنصارى المالقى (ابن كسرى)

الحسن بن محمد بن على[2]، الأنصارى، أبو على، المالقى، المعروف بابن كسرى[3].
قال ابن الأبار فى « تحفة القادم » : توفى سنة أربع وستمائة ، رحمه الله تعالى !

ومن شعره فى طفل قَبّله فاحمرّت وجنته :

وا بأبى رائق الشباب دَنَا بهجة خديه ما أُمَيْلِحَهَا
كأننى عندما أقبلها أنفخ فى وردة لأفتحها

وقال أيضا رحمه الله :

وخَالِقْ بنقصان جميع الورى تَفُزْ فيا سوء ما تلقاه إن كنت فاضلا

---

(١) تصارمت الأجفان : أى جفا بعضها بعضا ، وكنى بهذه العبارة عن عدم النوم لأن النوم يحصل بانطباق أحد الجفنين على الآخر ، فإذا لم يتلاق الجفنان لم يحدث النوم

(٢) له ترجمة فى بغية الوعاة (ص ٢٢٩) (٣) فى البغية « يعرف بابن كسكرى »

ألم تر أن البــدر يُرْقَبُ ناقصا ويترك منسيا إذا كان كاملا

وقال فى ابن خلدون :

يا شاعراً يتسامى وجَدّه خلدون

لم يكف أنك خَلٌّ حتى بأنك دون

(١٠٤)

أبو الفضائل الحسن بن محمد الصاغانى

الحسن بن محمد[1] بن الحسن بن حيدر العلامة ، رضى الدين ، أبو الفضائل ، القرشى ، العدوى ، العُمَرِى ، المحدث ، الفقيه الحنفى ، اللغوى ، النحوى ، الصاغانى .

قال الدمياطى : كان شيخنا صالحا ، صموتا عن فُضُول الكلام ، صدُوقا فى الحديث ، إماما فى اللغة والفقه والحديث ، قرأت عليه ، وحضرت دفنه بداره بالحريم الظاهرى ، ثم نقل بعد خروجى من بغداد إلى مكة ، ودفن بها ، وكان قد أوصى بذلك ، وأعدَّ خمسين ديناراً لمن يحمله .

وتوفى سنة خمسين وستمائة[2] .

قال العلامة قاضى القضاة تقىّ الدين السبكى : حكى لى الشيخ شرف الدين الدمياطى أن الصاغانى كان معه ولد ، وقد حكم فيه بموته فى وقت ، وكان يترقب ذلك الوقت ، فحضر ذلك اليوم وهو مُعَافى قائم ليس به علة ، فعمل

---

(١) له ترجمة فى بغية الوعاة (ص ٢٢٧) ومعجم الأدباء ١٨٩/٩ وفى كشف الظنون ١١٢٢

(٢) فى ب ، ث « وتوفى سنة خمسين وثلاثمائة » وهو تحريف ،فإن السيوطى نص على مولده فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة بمدينة لاهور , وأنه دخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة ، وقال ياقوت « وفى سنة ثلاث عشرة وستمائة كان بمكة ، وقد رجع من اليمن ، وهو آخر العهد به » اهـ . ونص حاجى خليفة على وفاته فى سنة ٦٥٠ وذكر فى الكلام على مفصل الزمخشرى (ص ١٧٧٦) أن الصاغانى توفى فى سنة ٦٠٥ وهو خطأ بدليل ماذكرناه عن ياقوت الذى لقيه والصاغانى صاحب التكملة على الصحاح ، وصاحب العباب فى اللغة وغيرهما من الكتب

لأصحابه وتلامذته طعاما شكراً ، وفارقناه ، وعديت الشط ، فلقيني مَنْ أخبرني بموته ، فقلت له : الساعة فارقته ، فقال : والساعة وقع الحمام به فجأة ، أو كما قال ، رحمه الله تعالى ، وعفا عنه وعنا بمنه وكرمه ! .

(١٠٥)

أبو على الحسين ابن محمد السهواجي

الحسين بن محمد[1] ، السَّهْوَاجى ، أبو على .

قال ياقوت : أديب شاعر لبيب مشهور مذكور ، وَسَهْوَاج : من قرى مصر ، صنف كتاب « القوافى » .

وتوفى بمصر سنة أربعمائة ، رحمه الله تعالى ! .

ومن شعره :

وقد كنت أخشى الحب لو كان نافعى ... من الحب أن أخشاه قبل وقوعه

كما حذر الإنسان من نوم عينه ... ونام ولم يشعر أوان هجوعه

ومنه أيضا رحمه الله :

كرامُ المَسَاعى فى اكتساب محامد ... وأهدى إلى طرق المعالى من القطا

وأبوابهم معمورة بعفاتِهِمْ ... وأيديهمُ ماتستريح من العطا

ومنه أيضا قوله :

ذَكَرَتْ إلفها فحنت إليه ... فبكينا من الفراق جميعا

ومنه أيضا :

قوم كرام إذا سلوا سيوفَهُمُ ... فى الرَّوْع لم يغمدوها فى سوى المهج

إذا دجا الخطب أو ضاقت مذاهبه ... وجدت عندهم ما شئت من فرج

---

(١) فى معجم البلدان (١٨٧/٥) « سهواج بفتح أوله وسكون ثانيه ثم واو وآخره جيم — قرية من قرى مصر ينسب إليها أبو على الحسن بن محمد الأديب صاحب كتاب القوافى » وفى معجم الأدباء (١٠/ ١٦٠) ترجمته بما نقله عنه صاحب هذا الكتاب ، وذكره فى أثناء من يسمى « الحسين » فيكون ما وقع فى معجم البلدان خطأ

(١٠٦)

عز الدين
الحسن بن محمد
الفيلسوف
الضرير

الحسن بن محمد[١] بن أحمد بن نجا، الإربلى، الفيلسوف، عز الدين، الضرير[٢].

كان بارعاً فى الفنون الأدبية، رأساً فى علوم الأوائل، وكان بمنزله بدمشق، منقطعا، ويقرئ المسلمين وأهل الكتاب، والفلاسفة، وله حرمة وافرة، وكان يهين الرؤساء وأولادهم بالقول، وكان مخلا بالصلوات، يبدو منه ما يشعر بانحلاله، وكان يصرح بتفضيل علىّ على أبى بكر، وكان حسن المفاظرة، له شعر خبيث الهجو.

وتوفى فى سنة ستين وستمائة[٣].

ولما قدم القاضى شمس الدين بن خلكان ذهب إليه، فلم يحتفل به، فأهمله القاضى وتركه.

وقال عز الدين بن أبى الهيجاء: لازمت العز الضرير يوم موته، فقال: هذه البِنْية قد انحلت، وما بقى يرجى بقاؤها، واشتهى أرزابلبن، فعمل له، وأكل منه، فلما أحس بشروع طلوع الروح منه، قال: قد خرجت الروح من رجلى، ثم قال: قد وصلت إلى صَدْرِى، فلما أرادت المفارقة بالكلية تلا هذه الآية (ألا يعلمُ مَنْ خلق وهو اللطيفُ الخبير)، ثم قال: صدق الله العظيم، وكذب ابنُ سينا، ثم مات فى ربيع الآخر، ودفن بسفح قاسيون.

ومولده بنصيبين سنة ست وثمانين وخمسمائة.

قال الشيخ شمس الدين: وكان قذراً، ردىء الشكل، قبيح المنظر،

---

(١) فى ب، ث «الحسن بن محمد» وهو موافق لما في بغية الوعاة (ص٢٢٦) وفى الشذرات «الحسين بن محمد»

(٢) له ترجمة فى بغية الوعاة (ص ٢٢٦) وفي شذرات الذهب ٣٠١/٥

(٣) فى الشذرات أنه توفى فى ربيع الآخر من سنة ٦٦٠ عن أربع وسبعين سنة، ومثله فى بغية الوعاة ماعدا بيان مقدار عمره

لا يتوقى النجاسات ، ابتلى مع العمى بقُروح وطلوعات ، وكان ذكيا ، جيد الذهن .

ومن شعره دو بيت :

لو كان لى الصبر من الأنصار   ما كان عليك هتكت أستار

ما ضرّك يا أسمـــر لو بت لنا   فى دهرك ليـــلة من السُّمّارْ

ومنه أيضا :

لو ينصرنى على هواه صبرى   ما كنت ألذ فيه هَتْكَ السِّتْر

حَرّمْتُ السمع سوى ذكرهم   مالى سَمَر سوى حديث السُّمْرِ

ومن شعره فى العماد بن أبى زهوان ، وكان يلقب أولا بالشجاع :

تَعَمَّمَ بالطرف من طرفه   وقام خطيبا لندمانه

وقال السلام على من زَنى   ولاط وقاد لإخـوانه

فردوا جميعاً عليه السلام   وكل يترجم عن شانه

وقال : يجوز التداوى بها   وكل عليـل بأشجانه

وله فيه ، وقد تلقب بالعماد :

شجاع الدين عُمِّـــدْتَا   فهـــلا كنت شُمِّسْتَا

خطيبا قمت ســـكرانا   وبالزكوات عممتا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

توهم واشينا بليل مَزَارَهُ   فهمّ ليسـعى بيننا بالتباعد(١)

فعانقته حتى اتحدنا تعانُقاً   فلما أتانا مارأى غير واحد

قال القاضى كمال الدين بن العديم لما سمع هذين البيتين : أمسكه مسكة أعمى .

وهذا المعنى تداوله الشعراء ولهجوا به ، قال سيف الدين بن المشد :

ولما زار مَنْ أهواه ليلا   وخفنا أن يلم بنا مراقب

تعانقنا لأخفيـه فصرنا   كأنا واحد فى عقد كاتب

---

(١) فى الشذرات «توهم واشينا قليل مزاره» تحريف

وقال نِفْطَوَيْه النحوى :

ولما التقينا بعد بعد بمجلس ... نُغازل فيه أعين النرجس الغض

جعلت اعتمادى ضَمَّهُ واعتناقه ... فلم نفترق حتى توهمته بعضى

وقال عز الدين أبو بكر الإربلى :

هم الرقيب ليسعى فى تفرقنا ... ليلا وقد بات من أهواه معتنقى

عانقته فاتَّحَدْنَا والرقيب أتى ... فمذ رأى واحدا وَلَّى على حَنَقِ

ومن شعر العز الإربلى دو بيت :

إن خِفْتُ تكلفا وفى لى طبعا ... أو خنت عهوده عهودى يرعى

يبغى لى فى ذاك دوام الأسر ... هـذا ضرر يحسبه لى نفعا

ومنه قوله أيضا :

وكاعب قالت لأترابها ... يا قوم ما أعجب هذا الضرير

هل تعشق العيون ما لا ترى ... فقلت والدمع بعينى غزير[1]

إن كان طرفى لا يرى شخصها ... فإنها قد صُوِّرَتْ فى الضمير

وقال أيضا رحمه الله :

ذهبت بشاشة ما عَهِدْتُ من الجوى ... وتغيرت أحواله وتنكرا

وسلوت حتى لو سَرَى من نحوكم ... طيف لما حياه طيفى فى الكرى

وقال أيضا غفر الله له :

قالوا عَشِقْتَ وأنت أعمى ... ظبيا كحيل الطرف ألمَى

وحلاه ما عايَنْتَها ... فتقول قد شَغَفَتْكَ وهما

وخياله بك فى المنا ... م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤا ... د ولم تراه العين سهما

(١) فى ب « هل تعشق العين ما لا ترى » ولا يستقيم عليه وزن البيت ، وفى بغية الوعاة « هل تعشق العينان ما لا ترى » وهو أظرف مما أثبتناه موافقة لما فى ث

فأجبت : إنى مُوسَوِئُ العشــق إنصـاتا وفهمــا
أهوى بجـــارحة السما ع ولا أرى ذات المسمَّى

وشعر العز الإربلى كله جيد ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(١٠٧)

قوام الدين الحسن بن محمد (ابن الطراح)

الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن أبى سعد ، الصاحب ، قوام الدين ، ابن الطراح (١) .

قال أثير الدين : هو من بيت رياسة وحشمة وعلم وحديث ، وله معرفة بنحو ولغة ونجوم وحساب وأدب وغير ذلك ، وكان فيه تشيع يسير ، وكان حسن الصحبة والمحاورة ، وكان لأخيه فخر الدين المظفر بن محمد تقدم عند التتار ، قدم علينا قوام الدين إلى القاهرة ، ثم سافر إلى الشام ، ثم كر منها راجعاً إلى العراق مع غارات ، وكنت سألته أن يوجه لى شيئاً من أخباره وشيئاً من شعره ، فوجه إلىّ بذلك ، وكتب لى من شعره بخطه :

غدير دمعى فى الخد يَطَّرد ونار حبى فى القلب تتقد
ومهجة فى هواك أتلفها الـــشوق وقلب أودى به الـكمد
عهدك لا ينقضى له أمد ولا لليل المِطَالِ منك غَدُ

ومنه أيضا :

لقد جمعت فى وجهـه لمحبهِ بدائع لم يُجْمعن فى الشمس والبدر
حباب وخمر فى عقيق ونرجس وآس وريحان وليل على فجر

قال : وكتب إلىّ أخى أبو محمد المظفر يعاتبنى على امتناعى عنه ، وهو الذى ربانى وكفلنى بعد الوالد ، فقال :

لو كنت يابن أخى حفظت إخائى ما طِبْتَ نفسا ســاعة بجفائى
وحفظتنى حفظ الخليل خليلَهُ ورعيت لى عهدى وحسن وفائى
خَلَّفْتنى قلق المضاجع ساهرا أرعى الدجى وكوا كب الجوزاء

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الـكتاب ، مع طويل البحث

ما كان ظنى أن تحاول هجرتى · أو أن يكون البعد منك جزائى

فكتبت إليه الجواب .

إن غبت عنك فإن ودى حاضر · رَهْنٌ بمَحْضِ محبتى وولائى

ما غبت عنك لهجرة تعتدها · ذنبا عَلَىَّ ولا لضعف وفائى

لكننى لما رأيت يَدَ النوى · ترمى الجميع بفرقة وتنائى

أشفقت من نظر الحسود لوصلنا · فحجبته عن أعين الرقباء

(١٠٨)

الحسن بن وهب، الكاتب

الحسن بن وهب بن سعيد[1] بن عمرو بن حصين ، الكاتب .

من شعره :

جزاك عفوى عن الذنوب فما · تخاف عند الذنوب إعراضى

أشد يوما أكونُهُ غضبا · عليك فالقلب ضاحك راضى

أنت أمير علىّ مقتدر · حكمك فى قبض مهجتى ماضى

والخَصْمُ لا يرتجى الفلاح له · يوما إذا كان خصمه القاضى

وقال أيضا رحمه الله :

أبكى فما أيسر ما فى البكا · لأنه للوجد تسهيل

وهو إذا أنت تأملته · حزن على الخدين مطلول

قال الصولى : كان أبو تمام يعشق غلاما خزَرِيا للحسن بن وَهْب ، وكان الحسن يعشق غلاما روميا لأبى تمام ، فرآه يعبث بغلامه ، فقال : والله لئن سرت إلى الرومى لأسيرنّ إلى الخَزَرى ، فقال له الحسن : لو شئت حكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام: أنا أشبهك بداود عليه السلام ، وأشبهنى بخَصْمه ، فقال له الحسن :

(١) تجد أخباره فى الأغانى (٢٠/٥٤–٥٦ بولاق) وله ترجمة فى سمط اللآلى (ص٥٦٠) وفهرست ابن النديم (١٧٧مصر) ولأخيه سليمان بن وهب ترجمة فى الأغانى (٢٠/٦٧ – ٧٣)

لو كان هذا منظوما ، فقال أبو تمام من أبيات :

أذكرتنى أمر داود وكنت فتى مُصَرَّفَ القلب فى الأهوال والفكر[1]
أعندك الشمس تُزْهِى فى مطالعها وأنت مشتغل الأهواء بالقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى جآذر الروم أعنقنا إلى الخزر
ورب أمنع منه جانبا وحِمًى أمسى وتكته منى على خطر
جردت فيه جيوش العزم فانكسرت عنه غياهبها عن نيكة هدر
أنت المقيم فما تغدو رواحلُهُ وأيره أبدا منه على سفر

وقيل لأبى تمام : غلامك أطوعُ للحسن بن وهب من غلامه لك ، قال : أجَل ؛ لأنه يعطى غلامى مالا ، وأنا أعطى غلامه قِيلاً وقالا .

وكان قد وقف ابن الزيات على ما يجرى بينهما ، فاتفق أن عزم غلام أبى تمام على الاحتجام ، فكتب إلى الحسن بن وهب يعلمه بذلك ويستهديه مطبوخا ، فوجه إليه بمائة منّ مطبوخ ومائة دينار ، وكتب إليه :

ليت شعرى ياأملح الناس عندى هل تداويت بالحجامة بعدى
دفع الله عنك لى كل سوء باكر رائحٍ وإن خنت عهدى
قد كتمت الهوى بأبلغ جهدى فبدا منه غير ما كنت أبدى
وخلعت العذار إذ علم النا س بأنى إياك أصفى بودّى
فليقولوا بما أحبوا إذا كنت وصولا ولم تَرُعْنِى بصد

واتفق أنه وضع الرقعة عند مُصَلاه ، وبلغ محمد بن الزيات خبرها ، فوجه إلى الحسن مَنْ شغله بالحديث ، وأمر مَنْ جاءه بتلك الورقة ، ففكها وقرأها ، وكتب فيها على لسان أبى تمام الطائى :

---

(١) يشير إلى قصة داود عليه السلام التى أشار الله تعالى إليها فى سورة ص من القرآن الكريم ، وموضع الإشارة هناقوله جل ذكره (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب)

ليت شعرى عن ليت شعرك هذا أبهزل تقوله أم بجـد
فلئن كنت فى المقال مجـدّا يا ابن وهب لقد تظرّفت بعدى
لا أحب الذى يلوم وإن كا ن حريصا على صلاحى وزهدى
بل أحب الأخ المشارك فى الحـب وإن لم يكن به مثل وجدى
كنديمى أبا على وحاشـا لنديمى من مثل شقوة جدى
إنّ مولاى عنـد غيرى ولولا شؤم جدى لكان مولاى عندى

وقال : ضعُوا الرقعة مكانها ، فلما رآها الحسن قال : إنا لله ! افتضحنا عند الوزير ، وأعلم أبا تمام بما جرَى ، ووجَّه إليه بالرقعة ، فلقيا محمد بن عبد الملك ، فقالا له : إنا جعلنا هذين الغلامين سببا لمكاتبتنا بالأشعار ، فلا يظن بنا الوزير أعزه الله تعالى إلا خيرا ، فقال : ومن يظن هـذا بكما ؟ وكان هذا الكلام أشدّ عليهما .

ولما مات الحسن بن وهب رثاه البحترى بأبيات منها :

أصاب الدهر دولةَ آلِ وهبٍ ونال الليل منهـم والنهار
أعارهمُ رداء العـز حتى تقاضاهم فردّوا ما استعاروا
وقد كانت وجوههم بدورا لمختبط ، وأيديهـم بحار

(١٠٩)

أمير المؤمنين المستضىء بالله الحسن بن يوسف العباسى

الحسن بن يوسف[1] بن محمد بن أحمد بن عبدالله ، أمير المؤمنين ، المستضىء بالله ، بن المستنجد ، بن المقتفى ، بن القائم ، بن القادر ، بن إسحاق ، بن المقتدر ، ابن المعتضد ، بن الموفق ، بن المتوكل ، بن المعتصم ، بن الرشيد ، بن المهدى ، ابن المنصور .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء (ص١٧٨ طبع المطبعة الميمنية في سنة ١٣٠٥هـ) وانظر ابن الأثير ١١/١٤٦ و ١٨٧

بويع بالخلافة بعد وفاة والده المستنجد يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة، وعمره يومئذ عشرون سنة وتسعة أشهر ويومان، ومولده سَحَر يوم الاثنين ثالث عشرى شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وأمه أم ولد أرمنية اسمها غضة.

كان حليما، رحيما، شفوقا، لينا، سهل الأخلاق، كريما، جيدا، مِعْطَاء، كثير الصدقة والمعروف، شديد البحث عن الفقراء وأحوالهم، ويتفقدهم بالبرّ والعطاء.

وكانت أيامه مشرقة بالعطاء والعدل.

وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

وكان له من الولد أحمد وهو الإمام الناصر، وهاشم أبو منصور.

ولما تولى المستضىء بالله نادى برفع المكوس، وردّ المظالم الكبيرة، وفرق مالا عظيما على الهاشميين والعَلَويين والمدارس والرُّبُط، وكان دائم البذل للمال، وخلع على أرباب الدولة ألفا وثلثمائة قَبَاء إبريسم لما استخلف، وحرّر تسعة عشر مملوكا، ثم احتجب عن الناس، ولم يركب إلا مع الخدم، ولم يدخل عليه غير قايماز.

وفى أيامه زالت دولة العُبَيْدية (١) بمصر، وضربت السِّكة باسمه، وجاء البشير إلى بغداد، وغلقت الأسواق، وعملت القباب، وصنف ابن الجَوْزى فى ذلك كتاب « النصر، على مصر » وخُطِبَ له بمصر وقُرَاها والشام واليمن وبرقة، ودانت الملوك لطاعته، وكان يطلب ابن الجوزى، ويأمره بعَقْد مجلس الوعظ، ويجلس حيث يسمع.

---

(١) يريد دولة الفاطميين، نسبتهم إلى عبيد الله المهدى، وآخرهم العاضد لدين الله عبدالله بن يوسف بن الحافظ لدين الله، وقد خلع فى سنة سبع وستين وخمسمائة ومات بها، وعدة من ملك منهم أربعة عشر متخلفا

ووَزَر له عضدُ الدولة[١] ابن رئيس الرؤساء ، وأبو الفضل ظهير الدين بن جعفر ، ومحمد بن محمد بن عبد الكريم الأنبارى ، ومات [و] فى الوزارة ظهير الدين بن العطار[٢] ، وكان على قضائه أبوالحسن على بن الدامغانى ، وحاجبه مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب وأبو سعد محمد بن الفرج ، قال فيه الحَيْصَ بَيْصَ :

يا إمام الهدى عَلَوْتَ عن الجو د بمال وفضة ونُضَارِ
فوهبت الأعمار والمدْنَ والبلدان فى ساعة مضت من نهار[٣]
فبماذا أثنى عليك وقد جا وَزْتَ فعل البحور والأمطار[٤]
إنما أنت معجز مستقل خارق للعقول والأبصار
جَمَعَتْ نفسُك الشريفة بالبأس وبالجود بين ماء ونار

(١١٠)

الحسن بن عبد الله بن الحسين ، أبو عبد الله ، بن الجصاص ، الجوهرى .

أبو عبد الله الحسن بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى

كان من أعيان التجار ذوى الثروة الواسعة ، ولما بويع لعبد الله بن المعتز وانحل أمره وتفرق جمعه وطلبه المقتدر اختفى عند ابن الجصاص هذا ، فوَشَى به خادمٌ صغير لابن الجصاص ، فصادره المقتدر على ستة آلاف ألف دينار .

قال ابن الجوزى : أخذوا منه ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عيناً وورِقاً وقماشاً وخيلا ، وبقى له بعد المصادرة شىء كثير إلى الغاية من دور وقماش وأموال وبضائع وضياع

قال أبو القاسم على بن المحسِّن بن على التَّنُوخى عن أبيه قال : حدثنى أبو الحسن أحمد بن محمد بن جعلان ، قال : حدّثنى أبو على أحمد بن الحسن بن عبد الله

---

(١) كذا فى ب، ث ، وفى تاريخ ابن الأثير فى الموضعين « عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء » (٢) فى ب ، ث « زهى الدين » محرفا ، وأثبتنا ما فى ابن الأثير ، وسماه « ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصير ، المعروف بابن العطار » ولم يذكر غيره بعد عضد الدين .

(٣) فى السيوطى « فوهبت الأعمار والأمن والبلدان »

(٤) وفيه « فبماذا يثنى عليك » و « جاوزت فضل البحور »

ابن الجصاص الجوهرى قال : قال لى أبى : كان بدء يسارى أنى كنت فى دهليز أبى الجيش خُمَارويه بن أحمد بن طولون ، وكنت وكيله فى ابتياع الجوهر وغيره مما يحتاجون إليه ، وما كنت أفارق الدهليز لاختصاصى به ، فخرجت إلىّ قَهْرَمانة[1] لهم فى بعض الأيام ، ومعها عقد جوهر فيه مائة حبة ، لم أرَ قبله ولا بعده أفخر ولا أحسن منه ، كلُّ حبة منه تساوى مائة ألف دينار عندى ، وقالت : يحتاج أن تخرط هـذه حتى تصغر فتجعل فى آذان اللعب وفى قلائدها ، فـكدت أطير ، وأخذتها ، وقد قلت : السَّمْع والطاعة ، وخرجْتُ فى الحال مسروراً ، وجمعت التجار ، ولم أزل أشترى كل ما قدرت عليه ، إلى أن جمعت مائة حبة أشكالا فى النوع الذى طَلَبَتْه وأرادته ، وجئت عَشِيًّا وقلت : إن خَرْط هـذا يحتاج إلى انتظار وزمان ، وقد خرطت اليوم ما قدرنا عليه ، وهو هذا ، ودفعت إليها المجتمع ، وقلت : الباقى يخرط فى أيام ، فقنعت بذلك ، وأعجبها الحب ، فخرجت ، وما زلت أياما فى طلب الباقى حتى اجتمع ، فحملته إليها ، وقامت علىّ المـائة حبة بدون المائة ألف درهم ، وأخذت منهم جوهراً بمائتى ألف ألف دينار ، ثم لزمت دهليزهم ، وأخـذت لى غرفة كانت فيه ، فجعلتها مسكنى ، وكان يلحقنى من هذا أكثر مما يحصى ، حتى كثرت النعمة ، وانتهيت إلى ما استفاض خبره .

وحكى ابن الجصاص ، قال : كنت يوم قبض علىّ المقتدر جالسا فى دارى وأنا ضيق الصدر ، وكانت عادتى إذا حصل لى مثلُ ذلك أن أخرجَ جواهر كانت عندى فى درج مُعَدَّة لمثل هذا من ياقوت أحمر وأصفر وأزرق وحبا كباراً ودرًّا فاخرا ما قيمته خمسون ألف دينار ، وأضعَه فى صينية ، وألعب به

---

(١) أصل القهرمان : الوكيل عن الشخص ، أو الأمين على الدخل والخرج ، وفعله القهرمة ، وهو دخيل فى العربية ، وليس منها ، والمرأة قهرمانة

حتى يزول قبضى ، فاستدعيت بذلك الدرج ، فأتى به بلا صينية ، ففرغته فى حجرى ، وجلست فى صحن دارى فى بستان فى يوم بارد رطيب الشمس ، وهو مُزْهِر بصنوف الشقائق[1] والمنثور ، وأنا ألعب بذلك إذ دخل الفاسُ بالزعقات والمكروه ، فلما رأيتهم دُهِشْتُ ، ونفضت جميع ما كان فى حجرى من الجوهر بين ذلك الزهر فى البستان ، فلم يرَوْهُ ، وأخذت وحُمِلْتُ و بقيت مدة فى المصادرة والحبس ، وتقلبت الفصول على البستان ، وجفّ ما فيه ، ولم يفكر أحد فيه ، فلما فرج الله عنى وجئت إلى دارى ورأيت المكان الذى كنت فيه ذكرتُ الجوهر ، فقلت : ترى بقى منه شىء ؟ ثم قلت : هيهات ! وأمسكت ، ثم قمت بنفسى ومعى غلام يُثِيرُ البستان بين يدى ، وأنا أفتش ما يثيره ، وآخذ منه الواحدة بعد الواحدة ، إلى أن وجدت الجميع ، ولم أفقد منه شيئاً .

وكان يُنْسب إلى الحمق والْبَلَهِ فمما يحكى عنه أنه قال فى دعائه يوما : اللهمّ اغفرلى من ذنوبى ما تعلم ومالا تعلم .

ودخل يوما على ابن الفرات الوزير فقال : يا سيدى عندنا فى الحَوَيْرة كلاب لايتركوننا ننام من الصياح ، فقال الوزير : احبسهم جزاء ، فقال : أيها الوزير لا يظن ذلك كل كلب مثلى ومثلك .

ونظر يوما فى المرآة فقال لرجل آخر : أنظر ذقنى ، هل كبرت أو صغرت ؟ فقال له : إن المرآة بيدك ، فقال: صدقت ، ولكن الحاضر يرى مالايرى الغائب .

ورؤى وهو يبكى وينتحب ، فقيل له : مالك ؟ قال : أكلت اليوم مع الجوارى المخيض بالبصل ، فآذانى ، فلما قرأت فى المصحف (ويسألونك عن

---

(١) الشقائق : أراد بها شقائق النعمان ، وهو زهر أحمر ، يقال : أضيف إلى النعمان بن المنذر ملك العرب فى الحيرة لأنه رآه يوما فأعجبه فحماه ، ويقال : بل أضيف إلى النعمان ـ وهو اسم للدم ـ لأن لونه لون الدم .

المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) فقلت : ما أعظم قدرة الله ! قد بين كل شىء حتى أكل اللبن مع الجوارى ! .

وأراد مرة أن يدنو من بعض جواريه ، فتمنعت عليه ، فقال : أعطى عهد الله لا أقربُكِ إلى سنة لا أنا ولا أحد من جهتى .

وقال مرة : قد خريت يدى ولو غسلتها ألف مرة ما تنظف أو أغسلها مرتين

وماتت امرأة أبى إسحاق الزجاج ، فاجتمع الناس عنده للعزاء ، فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول : يا أبا إسحاق ، والله سرنى هذا ، فدهش أبو إسحاق والناسُ ، وقال بعضهم : يا هذا كيف سَرَّكَ غمه وغمنا ؟ قال : بلغنا أنه هو الذى مات ، فلما صح عندى أنها امرأته سرنى ذلك ، فضحك الناس .

وكان يكسر يوما لوزا ، فطفرت لوزة وأبعدت ، فقال : لا إله إلا الله ، كل الحيوان يهرب من الموت حتى اللوز .

وقد قال يوما فى دعائه : اللهم إنك تجد مَنْ تعذبه سواى ، وأنا أجد من يرحمنى سواك ، فاغفرلى .

وقال يوما : اللهم امسخنى واجعلنى حورية ، وزوجنى بعمر بن الخطاب ، فقالت له زوجته : سَلِ الله أن يزوجك من النبى صلى الله عليه وسلم إن كان لا بدلك أن تبقى حورية ، فقال : ما أحب أن أكون ضرة لعائشة رضى الله عنها ! .

وأتاه يوما غلامه بفَرْخ وقال : أنظر هذا الفرخ ما أشبَهَه بأمه ! فقال : أمه ذكر أو أنثى ؟ .

وبنى ابنه داراً وأتقنها ثم أدخل أباه ليراها وقال له : أنظر يا أبت ، هل فيها عيب ؟ فطاف بها ودخل المستراح فاستحسنه ، وقال : فيه عيب ، وهو أن بابه ضيق لا تدخل منه المائدة .

وكتب إلى وكيل له أن يحمل إليه مائة منٍّ قطنا ، فلما حملها إليه حلَجها فاستقلّ المحلوج ؛ وكتب إليه : هذا لم يجىء منه إلا الربع ، فلا يزرع بعدها قطن إلا بغير حب ، ويكون محلوجا .

وقال يوما لصديقه : وحياتك الذى لا إله إلا هو .

وانشق له كنيف ، فقال لغلامه : بادر أحضر من يصلحه لنتغدى به قبل أن يتعشى بنا .

وطلب يوما من البستان الذى له بصلا بخل ، فأحضر إليه بصل بلا خل ، فقال : لأى شىء ما تزرعه بخل .

والصحيح أنه كان يتظاهر بذلك ، ليرى الوزراء منه هذا التغفل فيأمنوه على أنفسهم إذا خلا بالخلفاء .

وتوفى بعد العشرين والثلثمائة تقريباً ، عفا الله عنه ورحمه !

(١١١)

أبو على الحسين ابن عبد الله بن رواحة الأنصارى الفقيه

الحسين بن عبد الله بن رواحة [١]، أبو على ، الأنصارى ، الفقيه الشافعى ، الشاعر ، ابن خطيب حمَاة .

من شعره :

يا قلب دع عنك الهوى قسرا ... ما أنت منه حامداً أمرا

أضعت دنياى بهجرانه ... إن نلت وصلا ضاعت الأخرَى

ومنه أيضا رحمه الله تعالى :

لاموا عليك وما درَوْا ... أن الهوى سبب السعاده

إن كان وصلا فالمُنَى ... أو كان هجراً فالشهاده

---

(١) بعد طويل البحث لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب .

ومنه أيضاً :

إن كان يحلو لديك قتلى   فزد من الهجر فى عذابى
عسى يطيل الوقوف بينى   و بينك الله فى الحساب

(١١٢)

أبو عبد الله سعد الدين الحسين بن على الطيبى

الحسين بن على بن أحمد[١] بن عبد الواحد بن بكر بن شبيب ، الطيبى[٢] ، أبو عبد الله ، الكاتب ، سعيد الدين .

كان من الأعيان الفضلا المشهورين بالأدب وكمال الظرف ، اختص بالإمام المستنجد ومنادمته[٣] .

دخل يوما على المستنجد فقال له : ابن شبيب ؟ فقال له : عبدك يا أمير المؤمنين ، فأعجبه هذا التصحيف منه .

وذكره العماد الكاتب فى الذخيرة ، فقال : ابن شبيب ، حُلو التشبيب ، رقيق نسيم النسيب

ومن شعره فى الإمام المستنجد بالله :

أنت الإمام الذى يحكى بسيرته   من ناب بعـــد رسول أو خَلَفَا
أصبحت «لُبّ» بنى العباس كلهم   إن عُدِّدت بحروف الجمل الخُلَفَا

المستنجد هو الثانى والثلاثون من الخلفاء ، و «لب» جُمّلُ حروفها اثنان وثلاثون .

ولد ابن شبيب سنة خمسمائة ، وتوفى سنة ثمانين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة معروف الكَرْخى ، رحمه الله تعالى !

ومن شعره :

وأغيـــدَ لم تسمح لنا بوصاله   يد الدهر حتى دَبَّ فى عاجه النملُ

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (١٠/١٢٦) .
(٢) كذا فى ب ، ث ، والذى فى ياقوت « النصيبى »
(٣) كان الجواب « عندك » فصحفه إلى « عبدك »

تمنيت لما اختطَّ فقدانَ ناظرى ولم أر إنسانا تمنى العمى قبل

ليبقى على مر الزمان خيـالهُ خيالى ، وفى عيـنى لمنظره شكل

وكان ابن شبيب مِقْدَاما فى حل الألغاز ، ولا يكاد يتوقف عما يُسْأل عنه ، فتفاوض أبو غالب بن الحصين هو وأبو منصور محمد بن سليمان بن قيلش [١] فى أمر ابن شبيب هذا وما هو عليه من حل اللغز ، فقال أبو منصور : تعال حتى نعمل لغزاً محالا ، ونسأله عنه ، فنظم أبو منصور :

وما شىء له فى الرأس رِجْلٌ وموضِعُ وجهه منه قـفاه

إذا غمضت عينك أبصرته وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضاً :

وجار وهو طيار ضعيف العقل خوار [٢]

بلا لحـم ولا ريش وَهُو فى الرمز طَيَّـار

بطبع بارد جـداً ولـكن كله نار

وأنفذا اللغزين إليه ، فـكتب على الأول : هو طيف الخيال ، وكتب على الثانى : هو الزئبق ، فجاء إليه وقالا : هب اللغز الأول هو طيف الخيال ، والبيت الثانى يساعدك عليه ، فـكيف تعمل فى البيت [٣] الأول؟ فقال : لأن المنام يفسر بالعكس ؛ لأن من يبكى يفسر له [٤] بالضحك ، ومن مات يفسر له بطول العمر ، وقوله فى الثانى « هو طيار » أرباب صنعة الـكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرّار والآبق وما أشبه ذلك ، لأنه يناسب صفته ، وأما برده فظاهر ، ولإفراط برده ثقل جسمه

---

(١) فى المعجم « محمد بن سليمان بن قتلمش »

(٢) فى معجم الأدباء « وجار وهو تيار »

(٣) فى المعجم « فـكيف نعمل بالبيت الأول »

(٤) فيه « يفسر له بكاؤه بالضحك » وفيه « ومن مات يفسر موته »

وجرمه ، وكله نار لسرعة حركته وتشكله فى افتراقه والتئامِهِ ، وعلى كل حال ففى ذلك تسامح يجوز فى مثل هذه الأشياء الباطلة إذا نزلت على الحقائق .

وقد ذكر ابن شرف القيروانى فى كتابه « أبكار الأفكار » عن رجل يُعْرَفُ بأبى على التونسى أنه عمل ألغازاً من هذه المادة التى لا حقيقة لها ، وأنشده إياها ، فيجيب عنها على الفوْر ، وينزلها على حقائق ، منها أنه عمل لغزاً ، وهو :

ما طائر فى الأرض منقارهُ وجسمُهُ فى الأفق الأعلى
ما زال مشغولا به غيره ولا يرى أن له شغلا

فقال للوقت والساعة : هو الشمس ، وأخذ يتكلم على شرح ذلك ، وذكر عدة ألغاز صنعها له ، وهو ينزلها على حقائق ، ويذكر لها مناسبات لائقة بذلك ، وسرد جميع ذلك فى « أبكار الأفكار » والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١١٣)

أبو عبد الله الحسن بن على ابن مموية بن قم

الحسن بن[١] على بن محمد بن مموية ، أبو عبد الله ، المعروف بابن قُمٍّ[٢] .
ولد بزبيد ، وكتب رسالته المشهورة عنه إلى أبى حمير سبأ بن أبى السعود أحمد بن المظفر بن على الصليحى ، اليمانى ، بعد انفصاله عنه ، رواها الحافظ أبو طاهر السِّلَفى عنه سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، والرسالة المذكورة : كتب عبد حضرة السلطان الأجل ، مولاى ربيع المجدبين ، وقريع المتأدبين ، جلاء الملتبس[٣] ، وذكاء المقتبس ، شهاب المجد الثاقب ، ونقيب ذوى المناقب ، أطال الله بقاءه ! وأدام علوّه وارتقاءه ! ما أجابت العارية المستعير[٤] ، ولزمت الياء التصغير ، وجعل رتبته فى الأولية وافرة السهام[٥] ، كحرف الاستفهام ، وكالمبتدأ

---

(١) سماه ياقوت « الحسين بن على » وهو الظاهر من صنيع مؤلف هذا الكتاب
(٢) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (١٠/١٣٠)
(٣) فى ياقوت « جلوة الملتبس ، وجذوة المقتبس »
(٤) فيه « ما قدمت العارية للمستعير » (٥) فيه « عالية المقام »

فإنه و إن[١] تأخر فى البنية ، فإنه مُقَدَّم فى النية ، ولا زالت حضرته للوفود مزدحما ، ومن الحوادث حِمًى ، حتى يكون فى العلا ، بمنزلة حرف الاستعلا ، فإنها[٢] لحروف اللين حُصُون ، وما جاورهن عن الإمالة مَصُون ، ولا زال عدوه كالألف ، فى أن حالها يختلف ، فتسقط فى صلة الكلام ، لا سيما مع اللام ، ولا يكون أولا بحال ، و إن تقدم هُمِز فاستحال ، لأنه ـ أدام الله علوه ـ أحسن إلى ابتداء ، ونشر على من فضله رداء ، أراد إخفاه ، فكشف خَفاه ، ومن شرف الإحسان سقوط ذكره عن اللسان ، كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل ، لما حذف من الكلام ذكر الفاعل ، يهدى إليه سلاما ما الروض ، ضاحكة النوض[٣] ، غرس ، وحرس ، وسقى ، ووق ، وغيب[٤] ، وصيب ، فأخذ من كل نَوٍ بنصيب ، زَهَاه الزهر ، وسقاه النهر ، جاور الأضَا ، فحسن وأَضَا[٥] ، رتع فيه الفور[٦] ، ومرح العصفور ، فاطلع من التمراد ، وقد ظفر بالمراد ، فنظر إلى أفاحيه ، تفتر فى نواحيه ، و إلى البَهار ، يضاحك شمس النهار ، فجعل يلثم من ورده خدودا ، ويضم من أغْصانه قدودا ، ويقتبس النار ، من الجلنار ، و يلتمس العقيق ، من الشقيق ، فغردَ نملا ، وغَـنّى خفيفا ورملا ، بأطْيَبَ[٧] من نفحته المسكية ، وأعطر من رائحته الذكية ، مع أنى و إن أهديته فى كل أوان ، من أداء ما يجب علىَّ غير وانٍ ، أعدّ نفسى السكيت الأحق[٨] ، لما يجب على من الحق ، [أثرْتُ] فعثرت ، وجهدت فما أثرت ، فأنا بحمدالله فى حال خمول وقنوع ، وجناب عن غىّ

---

(١) فيه « وكالمبتدأ إن تأخر فى البنية فإنه مقدم ـ الخ »

(٢) وفيه « وهو من حروف اللين فى حصون »

(٣) النوض ـ بفتح فسكون ـ الثمر اليانع ، وهو أيضاً مخرج الماء

(٤) صيب : ماض مبنى للمجهول ، ومعناه جاده المطر الصيب : أى الكثير

(٥) الأضا : الغدير ، وأصله الأضاة ، وأضا : أنار ، وأصله أضاء

(٦) كذا ، وفى ياقوت « وقع فيه الشحرور » (٧) هذا خبر « ما » فى قوله « ما الروض »

(٨) فى المعجم « السكيت فى السبق ، لتقصيرى فيما وجب على من الحق »

الغير ممنوع[١]، فارقت المُثُولَ ولا أزالَ، ولزمت الخمول والاعتزال، سعيَ سعي الجاهد، وعيشى عيش الزاهد، ببلدِ الأديبُ فيه غريب، والأريب كالمريب، إن تكلم استثقل، وإن سكت استقلل، منازله كبيوت العنا كب، ومعيشته كعُجالة الراكب، فهو كما قال أبو تمام حيث قال:

أرض الفلاحة لو أتاها جرْوَلٌ ... أعنى الحطيئة لاغتدى حراثا

لم آتِهَا من أىّ باب جئْتُهَا ... إلا حسبت بيوتهـا أجداثا[٢]

تَصْدَا لهـا الأفهام بعد صقالها ... وتردّ ذكران العـقول إناثا

رض خلعتُ اللهو خلعى خاتمى ... فيهـا وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عبده بعد فراقه فى الجَلَد، فما حال أم تسعة من الولد؟ ذكور، كأنهنّ عقبانُ وكور[٣]، اخترم منهم ثمانية، وهى على التاسع حانية، نادى النذيرُ فى البادية[٤]، للعادية يا للعادية، فلما سمعت الداعى، ورأت الخيل وهى سوَاعى، جعلت تنادى ولدها الأناةَ الأناة، وهو ينادى: العياة العياةَ:

بطل كأن ثيـابه فى سرحة ... يُحْذَى نعال السِّبْتِ ليس بتوأم

فحين رأته يختال فى غصون الزرد المصون، أنشأت تقول:

أنشد أضبط يعشى ... بين طرفاء وغيل[٥]

لبسه من نسج داو ... د كضحضاح المسيل

---

(١) فى المعجم «عن غين العين ممنوع»

(٢) فى المعجم «ما جئتها من أى باب جئتها»

(٣) فى المعجم «كأنهم عقبان وصقور»

(٤) فيه «نادي النذير: العربان فى البادية، للعادية ياللعادية»

(٥) البيتان هنا غير مستقيمين، وهما فى ياقوت:

نشـدت أضبطا يميل ... [ما] بين طرفاء وغيل

لباسـه من نسج دا ... ود كضحضاح يسيل

فعرض له فى البادية أسد هصور ، كأن ذراعه مَسَد مضفور :

فتطاعنا وتواقفت خَيْلاَهُمَا وكلاهما بطل اللقاء مُقَنَّعُ

فلما سمعت صياح الرعيل ، برزت من الصرم[1] بصبر قدعيل ، فسألت عن الواحد ، فقيل لها ٠ لَحَدَه اللاحد :

فكرت تبتغيه فصادفته على دَمِهِ ومصرعه السِّبَاعَا

عبثن به فلم يتركن إلا أديما قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدك تأسفا ، ولا أعظم كمدا ولا تلهفا ، وإنه ليعنف نفسه دائما ، ويقول لها لائما : لو فطنت لفطنت ، ولو عقلت لما انتقلت ، ولو ندمت[2] لرجعت ، وما هجعت :

تقيم الرجالُ الموسرون بأرضهم وتَرْمى النَّوَى بالمقترين المراميا

وما تركوا أوطانهم عن ملالة ولكن حذارا من شمات الأعاديا

أيها السيد ، أمِنَ العدل والانصاف ؟ ومحاسن الشيم والأوصاف ؟ إكرام المهان ، وإذلال جواد الرهان ، يشبع فى ساجوره كلب الزِّبْلِ ، ويَسْغَبُ فى خيسه أبو الشبل[3] :

إذا حَلَّ ذو نقص محلة فاضل وأصبح رب الجاه غير وجيه

فإن حياة المرء غير شهية إليه وطعم الموت غير كريه

أقول لنفسى الدنية : هُبِّى طال نومك ، واستيقظى لاعز قومك ، أرضيت بالعطاء المنزور ، وقنعت بمواعيد الزور ؟ يقظة ، فإن الجدّ قد هجع ، ونجعة ، فمن أجدب انتجع ، أعجزت فى الأدواء ، عن خلق الحرباء ، ولى لسان كالرشاء ؟

(١) فى المعجم « برزت من الخدر » والصرم ـ بكسر الصاد ـ جماعة البيوت

(٢) فى المعجم « ولو قنعت لرجعت وما هجعت »

(٣) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب ، ويسغب : يجوع ، والخيس ـ بالكسر ـ موطن الأسد ، والشبل ـ بالكسر ـ ولد الأسد

وتنسم أعلى الأشياء[١] ، ناط همته بالشمس ، مع بعدها عن اللمس ، أنِفَ من ضيق الوِجَارِ ، ففرخ فى الأشجار ، فهو كالخطيب ، على الغصن الرطيب :

وإن صريح الحزم والرأى لامرىء إذا بَلَغته الشمس أن يتحـــولا

وقد أصحبَ عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد ، وإن بنيت قافيته على المدّ ، وما يعدّ نفسه إلا كمهدى جِلْدِ السِّبْتِيّ الأسمر ، إلى الديباج الأحمر ، أين ذو الحباب ، من ثغور الأحباب ؟ وأين السراب ، من الشراب ؟ والرَّكِى ، البكى[٢] ، من الواد ، ذى المواد ؟ أتطلب الفصاحة من الغنم ؟ والصَّباحة من الغَنَم ؟ غلط من رأى الآل فى القى[٣] ، فشبهه بهلهال الدبيقى ! هيهات مناسج الرياط ، تسبق تنيس ودمياط ! لا أقول[٤] كما قال القائل :

مَنْ يُساجِلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكَرَبْ

بل أضع نفسى فى أقل المواضع ، وأقول لمولاى قول الخاضع

فأسبل عليها ستر معروفك الذى سترت به قِدْمًا مَخَازِىَ عوراتى

وهاهى هذه :

فيك بَرَّحْتُ بالعذول إباء وعصيت اللـــوام والنصحاء

فانثنى العاذلون أخيب منى يوم أزمعتم الرحيـــل رخاء

مَنْ مجيرى من فاتر اللحظ ألمى جمع النـــار خدّه والماء

فيـه لليل والنهار صفات فلهذا سَرّ القـــلوب وساء

لازم شيمة الخلاف فإن لنـــت قَساَ أو دنوت منه تناءى

---

(١) فى المعجم « تنسم أعلى السماء » (٢) الركى : البئر ، والبكى : القليل الماء
(٣) القى — بكسر القاف — الأرض القفر
(٤) فى ب ، ث « لا أقول إلا كما قال القائل » وهو لا يريد الفخر ، لا جرم كانت كلمة « إلا » مقحمة

يا غريب الصفات حقٌّ لمن كا ن غريبا أن يرحم الغرباء

من صدود ولَوْعَةٍ وتجنيه وإشماته بى الأعداء

وإذا ما كتمت مابى من الوجد أذاعته مقلتاى بكاء

كعطايا سبا بن أحمد يخفيها فتزداد شهرة ونماء

أترَجَّى بهذه المِدَحِ الجو دَ وإن لم نمدحه جاد ابتداء

ألمعىّ يكاد يُنْبِيكَ عما كان فى الغيب فطنة وذكاء

وإذا أخلف السماء بأرض أخلفت راحتاه ذاك السماء

بندى يخجل الغيوث انهمالا وجَدًى ينهل الرماح الظماء[١]

ما أبالى إذ أحسن الدهر فيه أحسن الدهر بالورى أم أساء

أيها الطالب الضريك فزره فعَطَايَاهُ تخجل الأنواء[٢]

تلق منه المهذب الماجد النَّدْ ب الكريم السميدع الأبَّاء

راحة فى الندى تنيل نُضَارا وحسام فى الروع يَهْمِى دماء

يا أبا حمير دعوتُكَ للدهر فكنت امرأ تجيب الدعاء

فأبى البخل أن يكون أماما وأبى الجود أن يكون وراء

أنا أشكو إليك جور زمان دأبه أن يعاند الأدباء

أهملتنى صُرُوفُه وكأنى ألف الوصل ألغيت إلغاء

إن سطَا أرهبَ الضراغم فى الآ جام أو جاد بَخَّلَ الكرماء

شيم من أبيه أحمد لا ينفك عنها تتبعا واقتفاء

قد تعاطى فى المجد شأوك قوم عجزوا واحتملت فيه العناء

شرفا شامخا ومجدا منيفا عدمليا وعِزَّةً قعساء[٣]

---

(١) فى ب ، ث « وشذا ينهل الرماح » وأثبتنا مافى معجم الأدباء

(٢) فى المعجم « أيها المجدب الضريك انتجعه » وهو خير مما هنا ، والضريك الذى قد اشتد فقره (٣) عدمليا : أراد موروثا عن الآباء

مال عنى بما أؤمل فيـــه   كلما قلت سوف يأسو أساء
رهن بيت لو استقرّ به الير   بوع لم يرضـــــه لَهُ نافقاء
نفضتنى نفض المرجم حتى   خلتنى فى فم الزمان نداء
منعتنى من التصرف منع العـــلل التسع صرفها الأسمـــاء[1]
يا أبا حمير وحرمة إحسا   نك عندى ما كان حبى رياء
ما ظننت الزمان يبعدنى عنـــك إلى أن أفارق الأحياء
غير أنى فدتك نفسى من السو   ء وإن قل أن تكون فداء
ضاع سعيى وخبت خابت أعاد   يك ومن يبتغى لك الأسواء
واحتملت الزمان والنقص والإبـــعاد والذل والعنـــا والجفاء
وتحملت واضطربت فما أبـــقى على عودىَ الزمانُ لحاء
أعلى هـــذه المصيبة صبر؟   لا ، ولو كنت صَخْرة صَمَّاء
ولو أنى لم أعتمد دون غيرى   لتأسيْتُ أن أموت وفاء
غير أن التصريح ليس بخاف   عند من كان يفهم الإيماء
غير أنى مثنٍ عليك وما لمـــتُ على ما لقيت إلا القضاء
وسيأتيك فى البعاد وفى القـــرب مديح يُخَمِّل الشعراء[2]
فبشــكر رحلْتُ عنـــك وألقـــاك به إن قضى الإلهُ لقـــاء
ليس يبقى فى الدهر غير ثناء   فاكتسب ما استطعت ذاك الثناء

(١١٤)

الحسن بن مطير، الأسدى الشاعر

الحسين بن مُطَير، الأسدى[3] .

من فحول الشعراء .

من شعره :

---

(١) أشار إلى موانع الاسم من الصرف ، وهى علل تسع مذكورة فى كتب النحو

(٢) فى المعجم « مديح يستوقف الشعراء »

(٣) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٦٦/١٠ والأغانى ١١٤/١٤ بولاق

لقد كنت جَلْدا قبل أن يوقِد الهوى ... على كبدى نارا بطيئا خُمُودها

فقد جعلت فى حبة القلب والحشى ... عهاد تَوَلاهَا بشَوْقٍ يُعيدها[1]

فسود نواصيها وحمر أكفها ... وصفر تراقيها و بيض خدودها[2]

مُخَصَّرة الأوساط زانَتْ عقودها ... بأحسن ممـــا زينتها عقودها

تمنيننا حتى ترف قلوبنـــا ... رَفِيفَ الخُزَامى بات طَلٌّ يجودها

وكنت أذود العين أن ترد البكَى ... فقد وردت ما كنت عنه أذودها

خليلىَّ ما بالعيش عتب لو أننا ... وجدنا لأيام الحمى من يعيـــدها

ولى نظرة بعد الصدود من الجوى ... كنظرة ثَـكْلَى قد أصيب وليدها

هل الله عافٍ عن ذنوب تسلفت ... أم الله إن لم يعف عنهـــا يعيدها

وقال يرثى مَعْنَ بن زائدة :

ألمّا على مَعْن فقولا لقبره : ... سَقَتْكَ الغوادى مَرْبَعاً ثم مَرْبَعاَ

فيا قَبْرَ مَعْنٍ أنت أول حفرة ... من الأرض خُطَّتْ للسماحة مضجعا

و يا قبر معن كيف وارَيت جوده ... وقد كان منه البر والبحر مُتْرعا

بلى قد وَسِعْتَ الجود والجود ميت ... ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتىً عيش فى معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

أبى ذكر مَعْنٍ أن تموت فعاله ... و إن كان قدلاقى حماما ومَصْرَعَا

ولما مضى معن مضى الجودُ وانقضى ... وأصبح عِرْنِين المـكارم أجدعا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

فيا عجباً يستشرفون برأيهم ... كأن لم يَرَوْا بعدى محبا ولا قبلى[3]

يقولون لى أصرم يرجع العقل كله ... وصرم حبيب النفس أذهب للعقل

---

(١) فى ب ، ث « عهاد الهوى تولى سيوف بعيدها » تحريف شنيع

(٢) فى غير هذا الـكتاب أول البيت « فصفر تراقيها » وفى أول النصف الثانى « وسود نواصيها » (٣) الذى في ديوان الحماسة وشرحه (٣/٢٢٢ بتحقيقنا)

* فيا عجبا للناس يستشرفوننى *

ويا عجبا من حب مَنْ هو قاتلى كأنىَ أجْزِيه المودّة من قتلى
ومن بينات الحب أن كان أهلها أحَبَّ إلى قلبى وعينىَ من أهلى

(١١٥)

الحكم بن عبدل الكوفى الشاعر

الحـكم بن عَبْدَل[١] ، الأسدى ثم الغاضرى ، الـكوفى .

شاعر مشهور مجيد القول نجيب ، نَفاه ابن الزبير من العراق ، وقدم دمشق وكان له من عبد الملك بن مروان موضع .

وقال صاحب الأغانى : كان أعرج ، لا تُفَارقه العصا ، فترك الوقوف بباب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ، ويبعث بهـا مع رسوله ، فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، فقال فى ذلك يحيى بن نوفل :

عصا حَكَمٍ فى الدار أولُ داخل ونحن على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آية فهٰذِى لَعَمْرُ الله أدهى وأعجب
تطاع ولا تُعْصَى ويحذر سخطها ويرغب فى المرضاة منها ويرهب[٢]

وشاعت هـذه الأبيات بالـكوفة ، وضحك منها الناس ، فـكان الحـكم يقول ليحيى : يابن الزانية ماأردت من عصاى حتى صيرتهاضحكة ، واجْتَنَبَ أن يكتب عليها كما كان يفعل أولا

وكان له صديق أعمى يدعى أبو علية ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحـكم يُحْمَلُ وأبو علية يقاد ، فلقيهماصاحب العَسَس بالـكوفة ، فأخذهما وحبسهما ، فلما استقرا فى الحبس نظر الحكم إلى عصاه موضوعة فى الحبس بجنب عصا أبى علية ، فضحك الحـكم ، وقال :

حبسى وحبس أبى عليـــة من أعاجيب الزمان

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ٢٢٨/١٠ ، وفى الأغانى ١٤٩/٢ بولاق ، وفى تاريخ دمشق (المختصر ٣٩٦/٤)

(٢) لوكان * ويرغب فى المرضاة فيها ويرهب * لـكان أظرف

أعمى يقـــاد ومُقْعَد　　لا الرجل منه ولا اليدان

هـذا بلا بصر هنا　　ك وبي يَخُبُّ الحَامِلان

يا من يرى ضَبَّ الفَلَا　　ة قرين حوت فى مكان

طرفى وطرف أبى عليـــة دهرنا يتوافقـان

من يفتخر بجـواده　　فجـــوادنا عُـكَّازتان

طِرفان لا عَلَفَاهُمَا　　يُشْرَى ولا يتصاهلان[١]

وكان بالـكوفة امرأة مُوسِرة ، وكان لهـا على الناس ديون فى السواد ، فاستغاثت بابن عَبْدَل فى دَينها ، وقالت : إنى لست بزوج ، تُعَرِّض أنها تزوجه بنفسها ، فقام ابن عبدل فى دينها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتب إليه شعراً :

سَيُخْطِيكَ الذى حاولْتَ منى　　فَقَطِّعْ حَبْلَ وصلك من حبالى[٢]

كما أخطاك معروفُ ابن بشر　　وكنت تعدّ ذلك رأس المال

وخرج ليلة وهو سكران محمول فى مِحَفّة فلقيه صاحب العسس فقال له : من أنت ؟ فقال : يا بغيض ، أنت أعرف منْ أن تسأل عنى ، اذهب إلى شغلك فإن اللصوص لا يخرجون بالليل فى محفة ، فضحك منه وانصرف .

وكانت له جارية سوداء ، فولدت له ولداً أسود، وكان أعْرَمَ الصبيان، فقال فيه :

يا رب خال لك مُسْوَدّ القفا　　لا يشتكى من رجله مشى الحفا

كأن عينيه إذا تَشَـــوَّفَا　　عينا غراب فوق نِيقٍ أشْرَفَا

وأخباره فى الأغانى كثيرة ، وشعره .

وكانت وفاته فى حدود المائة ، رحمه الله تعالى !

---

(١) الطرف — بكسر الطاء وسكون الراء — الجواد ، والصهيل : صوت الخيل، وأراد بقوله « لا يتصاهلان » لا يصهلان

(٢) فى ب ، ث « بقطع حبال » تحريف

(١١٦)

الحكم بن هشام
ملك الأندلس
الأموى

الحكم بن(١) هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، ملك الأندلس .

ولى الأمر بعد والده ، وامتدت أيامه ، وأقام فى الأمر بعده سبعا وعشرين سنة وشهراً ، ولَقَّبَ نفسه بالمرتضى (٢) .

وكان فارساً ، شجاعاً ، فاتكا ، جواداً ، ذا حزم ودهاء ، كان يُمْسِك أولاد الناس الملاح فيخصيهم ويمسكهم لنفسه .

وتوفى سنة ست ومائتين ، وهو ابن خمسين سنة ، وقام بعده ولده أبو المطرف عبد الرحمن .

وله شعر ، فمنه :

قُضُبٌ من البان ماست فوق كُثْبَانِ ... وَلَّيْنَ عنى وقد أزمعن هجرانى

ملكننى ملكا ذلت عزائمه ... للحب ذُلَّ أسير مُوثَقٍ عانى

من لى بمغتصِبات الروح من بدنى ... يغصبننى فى الهوى عزى وسلطانى

وكان قد تظاهر فى صَدْرِ ولايته بالخمور والفسق ، فقامت الفقهاء والكبار وخلعوه سنة تسع وثمانين ، ثم أعادوه لما تَنَصَّل وتاب ، فقتل طائفة من الكبار وصَلَبهم بإزاء قصره ، قيل : بلغوا سبعين نفسا ، وكان يوما فظيعا فمقتته الناس والنفوس ، وأضمروا له السوء ، وأسمعوه الكلام المر ، فتحصن ، واستعد ، وجرت له أمور يطول شرحها .

---

(١) له ترجمة فى « المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب » ١٩ وفى نفح الطيب (٣١٧/١ بتحقيقنا)

(٢) فى المعجب « الملقب بالربضى » ولا تنافى بين الكنيتين ، فإنه لقب نفسه بالمرتضى ، ولقبه الناس بالربضى ، لوقعته المشهورة بأهل الربض ، وهو محلة متصلة بقصره ، وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى (ص ٢١٣) « وقام بعد هشام ابنه الحكم أبو المظفر الملقب بالمرتضى ، ومات فى ذى الحجة سنة ست ومائتين » اه وقد ذكر المقرى فى نفح الطيب قصة الربض وما فعله الحكم بأعيان الدولة

قال أبو محمد بن حزم : وكان من المجاهرين بالمعاصى ، سَفَّاكا للدماء .

(١١٧)

حمدة بنت زياد

حمدة بنت زياد بن تقى العوفى[١] .

كانت من المتأدبات المتصوفات المتغزلات المتعففات .

قال ابن الأبار : أنشدت حمدة بنت زياد وقد خرجت متنزهة بالرملة من وادى آش ، فرأت ذات وجه وسيم أعجبها ، فقالت :

أباح الدمع أسرارى بِوَادى ... له للحسن آثار بَوَادى[٢]

فمن نهر يطوف بكل روض ... ومن روض يطوف بكل وادى[٣]

ومن بين الظباء مهاة رمل ... سبت لبى وقد ملكت قيادى[٤]

لهـا لحظ ترقِّدُهُ لأمر ... وذاك اللحظ يمنعنى رقادى[٥]

إذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر فى جنح السواد[٦]

كأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزن تسربل بالحداد

ولها أيضا رحمها الله :

ولما أبى الواشـون إلا فراقنا ... ومالَهُمُ عندى وعندك من ثار

---

(١) لها ترجمة فى « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب » للمقـرى (٦/٢٣ بتحقيقنا) وفى معجم الأدباء ١٠/٢٧٤ ، ويقال فى اسمها « حمدونة » أيضا ، وقال المقرى قبل إنشاد الأبيات الدالية « وخرجت حمدة مرة للوادى مع صبية فلما نضت عنها ثيابها وعامت قالت » وتنسب لحمدة أبيات ميمية جليلة منسوبة للمنازى

(٢) بوادى : جمع بادية ، اسم الفاعل المؤنث فعله « بدا يبدو » أى ظهر

(٣) فى النفح والمعجم « ومن روض يرف بكل وادى » ويرف : يهتز

(٤) فى النفح « مهاة أنس » و « وقد ملكت فؤادى » وفى نسخة منـه « وقد سلبت فؤادي »

(٥) فى ب ، ث « لحظ ترده »   (٦) فى ب ، ث « ذوائبها عليه »

وشَنُّوا على أسماعنا كل غارة وقلَّتْ حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهمُ من مقلتيك وأدمعى ومن نَفَسِى بالسيف والسيل والنار

(١١٨)

حمزة بن بيض الحنفى، الشاعر

حمزة بن بِيَضٍ ، الحنفى ، أحد بنى بكر بن وائل(١) .

كوفى ، شاعر ، مجيدُ سائر القول ، كثير المجون .

كان منقطعاً إلى المُهَلَّب بن أبى صُفْرَةَ وولده ، ثم إلى بلال بن أبى بُرْدَةَ(٢) ، حصلت له أموال كثيرة إلى الغاية من ذهب وخيل ورقيق .

قيل : إنه حصل له ألف ألف درهم .

وتوفى سنة عشرين ومائة .

أتى بلال بن أبى بردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى ، فدخل الحاجب وخرج ، وقال : يقول لك : حمزة بن بيض ابن من ؟ فقال : ادخل ، وقل له : الذى جئت إليه إلى سيار الحمام وأنت أمرد ، تسأله أن يَهَبَكَ طائراً ، فأدخلك السيار وناكك وأعطاك طائراً ، فشتمه الحاجب ، فقال : ما أنت وذا بَعثكَ برسالة فأبلغه الجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغْضَبٌ ، فلما رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك ؟ قبحه الله تعالى ! فقال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هذا أنت رسول ، فأدّ الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه ، فأخبره بقوله ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل ، فأكرمه ، وسمع مديحه ،

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ١٥/١٤ — ٢٦ الساسي ، وتجدها فى مهذب الأغانى ٣/٢٣٤ ، وفى ، معجم الأدباء ١٠/٢٨٠

(٢) زاد فى الأغانى فيمن انقطع حمزة إليهم « أبان بن الوليد »

وأحسن صِلَته ، وأراد بقوله « ابن من » قولَ الشاعر فيه :

أنت ابن بيض لَعَمْرِى لست أنكره
فقد صدقت ولكن مَنْ أبو بيض

وقدم على مَخْلد بن المهلب ، وهو عند الكثيب ، وأنشده :

أتيناك فى حاجة فَاقْضِهَا وقل مرحباً يجب المرحب

ولا تُتْكِلَنَّا إلى معشر متى وعدوا عِدَةً يكذبوا(١)

فإنك فى الفرع من أسرة لهم خَضَعَ الشرق والمغرب

بلغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب

فهمك فيه جسام الأمور وهَمُّ لِدَاتِكَ أن يلعبوا(٢)

وجدْتَ فقلت : ألا سائل فيعطى ولا راغب يرغب

فمنك العطية للسائلين وممن يفوبك أن يطلبوا

فأمر له بمائة ألف درهم ، فأخذها ، وسأله عن حوائجه ، فأخبره ، فقضاها جميعاً له .

وأودع حمزة عند ناسك ثلاثين ألف درهم ، ومثلها عند رجل نباذ ، فأما الناسك فبنى بها داره وزوّج بناته ، وأنفقها ، وجَحَدَهُ ، وأما النباذ فأدّى إليه الأمانة فى ماله ، فقال حمزة :

ألا لا يغرّنك ذو سجدة يظل بها دائما يخدَعُ(٣)

كأنّ بجبهته جلْبَةً يسبح طوراً ويسترجع(٤)

---

(١) فى ب ، ث « ولا لا تكلنا » وليس بشىء ، وآثبتنا ما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى « فهمك فيها جسام الأمور »

(٣) فى الأغانى « يظل بها دائباً يخدع »

(٤) فى ب ، ث والمعجم « كأن بجبهته حبة » تحريف ، وفيهما « تسبح طوراً »

وما للتقى لزمتْ وجهه ... ولكن ليغترّ مستودع

فلا تنفرنّ من أهل النبيذ ... وإن قيل يشرب لا يقلع

فعندى علم بما قد خبر ... ت إن كان عِلمُهُمَا ينفع[(1)]

ثلاثون ألفا حواها السجود ... فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غير ماماله ... فأصبح فى بيته يرتع

مهائر من غير مال حواه ... يُقَاتون أرزاقهم جُوَّع

وأدى أخو الكأس ما عنده

وما كنت فى ردّها أطمع[(2)]

وكان عبد الملك بن مروان يعبث به ، فوجّه إليه ليلة رسولاً ، وقال : جئنى به على أىّ حالة وجدته ، فهجم عليه ، فوجده داخلا إلى بيت الخلاء ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : ويحكَ ! أكلتُ كثيراً ، وشربت نبيذاً حلواً ، وقد أخذنى بطنى ، فقال : لا سبيل إلى مُفَارقتك ، ثم أخذه وأتى به إلى عبد الملك ، فوجده قاعداً فى طارمته ، وعنده جارية جميلة تحظاها ، وهى تسجر العود ، وتبخر أمير المؤمنين ، فجلس يحادثه ، و يعالج ماهو فيه من داء بطنه ، فعرضت له ريح ، فسيَّبهَا ظنا أن يسترها البخور . قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحُها ريحَ البخور والند ، فقال : ماهذا يا حمزة ؟ قال : فقلت : علىّ عهدُ الله والمشىُ إلى بيت الله والهَدْىُ إن كنت فعلتها ، وما فعلتهَا إلا هذه الجارية ، فغضب ، وخجلت الجارية ، وما قَدَرَتْ على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى ، فسرّحْتهَا ، وسَطَعَ والله ريحها ، فقال : ماهذا ؟

(١) فى الأغانى والمعجم «فعندك علم» وفي الأغانى «إن كان علم بها ينفع» وفى المعجم «علمى بها»

(٢) فى الأغانى «وأدى أبو الكأس ماعنده»

ويلك ! أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لى إن كنتُ فعلتُها ، ثم قال للجارية : ويلك ! ما قصتك ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئا ، وطمعتُ فيها ، فسرَّحْتُ الثالثة ، فسَطَعَ ريحها مالم يكن فى الحساب ، فغضب عبدُ الملك حتى كاد أن يخرج من جلده ، ثم قال : يا حمزة ، خذ بيد هذه الجارية الزانية ، فقد وهبتها لك ، وامْضِ ، فقد نَغَّصَتْ علىّ ليلتى ، فأخذتُ بيدها وخرجت ، فلقينى خادم ، فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضى بها ، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنَّك بغضا لا تنتفع منه بعد ، وهذه مائتا دينار ، فخذها ، ودَعْ هذه الجارية ، فقلت : والله لا نَقَصْتُكَ من خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ما قلت لك ، فأخذتها منه ، وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاثٍ دَعَانى عبدُ الملك ، فلقينى الخادم ، فقال : هذه مائة دينار أخرى ، وتقول مالا يضرّك ، ولعله ينفعك ، فقلت : ما هو ؟ فقال : إذا دخلْتَ إليه تدَّعى عنده أنَّ تلك الفَسَوَاتِ الثلاث أنت فعلتهنَّ ، فقلت : هاتها ، فلما دخلتُ وقفتُ بين يديه ، فقلت : الأمان يا أمير المؤمنين ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة ما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : علىّ وعلىّ إن كان فَسَاهُنَّ غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه ، وقال : فلم ويحك ما أخبرتنى ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمتُ وقضيتُ حاجتى ، ومنها أخذت جاريتك ، ومنها أن قد كافأتك على أذَاكَ بمثله ، حيث منعنى رسولُكَ من دَفعِ أذاىَ ، قال : وأين الجارية ؟ فقلت : ماخرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فَسُرَّ بذلك ، وأمر لى بمائة دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك ، وتَرْكك أخْذَ الجارية .

وأخبار حمزة كثيرة ، وكلها طُرَف[1] .

---

(١) الطرف : جمع طرفة ، ووقع فى بعض الاصول « وكلها ظرف »

حرف الخاء

(١١٩)

أبو الهيثم خالد بن يزيد البغدادى الـكاتب

خالد بن يزيد ، أبو الهيثم ، الـكاتب ، البغدادى[١].

أصله من خُرَاسان ، وكان أحد كتاب الجيش ، ولاه ابن الزيات الإعطاء[٢] ببعض الثغور ، فخرج ، فسمع فى طريقه منشداً ينشد :

من كان ذا شـجن بالشام يطلبه ... فنى سوى الشام أمسى الأهلُ والوطَنُ[٣]

فبكى حتى سقط مغشيا عليه ، ثم أفاق واختلط عقله ، واتصل به ذلك إلى الوسواس ، و بطل ، وكان مغرما بالمُرْدِ ، وينفق عليهم كل ما كان يستفيده ، فهوى غلاما ، يقال له عبد الله ، وكان أبو تمام يهواه ، فقال فيه خالد :

قضيبُ بانٍ جَناه وردُ ... يحمله وجنـة وخَدُّ[٤]

لم أثنِ طرفى إليـه إلا ... مات عزاء وعاش وَجْدُ

مُلِّكَ طوعَ النفوس حتى ... عَلَّمه الحسنُ كيف يَبْدُو[٥]

واجْتَمعَ الصَّدُّ فيه حتى ... ليس لخلق سِوَاهُ صَـدُّ

فبلغ ذلك أبا تمـام ، فقال :

شعرك هـذا كله مفرط ... فى برده يا خالد البـارد

فعلقها الصبيان ، وما زالوا يصيحون به « يا خالد البارد » حتى وسوس ، وهجا أبا تمـام ، فقال :

يا معشر المردإنى ناصـح لـكم ... والمرء فى القول بين الصدق والـكذب

لا ينـكحن حبيبا منكم أحـدٌ ... فداء وجعائه أعـدى من الجرب

لا تأمنوا أن تعودوا بعـد ثالثة ... فتركبوا عمدا ليست من الخشب

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ٣١/١١ وتجدها فى مهذب الأغانى ٢٠٣/٩ ، وفى معجم الأدباء ٤٧/١١ وفى تاريخ بغداد ٣٠٨/٨ (٢) فى المعجم « ولاه عملا » (٣) فى المعجم «الأهل والشجن» (٤) فى ب ، ث «قضيت » و «يحمله جنة وورد » تحريف، وأثبتناما فى الأغانى (٣) فى الأغانى « علمه الزهو كيف يبدو »

ومن شعره أيضا :

عش فحبيك سَرِيعاً قاتلى ... وَالضَّنَى إن لم تصلنى واصلى[1]

ظفر الشـوق بقلب دنف ... فيك ، والسقمُ بجسم ناحل

فهما ما بين وجـد وضَنًى ... تركانى كالقضيب الذابـل

وبكى العاذل لى من رحمـة ... فبكائى لبـكاء العاذل

ومن شعره أيضا :

عشية حَيَّـانى بورد كأنه ... خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وراح وِفعـلُ الراح فى حَرَكاته ... كفعل النسيم الرطب فى الغصن الغض

ومنه أيضا رحمه الله :

رَقَدْتَ ولم تَرْثِ للسـاهر ... وليـلُ المحب بلا آخر

ولم تدر بعـد ذهاب الرقا ... د ما فعل الدمع بالنـاظر

وتوفى خالد فى حدود السبعين والمـائتين ، رحمه الله تعالى !

(١٢٠)

زين الدين
أبو البقاء خالد
ابن يوسف
النابلسى

خالد بن يوسف بن سعد بن الحسن بن مفرح بن بكار ، الحافظ ، المفيد ، زين الدين ، أبو البقاء ، النابلسى ، ثم الدمشقى[2] .

ولد بنابلس سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

وتوفى سنة ثلاث وستين وستمائة .

قدم دمشق ، ونشأ بها ، وسمع من [أبى] القاسم بن عساكر ومحمد بن الخصيب وابن طَبَرْزد ، وحنبل ، وطائفة ، وسمع ببغداد من ابن الأخضر ، وابن مينا ، وكتب ،

---

(١) فى ب ، ث « والهوى إن لم تصلنى واصلى » وليس بشىء ، وأثبتنا مافى الأغانى ومهذبه

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/١٣٣

وحصل الأصول النفيسة ، ونظر فى اللغة والعربية ، وكان إماماً ذكياً ، فطناً ، ظريفاً ، حلو النادرة ، حلو المزاح ، وكان يعرف جملة كبيرة من الغريب والأسماء والمختلف والمؤتلف ، وله حكايات متداولة بين الفضلاء ، وكان الملك الناصر يحبه ويكرمه ، روى عنه الشيخ محيى الدين النووى والشيخ تاج الدين الفزارى وأخوه الخطيب شرف الدين وتقى الدين بن دقيق العيد ، وكان ضعيف الكتابة جداً ، ويعرج من رجله .

حدث الشرف الناسخ أنه كان يحضر [عند] الناصر بن العزيز ، فأنشد شاعر قصيدة يمدحه بها ، فخلع الزين خالد سراويله وخلعه على الشاعر ، فضحك الناصر ، وقال : ما حملك على هذا ؟ قال : لم يكن معى ما أستغنى عنه غيره ، فعجب منه ووَصَله .

وولى مشيخة النورية ، وكان قصيراً شديد السمرة ، ويلبس قصيراً .

ومن شعره :

أبا حسن إنى إليك وإن نأت ... ركابى إلى بغداد ما عِشْتُ تائق

ولو عَنَتِ الأقدار قبلى لعاشق ... لما عاقنى عنك العشية عائق

ومنه أيضا رحمه الله :

يا رب بالمبعوث من هاشم ... وصهره والبضعة الطهر

لا تجعل اليوم الذى لا ترى ... عينىَ تاج الدين من عمرى

(١٢١)

الشيخ خضر ابن أبى بكر الكردى

الشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى ، المهرانى ، العدوى ، الشيخ المشهور ، شيخ الملك الظاهر[1] .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٥١/٥ . وضبط «المهرانى» بكسر الميم وسكون الهاء ، وقال : إنه نسبة إلى مهران أحد أجداده . وله ترجمة فى الطبقات الكبرى للشعرانى ٢/٢ بولاق

كان صاحب حال ونفس قوية ، وكان له حال كاهنى .

أخبر الظاهرَ بسلطنته قبل وقوعها ، فلهذا كان يعظمه وينزل إلى زيارته ويُطْلِعه على غوامض أسراره ، ويستصحبه فى أسفاره .

سأله وهو محاصر أرسوف : متى تؤخذ ؟ فعين له اليوم ، فوافق ذلك ، وكذلك صَفَد وقيسارية .

ولما عاد إلى الكرك سنة خمس وستين استشاره فى قَصْدها ، فأشار عليه أن لا يقصدها ويتوجه إلى مصر ، فخالفه وتوجه ، فوقع عند بركة ديرى ، وانكسرت فخذه

وقال فى بعلبك والظاهر على حصن الأكراد : يأخذه السلطان بعد أربعين يوما ، فوافق ذلك

ولما توجه السلطان إلى الروم كان الشيخ خضر فى الحبس ، فأخبر أن السلطان يظفر ويعود إلى دمشق ، وأموت ويموت بعدى بعشرين يوما ، فاتفق ذلك .

وكان السلطان قد نقم عليه وأحضر مَنْ حاقَقَه على أمور لا تَصْدُر من مسلم ، فأشاروا بقتله ، فقال هو للسلطان : أجَلِي قريب من أجلك ، وبينى وبينك أيام يسيرة ، فوجم السلطان لها ، وتوقف عن قتله ، وحَبَسَه ، وضيق عليه ، لكنه كان يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والملابس ، وكان حبسه فى شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة[1] .

ولما وصل الظاهر من الروم إلى دمشق كتب إلى مصر بإخراجه ، فوصل البريد بعد موته ، وكان قد بنى له عدّة زوايا فى عدة بلاد، وكل أحد يتقى جانبه ، حتى الصاحب بهاء الدين بن حنا وبيلبك الخازندار ،

---

(١) ذكر صاحب الشذرات أن وفاته كانت فى سادس المحرم من سنة ست وسبعين وستمائة ، كما سيأتى ذكر سنة وفاته فى كلا تقى الدين

ورأوا ورقة يقول فيها : من خضر نياك الحمارة ، وأخرج من السجن ميتاً ، وحمل إلى الحسينية ، ودفن بزاويته .

قال الشيخ تقي الدين : الشيخ خضر مسلم صحيح العقيدة ، لكنه قليل الدين باطولى ، له حال شيطانى ، وكانت وفاته سنة ست وسبعين وستمائة ، وكان قد بنى له زاوية بالحسينية على الخليج محاذية لأرض الطبالة ، ووقف عليها أحكاراً يجيء منها فى السنة ثلاثون ألف درهم ، وبنى له بالقدس زاوية ، وبالمزة بدمشق زاوية ، وبظاهر بعلبك زاوية ، وبحماة زاوية ، وبحمص زاوية ، وهدم بدمشق كنيسة اليهود ، وكنيسة المصلبة التى للنصارى بالقدس ، وقتل قسيسها بيده ، وعملها زاوية ، وهدم بالإسكندرية كنيسة الروم ، وبناها مدرسة ، وسماها الخضراء ، وكان واسع الصدر ، يعطى الفضة والذهب ، ويعمل الأطعمة فى قُدُور مفرطة الكبر يحمل القدر جماعة العتالين ، وفى ملازمته للظاهر يقول الناسخ :

ما الظاهر السلطان إلا مالك الـ ... ـدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر
ولنا دليل واضح كالشمس فى ... وسط السماء بكل عين تبصر
لما رأينا الخضر يقدم جيشه ... أبداً علمنا أنه الإسكندر

(١٢٢)

الملك الأشرف خليل بن قلاوون الصالحي

خليل بن قلاوون[١] ، السلطان ، الملك الأشرف ، صلاح الدين ، بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى .

جلس على تخت الملك فى ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة[٢] ، بعد موت والده ، واستفتح الملك بالجهاد ، وسار فنازل عكا وافتتحها ، وأخذ نصف الشام

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤٢٢/٥ وانظر النجوم الزاهرة ابتداء من مطلع الجزء الثامن ، والجزء الأول من ابن إياس

(٢) فى النجوم أن ذلك كان يوم الأحد سابع ذى القعدة

كله من الفرنج ، ثم سار فى السنة الثانيــة فنازل قلعة الروم وحاصرها خمسة وعشرين يوما فافتتحها ، ثم فى السنة الثالثة جاءته مفاتيح قلعة بيسان من غير قتال وهو سائر إلى دمشق ، ولو طالت مدته مَلَكَ العراق وغيره ، فإنه كان شجاعا مقداما مَهِيبًا عالىَ الهمة يملأ العين فيرجف القلب ، وكان ضخماً سمينا ، كبير الوجه ، بديع الجمال ، مستدير اللحية ، على صورته رونق الحسن وهيبة السلطنة ، وكان إلى جُوده وبذله الأموال فى أغراضه المنتهى ، تخافه الملوك فى أقطارها ، أباد جماعةً من كبار الدولة ، وكان منهمكا على اللذات ، لا يعبأ بالتحرز على نفسه لشجاعته ، خرج من القاهرة ثالث المحرم هو والوزير شمس الدين ابن السلعوس[١] وأمراء دولته، وفارقه وزيره من الطَّرَّانة[٢] إلى الإسكندرية، وعَسَفَ وظَلَم وصادر الناس ، ونزل الأشرف بأرض الحمامات للصيد ، وأقام إلى يوم السبت ثالث عشر المحرم[٣] ، فلما كان العصر وهو بتَرُوجَة حضر نائب السلطنة بيدرا وجماعة من الأمراء ، وكان الأشرف أمره بكرةً أن يتقدم بالدهليز ليتصيد هو ويعود عشية ، فاحتاطوا به ، وليس معه إلا شهاب الدين [أحمد] بن الأشل أمير شِكَار ، فابتدره بيدرا فضربه بالسيف فقطع يده ، فصاح حسام الدين لاجين عليه ، وقال : مَنْ يريد السلطنة تكون هذه ضربته ؟ وضربه على كتفه خلفه ، فسقَط السلطان إلى الأرض ، ولم يكن معه سيف ، بل كان وسطه مشدوداً بالبَنْد ، ثم جاء سيف الدين بهادر رأس نوبة[٤] ، فأدخل السيف من أسفله وساقه إلى حلقه ، وتركوه طريحا فى البرية ، واتفقوا على بيدرا ، وحلفُوا له ، وسار تحت العصائب يطلب القاهرة ، وتسمى بالملك الأوحد ، وبات تلك

---

(١) هو الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الرجاء ، التنوخي

(٢) الطرانة : إحدى البلاد المصرية القديمة ، وتقع اليوم فى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة جنوبى محطة كفرداود (٣) فى النجوم «يوم السبت ثانى عشر المحرم»

(٤) رأس نوبة : هى إحدى وظائف أرباب السيف من الدولة الأيوبية فما بعدها (صبح الأعشى ١٨/٤)

الليلة ، وأصبح يسير ، فلما ارتفع النهار إذا بطلب كثير قد أقبل يَقْدُمُه زين الدين كَتْبُغَا[١] وحسام الدين أستادار يطلبون بيدرا بدم أستاذهم ، وذلك بالطَّرَّانة ، فحملوا عليه فتفرق عنه أكثر مَنْ معه ، وقتل فى الحال ، وحُمل رأسه على رمح ، وجاءوا به إلى القاهرة ، فلم يمكنهم الشجاعى من التعدية ، وكان نائب السلطنة فى تلك السفرة ، فأمر بالشَّوانى كلها فربطت إلى الجانب الآخر ، ونَزَلَ الجيش على الجانب الغربى .

ثم مشت بينهم الرسل على أن يقيموا الملك الناصر محمدا أخا الأشرف ، فتقرر ذلك ، وأجلسوه على التخت يوم الاثنين رابع عشر محرم ، وصار أتابكه كَتْبُغَا ، ووزيره الشجاعى ، واختفى حسام الدين لاجين وقراسنقر المنصورى وغيرهما ممن شارك فى قتله .

قال الشيخ شمس الدين الجزرى رحمه الله تعالى : حدثنى الأمير سيف الدين[٢] الجدار قال : كان السلطان رحمه الله تعالى قد أنفذنى بكرة إلى بيدرا بأن يتقدم بالعساكر ، فلما قلت له ذلك هرّفَّ[٣] وقال : السمع والطاعة ، كم تستعجلنى ؟ ثم إنى حملت الزردخانة والثقل الذى لى ، وركبت ، فبينما أنا ورفيقى الأمير صارم الدين الفخرى وركن الدين أمير جَنْدَار عند الغروب وإذا بنَجَّاب قد أقبل فقلنا له : أين تركت السلطان ؟ فقال : يُطَوِّل الله أعماركم فيه ! فبهتنا ، وإذا بالعصائب قد لاحت ، وأقبل الأمراء وبيدرا فى الدست ، فجئنا وسلمنا ، وساق معه ركن الدين أمير جَنْدَار ، وقال له : يا خوند هذا الذى كان بمشورة الأمراء ؟ قال : نعم ، أنا قتلته بمَشُورتهم وحضورهم ، وهاهم حضور ، وكان من جملتهم حسام الدين لاجين وبهادر رأس نوبة وقرا سنقر وبدر الدين بَيْسَرى ، وشرع يُعَدِّد ذنوبه وإهماله لأمور المسلمين ، واستهتاره بالأمراء ، وتوزيره لابن السَّلْعُوس ،

---

(١) انظر فى التعريف به وبما آل إليه أمره — النجوم الزاهرة ٥٥/٨

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٨/٨ « سيف الدين بن المحفدار »

(٣) فى النجوم ٢٠/٨ « فنفر فى بيدرا ثم قال »

ثم قال : رأيتم الأمير زين الدين كَتْبُغَا ؟ فقلنا : لا ، فقال : أمير جَنْدَار عنده علم من هذه القضية ؟ قالوا : نعم ، هو أول من أشار بها ، فلما كان من الغد جاء كتبغا فى طلب نحو ألفين من الخاصكية وغيرهم ، ثم قال كتبغا لبيدرا : أين السلطان ؟ ورماه بالنشاب ، ورموا كلهم بالنشاب ، وقتلوه ، وتفرق جمعه ، فلما رأينا ذلك التجأنا إلى جبل ، واختلطنا بالطلب الذى جاء ، فعرفنا بعض أصحابنا ، فقال : شدوا لنا بالعجلة مناديلكم فى رقابكم إلى تحت الإبط ، يعنى شعارهم .

قال ابن الجلقدار[1] : سألت شهاب الدين [أحمد] بن الأشل : كيف كان قتل السلطان ؟ قال : جاء إليه بعد دفع الدهليز[2] أن بتَرُوجَة طيراً كثيراً ، فقال : امش بنا حتى نسبق الخاصكية ، فركبنا وسرنا ، فرأينا طيراً كثيراً ، فرمى بالبندق وصرع كثيراً ، ثم قال : أنا جيعان[3] ، فهل معك شىء تطعمنى ؟ فقلت : ما معى سوى فروجة ورغيف فى شولقى[4] ، فقال : هاته ، وناولته فأكله ، ثم قال : أمسك فرسى حتى أبول ، ثم نزل وجعل يريق الماء ويمازحنى ثم ركب ، وإذا بغُبَار عظيم ، فقال : سُقْ واكشف الخبر ، فسقت ، وإذا ببيدرا والأمراء فسألتهم : ما سبب مجيئهم ؟ فلم يردوا على ، وساقوا إلى السلطان وقتلوه كما ذكرنا .

ثم إن بعد موته بيومين طلع والى تروجة [ومعه أهل تروجة][5] وغسلوه وكفنوه ووضَعُوه فى تابوت ، وسيروا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجَبَا الناصرى فأحضر التابوت ودفن فى تربة والدته ، وذلك فى المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وكان من أبناء الثلاثين أو أقل ، رحمه الله تعالى !

---

(١) كذا في ب ، ث ، والذى فى النجوم ٨/١٨ « ابن المحفدار » وانظر الهامشة ٢ من الصحيفة السابقة

(٢) كذا فى ب ، ث ، وفى النجوم الزاهرة « بعد رحيل الدهليز »

(٣) الصواب عربية أن يقول « أنا جوعان » (٤) فى النجوم « صولق »

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، وهى فى النجوم الزاهرة

ذكر فتوحاته : عكا ، وصور ، وصيدا ، و بيروت ، وقلعة الروم ، ومَيْسان ، وجميع السواحل[١] ، فى أقرب مدة .

وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وشهراً وخمسة أيام[٢] .

وكان كرمه زائدا ، و إطلاقه عظيم ، وكانت واقعته تسمى وقعة الأيدى والأكتاف ، لأن جميع من واقف عليه قطعت أيديهم أولا ، وفيهم من سُمِّرَ ، وفيهم من أحرق ، وفيهم من قتل ، ولم يوجد فى زمانه مظلمة ، ولا استجد ضمان مكس ، وكان يحب الشام وأهله ، وفيه يقول شمس الدين بن غانم :

مليكان قد لقبا بالصلاح فهذا خليل وذا يوسف[٣]
فيوسُفُ لا شَكَّ فى فضله ولكن خليل هو الأشرف

وكان مُغْرًى بالهدم ؛ لأنه هدم أماكن ، وفيه يقول علاء الدين الوَدَاعى لما أمر بهدم الأماكن المجاورة للميدان بدمشق ، ووزع عمارته على الأمراء :

إنْ أمرَ السلطان فى جلق بهدم ما جاور ميدانه
فإنه قد غار لما رأى غير بيوت الله جيرانه

وقال أيضا :

أرى الأمراء قد جدوا وجادوا وشدوا فى بنائهم وشادوا
وهم متسابقون ولا عجيب ففى الميدان تستبق الجياد

وقال أيضا رحمه الله :

جُزيتم أيها الأمراء خيرا على إتقانكم هذى البنيه
فلا تخشوا على الميدان شيئا سوى سيل العطايا الأشرفيه

---

(١) فى ث « وجميع الساحل »

(٢) فى النجوم « ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام »

(٣) يوسف : أراد به صلاح الدين الأيوبى

ولما افتتح السلطان عكا امتدحه القاضى شهابُ الدين محمود بقصيدته البائية المشهورة ، وهى هذه :

الحمـد لله ذَلَّتْ دولة الصُّلُبِ وعَزَّ بالترك دينُ المصطفى العرَبى

هذا الذى كانت الآمال لو طلبت رؤياه فى النوم لاستحْيَتْ من الطلب

ما بعد عكا وقد هُدَّتْ قواعدها فى البحر للشرك عند البر من أرب (١)

عقيلة ذهبت أيدى الخطوب بها دهرا وشَدَّتْ عليها كف مغتصب

لم يبق من بعدها للكفر مذ خربت فى البحر والبر ما ينجى سوى الهرب

كانت تخيلنا آمالنـــا فنرى أن التفـكر فيهـا غاية العجب

أما الحروب فـكم قد أنشأت فِتَناً شاب الوليد بها هولا ولم تشب

سوران بر و بحر حول ساحتها دارا وأدناها أنأى من العطب (٢)

مصفح بصفاح حولهـــا أكم من الرماح وأبراج من اليَلَبِ (٣)

مثل الغمائم تهدى من صواعقها بالنبل أضعاف ما تهدى من السحب

كأنما كل برج حـــوله فلك من المجانيق ترمى الأرض بالشهب

ففاجَأَتْهَا جنود الله يقدُمُهَـــا غضبـانُ لله لا للملك والنَّشَبِ

كم رامهـا ورماها قبـله ملك جم الجيوش فلم يظفر ولم يُجَبِ

لم ترض هِمَّتُه إلا الذى قعدت للعجز عنه ملوك العجم والعرب

ليث أبى أن يردَّ الوجه عن أُممٍ يدعون ربَّ العلى سبحانه بأب

لم يلهـــه ملـكه، بل فى أوائله نال الذى لم تنله الناس فى الحِقَبِ

فأصبحت وهى فى بحرين مائلة ما بين مضطرم ناراً ومضطرب

---

(١) الأرب ـ بالتحريك ـ الحاجة والمطلب

(٢) العطب : الهلاك ، وأنأى : أبعد

(٣) اليلب ـ بفتح الياء واللام جميعا ـ الدروع

جيش من الترك تركُ الحرب عندهم ... عار ، وراحتهم ضرب من الضرب
خاضوا إليها الردى والهجر فاشتبه الـ ... ـأمران واختلفا فى الحال والسبب
تَسَنَّموها فـلم يترك تسنمهم ... فى ذلك الأفق برجا غير منقلب
أتوا حمـاها فلم تمنع وقد وثبوا ... عنهـا مجانيقُهم شيئاً ولم يثب
يا يوم عكا لقد أنسَيْتَ ما سبقت ... به الفتوح وما قد خُطَّ فى الـكتب
لم يبلغ النطق حد الشكر منك فما ... عسى يقوم به ذو الشعر والخطب
كانت تمنى بك الأيام مبعدة ... فالحمد لله نلنا ذاك عن كَثَبِ (١)
أغضبت عُبَّاد عيسى إذ أبدتهمُ ... لله أى رِضًى فى ذلك الغضب
وأطلع الله جيش النصر فابتدرت ... طلائع النصر بين السُّمْرِ والقُضُبِ (٢)
وأشرف المصطفى الهادى البشير على ... ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
فقر عينا بهذا الفتح وابتهجت ... بفتحه الـكعبة الغراء فى الحجب
وسار فى الأرض سير الريح سُمْعَتُه ... فالبر فى طرب والبحر فى حَرَبِ
وخاضت البيض فى بحر الدماء وما ... أبدت من البيض إلا ساق مختضب
وغاص زُرْق القنا فى زُرْق أعينهم ... كأنها شَطَن تهوى إلى قُلُبِ (٣)
توقدت وهى غرقى فى دمائهمُ ... فزادها الطفح منها شـدة اللهب
وذاب من حرها عنهم حديدهم ... فقيدتهم بهـا ذعرا يدُ الرَّهَبِ
كم أبْرَزَت بطلا كالطَّود قد بطلت ... حواسـه فغدا كالمنزل الخرِبِ
أجرت إلى البحر بحراً من دمائهمُ ... فراح كالراح إذ غرقاه كالحَبَبِ (٤)
تحكمت وسطت فيهم قواضبُنا ... قتلا وعَفَّتْ لحاويها عن السلب

---

(١) عن كثب — بفتح الـكاف والثاء — عن قرب
(٢) السمر : الرماح ، واحدها أسمر ، والقضب : السيوف ، واحدها قضيب
(٣) الشطن : الحبال ، والقلب : الآبار ، واحدها قليب
(٤) الحبب : الفقاقيع التى تعلو وجه الخمر عند مزجها بالماء

كأنه وسِنَانُ الرمح يطلبه ... برج هوى ووراه كوكب الذهب
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت ... بك الممالك واستعلت على الرتب
ما بعد عكا وقد لانت عريكتها ... لديك شيء تلاقيه على لَغَبِ (١)
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مدت إليك نواصيها بلا نَصَبِ
كم قد دعت وهي في أسر العدا زمنا ... صِيدَ الملوك فلم تسمع ولم تجب (٢)
أتيتها يا صلاح الدين معتقدا ... بأن داعي صلاح الدين لم يخب
أسَلْتَ فيها كما سالت دماؤهم ... من قبل إحرازها بحرا من الذهب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غُصِبت ... منه لسر طواه الله في اللقب (٣)
وجئتها بجيوش كالسيول على ... أمثالها بين آجام من القضب
وحُطْتَهَا بالمجانيق التي وقفت ... إزاء جدرانها في جَحْفل لَجِبِ (٤)
مرفوعة نصبوا أضغانهم فغدا ... للكسر والحطم منهم كل منتصب
ورُضْتَهَا بنقوب ذللت شمما ... منها وأبدت محياها بلا نقب
وغَنَّتِ البيضُ في الأعناق فارتقصت ... أبراجها لعبا منهن باللعب
وخلفت بالدم الأسوار فانقمعت ... طيبا ولولا دماء الخبث لم تطب
وأبرزَتْ كل خود كاعب فزفت ... رؤسهم حين زفوها بلا طرب
بدت وقد جاورتنا ناشدا وغدت ... طوع الهوى في يدى جيرانها الجُنُب
بل أحرزتهم ولكن السيوف لكى ... لا يلتجي أحد منهم إلى الهرب
أضحت أبا لهب تلك البروج وقد ... كانت بتعليقها حمالة الحطب
وتمت النعمة العظمى وقد كملت ... بفتح صور بلا حصر ولا نصب

---

(١) اللغب — بفتح اللام والغين جميعا — التعب والنصب والإعياء
(٢) الصيد : جمع أصيد ، وهو من يرفع رأسه تكبرا وتيها
(٣) أراد باللقب « صلاح الدين » الذى كان من قبله يلقب به يوسف بن أيوب
(٤) الجحفل : الجيش ، واللجب : الكثير العدد والعديد

وصارت النار فى أرجائها وعلت فأطفأت ما بصدر الدين من كرب

وأفلت البحر منهم من تحير من تلقاه من قومه بالويل والحرب

أختان فى أن كلا منهما جمعت صليبة الكفر لا أختان فى النسب

لما رأت أختها بالأمس قد خربت كان الخراب لها أعدى من الجرب

الله أعطاك ملك البحر إذ جمعت لك السعادة ملك الشرق والغرب

من كان مبدأه عكا وصور معا فالصين أدنى إلى كفيه من حلب

علا بك الملك حتى إن قبته على البرايا غدت ممدودة الطنب

فلا برحْتَ قرير العين مبتهجا بكل فتح مبين المنح مرتقب

وقال أيضا يمدحه عند فتح قلعة الروم سنة إحدى وتسعين وستمائة :

لك الراية الصفراء يقدمها النصر فمَنْ كيقباذُ إن رآها وكيخسرو[1]

إذا خفقت فى الأرض هدت بنودُها هوى الشرك واستعلى الهدى وانجلى الثغر

وإن نشرت مثل الأصائل فى وغى جلا النقع من لألاء طلعتها البدر

وإن يممت زرق العدا سار تحتها كتائب خضر تحتها البيض والسمر[2]

كأن مثار النقع ليل ، وخفقها بروق ، وأنت البدر ، والفلك البحر

لها كل يوم أين سار لواؤها هدية تأييد يقدمها الدهر

وفتح بدا فى إثر فتح كأنما سماء بدت تترى كواكبها الزهر

فكم وطئت طوعا وكرها معاقل مضى الدهر عنها وهى عانسة بكر[3]

فإن رمت حصنا سابقتك كتائب من الرعب أو جيش تقدمه النصر

ففى كل قطر للعدى وحصونهم من الخوف أسياف تجرد أو خضر

فلا حصن إلا وهو سجن لأهله ولا خشب إلا لأرواحهم قبر

---

(١) كيقباذ وكيخسرو : اسمان لملكان من ملوك الفرس

(٢) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الجيش ، والبيض : السيوف ، والسمر : الرماح

(٣) العانس : التى فات سن زواجها وهى عند أهلها لم تزوج

وما قلعة الروم التى حُزْتَ فتحها ... وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر
مُحَجبة بين الجبال كأنها ... إذ ما تبدَّتْ فى ضمائرها سر
تفاوت وَصْفَاهَا فللحوت فيهما ... مجال وللنَّسْرَيْنِ بينهما وَكر (١)
فبعض رسَا حتى جرى الماء فوقه ... وبعض سما حتى همى دونه القطر
يحيط بها نهران تبرز فيهما ... كما لاح يوما فى قلائده النحر
فخاض متون السحب فيها كأنها ... إذا ما استدارت حول أبراجها نهر (٢)
على هضب صخر قد تكلم صخرها الا ... حديد وفيها عن إجابتها وَقْر (٣)
لها طرق كالوهم أعيا سلوكه ... على الفكر حتى ما تخيَّله الفكر
إذا خطرت فيها الرياح تعثرت ... أو الذر يوما زل عن متنه الذر (٤)
يضل القطا فيها ويخشى عقابها العقاب ويهفو فى مراقبها النسر
فصبَّحْتَهَا بالجيش كالزهر بهجة ... صوارمه أنهاره والقنا الزهر
وأبدعتُ بل كالبحر والبيضُ موجُه ... وجُرْدُ المذاكى السفنُ والخرد الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه ... أهلته ، والنبل أنجمه الزهر
وأخطأت لا بل كالنهار فشمسه ... جيوشك ، والآصال راياتك الصفر
ليوث من الأتراك آجامُهَا القنا ... لها كل يوم فى ذرى ظفر ظفر
فلا الريح تسرى بينهم لاشتباكها ... عليهم ولا ينهل من فوقهم قَطْرُ
يرى الموت معقودا بهدب نبالهم ... إذا مارماها القوس والنظر والشزر
ففى كل سرج غصن بانٍ مهفهف ... وفى كل قوس مَدَّ ساعده بدر
إذا صدموا صم الجبال تزلزلت ... وأصبح سهلا تحت خيلهم الوعر
ولو وردت ماء الفرات خيولهُمُ ... لقيل : هنا قد كان فيما مضى نهر

---

(١) فى ب ، ث « وللنسرين بينهما ذكر » وأعتقده محرفا عما أثبت
(٢) فى ب ، ث « متون السحب » تحريف ما أثبتناه
(٣) وقر : صمم ، وفي القرآن الكريم : (وفى آذاننا وقر)
(٤) فى ب ، ث « زال عن متنه الذر »

أداروا بها سوراً فأضحت كخِنْصَر لدى خاتم أو تحت منطقة خصر

وأجروا إليها من بحار أكفهم سحابَ رَدًى لم يخل من قطره قطر [1]

كأن المجانيق التى قُمْنَ حولها رواعد سخط وَبْلُها النار والصخر [2]

فأحرزتها بالسيف قهراً ، وهكذا فتوحك فيما قد مضى كله قسر [3]

غدت بشعار الأشرف الملك الذى له الأرض دار، وهى من حسنها قصر

وأضحت بحمد الله ثغراً ممنعاً تبيد الليالى والعِدَا وهو مُفْتَرّ [4]

وكانت قَذًى فى ناظر الدين فانجلى وذخراً لأهل الشرك فانعكس الأمر [5]

---

(١) الردى : الهلاك

(٢) أصل الوبل المطر ، وقد شبه به ما ترمى به القلعة من النيران ، وذلك حين شبه المجانين بالرياح الراعدة

(٣) أحرزتها : حصلت عليها ونلتها ، والقسر — بفتح القاف وسكون السين المهملة — القهر والغلبة .

(٤) تبيد : تهلك ، وثغر مفتر : ضاحك

(٥) القذى — بفتح القاف مقصورا — كل ما يقع في العين من غمص ونحوه ، والذخر — بضم الذال وسكون الخاء — ما يذخر ويحتفظ به لوقت الحاجة مما يضن بإنفاقه

حرف الدال المهملة

(١٢٣)

أبو المفاخر
صلاح الدين
الملك الناصر
داود بن عيسى

داوود بن عيسى[١] بن محمد بن أيوب، الملك الناصر، صلاح الدين، أبو المفاخر[٢]، ابن الملك المعظم عيسى، بن الملك العادل الكبير، بن أيوب.

ولد فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وستمائة، بدمشق، وتوفى سنة ست وخمسين وستمائة فى الطاعون، طعن فى جنبه، ودفن بسفح قاسيون فى تربة والده.

وكان رحمه الله معتنيا بتحصيل الكتب النفيسة، ووفد عليه راجح الحلى[٣]، ومدحه فوصل إليه منه ما يزيد على أربعين ألف درهم، وأعطاه على قصيدة أخرى ألف دينار، وكتب الملك الناصر داود إلى وزيره فخر القضاء ابن بصاقة رحمه الله تعالى:

يا ليـــلة قَطَّعْتُ عمر ظلامها ... بمدامة صفراء ذات تأجج
بالساحل النامى روائح نشره ... عن روضه المتضوع المتأرج
واليم زاهٍ قد جـــرى تيَّاره ... من بعـد طول تقلق وتموج
طوراً يدغدغه النسيمُ وتارة ... يَكْرَى فتوقظه بنات الخزرج
والبدر قد ألقى سَـنا أنواره ... فى لجه المتجعــــد المتدبج
فكأنه إذ قَدَّ صفـحة متنه ... بشعاعه المتوقـــد المتدبج
نهر تَلَوَّن من نُضَارٍ يانع ... يجرى على أرض من الفيروزج

ومن شعره رحمه الله:

صَبَّحَانى بوجهـــه القمرىِّ ... وَاصبَحَانى بالسلسبيل الروىِّ

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٧/٦١ وفى شذرات الذهب ٥/٢٧٥

(٢) ويقال « أبو المظفر »

(٣) ترجمة راجح الحلى تأتى قريبا برقم ١٢٥

بدر ليل يسعى بشمس نهار مشبها بيننا بغـــاء شهى
واعَجبًا لاجتماع شمس وبدر فى سنايا ســـنا كمال بهى (١)
إن تبدَّتْ بوجهها ذهبيًا قلت هذا من وجهه الفضى
يا ولوعا بالنبل أصميت قلبى بسهام من لحظك البـالى (٢)
رشقَتَه من حاجبيك سهام منتضاة أحْسِنْ بها من قسى

ومن شعره أيضا رحمه الله :

لو عاينت عيناك حسن معذبى ما لمتنى ولـكنت أول مَنْ عَذَرْ
عين الرشا، قَدُّ القَنَا، ردف النقا شعر الدجى، شمس الضحى، وجه القمر

ومما ينسب إليه، وهو غاية :

بأبى أهيف إذا رمت منـه لثم ثغر يَصدّنى عن مرامى
قد حمى خدّه بسور عِذَارٍ مقلتاه أضحت عليه مرامى

وله أيضاً رحمه الله :

تراخيت عنى حين جَدَّ بىَ الهوى وجربت صبرى عندما نفد الصبر
فلو عايَنَتْ عيناك فى الليل حالتى وقد هزنى شوقى وأقلقنى الفـكر
رأيت سليما فى ثياب مسـلم ومستشعرا قد ضم شرسوفه الشعر

وقال أيضاً غفر اللهُ له :

إذا عاينت عيناى أعلام جِلّق وبانت من القصر المشيد قبابه
تيقنت أن البين قد بان، والنوى نأى شَحْطُها، والعيش عاد شبابه

وله أيضا رحمه الله :

طرفى وقلبى قاتل وشهيد ودمى على خديك منه شهود

---

(١) كذا فى ب . ولعله « فى ثنايا كمال بهى »
(٢) أصميت قلبي : أصبت منه مقتلا ، ولحظك البابلى : أى الساحر الفاتن

يا أيها الرشأ الذى لحظاته كم دونهن صوارم وأسود
مَنْ لى بطيفك بعدما منع الكرى عن ناظرىَّ البعد والتسهيد
وأنا وحبك لست أضمر توبة عن صبوتى ، ودع الفؤاد يبيد
وألذ ما لاقيت فيك مَنِيَّتِي وأقل ما بالنفس منك أجود
ومن العجائب أن قلبك لم يَلِنْ لى والحـديد ألانه داود

وعلى الجملة فإنه لم يكن مسعود الحركات ، لأنه قضى عمره فى أسوإ حال ، مشردا عن الأوطان ، معكوس المقاصد ، وقيل : إنه كان إذا دخل فى الشراب وأخذ السكر منه يقول : أشتهى أن أرى غلامى فلانا طائرا فى الهواء ، فيرمى ذلك المسكين فى المنجنيق ويراه وهو فى الهواء ، فيضحك ويشرب ويقول : أشتهى أن أشم روائح فلان وهو يشوى ، فيحضر ذلك المعثر ويقطع لحمه ويشوى ، وهو يضحك من فعلهم بذلك المسكين ، وله من هذه الأفعال الردية أنواع كثيرة جمة ، وفيه يقول جمال الدين ابن مطروح :

ثلاثة ليس لهم رابع عليهمُ معتمد الجود
الغيث والبحر وعَزِّزْهما بالملك الناصر داود

رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(١٢٤)

هزبر الدين الملك المؤيد داود بن يوسف ملك اليمن

داود بن يوسف بن عمر بن رَسُول ، التركمانى ، الملك المؤيد ، هزبر الدين ، ملك اليمن[١] .

ملكه نيفا وعشرين سنة[٢] ، ومات فى ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة .

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢٥٣/٩ والدرر الكامنة
(٢) تسلطن فى المحرم من سنة ٦٩٦ بعد أخيه

وكان قد تعنى وحفظ « كفاية المتحفظ[١] » ومقدمة ابن بابشاذ[٢]، و « نخب التنبيه »[٣] وطالع وسمع من المحب الطبرى وغيره ، واشتملت خزانته على مائة ألف مجلد ، وكان محبا للخير ، يزور الصالحين ، وقدم عليه عز الدين الكولمى ومعه من المسك والحرير والصينى ما أدّى عليه ثلثمائة ألف درهم ، وأنشأ المؤيد قصرا بديع الحسن عديم المثال .

ولما مات تولى ابنه المجاهد ، واضطرب ملك اليمن مدة ، وتمكن الملك الظاهر بن المنصور وقبض على المجاهد ، ثم مات ابن المنصور ، وكان دينا رحيما ، فدار الأمر مع المجاهد ، واستولى على قلعة تعز ، ثم قوى أمره ، وأباد أضداده .

وقال الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمانى يمدح المؤيد وقد ركب فيلا :

الله أولاك يا داود مكرمة	ورتبة ما أتاها قبل سلطان
ركبت فيلا وظل الفيل ذا رَهَج	مستبشرا وهو بالسلطان فرحان
لك الالهُ أذل الوحْشَ أجمعه	هل أنت داود فيه أم سليمان

---

(١) اسم الكتاب كاملا « كفاية المتحفظ ، ونهاية المتلفظ » وهو كتاب فى الألفاظ صنفه أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله ، الطرابلسى ، المعروف بابن الأجدابى ، له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت وفى بغية الوعاة للسيوطى ١٧٨

(٢) هى رسالة فى النحو من تأليف أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم ، النحوى ، المصرى ، المتوفى فى سنة ٤٦٩

(٣) هكذا فى ب ، ث ، والذى فى الدرر الكامنة والنجوم الزاهرة « وبحث التنبيه »

حرف الراء المهملة

(١٢٥)

راجح الحلى الشاعر

راجح الحلى(١).

من شعره :

ماء الجفون بوجهه مذ أشرقا	كم ناظر بدموعه قد أشرقا
رشأ يفوّق عن قسيّ حواجب	نبلا بغير مقاتلى لا يُتّقى
ثمل المعاطف لم يُزرَّ قباؤه	إلا على مثل القضيب وأرشقا
أنا من تمادى هجرهِ فى مأتم	فاعجب لخد بالدموع تخلقا
كالبدر يسرى فى نجوم قلائد	متبلج من فوق غصن فى نقَا
لم يكفِ ضعفُ الخصر عن أردافه	حتى اغتدى بعيوننا متمنطقا
أجرى على عاداته دمعى ، ولو	كشف الظلامة رد ذاك المطلقا
ورأى دليلَ خفوق قلبى أنه	بسلاسل الأصداغ أضحى مُوثقَا
جعل الغرام قِرَى ملاحته فكم	نارِ أثار ، وكم دَمٍ قد أهرقا
عَبِثَتْ ثناياه بخمر رُضابه	حتى صفا فى كأس فيه مُرَوّقا
وبدت لنا آيات حسن لم يقم	برهانها إلا وكنتُ مصدقا
فبلحظه وبوجنتيه وثغره	راحٌ سكرتُ بنشرها مستنشقا
كتب العذار على صحيفة خده	بالمسك فى الكافور سطرا ملحقا
أمعنف العشاق وهو من الهوى	خالى الحشى لامُتّ حتى تعشقا

(١) لراجح الحلى ذكر فى تاريخ مصر لابن إياس ٨٠/١ و٨١، وقد ذكر أنه أقدم من صفى الدين الحلى الشاعر المعروف ، كما ذكر صلة راجح هذا بالملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب الخامس من ملوك الدولة الأيوبية بمصر ، ولراجح ترجمة قصيرة فى شذرات الذهب ١٢٣/٥ سماه فيها شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلى ، وذكر أن وفاته فى سنة ٦٢٧ ، وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢٧٥/٦ ذكر فيها ما ذكره صاحب الشذرات وزاد ، فأما صفى الدين الحلى فتوفى فى عام ٧٥٠ من الهجرة ببغداد ، واسمه عبدالعزيز بن سرايا وكان من شعراء السلطان الناصر بن قلاوون

فزهَا بنفسجه الجنىّ وقد غدا ... بالورد فى روض الملاحة محدقا
إنى لأظمأ ما يكون إذا جرى ... ماء الحياة بوجهه وترقرقا
قمر سقيم الطرف عَقْرَبُ صدغه ... يثنى عزائمنا ويهـزأ بالرُّقَى
يا مثريا من حسنه عطفا على ... قلب يبيت من التصبر مملقا
هل قد رأيت خضوع سائل أدمعى ... أفكان عارا أن تُرَى متصدّقا
سل عن سوى جَلَدِى فإنى لم أدع ... تعليله حتى قضى ، فلك البَقَا
ما بات قلبى للصبابة ممسكا ... حتى غدا جفنى لدمعى منفقا
سكن الضنى جسمى سكون مقيد ... وفشا الغرام إلى فؤادى مطلقا
ففداك قلب قد ملكت قياده ... لم يَرْجُ من رق الصبابة معتقا
لو كان قلبك مثل عطفك لينا ... لرثى وَرَقَّ لفيض دمع مارَقَا
ما ذا تعدّ لمن تعاديه إذا ... ما طرفك اغتال المحب المشفقا

(١٢٦)

أبو حليمة
راشد بن
إسحاق الكاتب

أبو حليمة ، الكاتب ، راشد بن إسحاق بن راشد[١] .

شاعر ، أديب ، أفنى عامة شعره فى مراثى متاعه .

وقال ابن المرزبان : إنما كان يقول ذلك لتهمة لحقته من عبد الله بن طاهر أيام خدمته له فى خادم لعبد الله .

ومن شعره :

ولى خادم يرنو بطرف غزال ... يدلّ بحسنٍ فائق وجمال
دعانى إلى ما يستحل ابن أكثم ... وقد يستحل الشيخ غير حلال[٢]
ولما بدا لى ما يريد أجتنبته ... وقلت له : إنى لذلك قالِ[٣]

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٢٢ — ١٢٤ ، وكان راشد هذا متصلا بمحمد بن عبدالملك الزيات فى عصر أمير المؤمنين المأمون بن هرون الرشيد العباسى
(٢) ابن اكثم : القاضي يحي بن أكثم ، وكان يزن بالغلمان .
(٣) قال : كاره ، اسم الفاعل من « قلاه يقلوه ويقليه وأبغضه ، أى كرهه »

وقلت له : حاولت مالست قادرا عليـه ، ولو غاليت فيه بمالى
بليت بأير لا يخف إلى الوغى إذا ما التقى الزحفان يوم قتال
فأصبح لا تهفو إلى اللهو نفسه ولا تخطر اللذات منه ببال
تدلدل فوق الخصيتين كأنه رِشَاء على رأس الركية بال[1]
ولو قام لم أسعفك فيما طلبته أحق بأيرى منك أمُّ عيالى

وقال أيضا فى المعنى :

أيا أير قد صرت أحدوثة لمن فى البلاد من العالم
ألم تك فيما مضى منعظا تُشَبَّهُ بالوتد القـائم
وقد كنت تملأ كف الفتاة فأصبحت تدخل فى خاتم

وقال فى المعنى رحمه الله :

دعيت إلى شادن أدعج يُشَبَّه بالقمـر الأبلج
فألفيت أيرك مستخدرا وقد يُحْرَمُ المرء ما يرتجى
ترى تركه أيما حسرة وأنت به مستهام شَجِى
وصرت تحرج من نيله ولو قام أيرك لم تحرج
سواء عليك إذا ما رنَوْت إلى مثله جئت أم لم تج[2]

وقال أيضا سامحه الله[3] :

نام أيرى والنوم ذل وهُونُ فاعتراه بعـد الحَرَاكِ سكونُ
بات نِضوًا و بت أبكى عليه إن همِّى بهمه مقرون
كيف يلتـذ عَيْشَهُ آدمىّ بين رجليه صاحب محزون

---

(١) الرشاء ـ بكسر الراء ـ الحبل . والركية أراد هنا البئر
(٢) رنوت : نظرت ، رنا يرنو ، ووقع فى ب « رنيت » تحريف
(٣) ذكر ياقوت أنه لم يعثر لراشد هـذا على شعر خال من الفحش سوى ثلاثة أبيات أنشدها له .

دَبَّ فيـــه البِلَىٰ فماتت قُوَاه وهو حى لم تخـترمه المنون
أيهـا الأير لم تخى ، ولـكن غالنى فيك ريب دهر خؤون
طالمـــا قمت كالمنارة تهـــتز اهتزازا تسمو إليـــه العيون
رب يوم رفَعْتَ فيه قميصى فـكأنى فى مشيتى مجنون
سلبتـك الأيام لذة عيش يقصر الوصف دونها والظنون
كانت الحرَّتَانِ تنكل منـــه وخطوب الزمان فيـــه تهون
فتخليت من مجون التصابى وتخلَّى منك الصبى والجنون
أين إقدامك الشديد إذا ما شمرتْ بالـكُمَاة حرب زَبُونُ
فقتَ أبطالهـــا طعاناً وضربا ولـكل الأشيـاء فوقٌ ودُونُ
كم صدوق اللقاء دارت عليه فى غمـــار الوغى رَحَاة طَحُونُ(١)
وحصون لما وردْت عليهـــا أيقنت بالبلاء تلك الحصون
وصريع أبحت منـــه مكانا كان يحميه مرة ويصون
وشديد المِرَاس أنفذت فيـــه طعنة يستـــتلذها المطعون
تركته بعد المخافة منهـــا وهو صبٌّ بحسنهـــا مفتون
فحنى قوسك الزمان وأفنتـــك خطوب تفنى عليها القرون
لم يَدَعْ منك حادث الدهر إلا جلدة كالرشاء فيهـــا غضون(٢)
يتثـنى كأنه صولجـــان أو كما عوجت من الخط نون
فإذا أبصرت خزاياك عيـنى شَرِقَتْ بالدموع منى الجفون
فمتى أنت مفلح بعد هـــذا أترى ذاك فى حيانى يكون
وقال أيضا فى المعنى :

---

(١) هكذا فى ب ، ث « رحاة طحون » بالتاء ، وليس بشىء ، وإنما هى رحى — بفتح الراء مقصورا — وتثنى « رحيان » مثل فتى وفتيان ، وقد يكون الأصل « رحاء طحون » بالهمز ، فقد زعم بعض أهل اللغة أنه يقال : رحاء — بالمد — بدليل جمعهم إياه على أرحية (٢) فى ب ، ث « لم يبق منك » ولايستقيم عليه الوزن

إذا وُصِفَتْ من كل أير شجاعة ... أبى جبن أيرى أن يحيط به وصف

يفر حذار الزحف من رأس فرسخ ... فكيف تراه حين يقرب بى الزحف

ويكسل بين الغانيات عن الذى ... يتم لإخوان السرور به القَصْفُ

ينام على كف الفتاة ، وتارة ... له حركات ما تحس به الكف

كما يرفع الفرخُ ابن يومين رأسه ... إلى أبويه ثم يدركه الضعف

تطوق فوق الخصيتين كأنه ... رشاء على رأس الرَّكِيَّةِ ملتف[1]

تقول سليمى حين غيَّره البِلَىٰ ... وأعقبه من صرف أيامه صرف

لئن دق واسترخى لقد كان مرة ... له مقبض فى كَفٍّ لامسه يجفو

صبيحة يغدو للنطاح بهامة ... من الصخر لا قرنان فيها ولا قحف

إذا شئت لاقانى بمس مقوم ... ومسحورة مثل السنان لها قحف[2]

فمالى أراه ضاربا بجِرَانه ... كذى سكرة مالت به الخمرة الصِّرْفُ

يعز عليه أن يقوم لحاجة ... ولو قام لم يتبعه عضو ولا عطف

تكدر عيشى مذ رأيت انحناءه ... وللدهر أحداث تكدر ما يصفو

وقال أيضا رحمه الله :

ومنتبه بين الندامى رأيته ... وقد رقد الندمان دب إلى الساقى

فأولج فيه مثل أسْوَدَ سالخ ... أصم من الحيات ليس له راقى

فلما انتحى فيه تحرك واتكا ... وأطرق عند الرهز أحسن إطراق

فقلت له لا تلفينّ مقصرا ... ولا مشفقا فى غير موضع إشفاق

أجد تحت خصييه فإن سكوته ... سكوت فتى صب إلى النيك مشتاق

فلو لم يكن يقظان ما قام أيره ... ولا لف عند النيك ساقا إلى ساق

وقال أيضا فى المعنى :

---

(١) الرشاء — بكسر الراء — الحبل ، وجمعه أرشية ، والركية : البئر

(٢) فى ب « إذا شئت لاتانى » و «مثل البشام لها قحف» تحريف فى الموضعين

كأن أيرى من رخو مفصلة خريطة قد خلت من الكتب
أو حيـــــة أرقم مطوّقة قد جعلت رأسها إلى الذنب

وقال فى مرضه الذى مات فيه وهو بطريق مكة :

أطبقت للنوم جفنا ليس ينطبق وبت والدمع فى خديك يستبق[١]
لم يسترح مَنْ له عين مؤرقة وكيف يعرف طعمَ الراحة الأرِقُ
وددت لو تم لى حجى ففزت به ما كل ما تشتهيه النفس يتفق

(١٢٧)

أمير العرب رافع بن الحسين الأقطع

رافع بن الحسين بن حماد[٢] بن المسيب ، الأقطع ، أمير العرب بنواحى بغداد . كان فيه فروسية وأدب ، ويقول الشعر ، وكانت أمه علوية فاضلة كريمة مُعَمرة ، وكان فيه شح وإمساك ، وكانت تعيبه بذلك ، وإذا جرى فى ضيافاته تقصير تممته من بيوتها ، وكانت تقول : واغَوْثاه ، ما عرفت العشرات والخمسات إلا منكم فى هذا الزمان ، وما كنا نعرف إلا الألوف والمئات ، وكان لها رأى جيد فى الحروب وغيرها ، وكان عظيم الغيرة على حرمه وإمائه ، وكانت مملكته البوازيج والسن[٣] وتكريت والقادسية .

وتوفى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله !

ومن شعره :

لها ريقة أســـــتغفر الله إنها ألذ وأشهى فى النفوس من الخمر
وصارمُ طرفٍ لا يزايل جفنـــه ولم أر سيفاً قبلُ فى جفنه يبرى[٤]

---

(١) فى معجم ياقوت « وبت والدمع فى عينى يستبق »

(٢) له ترجمة فى تاريخ ابن الأثير ٩/١٦٨ بولاق ، وقد ذكر فيها هذه الأبيات التى أنشدها المؤلف ، وذكر أن اسمه « رافع بن الحسين بن مقن » وإنما قيل له الأقطع لأن يده قد قطعت فصنعت له يد غيرها كان يمسك بها العنان ويقاتل

(٣) السن : مدينة على دجلة فوق تكريت

(٤) فى كامل ابن الأثير « ولم أر سيفا قبل فى جفنه يفرى »

فقلت لها والعيس تحدج فى النوى ... أعِدِّى لفقدى ما استطعت من الصبر[1]

سأنفق ريعان الشبيبة آنفـــا ... على طلب العلياء أو طلب الأجر

أليس من الخسران أن لياليا ... تمر بلا نفع وتُحْسَبُ من عمرى ؟

وقال أيضا رحمه الله :

إن ابن حرب ما يحارب مهجة ... إلا انتضى من مقلتيه سلاحا

يا دهر إنك أنت نابذ ريقه ... خمرا وغارس خـــده تفاحا

وغزلت من غزل شِباكَ جفونِهِ ... ونصبتهـــا فتقنصت أرواحا

(١٢٨)

رتن الهندى[2] .

رتن الهندى

قال الشيخ علاء الدين على بن المظفر الـكندى : حدثنا القاضى جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن إبراهيم الـكاتب من لفظه بدمشق بدار السعادة سنة إحدى عشرة وسبعمائة قال : أخبرنا قاضى القضاة نور الدين أبو الحسن على بن أبى عبـد الله محمد الحسين الأثرى الحنفى من لفظه عام إحدى وسبعمائة بالقاهرة ، قال : أخبرنى جدى الحسين بن محمد ، قال : كنت فى زمن الصبا — وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثمان عشرة — قد سافرتُ مع عمى من خُراسان إلى الهند فى تجارة ، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضيعة من ضياع الهند ، فعرّج أهل القفل نحو الضَّيعة ، وضج أهل القافلة ، فسألنا عن الخبر ، فقالوا : هذه ضيعة الشيخ رتن المعمر ، فلما نزلنا الضيعة رأينا شجرة عظيمة تُظِل خلقا كثيراً ، وتحتها جمع كثير من أهل الضيعة ، فبادر الـكل نحو الشجرة ، ونحن معهم ، فرأينا زنبيلا عظيما معلقا فى بعض أغصان الشجرة ، فسألنا عن ذلك ، فقالوا : هذا الزنبيل فيه الشيخ رتن المعمر الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم وروَى عنه ، فتقدم شيخ من أهل الضيعة

---

(١) فى كامل ابن الأثير « والعيس تحدج فى الضحى » وفى ب « تحرج » تحريف .

(٢) هذا علم خرافى ، وإن فرض وجوده فهو رجل دجال مفتر ، كما قال الحافظ الذهبى ، فليس من شأننا أن نشق على أنفسنا وعلى المطالع بذكر المصادر التى تعرضت لذكره .

إلى الزنبيل ، وكان ببَــكَرة ، فأنزله ، فإذا هو مملوء قطنا ، والشيخ فى وسط القطن ، ففتح رأس الزنبيل ، و إذا بالشيخ فيه كالفرخ ، فوضع فمه على أذنه وقال : ياجَداه ، هؤلاء قوم قدموا من خراسان ، وفيهم شرفاء من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وماذا قال لك ؟ فعندها تَنَفَّسَ الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ، ونحن نسمع ونفهم كلامه ، فقال : سافرت مع أبى وأنا شابٌ من هذه البلاد إلى الحجاز فى تجارة ، فلما بلغنا بعضَ أوْدِيَة مكة ، وكان المطر قد ملأ الأودية بالسيل ، فرأيت غلاما أسمرَ اللون حسن الوجه رائع الجمال وهو يرعى إبلا فى تلك الأودية ، وقد حال السيل بينه و بين إبله ، وهو يخشى من خوض السيل لقوته ، فعلمت حاله ، فأتيت إليه وحملته وخُضْت به السيل ، إلى أن جئت به عند إبله ، فلما وضعته عند إبله نظر إلى وقال بالعربية : بارك الله فى عمرك ، ثلاثا ، فتركته ومَضَيْتُ إلى سبيلى ، إلى أن دخلنا مكة وقَضَيْنا ما كنا أتينا له من أمر التجارة ، وعُدْنا إلى الوطن ، فلما تطاولت المدّة على ذلك كنا جلوساً فى فِناَء ضيعتنا هذه ، وكانت ليلة البدر ، فنظرنا إليه وقد انشَقَّ نصفين[1] ، فغرب نصف فى المشرق ونصف فى المغرب ، ساعة زمانية ، وأظلم الليل ، ثم طلع النصف من المشرق والنصف الآخر من المغرب ، وسارا إلى أن التقيا فى وسط السماء كما كان أول مرة ، فعجبنا من ذلك غايةَ العجب ، ولم نعرف لذلك سبباً ، وسألنا الركبان عن سبب ذلك ، فأخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة ، وادعى أنه رسول الله إلى كافة الخلق ، وأن أهل مكة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء ، وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر فينشق فى السماء و يغرب نصفه فى المغرب ونصفه فى المشرق ثم يعود إلى ما كان عليه ، ففعل ذلك بقدرة الله تعالى ، فلما سمعنا ذلك من السُّفَّار تشوقتُ

---

(١) يشير إلى معجزة انشقاق القمر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وهذه المعجزة لا تحتاج فى ثبوتها إلى الاعتماد على مثل هذه القصة

أن أراه ، فتجهزت فى تجارة ، وسافرت إلى أن دخلتُ مكة ، وسألت عن الرجل الموصوف ، فدلُّونى عليه ، فأتيت إلى منزله ، واستأذنت عليه ، فأذن لى ، فدخلت عليه ، فوجدته جالسا فى صدر المنزل ، والأنوار تتلألأ فى وجهه ، وقد استنارت محاسنه ، وتغيرت صفاته التى كنت أعهدها فى السفرة الأولى ، فلم أعرفه ، فلما سلَّمت عليه ردَّ علىَّ السلام ، وتبسم فى وجهى ، وقال : ادْنُ منى ، وكان بين يديه طبق فيه رُطَب ، وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم يعظمونه ويبجلونه ، فقال : كُلْ من هذا الرطب ، فجلست وأكلت معه من الرطب ، وناوَلَنى بيده المباركة ستَّ رُطَبات ، سوى ما أكلت بيدى ، ثم نظر إلى وتبسم ، وقال لى : ألم تعرفنى ؟ فقلت : كأنى(١) غير أنى ما أتحقق ، فقال : ألم تحملنى فى عام كذا وجاوزْتَ بى السيل وقد حال بينى و بين إبلى ؟ قال : فعند ذلك عرفته بالعلامة ، وقلت : بَلَى والله ياصَبِيحَ الوجه ، فقال : امْدُدْ إلى يدك ، فمددتُ يدى اليمنى ، فصافحنى وقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقلت كذلك كما علمنى ، فسُرَّ بذلك ، وقال لى عند خروجى من عنده : بارك الله فى عمرك ، ثلاث مرات ، فودعته وأنا مستبشر بلقائه و بالإسلام ، فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم ، و بارك فى عمرى بكل دعوة مائة سنة ، وها عمرى اليوم نيف وستمائة سنة ، وجميعُ مَنْ فى هذه الضيعة العظيمة أولادى أولادُ أولادِهم ، وفتح الله علىَّ وعليهم بكل خير و بكل نعمة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وذكر عبد الرحمن القارىء الصوفى أنه توفى فى حدود سنة اثنين وثلاثين وستمائة ، وذكر النجيب عبد الوهاب أنه سمع من الشيخ محمود خادم رتن

---

(١) يريد كأنى أعرفك ، غير أنى ما أتحقق ، فحذف خبر كأن ، لدلالة السياق عليه

أنه بقى إلى سنة تسع وسبعمائة ، وأنه قدم عليهم شيراز ، وذكر أنه ابن مائة وست وسبعين[1] سنة ، وأنه تأهل ورزق أولاداً .

قال الشيخ شمس الدين الذهبى رحمه الله تعالى : مَنْ صَدَّقَ بهذه الأعجوبة وآمن ببقاء رتن فما لنا فيه طب ، وليعلم أنى أولُ من كَذَّب بذلك ، وهذا شيخ مُفْترٍ دَجَّال كذاب ، كذب كذبة ضخمة لكى تنصلح خائبة الضياع ، وأتى بفضيحة كبيرة ، قاتله الله تعالى أنَّى يؤفك ! وقد أفردْتُ جزءاً فيه أخبار هذا الضال ، وسميته « كسر وثن رتن »

وقال الشيخ علم الدين البرزالى : هومن أحاديث الطُّرُقية .

---

(١) هذا هو الشيخ محمود خادم الشيخ رتن ـ أووثن ـ وكأنه أخذ عن مخدومه طول العمر ، والله حسيبهم !

حرف الزاى المعجمة

(١٢٩)

أبو الفضائل أسير الهوى زاكى بن كامل القطيفى

زاكى بن كامل[١] بن على ، القَطِيفى[٢] ، أبو الفضائل ، الهيتى[٣] ، يلقب بالمهذب ، ويعرف بأسير الهوى قتيل الريم .

كان أديبا فاضلا ، وكانت وفاته فى سنة ست وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! .

ومن شعره :

لى مهجــة كادت بحر كُلُومِها للناس من فرط الجـوى تتكلم

لم يبق منها غير أرسم أعظــم متجردات للهوى تتظــلم

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

عيناك لحظهما أمضى من القَدَرِ ومهجتى منهما أضحت على خطر

يا أحسن الناس لولا أنت أبخلهم ماذا يضرك لو مَتَّعْتَ بالنــظر

جد بالخيال وإن ضنت يداك به فقد حذرت فما وُقِّيتُ من حذر

يا من تمكن فى نفسى محبتــه لا تبتــلى مقلتى بالدمع والسهر[٤]

زود بتقبيــلة أو وقفة فعسى تحيى بها نِضْوَ أشواق على سفر[٥]

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

سيدى ما عَنْكَ لى عوض طال بى فى حبك المرضُ

كم بلا ذنب تهــددنى فجفــونى ليس تغتمض

أبغير الهجــر تقتلنى لا أبالى ، هَجْرُكَ الغرضُ

ورضائى فى رضاك فقــل ما تشاء ، لست أعترض

أنت لى داء أموت به كم أداويه وينتقض

---

(١) له ترجمة في معجم الأدباء ١١/١٦١ وشذرات الذهب ٤/١٤٠

(٢) فى الشذرات « القطيعى » والذى فى المعجم بالفاء كما هنا

(٣) فى المعجم « الهبتى » بباء موحدة بعد الهاء ، تحريف

(٤) فى المعجم « يامن تمكن فى قلبى الغرام به » (٥) فى المعجم « زود بتوديعة أووقفة »

(١٣٠)

أبو عمرو زبان ابن العلاء التميمى، المازنى

زَبَّانُ بن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين، التميمى، المازنى، المقرىء، النحوى، أحد القراء السبعة، وقيل: اسمه العريان، وقيل: غير ذلك.

اختلف فى اسمه على عشرين(٢) قولا: الزَّبَّان، العريان، يحيى، محبوب، جنيد، عيينة، عتيبة، عثمان، عيار، جبر، جزء، خير، حميد، عقبة، عمار، فائد، محمد، أبو عمرو، قبيصة، والصحيح: زبان — بالزاى — قرأ القرآن على سعيد بن جُبَير، ومجاهد، وعلى أبى العالية الرياحى، وعلى جماعة سِوَاهم، وكان لجلالته لا يُسْأل عن اسمه، وكان نقش خاتمه:

وإنَّ امرأ دنياه أكبرُ همه   لمستمسك منها بحبل غُرورِ

ولا يروى له من الشعر إلا قولُهُ:

وأنكَرَتْنِي وما كان الذى نكرت   من الحوادث إلا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا(٣)

وحدث عن أنس بن مالك، وأبى صالح السمان، وعطاء بن أبى رباح، وطائفة سواهم، وكان رأسا فى العلم فى أيام الحسن البصرى.

قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقراآت والعربية وأيام العرب، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تَنَسَّكَ فأحرقها، وكان من أشراف العرب ووجوهها، مدحه الفرزدق وغيره.

وقال ابن معين: ثقة، وقال أبو حاتم: ليس به بأس، وقال الشيخ

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٧٦ وفى طبقات القراء، وفى شذرات الذهب ١/٢٣٧، وله ترجمه فى وفيات الأعيان (رقم ٤٧٨) وصحح فيها أن اسمه كنيته «أبو عمرو» فليس هو من الفوات، ولكن الأشهر فى اسمه «زبان» بزاى ثم باء مشددة، وهو الذى يقول للفرزدق حين جاءه معتذرا من هجو بلغه عنه:

هجوت زبان ثم جئت معتذرا   من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

(٢) فى المعجم «على أحد وعشرين قولا» على أن المذكور هنا تسعة عشر اسما وقد وقع فى ث «زياد بن العلاء»

(٣) هذا البيت مروى فى قصيدة للأعشى ميمون، وهو من شواهد النحويين

شمس الدين الذهبي : أبو عمرو قليـل الرواية للحديث ، وهو صـدوق حجة فى القراءة ، وقد استوفيت أخباره فى طبقات القراء .

قال الأصمعى : كان لأبى عمرو كل يوم فَلْسَان : فلس يشترى به ريحانا ، وفلس يشـترى به كوزاً ، فيشم الريحان يومه ، ويشرب من الـكوز يومه ، فإذا أمسى تصدّق بالـكوز ، وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه فى الأشنان ، ثم يَسْتَجِدُّ غير ذلك .

وتوفى سنة أربع وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى !

(١٣١)

أبو أمامة زياد الأعجم

أبو أمامة زياد الأعجم [١] .

دخل على عبـد الله بن جعفر يسأله فى خمس دِيَاتٍ ، فأعطاه ، ثم عاد ، فسأله فى عشر ديات ، فأعطاه ، فقال :

سألناه الجزيل فمـا تَلَـكَّا ... وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عـدت له فعادا

مراراً ما أعود إليـه إلا ... تبسم ضاحـكا وثَنَى الوسادا [٢]

وقال أيضا رحمه الله [٣] :

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١٦٨/١١ وسماه « زياد بن سلمى بن عبد قيس ، العبدى » وقال « قيل له الأعجم للـكنة كانت فيه » اهـ وله ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (٢٥٧ أوربة) وفى الأغانى ١٤/ ١٠٢ بولاق ، وخزانة الأدب ١٩٢/٤ بولاق وسمط اللآلى (ص٧)

(٢) فى المعجم « مرارا ، لا أعود إليه إلا » وثنى الوساد : كناية عن إكرامه حين يفد عليه

(٣) هذان البيتان مرويان فى معلقة زهير بن أبى سلمى المزنى ، وقد أسقطهما منها التبريزى والأعلم الشنتمرى وأبو العباس ثعلب ، وأثبتهما أبو عبد الله الزوزنى .

وكائن ترى من صامت لك مُعْجِبٍ زيادتُهُ أو نقصُهُ فى التكلم
لسان الفتى نصفٌ، ونصفٌ فؤادُهُ فلم تبق إلا صورة اللحم والدم

وكانت وفاته فى حدود المائة للهجرة النبوية ، رحمه الله تعالى !

(١٣٢)

أبو الحسين زيد ابن على بن الحسين الطالبى

زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو الحسين ، الهاشمى[١] . روى عن أبيه ، وأخيه محمد بن على ، وأبانَ بن عثمان ، وروى عنه جعفر الصادق ، والزهرى ، وشعبة ، وغيرهم ، ووفد على هشام بن عبد الملك ، فرأى منه جَفْوَة ، فكانت سَبَبَ خروجه وطلبه الخلافة ، وسار إلى الكوفة ، فقام إليه منها شيعة ، فظفر به يوسف بن عمر الثقفى ، فقتلهُ وصَلَبَهُ وأحرقه ، وعدّه ابنُ سعدٍ فى الطبقة الثالثة .

وعن حذيفة أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى زيد بن حارثة وبكى ، وقال : «إن المظلوم من أهل بيتى سَمِىّ هذا ، وهو المقتول فى الله ، والمصلوب من أمتى سَمِىّ هذا» .

وذكره جعفر الصادق يوما ، فقال : يرحم الله عمى ، كان والله سيداً ، والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثلَهُ .

وسأل زَيْدَ بن على بعضُ أصحابه عن قوله تعالى (والسّابقون السّابقون ، أولئك المقرّبون) . قال : أبو بكر وعمر ، ثم قال : لا أنالنى الله شفاعةَ جدّى إن لم أوَالهما . وقال : أما أنا فلو كنت مكان أبى بكر لحكمتُ مثلَ ما حكم به أبو بكر فى فَدَك[٢] .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (انظر التهذيب ١٥/٦) وانظر تاريخ ابن الأثير ٩٠/٥ بولاق ، وشرح نهج البلاغة ٣١٥/١ ومروج الذهب ١٨/٣ بتحقيقنا ومقالات الإسلاميين للأشعرى ١٢٩/١ و١٤٤ بتحقيقنا

(٢) يشير إلى ما كان من أبى بكر الصديق — رضى الله تعالى عنه ! — من منع فاطمة الزهراء رضى الله عنها من ميراث النبى صلى الله عليه وسلم ، استنادا لما روى من قوله صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » وانظر أيضا فى ذلك مقالات الإسلاميين ٤٧/١ بتحقيقنا ، وانظر أيضا سنن أبى داود ١٩٢/٣ طبعة ثانية بتحقيقنا

وقال أيضا : الرافضة حربى وحربُ أبى فى الدنيا والآخرة [١] .

وسئل عيسى بن يونس عن الرافضة والزيدية ، فقال : أما الرافضة فأول ما ترفّضَتْ جاءوا إلى زيد بن على حين خرج ، وقالوا له : تبرّأ من أبى بكر وعمر حتى نكون معك! قال : بل أتَوَلَّاهما ، قالوا : إذا نرفُضُكَ ، فسميت الرافضة والزيدية .

وقال الزبير بن بكار : حدثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله الزهرى ، قال : دخل زيد بن على مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى يوم حارّ من باب السوق ، فرأى سعد بن إبراهيم فى جماعة من القرشيين قدحَانَ قيامُهُمْ ، فقاموا ، فأشار إليهم ، وقال : يا قوم ، أنتم أضعف من أهل الحرّة ؟ قالوا : لا ، قال : وأنا أشهد أن يزيد ليس شرّا من هِشام ، فما لكم ؟ فقال سعد لأصحابه : مدّة هذا قصيرة ، فلم يلبث أن خرج ، فقتل .

وقال الوليد بن محمد : كنا على باب الزهرى ، فسمع جَلَبَة ، فقال : ما هذا يا وليد ؟ فنظرت ، فإذا هو رأس زيد بن على يُطَاف به ، فأخبرته ، فبكى ، ثم قال : أهْلَكَ أهلَ هذا البيت العجَلةُ .

وصلبوه بالكُناسة [٢] سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وله أربع وأربعون سنة ، ثم أحرقوه بالنار ، ولم يزل مصلوبا إلى سنة ست وعشرين ، ثم أنزل بعد أربع سنين .

وقيل : كانوا يوجهُون وجهه إلى جهة العراق ، فيصبح وقد دار إلى القبلة ، مراراً . ونسجت العنكبوت على عوْرته ، وكان قد صلب عُرْيانا .

وقال الموكل بخشبته : رأيتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم وقد وقف على الخشبة وقال : « هكذا يصنعون بولدى من بعدى ؟ يا بنى ، يازيد ، قتلوك قتلهم الله ،

---

(١) وقع فى ب « الرافضة حزبى وحزب أبى فى الدنيا والآخرة » وهو تحريف يفسد المعنى المراد ، ويخالف الواقع ، وما أثبتناه موافق لما ث وما فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦/١٩

(٢) الكناسة — بضم الكاف وفتح النون مخففة — محله بالكوفة هى التى أوقع فيها يوسف بن عمر الثقفى بزيد ، ثم كان منه ماذكره المؤلف ، والله حسيبه !

وصلبوك صلبهم الله» ، فخرج هذا فى الناس ، فكتب يوسف بن عمر إلى هشام : أن عَجِّل إلى العراق فقد فتنوا ، فكتب إليه هشام : أن أحرقه بالنار .

قال جرير بن حازم : رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم مسنداً ظهره إلى خشبة زيد بن على وهو يبكى ، ويقول : هكذا يفعلون بولدى ؟ .

ذكر هذا كله الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق .

وقال ابن أبى الدم فى الفرق الإسلامية : الزيدية من أصحاب زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ، كان زيد قد آثر تحصيل علم الأصول ، فتلمذ لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، فقرأ عليه ، واقتبس منه علم الاعتزال ، وصار زيد وجميعُ أصحابه معتزلة فى المذهب ، والاعتقاد ، وكان أخوه محمد الباقر يعيب عليه كونه قرأ على واصل بن عطاء وتلمذ له واقتبس منه ، مع كونه يُجَوِّز الخطأ على جدّه على بن أبى طالب بسبب خروجه إلى حرب الجمل والنَّهْرَوَانِ ، ولأن واصلا كان يتكلم فى القضاء والقَدَر على خلاف مذهب أهل البيت .

وكان زيد يقول : على أفضل من أبى بكر الصديق ومن بقية الصحابة ، إلا أن أبا بكر فُوِّضت إليه الخلافة لمصلحة رآها الصحابة وقاعدةٍ دينية راعَوْها من تسكين الفتنة وتطييب قلوب الرعية ، وكان يجوز إمامة المفضول مع قيام الأفضل للمصلحة .

خروج يحيي ابن زيد

فلما قتل زيد فى خلافة هشام قام بالأمر بعده ولده يحيي[1] ، ومضى إلى خُراسان ، فاجتمع بها عليه خلق كثير ، وبايعوه ، ووعدوه بالقيام معه ومقاتلة أعدائه ، وبَذَلوا له الطاعة ، فبلغ ذلك جعفر بن محمد الصادق ، فكتب إليه ينهاه عن ذلك ، وعرفه أنه مقتول كما قُتِلَ أبوه ، وكان كما أخبر الصادق ، فإن أمير خراسان قتله بجَوْزَنجان[2]

---

(١) انظر كامل ابن الأثير ١٠٨/٥ بولاق ، ومروج الذهب للمسعودى (٢٥/٣ بتحقيقنا) ومقالات الإسلاميين للأشعرى ١٣٠/١ و١٤٤

(٢) كذا فى ب ، ث ، والذى فى معجم البلدان « جوزجان » أو « جوزجانان »

فرق الزيدية

ثم تفرقت الزيدية ثلاث فرق : جارودية ، وسليمانيـة ، وبُتْرية ، أما الجارودية فأصحاب أبى الجارود ، وكان من أصحاب زيد بن على ، زعموا أن النبىّ صلى الله عليه وسلم نصّ عَلَى علىّ بن أبى طالب بالنص دون التسمية ، وأن الناس كفروا بنَصْب أبى بكر إماما ، ثم ساقوا الإمامة بعد على إلى الحسن ، ثم إلى الحسين ، ثم إلى على بن الحسين ، ثم إلى زيد بن على

وأما السليمانية فيأتى ذكرهم فى ترجمة سليمان بن جرير

وأما البترية فيأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى فى ترجمة كثير الأبتر .

ومن شعر زيد بن على[1] :

ومن فَضَّلَ الأقوام يومًا برأيه ... فإن عليا فَضَّلَتْهُ المناقبُ

وقولُ رسـول الله والحقُّ قوله ... وإن رغمت منه الأنوف الكواذب

بأنك منى يا على معالنـــا ... كهارون من موسى، أخٌ لى وصاحب[2]

دعاه ببَـــدْرٍ فاستجاب لأمره ... فبادر فى ذات الإلهِ يضارب

---

(١) ومن شعر يحي بن زيد بن على ، يقوله فى مقتل أبيه زيد :

خليلي عنى بالمدينة بلغا ... بنى هاشم أهل النهى والتجارب

فحق متى مروان يقتل منكم ... خياركم ، والدهر جم العجائب

وحق متى ترضون بالخسف منهم ... وكنتم أباة الخسف عند التحارب

لـكل قتيل معشر يطلبونه ... وليس لزيد بالعراقين طالب

(٢) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله تعالى عنه : « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدى »

حرف السين

(١٣٣)

أبو العباس الأعمى الشاعر

السائب ، أبو العباس ، الأعمى ، الشاعر ، المكى[١] .

هو والد العلاء ، وتوفى فى حدود المائة ، وكان هَجَّاء خبيثا فاسقا ، مبغضا لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مائلا إلى بنى أُمَيَّة ، مَدَّاحا لهم ، وهو القائل لأبى الطفيل عامر بن واثلة وكان شِيعيا :

لعمرك إننى وأبا طفيل ... لمختلفان ، واللهُ الشهيدُ

لقد ضلوا ببغض أبى تراب ... كما ضَلَّتْ عن الحق اليهود[٢]

(١٣٤)

سحيم بن وثيل الرياحى عبد بنى الحسحاس

سحيم بن وثيل ، عبد بنى الحسحاس بن هند بن سفيان ، يكنى أبا عبدالله[٣] .

وهو زنجى أسود ، فصيح .

توفى فى حدود الأربعين من الهجرة ، وهو القائل :

أشعار عبد بنى الحسحاس قُمْنَ له ... عند الفخار مقامَ الأهل والورقِ

إن كنت عبدا فنفسى حرة كرما ... أو أسودَ اللونِ إنى أبيضُ الخلقِ

عن ابن سَلَّام قال : أتى عثمان بن عفان رضى الله عنه بسُحَيم ، فأعجب به ، فقيل له : إنه شاعر ، وأرادوا [أن] يرغبوه فيه ، فقال : لا حاجة لى به ، إذ الشاعر لا حريم له ، إن شَبِـعَ شَبَّب بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيره ،

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٧٩ وسماه «السائب بن فروخ» وله ترجمة فى نكت الهميان ١٥٣ ، وله ترجمة فى الأغانى ١٥/٥٧ ساسى .

(٢) كذا فى ب ، ث ، ونكت الهميان ، ولعله «لقد ضلوا بحب أبى تراب» حتى يلتئم مع ما ذكره عنه من كونه مبغضاً لآل رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، وكذلك وجدته فى المعجم

(٣) له ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة ٢٤١ والجمحي ٤٣ والأغانى ٢٠/٢ والإصابة ٣/١٦٣ وخزانة الأدب ١/٢٧١ ، ووقع فى ب ، ث «سحيم بن أبي الحسحاس» تحريف وانظر معاهد التنصيص ١/٣٣٩ بتحقيقنا

فلما رَحَلَ به قال فى طريقه ، وكان الذى اشتراه رجلا من نجد والذى باعه مالك ابن الحسحاس :

وما كان ظنى مالكى أن يبيعنى ... بمال ، ولو أضحت أنامله صِفْرَا

أشوقا ولَمَّا يَمْضِ لى غير ليلة ... فكيف إذا سار المطىُّ بنا عشرا[1]

أخوكم ومولى ما لكم ورَبِيبكم ... ومن قد ربى معكم وعاشركم دهرا

فلما بلغهم شعره رَثَوْا له ، واشتروه ، فأخذ حينئذ يُشَبِّب بنسائهم ، ويذكر أخت مولاه ، فمن قوله فيها وكانت مريضة :

ماذا يريد السَّقامُ من قمر ... كل جمالٍ لوجهه تَبَعُ

ما يرتجى خاب من محاسنها ... أماله فى القِباح متسع

غير من لونها وصفرتها ... فارتد فيه الجمال والبدع

لو كان يبغى الفداء قلت له ... ها أنا دون الحبيب يا وجع

وعن المدائنى قال : كان سُحَيم يسمى حَيَّة[2] ، وكانت لسيده بنت بكر ، فأعجبه جمالها ، وأعجبته ، فأمرته أن يتمارض ، ففعل ، وعصب رأسه ، فقالت للشيخ : اسرح أيها الشيخ بإبلك لا تَكِلْهَا إلى العبد ، فكان فيها أياما ويجتمعان ، ثم أن سيده قال له · كيف أنت ؟ قال : صالح ، قال : فاخرج فى إبلك العشية ، فراحَ فيها ، فقالت الجارية لأبيها : ما أحسبك إلا قد ضيعت إبلك إذ وكلتها إلى حيَّة ! فخرج فى آثار إبله ، فوجده مستلقيا على قفاه فى ظل شجرة ، وهو يقول :

يا رُبَّ شَجْوٍ لك فى الحاضر ... يذكرها وأنت فى الصادر

من كل بيضاء لها كَثْعَبٌ ... مثل سنام البكرة المائر

فقال الشيخ : إن لهذا لشأنا ، وانصرف ، فقال لقومه : اعلموا أن هذا قد فضحكم ، وأنشدهم شعره ، فقالوا : اقتله فنحن طَوْعك ، فلما جاء وثَبُوا عليه ، فقالوا له : قلت وفعلت ، فقال لهم : يا أهل الماء والله ما فيكم امرأة إلا أصبتها

---

(١) فى ب ، ث «أشوقا ولم يمضى لنا غير ليلة» تحريف ، وفى كثير مما ذكرنا من الأصول «فكيف إذا خب المطى بنا عشرا» (٢) فى ب ، ث «حبة» بالباء الموحدة

إلا فلانة فإنى على موعد منها ، فلما قدّموه ليقتل قال :

شدّوا وثاق العبد لا يغلبكم ... إنّ الحياة من الممات قريب

فلقد تحدّر من جبين فتاتكم ... عرَقٌ على جنب الفراش يَطيبُ[1]

فقتلوه ، وكان سحيم فى لسانه عجمة .

(١٣٥)

أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزرى

شداد بن إبراهيم ، أبو النجيب ، الجَزَرى ، الملقب بالطاهر[2] .

شاعر ، مدح المهلبى وزير معز الدولة ، ومدح عضد الدولة ، وكانت وفاته فى حدود الأربعمائة[3] ، رحمه الله ! .

ومن شعره :

قلت للقلب ما دهاك أبن لى ... قال لى بائع الفرانى فرانى

ناظراه فيما جنت ناظراه ... أو دعانى أمت بما أودعانى

ومنه أيضا :

أفسدتُم نظرى علىّ فما أرى ... مذ غبتُمُ حسنا إلى أن تقدَمُوا

فدعوا غرامى ليس يمكن أن ترى ... عين الرِّضى والسخط أحْسَنَ منكم

ومن شعره أيضاً رحمه الله تعالى :

أرى جيل التصوف شر جِيل ... فقل لهم وأهون بالحلول[4]

أقال الله حين عشقتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لى

---

(١) كذا فى ب ، ث والديوان ٦٠ ، وفى الجمحى وابن قتيبة « ولقد تحدر من كريمة بعضهم » وفى الجمحي وحده « على متن الفراش » وفى الديوان « على ظهر الفراش » .

(٢) كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة ، وآثرنا بقاءه فى موضعه من الأصول مع التنبيه على أن موضعه فى حرف الشين ، وله ترجمة فى معجم الأدباء ١١/٢٧٠

(٣) فى المعجم أن وفاته فى سنة إحدى وأربعمائة

(٤) روى فى معجم الأدباء هذا البيت هكذا :

أيا جيل التصوف شر جيل ... لقد جئتم بأمر مستحيل

(١٣٦)

أبو الحسن سعد الله بن نصر الله الدجاجى

سعد الله بن نصر الله بن سعيد بن أبى على ، الدجاجى ، أبو الحسن ، الواعظ النبيل[١].

كان يخالط الصوفية ، ويحضر معهم السَّماعات .

وتوفى فى سنة أربع وستين وخمسمائة[٢] ، رحمه الله !.

ومن شعره :

ملكتمُ مهجتى بيعا ومقدرة ... فأنتم اليوم أغلالى وأغلىٰ لى

علوت فخرا ولكنى ضَنِيتُ هَوًى ... فحبكم هو أعلالى وأعلىٰ لى

أوصى لى البين أن أشقى بحبكم ... فقطع البين أوصالى وأوصىٰ لى

ومن شعره رحمه الله تعالى :

لى لذة فى ذلتى وخضوعى ... وأحب بين يديك سفك دموعى

وتضرعى فى رأى عينك راحة ... لى من جوًى قد كنَّ بين ضلوعى

ما الذل للمحبوب فى شرع الهوى ... عار ، ولا جار الهوى ببديع[٣]

هبنى أسأتُ فأين عفوك سيدى ... عمن رجاك لقلبه الموجوع

جُدْ بالرضىٰ من عطف لطفك واغنه ... بجمال وجهك عن سؤال شفيع

(١٣٧)

سعد الله بن مروان الفارقى الموقع

سعد الله بن مروان بن عبد الله بن خير، الصدر الأديب ، سعد الدين ، الفارقى ، الموقِّع[٤] .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤/٢١٢ , وقال « يعرف بابن الدجاجي وبابن الحيوانى »

(٢) فى الشذرات « توفى ثانى عشر شعبان ، ودفن بمقبرة الرباط ، ثم نقل بعد خمسة أيام فدفن على والديه بمقبرة الإمام أحمد» (٣) المحفوظ «ولاجور الهوى»

(٤) له ترجمة موجزة فى شذرات الذهب ٥/٤١٨ وقال « توفى فى رمضان من سنة ٦٩١ بدمشق وهو فى عشر الستين »

كان بليغا منشئا شاعرا محسنا ، سمع من ابن كريمة وابن رواحة وابن خليل وجماعة ، وحَدَّث بمصر ودمشق ، وبها توفى كهلا فى سنة إحدى وتسعين وستمائة ، ودفن فى سفح قاسيون ، رحمه الله تعالى !

ومن شعره :

قِفْ بى على نجد فإن قبض الهوى ... روحى فطالب خَدَّ ليلى بالدم

وإذا دجا ليل الوصال فناده ... يا كافراً حَلَّلْتَ قتل المسلم

وله أيضاً رحمه الله :

تاه على عشاقه واستطالْ ... مذ قصر الحسن عليه وطال

كأنَّ شَمْسَ حُسْنِهِ أشرقت ... فليتها ما أشرفت للزوال

قد فصل الشَّعْرُ على خده ... ثوب حداد حين مات الجمال

وله أيضا فى المعنى :

يقولون قد وافى البشير بقربهم ... فعفرت خدى فى ثَرَى الأرض لاثما

فلا أخروا عن منزل فخره به ... ولا قدموا إلا على السعد قادما

وكتب إلى ولده عز الدين :

من بعد بعدك يا محمد شاقني ... بَرْق إلى أسرار وجهك سافنى

وحياة وجهك ما تجلَّى فى الدجى ... قمر حكى معناك إلا شاقنى

كلا ولا سامرتُ ذكرك فى الدجى ... إلا طربت بظاهرى وبباطني

لو كنت أحْسَبُ أنَّ بَيْنَك صانع ... بى ما وجَدْتُ لَمَا تحرك ساكنى

فعليك مني ما حييت تحية ... تلهى المقيمَ بطيب ذكر الظاعن

وكتب إلى الصاحب بهاء الدين بن حنا :

يَمِّمْ عَلِيًّا فهو بحر الندى ... وناده فى المضلع المعضل[1]

---

(١) فى ب « يمم عليه » تحريف

فرِفْدُهُ مجـد على مجدب ووفده مفض إلى مفضـل[1]

(١٣٨)

سعدون المجنون[2] .

سعدون المجنون

يقال : إن اسمه سعيد ، وكنيته أبو عطاء ، ولقبه سعدون ، من أهل البصرة .

كان من عقلاء المجانين وحكمائهم ، له أخبـار ملاح وكلام شديد ونظم ونثر يستحسن ، وطَوَّفَ البلاد ، ودُوِّنت أخباره .

استقدمه المتوكل ، وسمع كلامه ، وكان من المحبين لله عز وجل ، صام ستين سنة فخف دماغُهُ ، فسماه الناس مجنوناً .

قال عطاء السلمى : احتبس عنا القَطْر بالبَصْرة ، فخرجنا نستسقى ، وإذا بسعدون المجنون ، فلما أبصرنى قال : ياعطاء ، أين كنت ؟ قلت : خرجنا نستسقى ، قال : بقلوب سماوية أم بقلوب أرضية ؟ قلت : بقلوب سماوية ، قال : لا تتبهرج فإن الناقد بصير ، قلت : ما هو إلا ما حكيت لك ، فاسْتَسْقِ لنا ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : أقسمت عليك إلا ما سقيتنا الغيث ، ثم أنشأ يقول :

سبحان من لم يزل له حُجَج قامت على خلقـــه بمعرفته
قد علموا أنه مليكهم يعجز وصف الأنام عن صفته

وقال عطاء : رأيت سعدون المجنون ذات يوم يتفلّى فى الشمس ، فانكشفت عورته ، فقلت له : استرها يا أخا الجهل ، فقال : لك مثلها فاستتر ، ثم مرّ بى يوما وأنا آكل رمّاناً فى السوق ، فعرَكَ أذنى ، وقال :

---

(١) فى ب « قد قده مجد » و « ووقده مفض » تحريف ، والرفد : العطاء ومجد : اسم فاعل فعله « أجدى عليه » أى نفعه ، والوفد : جماعة الوافدين عليه لاستمناحه ، ومفض : اسم فاعل فعله « أفضى إلى كذا »

(٢) ذكره الشعرانى فى الطبقات (١/٧٩ بولاق) وقال « كان يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر ، وكان إذا هاج صعد السطح ونادى بالليل بصوت رفيع : يا نيام انتبهوا من رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة فان الموت يأتيكم بغتة » اه .

أرى كل إنسان يرى عَيْبَ غيره ويَعْمَى عن العيب الذى هو فيه
وما خير مَنْ تخفى عليه عيوبه ويبدأ بالعيب الذى لأخيه
وكيف أرى عيباً وعيبِىَ ظاهر وما يعرف السوآتِ غيرُ سفيه

وقال عبد الله بن سويد : رأيت سعدون المجنون وبيده فحمة وهو يكتب بها على قصر خراب :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه إن لها فى كل يوم خليل
ما أقبح الدنيا بخُطَّابها تقتلهم عمداً قتيلا قتيل
تستنكح البعلَ وقد وطنت فى موضع آخر منه البديل
إنى لمغتر وإن البلى يعمل فى نفسى قليلا قليل
تزودوا الموت زاداً فقد نادى مناديه الرحيلَ الرحيل

وقال الفتح بن سالم : كان سعدون سَيَّاحا لَهِجًا بالقول، فرأيته يوما بالفُسْطَاط قائما على حلقة ذى النون المصرى وهو يقول : ياذا النون ، متى يكون القلب أميراً بعد أن كان أسيراً ؟ فقال ذو النون : إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يرفى الضمير إلا الخبير ، قال : فصرخ سعدون ، ثم خر مغشياً عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

ولا خير فى شكوى إلى غير مشتكى ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال : أستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : يا أبا الفيض ، إن من القلوب قلوبا تستغفر قبل أن تذنب ، قال : نعم ، تلك قلوب تُثاب قبل أن تُطِيع ، أولئك قوم أشرقت قلوبهم بضياء اليقين .

وكانت وفاة سعدون بعد الخمسين والمائتين ، رحمه الله تعالى !

(١٣٩)

سعد بن أحمد النيلي، المؤدب

سعد بن أحمد بن مكى ، النيلى ، المؤدب[1] .

له شعر ، وأكثره مديح فى أهل البيت ، رضى الله تعالى عنهم ! .

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٩٠ ، وفى شذرات الذهب ٤/٣٠٩ والنيلى — بكسر النون بعدها ياء مثناة — نسبة إلى النيل ، وهو بلد على نهر الفرات

قال العماد الكاتب : كان غاليا فى التشيع ، حاليا بالتورع ، عالما بالأدب، معلما فى الكتب ، مقدما فى التعصب ، ثم أسَنّ حتى جاوز حد الهرم ، وذهب بصره وعاد وجوده شبيه العدم ، وأناف على التسعين ، وآخر عهدى به فى درب صالح ببغداد فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة[1] .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

قمر أقام قيامتى بقَوَامِـــهِ	لم لا يجود لمهجـــتى بذِمَامه[2]
مَلَّـكته كبدى فأتلف مهجتى	بجمال بهجته وحسن كلامه
وبمبسِمٍ عَذْبٍ كأن رُضَابه	شهد مُذَاب فى عبـير مدامه
وبناظر غَنِـجٍ وطرف أحور	يصمى القلوب إذا رنا بسهامه[3]
وكأن خط عذاره فى حسـنه	شمس تجلت وهى تحت لثامه[4]
والظبى ليس لحاظه كلحاظه	والغصن ليس قوامه كقوامه
قمر كأنّ الحسن يعشق بعضه	بعضاً فساعـــده على قَسَّامه
فالحسن من تلقائه وورائه	ويمينـــه وشماله وأمامه
ويكاد من ترَفٍ لرقّةِ خصره	ينقدُّ بالأرداف عنـــد قيامه

(١٤٠)

أبو عثمان سعد ابن الحسن المعروف بالناجم

سعد بن الحسن بن شداد ، السمعى ، أبو عثمان ، المعروف بالناجم[5] .

كان يصحب ابن الرومى، ويروى أكثر شعره ، وكان أديبا فاضلا شاعراً . وتوفى سنة أربع عشرة وثلثمائة .

---

(١) فى معجم ياقوت أنه مات سنة ٥٦٥ وقد ناهز المائة ، وذكره صاحب الشذرات فى وفيات سنة ٥٩١

(٢) الذمام ــ بكسر الذال ، بزنة الكتاب ــ العهد

(٣) فى معجم الأدباء « يصمى القلوب إذا رمى بسهامه »

(٤) وفيه « وكأن خط عذاره فى خده » ، وبعد هذا بيت فيه :

فالصبح يسفر من ضياء جبينه والليل يقبل من أثيث ظلامه

(٥) له ترجمة فى معجم الأدباء ١١/١٩٣

قال ابن الرومى يخاطبه :

أبا عثمان أنت عميـــد قومك   وجودُكَ للعشـــيرة دون لومك

تمتع من أخيـــك فمـا أراهُ   يراك ولا تراه بعـــد يومك

ومن شعر الناجم فى علته التى مات فيها :

قالوا اشتكت وَجْنَتَا وجهه   قلت لهم أحسن ما كانا

حمرة وَرْدِ الخد أعْدَتْهُمَا   والصبْغ قد ينفد أحيانا(١)

وله أيضا رحمه الله :

لئن كان عن عينىّ أحْمَـدُ غائبا   فمـا هو عن عين الضمير بغائب

له صورة فى القلب لم يُقْصِهَا النوى   ولم تتخطفها أكفُّ النوائب(٢)

إذا ساءنى منـــه نزوحُ ديارِهِ   وضاقت علىّ فى نواه مـذاهبى

عطفت على شخص له غير نازح   محلَّته بين الحشـــا والترائب

(١٤١)

أبو عثمان سعد ابن هاشم الخالدى

سعد بن هاشم بن وعْلَة ، ينتهى إلى عبد القيس ، أبو عثمان ، الخالدى(٣) .

قال محمـد بن إسحاق النـديم : قال لى الخالدى ، وقد تعجبت من كثرة حفظه : أنا أحفظ ألف سِفْرٍ ، كل سفر مائة ورقة ، وكان هو وأخوه مع ذلك إذا استحسنا شيئا غَصَباه صاحبَهُ ، حيا كان أو ميتا ، لا عَجْزاً منهما عن قول الشعر ، ولـكن كذا كان طبعهما ، وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته ، وله تصانيف ، منها « حماسة شعر المحدثين » .

---

(١) فى ب ، ث « والصبر قد ينفد أحيانا » تحريف ، وماأثبتناه عن معجم الأدباء

(٢) فى ب ، ث « لم يقضها النوى » بالضـاد معجمة ــ تحريف ، وما أثبتناه ومعجم الأدباء

(٣) له ترجمة فى معجم الأدباء ٢٠٨/١١ وسماه « سعد بن هاشم بن سعيد » وفى الوافى بالوفيات وقال « سعد بن هاشم بن سعيد بن وعلة » وترجمه وأخاه أبا بكر فى اليتيمة ١٨٣/٢ بتحقيقنا

ومن شعره :

ومن نكد الدنيا إذا ما تعذرت ... أمورٌ و إن عدّت صغاراً عظائم

إذا رمت بالمنتاش نتف أشاهبي ... أتيحت له من نتفهن الأداهم

فأنتف ما أهوى بغير إرادتي ... وأترك ما أقلي وأنفي راغمُ

وله أيضا رحمه الله :

بنفسي حبيبٌ بان صبري لِبَيْنِهِ ... وأودعني الأشجانَ ساعة ودعا

وأنحلني بالهجر حتى لو أنني ... قَذَى بين جَفْنَيْ أرمَدٍ ما توجعا

وقال يصف غلامه رَشأ ، وهي بديعة في الحسن[1] :

ما هو عبدٌ لكنه ولد ... خوّلنيه المهيمن الصمد

وشد أزري بحسن خدمته ... فهو يدي والذراع والعضد

صغير سنّ كبير منفعة ... تمازجَ الضعف فيه والجلد[2]

في سنّ بدر الدجى وصورته ... فمثله يُصْطَفَى و يعتقد

معشق الطرف كله كَحَلٌ ... مُعطَّلُ الجيد حليه الجِيَد[3]

وورد خدّيه والشقائق والتفاح والجلّنار منتضد

رياض حسنٍ زواهرٌ أبدا ... فيهنّ ماء النعيم يطرد[4]

وغصن بانٍ إذا بدا ، و إذا ... شدَا فقمريٌّ بانةٍ غَرِدُ

أنسي ولهوي وكلٌّ مأربتي ... مجتمع فيه لي ومنفرد

ظريف مزح مليح نادرة ... جوهر حسن شرارةٌ تقدِ

ومنفق مشفق إذا أنا أسرقت و بذرت فهو مقتصد

---

(١) القصيدة برمتها في معاهد التنصيص ٦٠/١ بتحقيقنا مع بعض تقديم وتأخير
(٢) في ب ، ث « تمازح الضعف » بحاء مهملة — تحريف
(٣) في المعاهد « كحله كحل » ولها وجه ، وفي ب ، ث « مغزل الجيد»
(٤) في المعاهد « مطرد »

مبارك الوجه مذ حَظِيتُ به ... حالى رخىّ وعيشتى رَغَــدُ

مسامرى إن دجَا الظلام فلى ... منه حـديث كأنه الشهد

خازن مافى يدى وحافظــه ... فليس شىء لدى يفتقــد[1]

يصون كتبى فكلُّها حسن ... يطوى ثيابى فكلُّها جُدُدُ

وأبصرُ الناس بالطبيـخ فكالـــمسك القلايا والعنبرِ الثردُ

وهو يدير المـدام إن جليت ... عروس دَنٍّ نقابهـا الزبد

تمنــح كأسى يدٌ أناملُها ... تنحل من لينهـا وتنعقد[2]

ثقّفَهُ كَيْسُهُ فلا عــوج ... فى بعض أخلاقه ولا أَوَدُ[3]

وصيرفىّ القريض وزان ديــنار المعانى الجيــاد منتقد[4]

ويعرف الشعر مثلَ معرفتى ... وهو على أن يزيد مجتهـدُ

وكاتب توجد البلاغــة فى ... ألفاظه والصـوابُ والرشَدُ

وواجــد بى من المحبة والــرأفة أضعـاف ما به أجد

إذا تبسمتُ فهو مبتهــج ... وإن تنمرتُ فهو مرتعـــد

ذا بعضُ أوصافه وقد بقيت ... له صفات لم يحصـوها أحد

وللشيـخ شهاب الدين محمود رحمه الله فى غلام له عَـكْسُ هذا المعنى[5]، وأبدع:

ما هو عبـد كلا ولا ولد ... إلا عناء يَضْنَى به الكبد

وفرط سقم أعيا الأُساةَ فلا ... جلد عليه يبقى ولا جلد

أقبـحُ مافيـه كلُّه فلقد ... تساوت الروحُ منه والجسدُ

أشبه شىء بالقرد فهو له ... إن كان للقرد فى الورى ولد

---

(١) وفيه « مفتقد » تحريف (٢) فى المعاهد « يمنح كأسى يدا أناملها »

(٣) فى ب ، ث « ثقف كذا كيسى فلا عوج » تحريف

(٤) فى المعاهد « المعانى الدقاق »

(٥) وهذه برمتها أيضاً فى معاهد التنصيص ١/٦٢ تلى تلك

وجفنته مثل صبغة الورس لَـكِنْ ذاك صاف ولونُهَا كمد
يقطر سمـا فضحكه أبدا شر بكاء و بشره حَرَد
ذو مقلة حَشْوُ جفنها عَمَص تسـيل دمعا وما بها رمد
كأنمـا الخـدّ فى نظافته قدأ كِلَتْ فوق صحنه غدد
يجمع كتفيه من مهانته كأنه فى الهجـير مرتعد
يطرق لامِنْ حياء ولا خجل كأنه للتراب منتقد
ألـكن إلا فى الشتم ينبحُ كالـكلب ولوكان خصمهُ الأسَدُ(١)
يشتمنى الناس حين يشتمهم إذ ليس يرضى بسبِّهِ أحـد(٢)
كسلان إلا فى الأكل فهو إذا ما حضر الأكل جمرة تَقِدُ
كالنار يوم الرياح فى الحطب اليابس يأتى على الذى يجـد
يَرْفُلُ فى حـلة منبتة من قمله رَقْمُ طَرْزها طرد(٣)
أجمل أوصافه النميمة والـكذب ونقل الحديث والحسـد
كل عيوب الورى به اجتمعت وهـو بأضعاف ذاك منفرد
إن قلتُ لم يدر ما أقول، و إن قال كلانا فى الفهم متحد
كأن مالى إذا تَسَلَّمه مـنى ماء وكفهُ سَرَدُ(٤)
حملته لى دُوية حسنت كنت عليها فى الظرف أعتمد(٥)
كمثل زهر الرياض ماوجدت عينى لهـا مُشْبِهًا ولا أجد(٦)
فمرّ يوما بهـا عَلَى رجل لديه عـلم اللصوص يُفتَقَدُ(٧)
أودعها عندهُ فمر بهـا وما حواه من بعدها بلد

(١) فى المعاهد « ولو أن خصمه الأسد » وهى أظرف مما هنا
(٢) فى المعاهد « إذ ليس يرضى بشتمه أحد »
(٣) فى ب ، ث « يدخل فى حلة » تحريف ما أثبتناه
(٤) فى ب ، ث « وكفه برد » وأثبتنا ما فى المعاهد ، وفيه « ماء قراح وكفه سرد »
(٥) دوية : تصغير دواة (٦) فى ب ، ث « لها شبهها »
(٧) فى المعاهد « لديه علم اللصوص يستند »

فجاء يبكى فظلت أضحك من فعلى ، وقلبى بالغيظ متقــد[1]
وقال لى لا تخفف خليته مشهورة الوصف حين ينتقد[2]
عليـــه ثوب وعمة وله وجه وذقن وســاعد ويد
وقائل بعـه قلت خـذه ولا وزن تجازى به ولا عــدد
ففى الذى قد أضاعه عوض وهو على أن يزيد مجتهد

وكانت وفاة الخالدى فى حدود الأربعمائة رحمه الله :

(١٤٢)

شرف الدين سليمان بن بليمان الهمدانى ، الإربلى

سليمان بن بُلَيْمان[3] بن أبى الجيش بن عبد الجبار ، الأديب ، شرف الدين ، أبو الفرج ، الهمدانى ، ثم الإربلى .

شاعر محسن فى سائر القول ، له شعر ونوادر وزوائد ومزاح حلو .

كان أبوه صائغاً ، وكذلك هو ، جاء إليه مملوك من ممـاليك الأشرف موسى ، وقال له : عندك خاتم مليح على قدر أصبعى ؟ قال : لا ، إلا عندى إصبع مليح على قدر خاتمك .

وتوفى سنة ست وثمانين وستمائة ، وله سبعون سنة أو أزيد .

وللماقامر الشهاب التَّلَّعفرى بثيابه[4] وخفافه قال ابن بُلَيمان[3] وقد أنشدها للملك الناصر بن عبد العزيز :

يا مليكا فاق الأنام جميعـا منه جودا كالعارض الوكَّافِ

---

(١) وفيه « يتقد » (٢) كذا فى ب ، وفى ث والمعاهد « حين يفتقد »

(٣) وقع فى ب ، ث « سليمان بن نتيمان » محرفا ، وصوبناه عن النجوم الزاهرة ٦٨٦/٧ وتجد له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٩٥/٥ وفى النجوم فى الموضع الذى ذكرناه

(٤) هو شهاب الدين محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة التلعفرى ـ بتشديد التاء وتشديد اللام مفتوحتين ـ نسبة إلى « تل أعفر » موضع بناحية الموصل ، ولد فى عام ٥٩٣ وتوفى فى عام ٦٧٥

والذى راش بالعطايا جناحى وتلافى بعـد الإله تلافى
ما رأينـا ولا سمعنا بشيخ قبل هـذا مقامر بالخفاف
وبها كم يُدَقّ فى كل يوم فى قفاه والرأس والأكتاف
أسود الوجه أبيض الشعر لكن فى شحيم وقبحـة وخفاف
يَدَّعى نسبة إلى آل شيبا ن وتلك القبائل الأشراف
مثل بجد لو استطالت لقالت ليس هذا الدعاء من أكناف
فابْسُطِ العذر فى هجـاء رقيع عادل عن طرائق الإنصاف

فلما سمع التلَّعفرى هذه الأبيات قال : أما ما أنا جندى [حق] أقامر بخفافى ، قال : بخفاف امرأتك ، فقال : مالى امرأة ، فقال : لك مقامرة من بين الحجرين إمّا بالخفاف و إما بالنعال

ولما وقع ابن بُلَيمان من على بغلتـه انـكسرت رجله ومشى ما بين خشبتين ، سمع بعض الناس يقول : ما يضرب الله بعَصَوْين ، فقال : بلى لابن بُلَيْمان

ورؤى راكبا على حمارة ، فسألوه عن ذلك ، فقال : نزلت عن البغلة وأصبحت أقوم على الجحشة

ونظم فيه الشهاب التلَّعفرى :

سمعت لابن بُلَيْمان و بغلته عجيبةً خلتها إحدى قصائده[1]
قالوا رمته وداست بالنعال على قفاه قلت لهم ذا من عوائده
لأنها فعلت فى حق والدها ما كان يفعله فى حق والده

ومن شعر ابن بُلَيمان رحمه الله :

اشرب فشربك هذا اليوم تحليل وأنف الهموم فقـد وافاك أيلول

---

(١) فى ب ، ث « سمعت لابن نتيان » ، ولم أعثر على هذه الأبيات فى ديوان شهاب الدين التلعفرى

أماترى الشمس وسط الكاس طالعة منيرة ونطاقُ البدر محــلول
والأرض قد كسيتْ بالغيث حلتها وناظر الروض بالأزهار مكحول

وقال أيضا رحمه الله :

أتانى كتاب منك لما فضضته تروّى من الإحسان صادٍ من الجنا
فخيل لى ما أنت أنت لكثرة الـ ـتواضع والإحسان أو ما أنا أنا

وقال أيضا رحمه الله :

خليلَىَّ كم أشــكو إلى غير راحم وأجعل عرضى عرضة لِلَّوائم
وأسحب ذيل الذل بين بيوتكم وأقرع فى ناديكُمُ سنّ نادمِ
هبونىَ ما استوجبت حقا عليكم أما يعتريكم هــزة للمكارم
كأن المعالى ما حللن لديكمُ وقد أصبحت معدودة فى المحارم

(١٤٣)

سليمان بن وهب
القرمطى
الجنابى

سليمان بن وهب[1] بن بهرام ، القِرْمطى ، بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة — الجنابى ، رئيس القرامطة

ذكر ابن الأثير فى حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين ، قال[2] : فى هذه السنة تحرك قوم بسواد الكوفة يعرفون بالقرامطة ، ثم بسط القول فى مبدأ أمرهم وحاصله أن رجلا أظهر العبادة والزهد والتقشف وكان يخصف الخوص ، ويأكل من كسبه ، وكان يدعو الناس إلى إمام [من] أهل البيت . وأقام على ذلك مدة ، فاستجاب له خلق كثير ، وجَرَتْ له أحوال أوجبت حسن العقيدة فيه ، وانتشر بسواد الكوفة ذكره .

---

(١) تقدمت ترجمة أبى سعيد الحسن بن أحمد القرمطى (رقم ٨٨)
(٢) انظر تاريخ ابن الأثير ١٥٩/٧ بولاق

ثم قال فى سنة ست وثمانين ومائتين : وفى هذه السنة[1] ظهر رجل يعرف بالحسن الجنابى بالبحرين ، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ، وقوى أمره ، وأن غلامه الصقلبى قتله سنة إحدى وثلاثمائة ، وقام بعده أبو طاهر ابنه وفى سنة إحدى عشرة وثلثمائة قصد أبو طاهر البصرة ، وملكها بغير قتال ، بل صعد إليها بسلالم شَعَر ، فلما أحسوا بهم ثاروا إليهم ، فقتلوا والى البلد ، ووضعوا السيف فى الناس ، فهرب منهم من هرب ، وأقاموا فيها سبعة عشر يوما ، ونهب القرمطى جميع ما فيها ، وعاد إلى بلده ، ولم يزل يعيث فى البلاد . ويكثر فيها الفساد ـ من القتل ، والسبي ، والحريق ، والنهب ، إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فحج الناس ، وسلموا فى طريقهم . ثم إن القرمطى وافاهم بمكة يوم التروية فنهب أموال الحاج ، وقتلهم حتى فى المسجد الحرام ، وفى البيت نفسه ، وقلع الحجر الأسود ، وأنفذه إلى هجر ، فخرج إليه أمير مكة فى جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين ، وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلا ليقلع الميزاب فسقط ومات وألقى القتلى فى بئر زمزم وترك الباقى فى المسجد الحرام ، وأخذ كسوة البيت وقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، فلما بلغ ذلك المهدى عبد الله ، صاحب إفريقية ، كتب إليه ينكر عليه ويلومه ويلعنه ، ويقول : حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر واسم الإلحاد بما فعلت ، وإن لم تردّ على أهل مكة والحاج ما أخذت منهم ، وتردّ الحجر الأسود إلى مكانه ، وتردّ الكسوة ، وإلا فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة ، فلما وصل هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود

---

(٢) انظره ١٧٥/٧ وفيه « يعرف بأبى سعيد الجنابى ـ إلخ » وقد ترك المؤلف كلاما كثيراً فارجع إليه هناك ، وانظره أيضاً ١٧٧/٧ و ١٨٢ و ١٨٦ و ١٨٨ و١٩٢ و ١٩٥ ـ ٢٩/٨ وفيها ذكر مقتل أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى ، ٤٩ وفيها ذكر أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد القرمطى وقصده البصرة و ٥٠ و ٥٣ و٥٧ و ٦١ و ٦٣ و ٧١

وما أمكنه من أموال أهل مكة ، وقال : أخذناه بأمر ، ورددناه بأمر ، وكان بجكم التركى أمير العراق و بغـداد قد بذل لهم فى رده خمسين ألف دينـار فلم يردوه[1] .

قال ابن الأثير : ردّوه إلى الـكعبة لخمس خلون من ذى القعدة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فى خلافة المطيع ، وأنهم لمـا أخذوه تفسخ تحته ثلاث جمال قوية من ثقله ، ولمـا أعادوه حملوه على جمل واحد ووصل سالمـا .

قال ابن أبى الدم فى الفرق الإسلامية : إن الخليفة راسَلَ أبا طاهر فى ابتياعه ، فأجاب إلى ذلك ، فباعه من المسلمين بخمسين ألف دينار ، وجهز الخليفة إليهم عبد الله بن حكيم ، المحدّث ، وجماعة معه ، فأحضر أبو طاهر شهوداً ليشهدوا على نوّاب الخليفة بتسليمه ، ثم أخرج لهم أحد الحجرين المصنوعين ، فقال لهم عبد الله بن حكيم : إنّ لنا فى حَجَرنا علامة : إنه لا يسخن بالنار ، وثانيـة أنه لا يغوص فى المـاء ، فأحضروا ماء وناراً ، فألقاه فى المـاء وغاص ، ثم ألقـاه فى النار ، فحمى ، وكاد يتشقق ، فقال : ليس هذا بحجرنا ، ثم أحضر الحجر الثانى المصنوع ، وقد ضَمَّخَه بالطيب ، وغشاه بالديباج ليظهر كرامته ، فصنع به عبد الله كما صنع بالأوّل ، وقال : ليس هـذا بحجرنا ، فأحضر الحجر الأسود بعينه ، فوضعه فى المـاء ، فطفا ، ولم يغص ، وجعله فى النار ، فلم يسخن ، فقال : هذا

(١) هذا الـكلام كله من أول الترجمة إلى آخرها أصله كلام ابن الأثير فى المواضع التى أشرنا إليها من قبل ، وقد لخصه ابن خلـكان في وفيات الاعيان (١/٤٠٩ ومابعدها، بتحقيقنا) ثم نقله المؤلف هنا فترك ما ترك ابن خلـكان وذكر ما ذكره ، وليس له فيه كبير شىء ، وقد اعترض ابن خلـكان كلام ابن الأثير فى هذا الموضع قائلا :

« قلت : وهذا الذى ذكره شيخنا ــ من كتاب المهدى إلى القرمطى ، وأخذه الحجر ، وأنه ردة لذلك ــ لا يستقيم ؛ لأن المهدى توفى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وكان ردالحجر فى سنة تسع وثلاثين ؛ فقد ردوه بعد موته بسبع عشرة سنة، والله أعلم » اهـ

حجرنا ، فتعجب أبو طاهر ، وسأله عن طريق معرفته ، فقال عبدالله بن حكيم : حدّثنا فلان عن فلان ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « الحجر الأسود يمين الله تعالى فى أرضه ، خلقه الله تعالى من درّة بيضاء فى الجنة ، و إنما اسودّ من ذنوب الناس ، يحشر يوم القيامة له عينان ينظر بهما ، ولسان يتكلم به ، يشهد لكل مَنِ استلمه وقبله بالإيمان ، وأنه حجر يطفو على الماء ، ولا يسخن بالنار إذا وقدت عليه » ، فقال أبو طاهر : هذا دين مضبوط بالنقل .

وقال صلاح الدين الصفدى فى تاريخه : قال بعضهم : إن القرامطة أخذوا الحجر الأسود مرّتين ، فيحتمل أن المرّة الأولى ردّوه بكتاب المهدى ، والثانية ردّوه لما اشترى منه ، أو بالعكس ، والله أعلم .

وقصد القرامطة أطراف الشام ، وفتحوا سلمية ، و بعلبك ، وقتلوا غالب من بهما من المسلمين ، وخرج المكتفى بنفسه فى جيش عظيم لما عزموا على حصار دمشق ، وكثر الضجيج بمدينة السلام ، وسار حتى نزل بالرقة ، و بثّ الجيوش بين حلب وحَماة وحمص ، وعادت القرامطة تقصد حصار حلب ، فالتقى الجمعان بموضع بينه و بين حماة اثنا عشر ميلا ، وكان ذلك سنة إحدى وتسعين ومائتين أيام والده أبى سعيد ، فانهزم جميعُ القرامطة ، وتبعهم المسلمون ، وأفنوا عامتهم .

ثم قام القرامطة أيضا ، وكثر حربهم ، ولم يزالوا إلى أن مات أبو سعيد ، وقام أبو طاهر ابنه .

وقيل : إنه ملك دمشق ، وقتل جعفر بن فلاح نائب المصريين .

ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهى على باب القاهرة ، وظهروا عليهم ، ثم انتصر أهل مصر عليهم ، فرجعوا عنهم ، ولم يزل الناس معهم فى شدة و بلاء إلى أن قتل أبو طاهر سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة[1] ، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم .

---

(١) أبو طاهر هو سليمان الذى عقد المؤلف الترجمة له ، وهو ابن أبى سعيد الجنابى فيكون « سليمان بن الحسن » لا « ابن وهب »

(١٤٤)

المستعين سليمان ابن الحكم الأموى

سليمان بن الحكم [١] بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن ، الأموى ، الملقب بالمستعين .

من شعره رحمه الله تعالى :

عجباً يهاب الليثُ حدَّ سِنانى ... وأهاب سحر فواتر الأجفان
وأقارع الأهوال لا متهيباً ... منها سوى الإعراض والهجران
وتملكت روحى ثلاث كالدُّمَى ... زُهْرُ الوجوهِ نواعم الأبدان
ككواكب الظلماء لحن لناظرى ... من فوق أغصان على كُثْبانِ
حَكَّمْتُ فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطانى
فأبحن من قلبي الحمى ، وتركنني ... فى عز ملكى كالأسير العانى
لا تعذلوا ملكا تذَلَّلَ للهوى ... ذل الهوى عز وملك ثانِ
ماضرٌّ أنى عبدهنَّ صبابةً ... و بنو الزمان وهُنَّ من عُبْدَانِى
إن لم أطع فيهنَّ سلطان الهوى ... كلفا بهنَّ فلست من مَرْوَانِ

(١٤٥)

أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي القرطبي

سليمان بن خلف [٢] بن سعد بن أيوب بن وارث ، أبو الوليد [٣] ، الباجى ، الأندلسى ، القرطبى ، صاحب التصانيف .

---

(١) ذكر ولايته على الأندلس فى « المعجب » ٤٣ مصر ، وأنه ولى لست خلون من شوال سنة ٣٩٩ وتلقب بالمستعين بالله ، ثم دخل قرطبة فى ربيع الآخر سنة ٤٠٠ فتلقب بالظافر بحول الله مضافا إلى المستعين بالله . وانظر نفح الطيب ٤٠٦/١ بتحقيقنا

(٢) له ترجمة فى تاريخ دمشق (المختصر ٢٤٨/٦) وفى شذرات الذهب ٣٤٤/٣ وله ترجمة فى نفح الطيب للمقرى ٢٧٢/٢ بتحقيقنا

(٣) في ب ، ث « بن الوليد » وتصويبه عن الأصول التى ذكرنا

توفى سنة أربع وتسعين وأربعمائة(١)

ومن شعره رحمه الله تعالى :

إذا كنت أعلم علما يقينا | بأنَّ جميعَ حياتى كساعه
فلِمْ لا أكون ضنينا بها | وأجعلها فى صلاح وطاعه

وله أيضا رحمه الله تعالى :

إذا كنت تعلم أن لا مَحِيدَ | لذى الذنب عن هول يوم الحساب
فأعص الإله بمقدار ما | تحب لنفسك سوء العذاب

(١٤٦)

أسد الدين سليمان بن داود (الأمير)

سليمان بن داود بن موسك ، الأمير أسد الدين بن الأمير عماد الدين بن الأمير الكبير عز الدين الهذبانى(٢).

ولد فى حدود الستمائة بالقدس ، وتوفى سنة سبع وستين وستمائة ، وكانت له يد فى النظم ، وعنده فضيلة ، وترك الخدم ، وتزهد ، ولبس الخشن ، وجالس العلماء ، وأذهب معظم نعمته ، واقتنع .

وكان أبوه أخص الأمراء بالأشرف بن العادل ، وجده الأمير عز الدين موسك(٣) ابن خال السلطان صلاح الدين .

ومن شعر أسد الدين سليمان قوله :

ما الحب إلا لوعة وغرام | فحذارِ أن يَثْنيك عنه مَلامُ

---

(١) كذا فى ب ، ث ، وليس بشىء ، وفى الشذرات أنه توفى فى سنة ٤٧٤ بالمرية عن إحدى وسبعين سنة

(٢) له ترجمة وجيزة فى السلوك ٥٨٢/١ فى حوادث سنة ٦٦٧ ووقع فى ب ، ث « الهذيابى » تحريف

(٣) هو منشىء قنطرة الموسكى بالقاهرة ، قال المقريزي فى الخطط (١٤٧/٢) : « قنطرة الموسكى – أنشأها الأمير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان خيراً ، يحفظ القرآن ويواظب على تلاوته ، ويحب أهل العلم والصلاح ويؤثرهم ، ومات بدمشق يوم الأربعاء ثامن عشرى شعبان سنة ٥٨٤ » هـ

العشق للعشاق نار حرّها　　برد على أكبادهم وسلام
تلتذ فيه جفونهم بسُهادها　　وجسومهم إذ شَفَّها الأسقام
ولهم مذاهب فى الغرام وملة　　أنا فى شريعتها الغَدَاةَ إمام
ولهم وللأحباب فى لحظاتهم　　خوفَ الوشاة رسائلٌ وكلام
لطفت إشارتهم ورَقَّتْ فى الهوى　　معنى فحارت دونها الأفهام
وتحجبت أنوارها عن غيرهم　　وجلت لهم أسرارَهَا الأوهامُ
فإليك عن عذلى فإنّ مسامعى　　ما للملام بطرْقِها إلمام
أنا من يرَى حب الحِسَانِ حياته　　فالآمَ فى حب الحياة ألآم

(١٤٧)

عون الدين سليمان بن عبد المجيد الحلبي

سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن ، الأديب ، البارع ، عون الدين ابن العجمى ، الحلبي ، الكاتب[١] .

ولد سنة ست وستمائة ، وتوفى سنة ست وخمسين وستمائة ، بدمشق ، وشيعه الأعيان والسلطان .

وكان متأهلا للوزارة ، كامل الرياسة ، لطيف الشمائل

ومن شعره ، رحمه الله تعالى :

لهيب الخدّ حين بدَا لعينى　　هوى قلبى عليه كالفَرَاشِ
فأحرقه فصار عليـــه خالا　　وها أثر الدخان على الحواشى

وحضر يوما مجلس مخدومه الملك الناصر ، وأسند ظهره إلى الطراحة ، فقال له أستاذ الدار : السترة وراءك ، فقال له الملك الناصر : سلمان من أهل البيت ، فقال :

---

(١) له ترجمة فى المنهل الصافى ، وقال فيه «سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبى غالب بن عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن ، الأديب البارع ، عون الدين ، ابن العجمى ، الحلبي ، الكاتب ، توفى سنة ٦٥٦ بدمشق » وربما كانت كلمة «بن» فى قوله « أبى غالب بن عبد الله» زائدة ، فيتفق مع ماهنا

رعى الله مَلْكاً ماله من مُشَابِهِ ... يَمُنُّ على العانى ولم يك مَنَّانَا
لإحسانه أمسيت حسَّان مدحِهِ ... وكنت سليمانا فأصبحتُ سَلْمانا(١)

ومن شعر عون الدين :

ياسائقا يقطع البيداء معتسفا ... بضامر لم يكن فى سيره وانى
إن جُزْتَ بالشام شِمْ تلك البروقَ ولا ... تعدل بلغت المنى عن دير مُرَّانِ
واقصد علالى قلاليه تُلاَقِ بها ... ما تشتهى النفس من حور وولدان
من كل بيضاء هيفاء القوام إذا ... ماست فيا خجلة المرّان والبانِ
وكل أسمر قد دان الجمال له ... وكَمَّلَ الحسنُ فيه فرطَ إحسان
ورب صُدْغ بدا فى الخدّ مرسله ... فى فترة فتنت من سحر أجفان
فليت ريقته ورِدِى ، ووجنته ... وَرْدِى ، ومن صُدْغه آسى وريحانى
وعُجْ على دير مَتَّى ثم حىّ به الـ ... ـرهبان بطرس ، فالرهبانُ رَبَّانى
فهمت منه إشاراتٍ فهمت بها ... وصنت منشورها فى طى كتمانى
وأعبر بدير حنينا وانتهز فرص الـ ... ـلذات ما بين قِسِّيسٍ ومطران
واستجل راحاتها تحْىْ النفوس إذا ... دارت براح شمامیس ورهبان
حمراء صفراء بعد المزج كم قذفت ... بشُهْبها من همومى كلّ شيطان
كم رحت فى الليل أسقيها وأشربها ... حتى انقضى ونديمى غيرُ ندمانِ
سألت توماس عمن كان عاصرَها ... أجاب رمزاً ولم يسمح بتبيان
وقال : أخبرنى شمعون ينقله ... عن ابن مريم عن موسى بن عمران
بأنها سَفَرَتْ بالطور مشرقةً ... أنوارها فكنوا عنها بنيران
وَهْىَ المدام التى كانت معتقة ... من عهد هرمس من قبل ابن كنعان

---

(١) أراد بسليمان هنا الوصف ، أى كنت صغير القدر ، وأراد من سلمان الوصف أيضا ، أى صرت كبير القدر ، وذلك لأن سليمان تصغير سلمان

وهى التى عبـــدتها فارس فـكنى ... عنها بشمس الضحى فى قومه مانى
سكرت منها فلا صَحْو وجُدْت بها ... على الندامى وليس الشح من شانى
وسوف أمنحها أهـــلا وأنشده ... ما قيل فيها بترجيــــع وألحان
حتى تميل لهـــا أعطافهُ طربا ... وينتشى السكون من أوصاف نشوان
خير المـــلوك صلاح الدين ليس له ... فى الجود ثان ولا عن جوده ثانى

(١٤٨)

سليمان بن عبد الملك بن مَرْوان[١].

سليمان بن عبد الملك ابن مروان

كان من أخيار ملوك بنى أمية ، ولى الخـلافة فى جمادى الآخرة سـنة ست وتسعين ، بعد الوليد ، بالعهد من أبيه ، وكانت داره موضع سقاية جَيْرُون ، وكان فصيحاً مُفوّها ، مؤثر العدل ، محبّ الغزو .

ومولده سنة ستين ، وتوفى عاشر صفر سنة تسع وتسعين بمرج دابق ، شغل وهو يخطب ، فنزل وهو محموم ، فما جاءت الجمعة الأخرى حـتى مات ، وولى عمر ابن عبد العزيز ، وكان جميل الوجه ، وعزل عمال الحجاج ، وأخرج مَنْ فى سجون العراق ، وهمّ بالإقامة فى القدس ، وحج سنة سبع وتسعين ، وقال لعمر بن عبد العزيز لما رأى الناس فى الموسم : أما ترى هذا الخلق الذين لا يُحْصِى عددَهم إلا الله تعالى ، ولا يسع رزقهم غيره؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء اليوم رعيتك ، وغدًا خصماؤك ، فبكى بكاء شديداً ، ثم قال : بالله أستعين .

وكان من الأَكَلَةِ ، قال ابنه : أكل أبى أربعين دَجاجة تُشْوى على النار ، وأكل أربعا وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ، وأكل تسعين رُمانة وخروفا وأتى بمكوك زبيب طائفى فأكله أجمع .

(١) انظر ترجمته فى التنبيه والإشراف ٢٧٥ مصر ، وفى شذرات الذهب ١/١١٦ وتاريخ ابن الأثير ٥/١٥ ومروج الذهب ٣/١٨٣ — ١٩١ طبعة ثانية بتحقيقنا ، وتاريخ ابن كثير ٩/١٧٧ — ١٨٤ وتاريخ اليعقوبى ٢/٣٦ النجف ، والفخرى لابن طباطبا ١٥٢ أوربة ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ٨٧

وقيل: إنه جلس في بيت أخضر، وتحته وطاء أخضر، عليه ثياب خُضْر، ثم نظر في المرآة فأعجبته نفسه، وقال: كان النبي صلى الله عليه وسلم نبيا، وكان أبو بكر صديقا، وكان عمر فاروقا، وكان عثمان حييا، وكان معاوية حليما، وكان يزيد صبوراً، وكان عبدالملك سائسا، وكان الوليد جباراً، وأنا الملك الشاب، فمادار عليه الشهر حتى مات.

وقال سعيد بن عبدالعزيز: إنَّ سليمان ولي وهو إلى الشباب والنزق ماهو، فقال لعمر بن عبد العزيز: يا أبا حفص إنا قد وَلينا ماترى، ولم يكن لنا بتدبيره علم فما رأيت من مصلحة العامة فمُرْ به يكتب، فكان من ذلك عزل عمال الحجاج، وإخراج مَنْ في سجون العراق، وكان يسمع من عمر بن عبدالعزيز جميع مايأمره به.

وقَدِمَ عليه موسى بن نُصَير[1] من ناحية المغرب، ومسلمة بن عبدالملك، فبينما هو على ذلك إذ جاءه الخبر من الروم أنَّ الروم خرجت على ساحل حِمْصَ فَسَبَتِ امرأةً وجماعة، فغضب سليمان، وقال: والله لأغزونهم غزوة أفتح بها القسطنطينية أو أموت دون ذلك، فأغزى جماعة أهل الشام والجزيرة والموصل في البر في نحو مائة وعشرين ألفا، وأغزى أهل مصر وإفريقية في البحر في ألف مركب، وعلى جماعة الناس مسلمة بن عبدالملك، وأغزى داود بن سليمان في جماعة من أهل بيته، وقدم سليمان من القدس إلى دمشق، ومضى حتى نزل مرج دابق، فأمضى البعث وأقام بالمرج.

قال عبد الغني: وسمى سليمان بن عبدالملك «مفتاح الخير» لأنه استخلف عمر بن عبد العزيز.

وقال ابن سيرين: رحم الله سليمان بن عبد الملك! افتتح خلافته بخير، وختمها بخير، افتتح خلافته بإحياء الصلاة لمواقيتها، وختمها بأن استخلف عمر ابن عبد العزيز، رحمهما الله تعالى!

---

(١) هو أبو عبد الرحمن موسى بن نصير القائد المظفر الذى فتح الله على يديه ويدى أتباعه بلاد الأندلس وأكثر بلاد المغرب، ولم يهزم له جيش قط، وكان من رجال العالم رأيا وحزما وهمة ونبلا وشجاعة وإقداما، توفى بوادى القرى وهو حاج مع الخليفة سليمان بن عبدالملك فى سنة ٩٧هـ

(١٤٩)

سليمان بن على ابن عبد الله الهاشمى العباسى

سليمان بن على بن عبدالله بن عباس ، الهاشمى ، أحد أعمام السفاح والمنصور[١] ولد سنة اثنتين وثمانين ، وتوفى سنة اثنتين وأربعين ومائة .

وكان سليمان كريما ، جوادا ، مرّ برجل يسأل قد تحمل عشر دِياتٍ ، فحملها عنه ، وكان يعتق فى كل موسم عشية عرفة مائة نَسَمة ، وبلغ عطاؤه فى الموسم على قريش والأنصار خمسة آلاف ألف درهم .

(١٥٠)

معين الدين سليمان بن على الصاحب البرواناه

سليمان بن على ، الصاحب ، معين الدين ، البرواناه[٢] .

كان أبوه مهذب الدين على بن محمد أعجميا سكن الروم ، وكان يقرأ القرآن ، فتوصل حتى صار يقرئ أولاد مستوفى الروم ، ثم ناب عنه ، ثم ولى موضعه فى أيام السلطان علاء الدين ، وظهرت كفايته ، فاستوزره ، ثم وَزَر لولده غياث الدين إلى أن مات سنة اثنتين وأربعين ، فعظم أمره إلى أن استولى على ممالك الروم ، وصانع التتار ، وعمر البادية ، وكاتب الملك الظاهر ، ثم نقم عليه آنفا ، ونسبه إلى أنه هو الذى جسر الظاهر على بلاد الروم ، وحصل ما وقع من قبل أعيان المُغُل ، فبكت الخواتين ، وشقت الثياب بين يدى بُغا ، وقالوا : البرواناه هو الذى قتل رجالنا ، ولا بد من قتله ، فقتله .

وكان من دُهاة العالم وشُجعانهم ، له إقدام على الأهوال ، وخبرة بجميع الأحوال ، قطعت أربعته وهو حى ، وألقى فى مِرْجَلٍ ، وسلق وأكل المغل لحمه من غيظهم ، وصلى عليه من الروم ناس وخلائق ، وذلك سنة ست وسبعين وستمائة ، رحمه الله تعالى ! .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ دمشق (المختصر ٢٨١/٦) وورد فى شذرات الذهب ٢١٠/١ وذكر أنه ابن عم المنصور ، وليس بصحيح

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٦٢/٥ وله ترجمة فى المنهل الصافى ، والبرواناه : كلمة فارسية أصل معناها الحاجب ، وقد أطلق هذا اللفظ فى دولة السلاجقة على الوزير الأكبر

(١٥١)

عفيف الدين سليمان بن على ابن عبد الله التلمسانى

سليمان بن على بن عبد الله بن على، الشيخ الأديب البارع، عفيف الدين، التِّلِمْسَانى[١].

كان كوفى الأصل[٢]، وكان يدّعى العرفان، ويتكلم على اصطلاح القوم.

قال قطب الدين اليونينى: رأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية.

وكان حسن العشرة، كريم الأخلاق، له حرمة ووجاهة، خَدَمَ فى عدة جهات.

وقال الجزرى فى تاريخه: إنه عمل ببلاد الروم أربعين خلوة، يخرج من واحدة ويدخل فى أخرى، وله فى كل علم تصنيف.

وحكى بعضهم قال: طلعت عليه يوم قبض، فقلت له: كيف حالك؟ قال: بخير، مَنْ عرف الله كيف يخافه؟ والله منذ عرفته ما خفته، وأنا فَرْحَان بلقائه.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى: وحكى لى الشيخ طى الحافى قال: كان عفيف الدين مباشر استيفاء الخزانة بدمشق، فحضر الأسعد بن السديد الأعز إلى دمشق صحبة السلطان الملك منصور، فقال له يوما: يا عفيف الدين، أريد منك أن تعمل لى أوراقا بمصروف الخزانة وحاصلها، قال: نعم، وطلبها منه مرّة أخرى ومرّة وهو يقول: نعم، فقال فى الآخر: أراك كلما أطلب منك الأوراق تقول لى نعم، وأغلظ له فى القول، فغضب الشيخ عفيف الدين وقال له: ويلك! لمن تقول هذا الكلام؟ يا كلب يا ابن الكلب، يا خنزير، وهذا من عجز المسلمين

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤١٢/٥ وقال عنه «أحد زنادقة الصوفية، وقيل له مرة: أأنت نصيرى؟ فقال: النصيرى بعض منى» وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ٢٩/٨ وقال فى آخرها «وقد استوعبنا من ذكر العفيف هذا فى ترجمته فى تاريخنا المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى نبذة كبيرة، فلينظر هناك»

(٢) في النجوم «العابدى ثم الكوفى ثم التلمسانى، كان فاضلا، ويدعى العرفان ويتكلم فى ذلك على اصطلاح القوم»

وإلا لو بصقوا عليك بصقة لأغرقوك ، ثم شق ثيابه ، وقام يَهُمُّ بالدخول على السلطان ، فقام الناس إليه ، وقالوا : هذا ما هو كاتب ، هذا الشيخ عفيف الدين التلمسانى ، وهو معروف بالجلالة والإكرام بين الناس ، ومتى دخل إلى السلطان آذاك ، فسألهم ردّه ، وقال له : يا مولانا ، مابقيت أطلب منك لا أوراقا ولا غيرها .

وقال الشيخ أثير الدين [فى حق] المذكور : أديب ماهو جيد النظم ، يكون شيخ صوفية وتارة كاتبا وتارة مجردا ، قدم علينا القاهرة ، ونزل بخانقاه سعيد السعداء عند صاحبه شيخها الشيخ شمس الدين الأيلى ، وكان متخيلا فى أقواله وأفعاله طريقة ابن العربى .

وتوفى الشيخ عفيف الدين بدمشق فى شهور سنة تسعين وستمائة ، ودفن بمقابر الصوفية .

ومن نظمه :

وقفنا على المَغْنَى قديما فما أغْنَى ... ولا دلت الألفاظ منه على معنى[1]

وكم فيه أمسينا و بتنا بربعه ... حَيَارَى ، وأصبحنا حيارى كما بتنا

فلم نر للغيد الحسان بِهِم سنا ... ولولا النصارى ما ثملنا ولا ملنا[2]

ثملنا وملنا والدموع مدامنا ... ومن أجل بدر التم فى حسنها أسنا

نسائل باناتِ الحمى عن قدودهم ... ولا سيما فى لينهـــا البانة الغنَّا[3]

ونلثم ترب الأرض أن قدمشت بها ... سليمى ولبنى لا سليمى ولا لُبنَى

فوا أسفا فيه على يوسف الحمى ... ويعقوبه تبيضُّ أعينه حزنا

وليس الشَّجِى مثل الخلى لأجل ذا ... به نحن نُحْنا والغمام بنا غَـنَّى

---

(١) المغنى : أصله اسم مكان من قولهم « غنى فى المكان يغنى » بمعنى أقام ، فهو مكان الإقامة ، وأراد به دار أحبابه ، وما أغنى : أي ماأجاب جوابا مفيدا

(٢) ثمل : شرب حتى ترنح

(٣) الغنا : أصله الغناء ، فقصره حين اضطر ، والغناء : الملتفة الأغصان

ينادي مناديهم ويُصْغِي إلى الصدى   فيسألنا عنهم بمثل الذى قلنا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

إن كان قتــلى فى الهوى يتعين   يا قاتلى فبسيف طَرْفِكَ أهون
حسبي وحسبك أن تكون مدامعى   غسلى ، وفى ثوب السقام أُكَفَّنُ
عجبا لخــدِّك وردةً فى بانة   والورد فوق البان مالا يمكنُ
أدنته لى سِــنَةُ الكرى فلثمته   حتى تبدل بالشقيق السوسَنُ
ووردْتُ كوثر ثغره فحسبتنى   فى جنة من وجنتيه أسْكُنُ
ما راعنى إلا بلال الخـــال فو   ق الخدّ فى صبح الجبين يؤذن(١)
فنشرت من خوف الصباح ذؤابة   هى كالدجى وظللت فيها أكْمُنُ
يا نظرة كم رمت أسْرِقَ أختها   من مقــلة هى للنعاس معيدن

وقال أيضا رحمه الله :

رياضٌ بَكاَها المزن فهى بواسم   وناحت لغير الحزن فيها الحمائم
وأودعَتِ الأنواء فيهنّ سِرّها   فنمت عليهــنّ الرياح النواسم
يبيت الندى فى أفقها وهو ناثر   ويضحى على أجيادها وهو ناظم
كأن الأقاحى والشقيق تقابلا   خدودُ جلاهنّ الصبا ومَبَاسم
كأن بها للنرجس الغض أعينا   تنبه منها البعض والبعض نائم
كأن ظلال القُضْبِ فوق غديرها   إذا اضطربت تحت الرياح أراقم
كأن غناء الوُرْقِ ألحانُ مَعْبَدٍ   إذا رقصت تلك القدود النواعم
كأن نثار الشمس تحت غصونها   دنانيرُ فى وقت ووقت دراهِمُ
كأن ثمارا فى غصون توسوست   لعــارض خفاق النسيم تمائم

---

(١) بلال : أصله اسم مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو حبشى ، وأراد منه ههنا الوصف ، وهو السمرة ، والخال : نكتة سوداء فى الخد ، وهى مما يستملحه العرب ، وهذا المعنى مأخوذ من قول الحاجرى :

أقام بلال الخال فى صحن خده   يراقب من لألاء غرته الفجرا

كأن القطوف الدانيات مواهب ... ففى كل غصن ماسَ فى الدَّوْحِ خاتَمُ

وقال أيضاً غفر الله له :

أشتاق من ساكنى ذاك الحمى سَكَنَا ... عليه خَفَقُ فؤادى قطُّ ما سكنا

ولى غرام وصبر فى محبته ... هذا أقام بأحشائى وذا ظَعَنَا

أطلعتمُ يا أهَيْلَ المنحنى قمراً ... بدا على الكون منه بهجة وسنا

سَبَى عيون محبيهِ الكرَى فلذا ... أجفانه لم تزل مملوءة وَسَنَا

إن قلت غصن تجلى وجهه قمرا ... أو قلت بدر تثنى قده غُصُنَا

نادى ضَنَى خصرِهِ من يشترى سَقَماً ... منى ليفنى به فى الحب قلت أنا

فيا غنىّ جمالٍ بات مفتقراً ... لحسنه البدر مالى عن هواك غِنَى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا تلم صبوتى فمن حبّ يَصْبُو ... إنما يرحم المحبّ المحبُّ

كيف لا يوقد النسيمُ غرامى ... وله فى ديار ليلى مَهَبُّ

ما اعتذارى إذا خَبَتْ لِىَ نار ... وحبيبى أنواره ليس تخبو

وشعره جيد إلى الغاية ، رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين !

(١٥٢)

سليمان بن موسى بن سالم البلنسى الكلاعى

سليمان بن موسى[1] بن سالم بن حسان، الحميرى، الكلاعى، الأندلسى، البَلَنْسى.

ومن شعره :

أشجاه ما فعل العذار بخده ... قلبى شجا وهواه فيه هيجا

ماذا به والحسنُ يمزج ورده ... آسا ويخلط بالشقيق بنفسجا

ولقد علمت بأن قلبى صائر ... كرة لصدغيه غداة تَصَوْلَجَا

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ١٦٤/١ قال فى مطلعها « أبو الربيع الكلاعى سليمان بن موسى بن سالم ، البلنسى ، الحافظ الكبير ، الثقة ، صاحب التصانيف ، وبقية أعلام الأندلس ، ولد سنة خمس وستين وخمسمائة » اهـ . وذكره فى وفيات سنة ٦٢٤ وقال « استشهد بكائنة إيقسة بقرب بلنسية مقبلا غير مدبر، فى ذى الحجة»

ومنه أيضاً رحمه الله :

قالوا أكتست بالعـذار وجنته   هل فى الذى قالوه من باس؟
أكلفُ بالورد وهو منفـــرد   فكيف أسلو إذا ما شيب بالآس؟

(١٥٣)

صدر الدين
أبو الفضـل
سليمان بن هلال
الحورانى

سليمان بن هلال بن أسيد[١] بن فلاح ، الشيخ الإمام الفقيه المفتى القدوة الزاهد العابد القاضى الخطيب ، صدر الدين ، أبو الفضل ، القرشى ، الجعفرى ، الحورانى ، الشافعى ، صاحب النواوى .

ولد سنة اثنين وأربعين بقرية بصرى من السواد ، وتوفى سـنة خمس وعشرين وسبعمائة[٢] .

قدم دمشق مراهقا ، وحفظ القرآن بمدرسة أبى عمر على الشيخ نصر بن عبيد ، ورجع إلى البلاد ، ثم قدم بعد سبع سنين ، وتفقه بالشيخ تاج الدين وبالشيخ محيى الدين ، وأتقن الفقه ، وأعاد بالناصرية ، وناب فى القضاء لابن صَصْرى مدة ، ولم يغير ثوبه القطن ولا عمامته الصغيرة ، ويحكى عنه حكايات فى رفقه بالخصوم ، يقال : إنه كان إذا علم أن الغريم ضعيف يعجز عن أجرة رسول القاضى قام مع الغريم ، ومشى إلى بيت الغريم أو حانوته ، وكان خيراً متواضعاً ، وكان يمشى إلى بعض العُدُول ليؤدى عنه الشهادة ، وولى خطابة العقيبة ، واكتفى بها ، وعينه الأمير سيف الدين تنكز للاستسقاء بالناس سنة تسع عشرة ، فسقوا ، وقد كان خطيباً بداريّا يدخل إلى دمشق على بهيم ضعيف ، وكان لا يدخل حماماً ، ولا يتنعم ، وناب عن ابن الشريشى فى دار الحديث ، وشيع جنازته خلق كثير ، رحمه الله تعالى !.

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦٧/٦ وفيها « صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب ، القاضى العالم الزاهد الورع ، أبو الربيع ، الهاشمى ، المعروف بخطيب داريا ، ولد سنة ٦٤٢ وسمع الحديث وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزارى والشيخ محيى الدين النووى ، وولى خطابة داريا — إلخ »

(٢) فى ب « سنة خمس وعشرين وستمائة » والصواب ما أثبتناه موافقا لما فى ث والشذرات

(١٥٤)

تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمـــزة الجماعيلي

سليمان[١] بن حمزة بن أحمد بن الشيخ أبي عمر ، الإمام المفتي ، شيخ المذهب ، مسند الشام، تقي الدين ، أبو الفضل ، المقدسي ، الجماعيلي الأصل، الدمشقي الصالحي، الحنبلي .

ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وتوفى سنة خمس عشرة وسبعمائة .

ولى القضاء عشرين سنة ، وعُزل سنة تسع عن القضاء بالقاضي شهاب الدين ابن الحافظ ، عزَله الجاشنكير ، ثم أعيد لما جاء الناصر من الكَرَك ، فاجتمع به ووَلاَّه ، وكان إذا أراد أن يحكم قال : صلوا على رسول الله ، فإذا صلوا حكم ، رحمه الله تعالى وإيانا وجميع المسلمين !

(١٥٥)

أبو عمر، سهل ابن هارون

سهل بن هارون بن راهبون ، الدَّسْتَمِيسَاني ، أبو عمر[٢] .

انتقل إلى البصرة ، واتصل بخدمة المأمون ، وتولى خزانة الحكمة له ، وكان حكيما فصيحا شاعرا ، فارسي الأصل ، شُعُوبي المذهب ، شديد التعصب على العرب ، وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته .

وكان نهاية في البخل ، وله فيه حكايات ، قال دعبل : كنا عنده يوما ، فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعا ، ثم قال : ويحك ياغلام ! غدِّنا ، فأُتِيَ بقَصْعَة فيها ديك مطبوخ ، فتأمله ثم قال : أين الرأس ؟ قال : رميت به ، فقال : والله إني لأمقُتُ مَنْ يَرْمِي برجليه فكيف برأسه ، ولَوْ لَمْ أكره ما صنعت إلا للطِّيَرة والفأل لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ، ومنه يَصِيحُ الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فَرْقُه الذي يتبرك به ، وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٦/٣٥ – ٣٦ ، وهو المشهور بابن قدامة المقدسي الحنبلي ، مولده في منتصف رجب ٦٢٨ ووفاته ليلة الاثنين حادى عشر ذى القعدة سنة ٧١٥ وله ترجمة وجيزة في النجوم الزاهرة ٩/٢٣١

(٢) له رسالة في الرد على من ذم مذهبه في البخل ، وهي أول ماذكره الجاحظ في البخلاء بعد التصدير ، وله ترجمة في فهرست ابن النديم ١٧٤ مصر ، وفي معجم الأدباء ١١/٢٦٦ ، وكانت وفاته في سنة ٢١٦ والدستميساني: نسبة إلى دستميسان بفتح فسكون ففتح فميم مكسورة – وهي كورة بين واسط والبصرة والأهواز ، وهي إلى الأهواز أقرب

فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجيب لوجع الـكلية ، ولم نر عظما أهش تحت الأسنان منه ، وهل ظننت أنى لا آكله ؟ [إن كان ذلك ف] إن العيال يأكلونه ، وإن كان قد بلغ من نُبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله ؟ أوما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق ، أنظر إلى أين هو ، فقال : والله ما أدرى أين هو ، ولا أين رميت به ، فقال : أنا أدرى أين رميت به ، رميت به فى بطنك ، قاتلك الله !

وعمل كتابا فى البخل ومَدَحه ، وبعثه إلى الحسن بن سهل يستمنحه ، فوقّع إليه الحسن بن سهل : لقد مَدَحْتَ ما ذم الله ، وحسنت ما قبح ، وما يقوم لفساد معناك صلاحُ لفظك ، وقد جعلنا ثوابَكَ قبولَ قولك ، فما نعطيك شيئا .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تقاسمنى همّان قد كسفا بالى ... وقد تركا قلبى محلّة بلبال
هما أذريا دمعى ولم تذر عبرتى ... ربيبة خدْر ذات قُرْط وخلخال
ولا قهوة لم يبق منها على المدى ... سوى أن تحاكى النور فى رأس ذبال
ولكننى أبكى بعين سخينة ... على حدَثٍ تبكى له عين أمثالى
فراق خليل مثله يبعث الأسى ... وخلة خـــل لا يقوم بها مالى
فوا أسفا حتى متى القلبُ موجعٌ ... بفقد خليل أو تعذر إفضال
فما العمر إلا أن تجود بنائل ... وإلا لقاء الأخ ذى الخلق العالى

(١٥٦)

الأمير سيف الدين سلار التسترى الصالحى

سَلَّار ، الأمير ، سيف الدين ، التسترى ، الصالحى ، المنصورى[١] .

كان أولا من مماليك الصالح علاء الدين على بن المنصور قلاوون ، فلما مات الصالح صار من خاصة المنصور ، ثم اتصل بخدمة الأشرف ، وحَظِى عنده ، وتأمر ، وكان عاقلا ، تاركا للشر ، ينطوى على دهاء وخبرة بالأمور ، وفيه دين

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩/١٩ و٢٠ وما بعدهما ، ثم انظر بقية المواضع المذكورة فى فهرس الجزء التاسع

بالجملة ، وكان صديق السلطان حسام الدين لاجين ونائبه منكو تمر ، نَدَبَه الأمراء لإحضار السلطان الملك الناصر من الكَرَك ، فسار إليه وأحضره ، وركن إلى عقله وائتمانه ، فاستنابه به ، وقرَّبه على الجميع ، فخضعوا له ، ونال سَلاَّر من سعادة الدنيا مالا يوصف ، وجَمَع من الذهب قناطير مقنطرة ، حتى اشتهر على ألسنة الناس أنه كان مدخله كل يوم مائة ألف درهم ، واستمر فى دَسْت النيابة إحدى عشرة سنة ، وكان إقطاعه بضعة وثلاثين طبلخاناه .

ولما توجه الملك الناصر إلى الكَرَك وتملك الجاشنكير استمر فى النيابة ، وازداد عظمة وسعادة ، وأقام على ذلك تسعة أشهر ، فلما عاد السلطان من الكَرَك ولاه سلار إلى أنباء الرسل ، ولما دخل مصر أعطاه الشوبَك ، فتوجه إليها هو وجماعته ، وتشاغل السلطان عنه ، ونزح سلار عن الشوبَك ، ودخل البرية ، وسار يطلب الأمان على أنه يقيم بالقدس يعبد الله عز وجل ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، ودخل القاهرة بعد أن بقى أياما فى البرية مردداً بين العرب ينوبُه فى كل يوم ألف درهم وأربعون غرارة شعير ، فلما جاء عاقبَه السلطان (١) ، واعتقله ، ومنعه الزاد حتى مات جوعا .

قيل : إنه أكل سرموزته (٢) ، وقيل : خفه ، وقيل : إنهم دخلوا عليه وقالوا له : عفا السلطان عنك ، فقام من الفرح ، ومشى خطوات ، وسقط ميتا .

---

(١) فى النجوم ٩/١٧ « فعند ماقدم على الملك الناصر قبض عليه وحبسه بالبرج من قلعة الجبل ، وذلك فى سلخ شهر ربيع الأول سنة عشر وسبعمائه » ثم قال بعد كلام طويل « ثم إن السلطان طلبه وأمر أن يبنى عليه أربع حيطان فى مجلسه ، وأمر ألا يطعم ولا يسقى » ثم قال « وبقى على هذه الحال اثنى عشر يوما ومات »

(٢) فى ب ، ث « زرموزته » والسرموزة : النعل ، وأصلها فارسى ، ومعناه رأس الخف ، وقال الأزهرى :

يماطل رجلى شكت ترددى إليه
وكان لى سرموزة قطعتها عليه

والعامة تقول « سرموجة »

وكان أسمر ، لطيف القد ، لحيته فى حنكه ، سوداء ، وهو من التتار الأويراتية مات فى أوائل الكهولة فى سنة عشر وسبعمائة ، ولعله ما بلغ الكهولة ، رحمه الله تعالى !

وأذن السلطان للجاولى أن يتولى خزانته وجنازته ودفنه ، فدفن بتربته عند الكبش بالقاهرة .

وكان ظريفاً فى لبسه ، اقترح أشياء فى الملبس ، وهى إليه منسوبة ، وكذلك فى المناديل ، وفى قماش الخيل ، وفى آلة الحرب .

قال شمس الدين الجزرى : قيل : إنه أخذ له ثلثمائة ألف ألف دينار [١] وشىء كثير من الجواهر والحلل والسلاح والغلال مالا يكاد يحصر .

قال الشيخ شمس الدين : وهـذا مستحيل ؛ لأن ذلك يجىء وقر عشرة آلاف بغل .

قال الشيخ شمس الدين الجزرى : نقلت من ورقة بخط عـلم الدين البِرْزَالى قال : رفع [٢] إلى المولى جمال الدين بن الفويرة [٣] ورقة بتفصيل بعض أموال سَلاّر وقت الحَوْطة عليه فى أيام متعددة : [أولها] يوم الأحد تسعة عشر رطلا بالمصرى زمرد ، وياقوت رطلان ، بَلَخْش رطلان ونصف ، صناديق ستة ضمنها جواهر وفصوص ألماس وغيره ، لؤلؤ كبار مدور مازنته درهم إلى مثقال ألف ومائة وخمسون حبة [٤] ذهب مائتا ألف وأربعون ألف مثقال ، دراهم أربعمائة ألف وسبعون ألف درهم . يوم

---

(١) فى النجوم ٩/٢٠ نقلا عن الجزرى « وجد لسلار بعد موته ثمانمائة ألف ألف دينار ، وذلك غير الجوهر والحلى والخيل والسلاح » ثم قال : « قال الحافظ أبو عبد الله الذهبى : هذا كالمستحيل ، وحسب زنة الدينار وجمله بالقناطير فقال : يكون ذلك حمل خمسة آلاف بغل »

(٢) فى ف ، ث « دفع » (٣) فى ب ، ث « النويرة »

(٤) فى النجوم نقلا عن صاحب هـذا الكتاب « ألف ومائة وخمسون حبة » وفى المنهل الصافى « ألف وخمسمائة وخمسون » وفى الكلام اختلاف كثير فراجع ماهنالك

الأثنين ذهب مائة ألف وخمسون ألف دينار ، وألف ألف درهم وخمسون ألفا ، فصوص رطلان ونصف ، مصاغ وعقود وأساور وزنود وحلق أربع قناطير بالمصرى ، وفضيات وأوانى وطاسات وهواوين وأطباق وغير ذلك ستة قناطير . يوم الثلاث خمسة وأربعون ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف درهم ، وأهلة وصناجق ثلاثة قناطير . يوم الأربعاء ذهب ألف ألف دينار ، وثمانمائة ألف درهم ، أقبية ملونة بفرو قاقم [١] ثلاثمائة قبَاء ، أقبية سنجاب أربعمائة قبَاء [٢] ، سروج مزركشة مائة سرج

ووجد عند صهره الأمير موسى ثمان صناديق كان من جملة ما فيها عشرة جواشن مجوهرة سلطانية ، وتركاش ما يُقوَّم ، ومائة ثوب طرد وحش ، وحضر صحبته من الشوبك خمسون ألف دينار وخمسمائة ألف درهم [٣] وثمانمائة خلعة وخَرْكاه [٤] أطلس معدنى مبطنة بأزرق وبابها زركش ، وثلثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال ، ومثلها جمال ، كل هذا سوى الأنعام [٥] والجوارى والغلمان والأملاك والعدد والقماش .

---

(١) قاقم : دويبة تشبه السنشاب ، وهو أعز قيمة ، ومنه يتخذ الفراء ، ووقع فى ب ، ث « بفرة قاقم » تحريف شنيع

(٢) فى النجوم « أقبية حرير عمل الدار ملونة بفرو وسنجاب أربعمائه قباء »

(٣) فى النجوم « وأربعمائه درهم وسبعون ألف درهم »

(٤) فى ب ، ث « جركاه » تحريف ، والخركاه : بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشى بالجوخ ونحوه ، يحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء اتقاء من البرد

(٥) فى النجوم « كل هـذا خارج عما وجدله من الأغنام والأبقار والجواميس والأملاك والمماليك والجوارى والعبيد »

ذكروا أنه عوقب كاتبه ، فأقرأنه [كان] يحمل إليه كل يوم ألف دينار ما يعلم بها غيره .

وقيل : إن مملوكا[1] دلهم على كنزله مبنى فى داره ، فوجدوا أكياسا وفتحوا بركة فوجدوها مملوءة أكياسا ، ثم مات البائس يتحسر على الخبز اليابس .

قال الشيخ شمس الدين : وحدثنى شيخنا فخر الدين أن إنسانا حدثه قال : دخل العام شونة سَلاَّر ستمائة ألف أردب ، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم .

---

(١) وردت هذه العبارة فى النجوم ٩/٢٣ هكذا «ودل مملوكه على مكان مبنى فى داره ، فوجدوا حائطين مبنيين بينهما أكياس ماعلم عدتها ، وفتح مكان آخر فيه فسقية ملآنة ذهبا منسبكا بغير أكياس»

حرف الشين المعجمة

(١٥٧)

شافع بن على الكنانى العسقلانى المصرى

شافع بن على بن عباس بن إسماعيل بن عساكر[1] ، الكنانى ، العسقلانى ، المصرى ، سبط القاضى محيي الدين[2] بن عبد الظاهر الإمام ، الأديب ، ناصر الدين .

ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة .

كان يباشر الإنشاء بمصر زمانا ، إلى أن أضرّ ، لأنه أصابه سَهم فى نوبة حمص الكبرى سنة ثمانين وستمائة فى صُدغه ، فعمى ، وبقى ملازما لبيته ، إلى أن توفى .

روى عن الشيخ جمال الدين بن مالك وغيره ، وروى عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان ، والشيخ علم الدين البِرْزَالى وغيرهما ، وله النظم الكثير ، والنثر الكبير ، وكتب المنسوب ، وكان جماعا للكتب ، خلف ثمانى عشرة خزانة مملوءة كتباً نفيسة أدبية ، وكانت زوجته تعرف ثَمَنَ كل كتاب ، وبقيت تبيع منها إلى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة .

وكان إذا لمس الكتاب وجَسَّهُ ، قال : هذا الكتاب الفلانى ، وملكتُهُ فى الوقت الفلانى ، وكان إذا أراد أىّ مجلد قام إلى خزانته ، وتناوله كأنه الآن وضَعه بيده .

ومن شعره :

قال لى مَنْ رأى صباحَ مشيبى ... عن شمالى من لِمَّتى ويمينى

أىّ شىء هذا ؟ فقلت مجيبا : ... ليل شك محاه صبحُ يقينى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

تعجبت من أمر القرافة إذ غدت ... على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو

---

(١) له ترجمة فى نكت الهميان ص ١٦٣ يكاد يكون أولها بنفس عبارة المؤلف

(٢) فى النكت « سبط القاضى رشيد الدين عبد الظاهر »

فألفيتها مأوى الأحبـــة كلهم ومستوطَنُ الأحبابِ يَصْبُو له القلبُ

وله أيضا غفر الله له :

شكا لى صديق حُبَّ سوداء أغربت بعضٍّ لسانٍ لا تمــلُّ له وردا

فقلت له : دعها تلازم مصــــه فمـــاء لسان الثور يصلح للسَّوْدَا

وقال فى مليح وسطه مشدود ببَنْدٍ أحمر :

وبى قامة كالغصن حين تمايلت وكالرمح فى طعنٍ تقدّ وفى قد

جرى من دمى بحر بسهم فراقه فخضنا به ماء على الخصر من بند

وأحسن منه قول ابن قرناص الدوباش :

مَنْ مجيرى من شادن بِهَواه لىَ شُغْلٌ عن حاجروالعقيق(١)

خصره تحت أحمر البند يحكى خنصرا فيه خاتم من عقيق

وقال شافع أيضا رحمه الله :

لقد فاز بالأموال قوم تحكموا وكان لهم مأمورها وأميرها

تقاسَمَهم أ كياسُهَا شر قسمة ففينا غواشيها ، وفيهم صدورها

وقال فى سجادة خضراء :

عجبوا إذ رأوا بديع اخضرار ضمن ســـجّادة بظل مديد

ثم قالوا : من أىّ ماء تروّى؟ قلت : ماء الوجوه عند السجود

وقال فى ممسحة القلم :

وممسحة تنَــاهَى الحسن فيها فأضحت فى الملاحة لا تُبارَى

ولا نـكر على القـــلم الموافى إذا فى ضمها خلع العـذارا

---

(١) الشادن : ولد الظبية ، ويقال « شدن يشدن » أى قوى وترعرع ، وحاجر، والعقيق : كل منهما اسم مكان بعينه

وكتب إليه السراج الوراق يستشفع به عند فتح الدين بن عبد الظاهر :

أيا ناصر الدين انتصر لى ، وطالما ظفرت بنصر منك فى الجاه والمال

وكن شافعى فالله سماك شافعاً وطابقت أسماء بأحسن أفعال

وقدرك لم يجهله عند محمد لأن ابن عباس من الصحب والآل

وقال أيضا فى المعنى :

سيدى اليوم أنت ضيف كريم فاق مَعْناً فى جوده بمعان[1]

لو رأى الفتح سؤدد الفتح هذا ما انتمى بعده إلى خاقان[2]

أو رآه الفتح المقارب حَلى بحلاه قلائد العقيان

وكأنى أراكما فى بحار المعانى بحرين يلتقيان

وتطارحتما مذاكرةً يفتنّ منها أزاهر الأفنان

فإذا مرّ للصنائع ذكر فاجعلانى من بعض من تذكرانِ

(١٥٨)

تقى الدين شبيب ابن حمدان الحنبلى

شبيب بن حمدان ، الأديب الفاضل ، الطبيب الكحال ، تقى الدين ، أبو عبد الرحمن ، نزيل القاهرة ، أخو الشيخ نجم الدين ، شيخ الحنابلة .

ولد بعد العشرين وستمائة ، وتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة .

سمع ابن رزوبة[3] ، وكتب عنه الدمياطى ، وكان فيه شهامة وقوة نفس ، وله أدب وفضائل ، وعارض « بانت سعاد » بقصيدة منها :

إلى النبىّ رسول الله إنّ له مجدا تَسَامَى فلا عرض ولا طول

مجدا كبا الوهم عن إدراك غايته وردّ عقل البرايا وهو معقول

---

(١) أراد بمعن هنا معن بن أوس

(٢) أراد بالفتح هنا الفتح بن خاقان وزير المتوكل العباسى ، وأراد بالفتح فى البيت بعده الفتح بن خاقان الأندلسي الأديب صاحب كتاب «قلائد العقيان»

(٣) فى ب « ذوبية »

مطهر شرّف الله العبـاد به   وشاد فخرا به الأملاك جبريل
طوبى لطيبة، بل طوبى لكل فتى   له بطيب ثراها الجعد تقبيل

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : عرض علىّ ديوانه ، فانتخبت منه ماقرأته عليه ، فمن ذلك قصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

هذا مقام محمـد والمنبر   فاستَجْلِ أنوار الهداية وانظر
والثم ثرى ذاك الجنـاب معفرا   فى مسك تربته خدودكَ وافخر
واحلل على حرم النبوة واستجر   بحماه من جَوْرِ الزمان المنكر
فهناك من نور الإله سريرة   كشفت غطاء الحق للمستبصر
وجلت دُجى ظلم الضلال فأشرقت   أفقُ الهداية بالصباح المسفرِ
نور تجسم فارتـقى متجاوزا   شرفا على الفلك الأثير الأكبر

وقال أيضا رحمه الله :

انهض فزَنْدُ الصباح قد قدحا   وامزج لنا من رُضابِكَ القدحا
فالزهر كالزهر فى حـدائقه   والطير فوق الغصون قد صَدَحَا(١)
فى روضـة نَقَّطَتْ عرائسها   بدرّ قَطْرٍ فى نظمه سبحا
وصَفَّقَ المـاء فى جداوله   ورقَّصَ الغصنُ طـيره فرحا
والزِّقُّ بين السقاة تحسبه   أسْـوَدَ مستسقيا وقد ذبحا
فعاطِنِي قهـوة معتقة   تذهب كأسى وتذهِبُ التَرَحَا(٢)
بكر إذا عرّسَ النـديم بها   وافتضَّهَا المـاء سبح الفرحا
من كف رَخْصِ البنان معتدل   لو لامس المـاء خَدَّهُ جرحا(٣)

---

(١) صدح : غنى   (٢) الترح ـ بفتح التاء والراء جميعا ـ الكدر
(٣) رخص البنان ـ بفتح الراء وسكون الخاء ـ طرى الأصابع ، يريد أن أصابعه لينة ليست شثنة الأصابع ، لأنه لا يعمل بها شيئا

يسعى بخمر الدلال مغتبـقا ومن سُلافَ الشباب مصطبحا[1]

قد تَلِفَ القلب من سوالفـه وجدا إذا جدّ بالهوى مرحا

كم لى بسفح العقيق من كَلَفٍ عقيق دمع عليه قد سفحـا

وقال أيضاً رحمه الله :

وبديعة الحركات أسكنَ حبها حَبَّ القلوب لواعِجَ البرحاء

سوداء بيضاء الفعال ، وهكذا حب النواظر خُصَّ بالأضواء

أسرت محاسنها العقول فأطلقت أسرى المدامع ليـلة الإسراء

فلئن جننت بحبهـا لا بدعة أصل الجنون يكون بالسوداء

وقال أيضاً غفر اللهُ له :

أقام عُذرِى العـذارُ فيه واحتج لى قده القـويم

وصَحَّ وجـدى عليه لما أسقمنى طرفه السقـيم

فكم بنعمان من كئيب فارقه بعده النعـيم

يزيده لوعة وشـوقا حديثُ أيامه القـديمُ

وقال رحمه الله تعالى :

ومهفهف قسم الملاحـة ربُّهَا فيه ، وأبدعه بغـير مثال

فلخده النعمان روض شقائق ولثغره النَّظَّام عقـد لآلى[2]

ولطرفه الغزال إحياء الهوى وكذلك الإحياء للغـزالى

يا من رأى غزلان رامَةَ هل رأى بالله فيهم مثل طرف غزالى

يشبه قول محيى الدين بن عبد الظاهر :

أحيا عيون العاشقين بلحظه الـغزال والإحيـاء للغزالى

---

(١) الاصطباح : الشرب وقت الصباح ، والاغتباق : الشرب وقت العشى

(٢) النعمان والنظام والغزالى : أعلام أشخاص فى الأصل ، والإحياء فى الأصل اسم كتاب من مؤلفات حجة الإسلام الغزالى

(١٥٩)

شرف بن أسد ، المصرى[١] .

شرف بن أسد المصرى

شيخ ماجن ، متهتك ، ظريف ، خليع ، يصحب الكتاب ، و يعاشر الندماء ، و يشبب فى المجالس على القيان .

قال الشيخ صلاح الدين : رأيته غير مرّة بالقاهرة ، وأنشدنى له شعراً كثيراً من البلاليق والأزجال والموشحات وغير ذلك ، وكان عاميًّا مطبوعا ، قليل اللحن يمتدح الأكابر ، و يستعطى الجوائز ، وصنف عدة مصنفات فى شاشات الخليج والزوائد التى للمصريين والنوادر والأمثال ، و يخلط ذلك بأشعاره ، وهى موجودة بالقاهرة عند من كان يتردد إليهم .

وتوفى رحمه الله تعالى بعد ما تمرّض زمانا فى سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة .

قال : وأنشدنى لنفسه رحمه الله تعالى :

رمضان كلك فتوه ... وصحّ دينك عليه
وأنا ذا الوقت معسر ... وأشتهى الإرفاق ليه
حتى تروى الأرض بالنيل ... و يباع القرط بدرى
وأعطيك الدرهم ثلاثة ... وأصوم شهرين وما أدرى
و إن طلبتنى ذا الوقت ... فأنا أثبت عسرى
فامتهل واربح ثوابى ... لا تربحنى خطيه
وتخلينى أسقف ... طول نهارى للعشيه
لك ثلاثين يوم عندى ... أصبر أعطيك المثل مثلين
و إن عسفتنى ذى الأيام ... ما أعترف لك قط بالدين
وأنكرك واحلف وأقول لك ... أنت من أين وأنا من إين

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الرجال

وأهرب وأقعد فى قامه أو فى قلالى بوشيـه
وأجى فى عيد شـــوال وأستريح من ذى القضيـه
وإلاخذ منى نقـــديه فى المعجل نصف رحلك
صومى من بكره للظهر وأقاسى الموت لأجلك
وأصوم لك شهر طـوبه ويكون ذا من فضلك
إيش أنا فى رحمـــة الله من أنا بين البريه
أنا إلا عبد مقهور تحت أحكام المَشيَّة
من زبون نحس مثـــلى رمضان خـــذ ما تيسر
أنت جيت فى وقت لوكان الجنيـــد فى مثلو أفطر
هون الأمـــور ومَشِّى بعجـــــل ولا تقصر[1]
وخذ أيش ما سهل الله ما الزبونات بالسويه
اللى خذ منـــه عاجل وامهل المعسر شويه
ذى حرور تذيب القلب ونهار أطـــول مِلعَام
وأنا عنـدى أى من صام رمضان فى هـــذى الأيام
ذاك يكون الله فى عونه ويكفر عنـــه الآثام
وجميـع كلامى هـــذا بطريق الضحكيه
والله يعلم مافى قلبى والذى لى فى الطويه

قال الشيخ صلاح الدين حرسه الله تعالى : وضع حكاية حكاها لى بالقاهرة المحروسة ونحن على الخليج بشق الثعبان سنة ثمـان وعشرين وسبعمائة ، وهى : احتاز بعضُ النحاة ببعض الأساكفة ، فقال له : أبيت اللعن واللعن يأباك ، ورحم الله أمك وأباك ، وهذه تحية العرب فى الجاهلية قبل الإسلام ، لـكن عليك أفضل السلام والسلام ، ومثلك من يعز ويكرم ، قرأت القرآن ، والتفسير

---

(١) فى ث « بعلى لا تعسر »

والعنوان ، والمقامات الحريرية ، والدرة الألفية ، وكشاف الزمخشرى ، وتاريخ الطبرى ، وشرحت اللغة والعربية ، على سيبويه ونفطويه ، والحسن بن خالويه ، والقاسم بن كميل ، والنضر بن شميل ، وقد دعتنى الضرورة إليك ، وتمثلت بين يديك ، لعلك تتحفنى من بعض حكمتك ، وحُسْن صنعتك ، بنعل تقينى الحر ، وتدفع عنى الشر ، وأعرب لك من اسمه حقيقاً ، لأتخذك رفيقا ، فيه لغات مؤتلفة ، على لسان الجمهور مختلفة ، ففى الناس ، من كَنَاه بالمَدَاس ، وفى عامة الأمم ، من لقبه بالقدم ، وأهل شهرنوزه ، سموه بالسَّرموزه[1] ، و إنى أخاطبك بلغات هؤلاء القوم ، ولا إثم علىَّ فى ذلك ولا لَوْم ، والثالثة به أولى ، وأسألك أيها المولى ، أن تتحفنى بسرموزة ، أنعم من الموزة ، وأقوى من الصوان ، وأطول عمرا من الزمان ، خالية البواشى ، مطبقة الحواشى ، لا يتغير على وَشْيُها ، ولا يَرُوعنى مَشْيُها ، لا تفلت إن وطئت بها جروفا ، ولا تنقلب إن طحت بها مكانا مخسوفا ، لا تتلوق من أجلى ، ولا يؤلمها ثقلى ، ولا تمرق من رجلى ، ولا تنفرج ، ولا تنزعج ، ولا تتلقوق ولا تنبعج ، ولا تقب تحت الرحل ، ولا تتلزق بغير الفحل ، ظاهرها كالزعفران ، و باطنها كشقائق النُّعمان ، أخف من ريشة الطير ، شديدة البأس على السير ، طويلة الكعاب ، عالية الأعتاب ، لا يلحق بها التراب ، ولا يعرف بها ماء السحاب ، تصرُّ صرير الباب ، وتلمع كالسراب ، وأديمها من غير جراب ، جلدها من خالص جلود المعز ، ما لبسها ذليل إلا افتخر بها وعز ، مخروزة كخرز الخرفوش ، وهى أخف من النقوش ، مُسَمَّرة بالحديد منطقة ، ثابتة فى الأرض الزلقة ، نعلها من جلد الأفيلة الحمير لا الفطير ، وتلوز بالنزر الحقير ، فلما أمسك النحوى من كلامه ، وثب الإسكافى على أقدامه ، وتمشى وتبختر ، وأطرق ساعة وتفكر ، وتشدد وتشمر ، وتحرب وتنمر ،

---

(١) انظر الهامشة رقم ٢ فى ص ٣٧٠

ودخل حانوته وخرج ، وقد داخله الحنق والحَرَج ، فقال له النحوى: جئت بما طلبتُه ؟ قال: لا بل بجواب ماقلته، فقال :قل وأوجز، وسجع ورجز، فقال : أخبرك أيها النحوى أن البشر سابخورى شطبطاب المتقوقل ، والمتعيب من جانب الشرشنكل، والديوك تصهل كنهيق زقازيق الصوبجانات ، والخرفوق هو الفرتاح ببيض القرقيطق والزعرير حواحلتبوا و ياخير من الطير تجنح بشمردلوخاط الركبكوا شاع الخبربر يجفوا الترتاح بن بينوشاح على نوى بن شميدوخ على لسان القروان مازلوخ أنك كيت أرض برام المقلطخ بالشمردكند مخلوط والزيبق بحبال الشمس مربوط فلعل بشعلعل مات السكر كبدوس أدعوك فى الوليمة يا تيس تس يا حمار بهيمة ، أعيذك بالزحزاح ، وأبخرك بحصى لبان المستراح ، وأرقيك برقوات مرقاة قرقورات البطون ، لتتخلص من داء البرسام والجنون ، ونزل من دكانه ، مستغيثا بجيرانه ، وقبض لحية النحوى بكفيه ، وخنقه بأصبعيه حتى خر مغشيا عليه ، وبربر فى وجهه وزمجر، ونأى بجانبه واستكبر، وشخر ونخر، وتقدم وتأخر ، فقال النحوى : الله أكبر الله أكبر ، ويلك ياهذا العقان ، قال من هذا الهذيان . والسلام .

(١٦٠)

شعيب بن محمد المعري، المعزى

شعيب بن محمد بن محمد بن محمد بن ميمون ، المزى[1] ، المعرى الأصل .

قال الشيخ أثير الدين : نشأ المذكور بالقاهرة ، ومولده بساحل أبى الحجار بموضع يسمى قرعفتر ثانى عشر القعدة سنة ستين وستمائة ، فأنشدنا من نظمه رحمه الله تعالى :

هَزُّوا الغصونَ معاطفا وقدودا   وجنوا من الورد الجَنِيِّ خدودا

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الرجال

وتقلّدوا فترى النجومَ مَبَاسِمًا وتبسَّمُوا فترى الثغور عُقودَا
وغدا الجمال بأسره فى أسْرِهِمْ فتقاسموه طارفا وتليدا
فإذا سفرن أهلة وإذا سرحن جآذرا وإذا حملن أسودا
وإذا لووا زَرَدَ العذار على القنا جعلوا اللوى فوق العقيق زرودَا
رحلوا من الوادى فما لنسيمه أرج ولم أرفى رُباه الغيدا
وذوت غصونُ البان فيه فلم تَمِسْ طربا ولم أسمع به تغريدا
فكأنما هم بانهُ وغصونهُ وظُبَبَا رباه وظِـلّه ممدودا
نصبوا على ماء العذيب خيامهم فلأجْلِهِمْ عَذُبَ العذيب ورودا
وتحملت ريح الصبا من عَرْفهم مسكا يَضُوعُ به النسيم وعُودَا

(١٦١)

شقيق بن إبراهيم، البلخي الصوفى

شقيق بن إبراهيم، الأزدى، البَلْخِى، الزاهد [١].

أحد شيوخ التصوف، صاحب إبراهيم بن أدهم.

توفى سنة أربع وتسعين ومائة.

له كلام فى التوكل معروف، حدّث عن إبراهيم بن أدهم وأبى حنيفة وإسرائيل بن يونس بن أبى إسحاق وغيرهم، وروى عنه حاتم الأصم وابنه محمد ابن شقيق ومحمد بن أبان البَلْخى مُسْتَمْلى وكيع وغيرهم، وهو من أشهر شيوخ خراسان إلى هدى الطريق.

قال له إبراهيم بن أدهم وهو بمكة: ما بَدْءُ أمرك الذى بلغك إلى هذا؟ فذكر أنه رأى فى بعض الفَلَوات طائرا مكسور الجناحين، أتاه طائر صحيح الجناح،

(١) له ترجمة فى الطبقات الكبرى للشعرانى ١/٨٨، وقال عنه «له لسان فى التوكل، حسن الكلام، وقيل: إنه أول من تكلم فى علم الأحوال بكورة خراسان، صحب إبراهيم بن أدهم، وأخذ عنه طريقته، وهو أستاذ حاتم الأصم» وله ترجمة فى الرسالة القشيرية ١٦ بولاق

فى منقاره جرادة ، فتركتُ التكسب ، واشتغلت بالعبادة ، فقال له إبراهيم : ولِمَ لا تكون أنت الطائر الصحيح ، الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون أفضل منه ؟ أما سمعت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » . ومن علامة المؤمن : أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار ، فأخذ شقيق يد إبراهيم ، فقبلها ، وقال : أنت أستاذنا ، يا أبا إسحاق .

وقال حاتم : كنا مع شقيق فى مَصَافِّ نحارب الترك فى يوم لا نرى فيه إلا رؤوسا تطير ، ورماحا تقصف ، وسيوفا تقطع ، فقال لى : كيف ترى نفسك يا حاتم فى هذا اليوم ؟ تراه مثل ما كنت فى الليلة التى زُفَّتْ إليك امرأتك ؟ قال : لا والله ، قال : لكنى والله أرى نفسى هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ، ثم نام بين الصفين ، ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه .

ومات فى غزوة كوملان سنة أربع وتسعين ومائة .

قال أبو سعيد الخراز : رأيت البلخى فى النوم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، غير أننا لا نلحقكم ، قلت : ولم ذاك ؟ قال : لأنا توكلنا على الله بوجود الكفاية ، وتوكلتم بعدم الكفاية ، قال : فسمعت الصُّرَّاخ : صَدَقَ ، صدق ، فانتبهت ، وأنا أسمع الصراخ .

(١٦٢)

أبو الهيجاء شفهفيروز الشاعر

شَفَهْفَيرُوز بن شعيب بن عبد السيد بن منصور ، أبو الهيجاء ، الشاعر[1] .

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ١١/٢٧٢ ، قال « أبو الهيجاء الأصفهانى كان أديبا فاضلا شاعرا مجيدا فى النظم والنثر ، له مقامات أنشأها سنة تسعين وأربعمائة وأخذ عن أبى جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره ، ومات سنة ثلاثين وخمسمائة » ثم ذكر نماذج من شعره ، ووقع فى ب ، ث « شفيهفيرور » تحريف ، وما أثبتناه عن المعجم

كان أديبا فاضلا شاعراً ، أنشأ مقامات أدبية ، وسمع من أبى جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره ، توفى سنة ثلاثين وخمسمائة .

ومن شعره[١]:

وساقٍ بِتُّ أشرب من يديه   مشعشعة بلون كالنجيع[٢]

لحمرتها وحمـــرة وجنتيه   ونور الكأس فى نار الشموع[٣]

ضياء حارت الأبصار فيـه   بديـع فى بديـع فى بديـع

---

(١) ومن شعره أيضا :

لا أستلذ العيش لم أدأب له   طلبا وسعيا في الهواجر والغلس

وأرى حراما أن يواتينى الغنى   حتى يحاول بالعناء ويلتمس

فاحبس نوالك عن أخيك موفرا   فالليث ليس يسيغ إلا ما افترس

(٢) المشعشعة : الخمر الممزوجة بالماء ، قال عمرو بن كلثوم :

مشعشعة كأن الحص فيها   إذا ما المـاء خالطها سخينا

والنجيع : الدم

(٣) فى معجم الأدباء « فى نور الشموع »

حرف الصاد المهملة

(١٦٣)

صاعد بن هبة الله بن توما

صاعد بن هبة الله بن توما (١) ، النصرانى ، من أهل بغداد ، وهو من الأطباء المتميزين .

وكان طبيب نجاح الشرابى(٢) ، وارتقت به الحال إلى أن صار وزيره وكاتبه ، ثم دخل على الخليفة الناصر ، وكان يُشَارِكُ مَنْ يحضر من أطِبَّائه أوقات أمراضه ، وحظى عنده ، وسلم إليه عدة جهات يخدم بها .

وقتل سنة ستمائة ، حضر إليه جماعة من الأجناد الذين كانت أرزاقهم تحت يده ، فخاطبهم ببعض ما فيه مكروه ، فكَمَنَ له اثنان منهم ، وقتلاه بالسكاكين .

وأمر الناصر بحمل ما فى خزانته من الأموال إلى الخزانة ، وتبقى القماش والأملاك لولده ، وكان الذى حمل من خزانته ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار ، وبقى الأثاث والأملاك بمايقارب تتمة الألف [ألف] دينار .

وكان من ذوى المروآت ، حَسَنَ الوساطة ، جميل المحضر ، قضيت على يديه حاجات .

وقال ابن القِفْطِى : إن الإمام الناصر حصل له ضَعْف فى بصره ، وسهو فى بعض الأوقات ، لأحزان توالت على قلبه ، ولما عجز عن النظر فى القصص استحضر امرأة من النساء تعرف بست نسيم ، وكان خطها قريبا من خطه ، وَجَعَلها بين يديه تكتب الأجوبة فى الرقاع ، وشاركها فى ذلك الخادم تاجُ الدين رشيق ، ثم تزايد الأمر بالناصر ، فصارت المرأة تكتب بما تراه ، فتارة تصيب ، وتارة تخطىء ، ويشاركها رشيق فى ذلك ، فاتفق أن الوزير مؤيد الدين القمى كتب مطالعة ، فعاد جوابها وفيه اختلال بين ، فأنكر

---

(١) له ترجمة فى أخبار الحكماء للقفطى (١١٤ مصر) وسماه « صاعد بن يحيى ابن هبة الله بن توما، النصرانى ، أبو الكرم، البغدادى » وله ترجمة فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة (٣٠٢/١)

(٢) فى عيون الأنباء « أنه كان طبيب نجم الدوله أبى اليمن نجاح الشرابى .

الوزير ذلك ، فوقفه صاعد المذكور على ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطارئ عليه فى أكثر أوقاته وما تعتمده المرأة والخادم فى الأجوبة ، فتوقف الوزير عن العمل بأكثر الأمر ، وتحقق المرأة والخادم ذلك ، وحُدِّثا أن الطبيب هو الذى دل على ذلك ، فقرّر الخادم مع رجلين من الجند أن يغتالا الحكيم ويقتلاه.

وكانت قتلته سنة عشرين وستمائة ، وأمسك قاتلاه وصلبا .

(١٦٤)

صالح بن عبد القدوس الشاعر

صالح بن عبد القُدُّوس بن عبد الله بن عبد القدوس[1] .

استقدمه المهدى من دمشق .

قال المرزبانى : كان حكيم الشعر ، زنديقاً ، متكلما ، يقدمه أصحابه فى الجدال عن مذهبهم ، وقتله المهدى على الزندقة شيخاً كبيراً ، وهو القائل :

ما تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

وقال أحمد بن عدى : صالح بن عبد القُدُّوس بصرى ، ممن كان يعظ الناس فى البصرة ويقص عليهم ، وله كلام حسن فى الحكمة .

ومن شعره :

يا صَاحِ لو كرهَتْ كفى منادمتى ... لقلت إذ كرهت كفى لها بِينِى

لا أبتغى وصل من لا يبتغى صلتى ... ولا أبالى حبيباً لا يبالينى

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

أنِسْتُ بوحدتى ولزمت بيتى ... فتم العِزُّ لى ونما السرور

وأدبنى الزمان فليت أنى ... هجرت فلا أزار ولا أزور

ولست بقائل ما دمت حياً ... أقام الجند أم نزل الأمير

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (٦/١٢) وفى تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب البغدادى (٩/٣٠٣)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا يعجبنك مَنْ يصون ثيابه حذر الغبار وعرضُهُ مبـذولُ
ولربما أفتقر الفتى فرأيتـه دنس الثياب وعرضه مغسول

وضربه المهدى بيده بالسيف فجعله نصفين ، وعلق ببغداد .

قال أحمد بن عبد الرحمن : رأيت ابن عبد القدوس فى المنام ضاحكا ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ وكيف نجوت بما كنت تُرْمَى به ؟ قال : إنى وَرَدْتُ على ربٍّ ليس يخفى عليه خافية ، وإنه استقبلنى برحمته ، وقال : قد علمت براءتك مما كنت ترمى به .

(١٦٥)

أبو بحر صفوان بن إدريس

صفوان بن إدريس ، أبو بحر ، الكاتب البليغ[١] .

كان من جلة الأدباء ، وأعيان الرؤساء ، فصيحاً ، جليل القدر ، له رسائل بليغة ، وكان من الفضل والدين بمكان ، توفى وله سبع وثلاثون سنة .

ومن شعره :

يا حسنه والحسن بعضُ صفاتِهِ والسحر مقصـور على حركاته
بدر لَوَ انّ البـدر قيل له اقْـتَرِحْ أَمَلاً لقال أكون من هالاته[٢]
والخال ينقُطُ فى صحيفة خـده ما خط حبر الصُّـدْغ من نوناته
وإذا هـلالُ الأفقِ قابل وجهه أبصرته كالشكل فى مرآته
عبثَتْ بقلب محبـه لحظاته يا رب لا تعبث على لحظـاته
ركب المـآثم فى انتهاب نفوسنا فالله يجعلهنَّ من حسـناته
ما زلت أخطب للزمان وصاله حتى دنا والبعد من عاداته

---

(١) له ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت (١٢/١٠) وفى « نفح الطيب ، من غصن الأندلس الرطيب » للمقرى (٦/٣٦٥ — ٣٧٦ بتحقيقنا)

(٢) الهالات : جمع هالة ، وهى دارة القمر

فغفرت ذنب الدهر منه بليلة غطت على ما كان من زلاته

غفل الرقيب فنلت منه نظرة يا ليته لو دام فى غفلاته

ضاجعته والليل يذكى تحته نارين من نفسى ومن وجناته

بتنا نشعشع والعفاف نديمنا خمرين من غزلى ومن كلماته

حتى إذا ولع الكرى بجفونه وامتد فى عضدى طوع سناته (١)

أوثقته فى ساعدى لأنه ظبى خشيت عليه من فلتاته (٢)

فضممته ضم البخيل لماله يحنو عليه من جميع جهاته

عزم الغرام على فى تقبيله فنقضت أيدى الطوع من عزماته

وأبى عفافى أن أقبل ثغره والقلب مطوى على جمراته

فاعجب لملتهب الجوانح غلة يشكو الظما والماء فى لهواته (٣)

وقال من قصيدة رحمه الله :

حكمتم زمناً لولا اعتدالكم فى حكمكم لم يكن للحكم يعتدل

فإنما أنتم فى أنفه شمم وإنما أنتم فى طرفه كحل (٤)

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا لأن خرصانها من فوقها مقل (٥)

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أحمى الهوى خده وأوقد فهو على أن يموت أوقد (٦)

وقال عنه العذول سال قلده الله ما تقلد

وباللوى شادن عليه جيد غزال ووجه فرقد

---

(١) ولع : أغرم وأولع ، والكرى ـ بالفتح مقصورا ـ النوم

(٢) فى ب،ث « أوسقته » بالسين

(٣) الغلة ـ بالضم ـ حرارة الباطن من عشق أو عطش أو نحوهما

(٤) الشمم ـ بالتحريك ـ ارتفاع قصبة الأنف . والكحل ـ بالتحريك ـ اسوداد العين خلقة (٥) كذا ، ولعله « لأن حراسها من فوقها مقل »

يريد أو قد مات ، أى : أنه مات أو قارب الموت

عَلَّله ريقـــــه بخمر حتى انثنى طرفه وعَرْبد
لا تعجبوا لانهزام صبرى فجيش أجفـانه مؤيد
أماله كالذى تَمَنَّى عَبْدٌ ، نعَمْ عبده وأزيد
له علىّ امتثال أمر ولى عليـه الجفاء والصدّ
إن سَلَّمت عينـه لقتلى صَلَّى فؤادى على محمد

وعارضها شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصارى الآتى ذكره فى حرف العين إن شاء الله تعالى بقصيدة بديعة ، وهى :

ويلاه من غمضىَ المشرّدْ فيك ومن دمعىَ المردّدْ[(١)]
يا كامل الحسن ليس يُطْفِى نارى سوى ريقك المبرّدْ
يا بَدْرَ تمّ إذا تجـلى لم يُبْقِ عذرا لمن تجلد[(٢)]
أبديت من حالىَ المورّى لما بدا خدّك المورد
رفقا بِوَلْهَانَ مستهام أقامه وجده وأقعـــد
مجتهدا فى رضاك عنـه وأنت فى إثمه المقـــلد
ليس له منزل بأرض عنك ولا فى السماء مَصْعَدْ
قيدته فى الهوى فتمم واكتب على قيده مخلد
بان الصِّبَا عنه فالتصابى أنشأ أطرابه فأنشد[(٣)]
من لى بطفل حديث سحر بابل عن ناظريه مُسْنَدْ
شتت عَنِّى نظام عقلى تشتيت ثغر له مُنَضَّدْ
لو اهتدى لائمى عليه ناح على نفسه وعـدّد
ألبسنى نشوة بطَرْفٍ سكرت من خمره فعربد

---

(١) الغمض ـ بفتح الغين وتضم ـ النوم . والمشرد : النافر
(٢) تجلد : تكلف التصبر
(٣) التصابى : تصنع الصبوة والميل إلى محاب النفس

لا سَهْمَ لى فى سديد رأى يحرس من سهمه المسَدَّد
غصن تَقَاْحَلَّ عقد صبرى بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصـائم صـلى على محمد
خير نبىّ نبيـهُ قَدْرِ عَوْذِى إلى المدح فيه أحمد

ومن هٰهُنَا خلص إلى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن شعر صَفْوَان :

والسرحة الغناء قد قبضت بها كفّ النسيم على لواء أخضر
وكأنّ شكل الغيم مِنْجَلُ فضةٍ يرمى على الآفاق رَطْبَ الجوهر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وكأنما أغصانهـا أجيادها قد قلدت بلآلئ الأنوار
ما جاءها نَفَسُ الصبا مستجديا إلا رَمَتْ بدراهم الأزهار

وقال فى مليح يرمى نارنجا فى بركة :

وشادن ذى غَنَجٍ دله يروقنا طورا وطورا يَرُوع
يقذف بالنارنج فى بركة كلاطخ بالدم سَرْد الدروع
كأنهـا أكباد عشّاقه يقذفها فى لج بحر الدموع

وقال أيضاً رحمه الله :

أولع من طَرْفِهِ بِحَتْفِى هل يعجب السيف للقتيل (١)
تهيبوا بالحسام قتـلى فاخترعوا دعوة الرحيل

(١) الحتف ـ بالفتح ـ الهلاك

حرف الضاد المعجمة

(١٦٦)

ضياء الدين
ابن إبراهيم
القناوى
النحوى

ضياء الدين[1] بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة ، القناوى ، النحوى ، اللغوى ، العروضى ، أبو الحسن .

قال شهاب الدين القوصى : أنشدنا ضياء الدين القناوى[2] سنة تسع وتسعين وخمسمائة قصيدته اللغوية التى نظمها ورسمها بـ«اللؤلؤة المكنونة ، واليتيمة المَصُونة» فى الأسماء المنكرة ، وهى :

وصفت الشعر من يفهم ... يُخَبِّرُنِى بما يعلم
يخبرنى بألفاظ ... من الإغراب ما الدهثم[3]
فما الإقليد والتقليد ... والتهنيد والأهتم[4]
وما النهاد والأهدا ... م والأسمال والعيهم[5]
وما الألغاد والإخرا ... د والأفراد والمكرم[6]

---

(١) هذا العلم قد وقع فى آخر حرف الشين المعجمة ، خطأ ، وقد نقلناه إلى هنا لأن الكتاب مرتب على حروف المعجم

(٢) فى ب ، ث «القوصى»

(٣) الدهثم — بزنة جعفر — المكان الوطىء السهل ، ورجل دهثم : سهل الخلق

(٤) الإقليد : المفتاح ، وبرة الناقة . والتقليد : إلزام الأمر ، وأن تجعل فى عنق الناقة شعارا يعلم به أنها هدى ، والتهنيد : التتيم والملاينة ، وشحذ السيف ، والأهتم : الذى ألقى مقدم أسنانه ، ولقب سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر

(٥) النهاد : القوى النهوض لعدوه والصمود له ، والأهدام : جمع هدم — بالتحريك — وهو الشيء المهدوم ، أو جمع هدم — بالكسر — وهو الثوب الخلق ، والأسمال : جمع سمل — بالتحريك ، وهو الخلق القديم البالى ، ووقع فى ب ، ث « الأسماك » بالكاف ، والعيهم — بزنة جعفر — الدرعة ، وناقة عيهم : سريعة

(٦) الألغاد : جمع لغد — بالضم — وهو لحمة فى الحلق ، والإفراد : بكسر الهمزة طول السكوت ، وبفتح الهمزة جمع فرد — بزنة كتف — وهو الحيي والذليل ، والأفراد : جمع فرد — بالفتح — وهو من لا نظير له ، وهو أيضا المنحر

وما الدقراس والمـرداس والقداس والأعـلم[١]

وما الأوحاص والأدراص والقراص والأترم[٢]

وما اليعضـيد واليعقيـد والتدمين والأرقم[٣]

وما الإنكار والأنـكاث والأعلام والأقضم[٤]

وما الأوغال والأوغاد والأوغاب والأقصم[٥]

وما المنهوس والملهـوس والهملوس والدلثَمْ[٦]

---

(١) الدقراس : لم أعثر عليه ، والمرداس : الرأس ، وأبو العباس بن مرداس السلمى ، والصخرة يرمى بها . والقداس : الحجر ينصب وسط الحوض إذا غمره الماء رويت الإبل ، والأعلم : المشقوق الشفة .

(٢) الأوحاص : جمع وحصة ـ بالفتح ـ وهى العلة ، ووقع فى ب، ث «الأوخاص» بالخاء معجمة ، والأدراص : جمع درص ـ بالفتح أو بالكسر ـ وهو ولد الفأر ، والقراص : جمع قارص ، وهو اللبن الحامض ، والأترم : لم أجده

(٣) اليعضيد : بقلة زهرها أشد صفرة من الورس ، وقيل: بقلة من بقول الربيع فيها مرارة ، واليعقيد : عسل يعقد حتى يخثر ،وقيل : هو طعام يعقد بالعسل، والتدمين مصدر « دمن القوم الموضع » أى سودوه ، و « دمنت الماشية المكان » بعرت فيه وبالت ، والأرقم : الثعبان

(٤) الإنكار : مصدر « أنكره » أى جهله ، أوجحده حقه ،والأنكاث :جمع نكث ـ بالكسر ـ وهو ما نقض من الحبال ليفتل ثانية ، والإعلام : بفتح الهمزة جمع علم وهو الجبل ، والأقضم : المتفلل المتكسر

(٥) الأوغال : جمع وغل ـ بالفتح ـ وهو الضعيف النذل الساقط المقصر فى الشىء والأوغاد : جمع وغد ، وهو الأحمق والدنىء ، والأوغاب : جمع وغب وهو سقط المتاع ، والأقصم: الذى انكسرت ثنيته من النصف

(٦) تقول «رجل منهوس القدمين » تريد أنه معرقهما ، وتقول «هذا إكاف ملهوس الأحناء » تريد أنه نحت ما كان فيه من أود وارتفاع ونتوء ، والملهوس أيضا المدرك بحاسة اللمس ، والهملوس لم أعثر عليه ، والدلثم : السريع ، ووقع فى ب، ث « الدثلم » تحريف ما أثبتناه .

وما الأوباش والأوشا ب والإيباش والقيهم [1]
وما الإيهات والرميت والضفنان والأورم [2]
وما الجرفاس والدروا س والبرشاع والموصم [3]
وما الأدرام والعوا د والمِمعاد والأدلم [4]
وما الضَّرَبان والقِدْما ن والميدان والديلم [5]
وما اليؤيؤُ والضئضى ء والهلباجة الخوقم [6]

---

(١) الأوباش : الأخلاط والسفلة ، واحدهم وبش ـ بالتحريك ـ والأوشاب : الأخلاط والضروب المتفرقة من الناس ، واحدهم وشب — بالكسر — والإيباش : مصدر « أوبش الرجل إيباشا » إذا أسرع

(٢) الإيهات : مصدر « أيهت اللحم » أى أنتن ، والرميت : لم أعثر عليه والضفنان : جمع ضفن — بكسر الضاد والفاء جميعا وتشديد النون — وهو الأحمق ووقع فى ب ، ث « الضغنان » تحريف .

(٣) الجرفاس — بزنة القرطاس — الرجل الضخم الشديد ، والجمل العظيم ، والأسد الهصور ، والدرواس : الكبير الرأس من الكلاب ، والجمل الغليظ العنق ، والأسد ، والشجاع ، والبرشاع : السيء الخلق ، والمنتفخ الجوف الذى لا فؤاد له ، وقيل : هو الأحمق الطويل ، وقيل : هو الأهوج الضخم الجافى ، والموصم : مصدر ميمى فعله « وصمه يصمه » إذا عابه

(٤) الأدرام : جمع درمة — كنبقة — وهى الأرنب ، والدرع اللينة ، والعواد : الكثير الرجوع إلى الشىء ، وهو أيضا الضارب بالعود ، والمعاد : الشديد الاجتذاب ، ووقع فى ب ، ث « المعاد » بميم واحدة ، والادلم : الشديد السواد من الناس ومن الجبال

(٥) ضربان الدهر — بفتحات — حوادثه ، والقدمان — بكسر القاف وسكون الدال — مصدر من مصادر « قدم الرجل من سفره » أى عاد ، والميدان ـ بفتحات ـ مصدر « مادت الأرض » أى اضطربت ، والديلم : الداهية ، ومجتمع النمل . وجيل من الناس

(٦) اليؤيؤ ـ بضم الياءين بزنة قنفذ ـ من جوارح الطير يشبه الباشق ، وهو أيضا رأس المكحلة ، والضئضىء ـ بكسر الضادين بزنة زبرج ـ الأصل ، يقال « فلان من ضئضىء معد » أى من أصلهم ، والهلباجة : الأحمق الضخم الفدم الأكول الجامع لكل شر ، وهو أيضا اللبن الثخين ، والخوقم : لم أعثر عليه

وما المعـــرور والقدمو س والفـثراء والأرثم (١)
وما الإذعان والإقـرا ن والأفــدان والمنهم (٢)
وما الذيفـان والمأخـو ن والذيال والأريم (٣)
وما الإعداق والإغـدا ق والأوزام والضرغم (٤)
وما الشماذ واللــوا ذ والجــلاذ والحيضم (٥)
وما الهدام والأســدا م والأرزام والأرسم (٦)
وما الأحظال والأكرا د والأشراط والأرذم (٧)

---

(١) المعرور: المصاب بالجرب ، والقدموس ـ بضم القاف ـ القديم ، والأرثم : الذى ابيض طرف أنفه من الخيل ، ولم أعثر على الفثراء

(٢) الإذعان : مصدر « أذعن له » أي خضع ، والإقران : مصدر « أقرن فلان للأمر » أى أطاقه ، وفى القرآن الكريم : (وما كنا له مقرنين) والأفدان : جمع فدن ـ بفتح الفاء والدال جميعا ـ وهو القصر ، والمنهم : يجوز أن يكون مصدرا ميميا بمعنى النهم وهو كثرة الأكل

(٣) الذيفان : بكسر الذال ـ السم القاتل ، ولم أعثر على المأخون ، والذيال : الطويل الذيل من الخيل، والأريم : أفعل تفضيل فعله «رام عن الشىء يريم» أى تباعد

(٤) الإعداق ـ بالعين المهملة ـ مصدر «أعدق يده» أدخلها فى نواحى البئر والحوض ، والإغداق ـ بالغين المعجمة ـ مصدر « أغدق عليه فضله » أى أكثره والضرغم ـ بزنة جعفر ـ الأسد كالضرغام والضرغامة

(٥) الشماذ : مبالغة شامذ الذى هو اسم فاعل فعله «شمذ إزاره» من باب ضرب ـ أى شمره ، واللواذ : مبالغة لائذ ، أى عائذ ، والجلاذ : لم أعثر على معناه ، وكذلك الحيضم

(٦) الأسدام : جمع سدم ـ بزنة كتف أو عنق ـ وهو المتدفق من الماء ، والأرزام : جمع رزم ـ بزنة صرد ـ وهو الثابت القائم علي الأرض ، والأسد ، والأرسم : الردىء من الرجال ، أو الذى لونه غبرة فى سواد

(٧) الأحظال : جمع حظل ـ بزنة كتف ـ وهو المقتر الذى يحاسب أهله بما ينفق عليهم ، والأكراد : جمع كرد ـ بالفتح ـ وهو العنق أو أصله ، والأرذم : العظم يسيل مخا وودكا

وما الزعــرور والمبزو　　ر والشعرور والأعْصَم(١)

وما الدقـرور والصعرو　　ر والقيدور والمسـنَّم(٢)

وما التعريس والتغـويــر والتنتيــر والأشرم(٣)

وما الإرعاف والإترا　　ف والعقـدود والمـبرم(٤)

وما الحِيطان والبُـدَّا　　نِ والصِّيران والمرزم(٥)

---

(١) الزعرور — بزنة عصفور — شجر ، وقالوا « رجل زعرور » أى سىء الخلق ، والمبزور — بالباء — مثل المبذور ، وقد يكون « المنزور » بالنون — أى القليل ، والشعرور : أدنى الشعراء ، ويقال له رابع الشعراء ، والأعصم من الظباء : ما فى ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر

(٢) الدقرور — بالضم — فأس تحتفر بها الأرض ، والصعرور : الصمغ الطويل الدقيق ، وهو أيضا أول ما يحلب من اللبأ ، والقيدور : لم أعثر عليه ، والمسنم — بزنة المكرم — البعير الذى أكل الكلأ حتى عظم سنامه

(٣) التعريس : النزول فى آخر الليل ، والتغوير : إتيان الغور ، وغروب الشمس والقمر والنجوم ، والتنتير : تغليظ الكلام ، لكن المستعمل بهذا المعنى نتر من باب نصر ، والأشرم : المشروم الأنف ، ولقب أبرهة بن الصباح الحبشى ، لقب به لانشرام أنفه

(٤) الإرعاف : مصدر « أرعف القربة » إذا ملأها حتى يفيض الماء منها ، و « أرعف فلان فلاناً » إذا أعجله ، والإتراف : مصدر « أترف الرجل » إذا أصر على البغى ، و « أترفت النعمة زيداً » إذا نعمته ، والعقدود : لم أعثر عليه ، وربما كان « العقدد » بزنة قنفذ أو بفتح أولى الدالين ، وهو الرجل اللئيم الجبان القاعد عن المكارم ، والخامل .

(٥) الحيطان : جمع حائط ، وهو الجدار ، سمى بذلك لأنه يحوط ما فيه ، وهو أيضاً البستان ، وكان قياس الجمع أن يقال « حوطان » لأن عين الكلمة واو ، هكذا قال سيبويه . والبدان : تثنية بد — بضم الباء وتشديد الدال — وهو الصنم ، والنظير ، والصيران : جمع صوار — وقد يقال صيار ، بكسر الصاد فى المفردين — وهو القطيع من البقر ، والمرزم — بضم الميم وكسر الزاى — الأسد ، والمرزم — بزنة المنبر — ما يجمع فيه الشىء ، وأم مرزم : ريح الشمال

وما الدَّعْـــداع والمِذْيا ع والإفــراع والخَلْجَم[1]
وما الأعفاج والأمرا ض والشِّرْيان والأطخم[2]
وما الأصداع والأحلا م والأوخام والميـــلم[3]
وما الأرماس والأكرا س والعَسْقُدُ والمنجم[4]

---

(١) الدعداع : القصير ، وسير دعداع : فيه بطء والتواء ، والمذياع : الذى لايكتم السر ، والإفراع : الانحدار من الجبل ، والخلجم ـ بزنة جعفر ـ الطويل ، ووقع فى ب « الحلجم » وفى ث « الحلحم » ولم أعثر عليهما

(٢) الأعفاج : جمع عفج — بوزن كتف أو أسد أو كلب أو قرد — وهو ماينتقل الطعام إليه بعد المعدة ، والأمراض : جمع مرض ، وهو كل ماخرج بالإنسان عن حد الصحة من علة وفتور ونحوهما ، ويقال : هو فساد المزاج ، والشريان بفتح الشين أو كسرها — شجر القسى ، وواحد شرايين البدن وهى عروقه النابضة ، والأطخم : مقدم خرطوم الإنسان والدابة ، وهو أيضا كبش رأسه أسود وسائره كدر

(٣) الأصداع : جمع صدع — بالتحريك — وهو الفتى الشاب القوى من الظباء والحمير والإبل والأوعال ، وهو أيضا المتوسط بين الطويل والقصير وبين السمين والهزيل وبين الفتى والمسن ، والأحلام : جمع حلم — بالكسر — وهو العقل ، وفى القرآن الكريم : (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) والأوخام : جمع وخم — بزنة كتف أو كلب — وهو الرجل الثقيل الكثيف ، والميلم : لم أعثر عليه ، وقد يكون محرفا عن « مهيم » وهى كلمة يستفهم بها ، ترادف ماأمرك أو ماحالك أو ما شأنك ، وقد تكون محرفة عن «ملهم» وهو اسم قرية من قرى اليمامة معروفة ، واسم أرض قال فيها طرفة بن العبد :

يَظَلُّ نِساء الحَىِّ يَعْكُفْنَ حَوْلَهُ يَقُلْنَ عَسِيبٌ مِنْ سَرَارَةِ مَلْهَمَا

(٤) الأرماس : جمع رمس ، وهو مثل القبر وزنا ومعنى ، والأكراس : جمع كرس — بالكسر — وهو أبيات من الناس مجتمعة ، ويقال : هو الجماعة من أي شىء كان ، وهو أيضا الأصل ، والعسقد — بزنة قنفذ — الطويل الأحمق والتار الجافى ، ووقع فى ب ، ث «العسقود» وقد يكون زاد فيه واوا ، والمنجم معروف

وما الصِّرْدَان والصَّرَفَا ن والصرعَانِ والأسجم[1]
وما الصريع والتِّمْـــرا د والشِّمْلال والأرْنَم[2]
وما الأعشـار والتِّقْصا ر والأشصار والأخزم[3]
وما الغُضْروف والشُّرْسو ف والهيـكون والفيـلم[4]
وما الأنْزَاح والقَــلاَّ ص والإكراء والمُقْـدِم[5]

---

(١) الصردان — بكسر الصاد وسكون الراء — جمع صرد ، وهو طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ، ويكنى بأبى كثير ، والصرفان — بفتحات — الموت ، والنحاس ، والرصاص ، وتمر رزين ، والعبيد ، والصرعان — بالفتح — إبلان ترد إحداهما حين تصدر الأخرى لكثرتها ، وهما أيضا الليل والنهار ، أو الغداة والعشية : من غدوة إلى الزوال صرع ، ومن الزوال إلى الغروب صرع آخر ، وقالوا « أتيت فلانا صرعى النهار » يريدون أتيته غدوة وعشية ، والأسجم : الجمل الذى لا يرغو

(٢) وقع فى ب ، ث « الصريع » وهو واحد الصرعى ، وهو أيضاً القوس لم ينحت منه شىء ، والسوط ، وقد يكون أصل الكلمة « التصريع » وهو فى الشعر تقفية المصراع الأول من البيت ليماثل المصراع الأخير منه ، والتمراد — بالكسر — برج صغير للحمام ، وقيل : بيت صغير فى بيت الحمام ليبيض فيه ، فإذا جعلت نسقا بعضها فوق بعض فهى التماريد ، والشملال — بالكسر — ضد اليمين كالشمال والشيمال ويقال « جمل شملال » أى سريع ، و « ناقة شملال » خفيفة سريعة ، والأرنم : الأجهر صوتاً ، من الرنم — محركة — أي الصوت كالرنيم ، ووقع فى ب ، ث « الأريم »

(٣) أعشار الجزور : الأنصباء ، وقالوا « قدر أعشار » أى مكسرة على عشر قطع ، وقيل : معناه أنها عظيمة لا يحملها إلا عشرة ، والتقصار — بالكسر — القلادة ، والأشصار : جمع شصر — بالتحريك — وهو الظبى إذا قوى وتحرك ، والأخزم : الحية الذكر ، وعلم رجل

(٤) الغضروف — ومثله الغرضوف — كل عظم رخص يؤكل ، والشرسوف : سقط الضلع ، وهو البعير المقيد ، والداهية ، والشدة ، والهيكون : لم أعثر عليه ، والفيلم — كجعفر — الرجل العظيم ، والجبان ، والبئر الواسعه الفم ، والمشط

(٥) الأنزاح : جمع نزح — بالتحريك — وهو الماء الكدر ، والبئر التى نزح أكثرها أو التى لا ماء فيها ، والقلاص — بفتح القاف وتشديد اللام — حالب =

وما الدَّفــلاء والقَمْدَا ء والجَلْفَــاء والأخطم(١)
وما الســاعور والساقو ر والأسروع والأضجم(٢)
وما الإبداء والأعـدا ء والأكتاف والأهيم(٣)
وما الظنبوب والعكمو ز والجعبوب والأشيم(٤)

= القلوص ، وهو أيضا الشديد الوثب ، والإكراء : مصدر «أكرى الشىء» أى زاد أو نقص ، ضد ، و « أكرى فلان فى طاعة الله » سهر ، و «أكرى الأمر» أخره ، و «أكرى الحديث» أي أطاله ، ومقدم الرحل — بضم الميم وسكون القاف وكسر الدال — قادمته ، وهو أيضاً اسم فاعل فعله « أقدم فلان على المكروه » أى هجم عليه وأقبل

(١) الدفلاء : لم أعثر عليها ، ويغلب على الظن أنها محرفة عن «رفلاء» بالراء ــ وهى الحمقاء ، يقال « رجل أرفل » و « امرأة رفلاء » والقمداء : الطويلة العنق ، وقيل : هى ضخمة العنق فى طول ، وقيل : هى الطويلة عامة . والجلفاء ــ بالفاء ــ لم أعثر عليها ، وقد تكون محرفة عن «الجلعاء» بالعين المهملة ــ وهى التى لاتنضم شفتاها على أسنانها ، والرجل أجلع ، والأخطم : الطويل الأنف ، وهى خطماء

(٢) الساعور: النار ، والتنور ، ومقدم النصارى فى معرفة الطب ، والساقور : الحر ، والحديدة تحمي ويكوى بها الحمار ، والأسروع ــ بالعين المهملة ، ووقع فى ب ، ث ، بالغين المعجمة تحريفا ــ واحـد الأساريع ، وهى دود أبيض الأبدان أحمر الرؤوس يتولد فى البقل والأماكن الندية ثم ينسلخ فيصير فراشاً ، تشبه الأصابع به فى بياضها وحمرة أطرافها بالخضاب ، والأضجم : الذى فى أنفه عوج ، والمرأة ضجماء

(٣) الإبداء : الإظهار ، والأعداء : جمع عدو ، والأكتاف : جمع كتف ، وهو عظم عريض خلف المنكب للناس وغيرهم ، والأهيم : الشديد العطش ، وفى القرآن الكريم (فشاربون شرب الهيم)

(٤) الظنبوب : حرف الساق من قدم ، وقيل : عظمه اليابس من قدم ، وجمعه ظنابيب ، والعكموز : المرأة التارة ، والجعبوب : الضعيف الذى لاخيرفيه ، والأشيم : الذى به شامات ــ وهى العلامات ــ والمرأة شيماء

وما الزعــراء والطخْيَا ، والفوهــاء والديسم[1]
وما اللخصاء والخوصا ، والحيصاء والمرزم[2]
وما الخلقـاء والخلجا ، والعضبــاء والأخثم[3]
وما الهلبـاء والسـكا ، والـكيساء والأصـلم[4]
وما المَرْطَـاء والمَعْطَا ، والهَضَّـاء والأغتم[5]
وما النزعـاء والوطبـا ، والهـدباء والمِخْذَم[6]

(١) الزعراء : القليلة الشعر ، والطخياء : الليلة المظلمة ، ومالا يفهم من الكلام ، والفوهاء : واسعة الفم ، والديسم — بزنة جعفر — ولد الذئب ، وفرخ النخل ، والظلمة ، والسواد ، والرفيق بالعمل

(٢) تقول «هذه عين لخصاء» أى كثير شحمها ، والخوصاء : الريح الحارة يكسر الإنساء عينه من حرها ، و « الظهيرة الخوصاء » أشد الهواجر حرا ، والحيصاء : لم أعثر عليها ، وقد تـكون محرفة عن « الحوصاء » وهى الضيق مؤخر عينها حتى كأنها خبطت ، والرجل أحوص ، والمرزم تقدم

(٣) الخلقاء : الصخرة لا وصم فيها ولا كسر ، أى الملساء ، وجنب البعير ، وباطن الغار ، ومستوى الجبهة ، والخلجاء : التى تشتكى عظامها من عمل أو تعب أو مشى ، ووقع فى ب ، ث « الحلجاء » بحاء مهملة — ولم أعثر عليها ، والعضباء : المشقوقة الأذن من النوق ، وهو اسم ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والأخثم : العريض الأنف

(٤) الهلباء : الكثيرة الشعر ، والذكر أهلب ، والجمع هلب — بضم الهاء وسكون اللام — والسكاء : الدرع الضيق الحلق ، والـكيساء : أنثى الأكيس ، وهو الشديد الفطنة ، لـكن المستعمل الـكيسى — بكسر الكاف — والـكوسى — بضمها — والأصلم : المقطوع الأذنين خلقة

(٥) المرطاء : خفيفة شعر الجسد والحاجبين والعينين من عمش ، والمعطاء — بفتح الميم وسكون العين — التى خف شعرها أو سقط ، والمعطاء — بكسر الميم — مبالغة من العطاء ، والهضاء : الجماعة من الناس والخيل ، والأغتم : الذى لا يفصح

(٦) النزعاء : التى انحسر شعرها عن جانبى جبهتها ، والوطباء : العظيمة الثدى ووقع فى ب ، ث « الوطياء » تحريف ، والهدباء : التى طال هدب عينيها وكثرت أشفارها ، والمخذم — بزنة المنبر — القاطع من السيوف

وما الدعجاء والملجا ء والشجراء والميسم (١)

وما اللمياء والحوبا ء والغمّاء والقهقمّ (٢)

وما الجلهاء والجلا ء والجلحاء والشجعم (٣)

ألا فاسمع لألفاظ جرت علما لمن يعلم

فقد أنبأت فى شعرى بألفاظى الذى يفحم

فعارضت السجستانى فى قولى ولم أعلم

فضعفت قوافيه على مثل الذى نظم

فهذا الشعر لا يدريه إلا عالم همهم

على أنى امتطيت الصعب فى قولى ولم أحجم

يؤم الرث إن يخبب وإن شا ينقض المبرم (٤)

رحلت العيس فى البيدا أقول الشعر فى الغلطم

---

(١) الدعجاء : الشديدة سواد العين مع سعتها ، والملجاء : السمراء أو الصفراء وقد تكون « الملحاء » بالحاء المهملة — وهو تأنيث الأملح ، والشجراء : الشجر ، والميسم — بزنة المنبر — المكواة يوسم بها الحيوان ، واسم لأثر الوسم ، وهو أيضاً أثر الجمال والملاحة ، يقال « امرأة ذات ميسم » أى ذات حسن وجمال

(٢) اللمياء : التى فى شفتها سمرة ، والحوباء : النفس ، والغماء : التى سال شعر ناصيتها حتى ضاقت جبهتها ، وهى أيضا الكرب والحزن ، و « ليلة غماء » طامس هلالها ، والقهقم — بزنة جردحل — الذى يبتلع كل شىء

(٣) الجلهاء : التى انحسر شعرها عن مقدم رأسها ، والجلاء — بفتح الجيم ممدوداً وتقال بضم الجيم مقصوراً — الخصلة العظيمة ، وقال الشاعر :

كميش الإزار خارج نصف ساقه صبور على الجلاء طلاع أنجد

والجلحاء : مثل الجلهاء ، وهى أيضا البقرة لا قرن لها ، والقرية لا شجر فيها ، ووقع فى ب ، ث ، الحلحاء — بحاءين مهملتين — تحريف ، والشجعم — بزنة جعفر — الأسد ، وجسد الإنسان ، أو عنقه ، وهو أيضا الطويل (٤) كذا

وختم هذه الأبيات بأبيات غزلية ، وهى :

فإنْ كُنْتَ الذى فى قو ... له يأتى بمـــا يزعم
وصُغْتَ الشعر فى خلّ ... وَحَبْلُ الودّ لم يُصْرَمْ
فأخــبرنى بأوصــافى ... عسانى منك أن أعلم
وقلب الأسد مجروح ... به شـوقا ولم يكلم
له قدّ كقدّ الغصـــن فى كل الورى يعـدم
إذا ما رمت لـثم الخـــدّ أو تقبيل ذاك الفمّ
غزال يفتن النسّـــا ... ك فى حسن ولم يعـلم
وفى أحشاء من يهوا ... ه وَهْجُ النار إذ يضرم
له وجـــه شعاعىّ ... حكى فى الحسن بدر التم
جنيت الورد من خده ... وذقت الشهد إذ يبسم

وسرد القوصى فى معجمه شرح هذه القصيدة عقيب كل بيت

وتوفى ضياء الدين المذكور سنة تسع وتسعين وخمسمائة بعد ما أضر ، وله تصانيف فى العربية منها كتاب « الإشارة ، فى تسهيل العبارة » و « المقتصر ، من المختصر » و « تهذيب ذهن الواعى ، فى إصلاح الرعية والراعى » صنفه الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى ! .

(١٦٧)

وجيه الدين ضياء بن عبد الكريم المناوى

ضياء بن عبد الـكريم ، وجيه الدين ، المناوى .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : كان عنده علم بالطب والأدب ، وكان أصمّ ، رأيته بالقاهرة ، وجالسته بالمشهد ، وأنشدنى من شعره مقطعات ، فمن ذلك قوله :

بروحىَ معبود الجمال فماله ... شبيه ولا فى حبه لى لائم
تَثَنَّى فمات الغصن من حَسَدٍ به ... ألم تره ناحت عليه الحمائم

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

من كان يشكو فى الفؤاد حرارة ... فعليه بالعَطَّار غير مقصر
فى ثغره ماء اللسان مروق ... عطر ، وفى وجناته الورد الطرى

وقال أيضا غفر الله له :

لا غَرْوَ أن صاد قلبى ... هذا الغزال الربيب
أشراك جفنيه هُدْبٌ ... بها تصاد القلوب
وفيه أوصاف حسن ... يروق فيها النسيب
فطرفه المتنبى ... والسحر وهو حبيب

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

قرنت كأس الراح من خدّه ... أزفُّ معطارا بمعطار
فقال لى الندمان هذا الذى ... يسعى إلى الجنة بالنار

وقال أيضاً عفا الله عنه :

سألت الغصن لِمْ تَعَرَّى شتاء ... وتبدو فى الربيع وأنت كاسى
فقال لى الربيع على قدوم ... خلعت على البشير به لباسى

وقال أيضاً فى المعنى :

قد دبق القلب بدبوقة ... وجُنَّ منها فهو مفتون
واعجبا للحب من فعله ... بشعره قيد مجنون

وقال :

جاء من لحظه بسحر مبين ... بفتور من جفنه وفتون
وثنى قدّه الصبا فى تثنيه ... فوَاخجلة الصبا والغصون
قمَرٌ بِعْتُ فى هواه رشادى ... بضلال ولست بالمغبون
لا عجيب أنى ضللت بليل الشَّعْر ... لكن أهدى بصبح الجبين
فيه ما تشتهى النفوسُ من الحسن ... وتلتذهُ لحاظُ العيونِ

سال دمعى إذ سال فى خدّ من أهـــوى عذار كالمسك للتزيين

فعجيب من سائِلَيْنِ غنىّ بنضار وسائل مسكين

ويك يا سعد ذَرْ قديمَ حديثٍ عن أناس وخذ حديث شجون

كلُّ حسن الأنام دون الذى أهـــوى وكل العشاق فى الحب دونى

قسما بالقُـدُود مالت من التيـــه وما فى أغصانها من لين

وسهام الألحاظ ترمى بها الأصـــداغ عن قوس حاجب كالنون

ودلال الحبيب والوصل والتيـــه وحكم الهوى يالها من يمين

لا تناسيت بالمـــلام عهودا أحكمت عَقْدها عَلَىَّ يمينى

لو تناسيتهـــا لضاق مجالى فى اعتذارى إلى وفاء ودين

حرف الطاء المهملة

(١٦٨)

أبو سعيد مجير الدين طاشتكين المستنجدى

طاشتكين[١] ، الأمير الكبير ، مُجِيرُ الدين[٢] ، أبو سعيد ، المستنجدى[٣] .

صار ولده المستضىء ولى أمره ، ركب العراق سنين عديدة ، وولى الحلة المزيدية ، وولى تستر وخوزستان ، وكان سَمْحًا ، كريما ، حسن السيرة ، وافر الحشمة ، شجاعا ، حليما ، وكان شيعيا .

وتوفى سنة اثنتين وستمائة .

وكان قليل الكلام ، يمضى عليه الأسبوع ولا يتكلم .

استغاث إليه رجل يوما ، فلم يكلمه ، فقال له الرجل : الله كلم موسى ، فقال له : وأنت موسى؟ فقال الرجل : وأنت اللهُ[٤] ؟ فقال طاشتكين : قال ابن التعاويذى :

وأمير على البلاد مُوَلًّى لا يجيب الشاكى بغير السكوت
كلما زاد رفعةً حَطنا الله بتغفيله إلى البهموت

وقام يوما إلى الوضوء ، فحلّ حِياصته[١] وتركها موضعه ، وكانت تساوى خمسة آلاف دينار ، فسرقها فرّاش وهو يشاهده ، فقال أستاذ داره : اجمعوا لى الفراشين ، وهاتوا المعاصير ، فقال طاشتكين : لا تعاقب أحدا ، فإن الذى أخذها ما يردّها ، والذى رآه مايغمزعليه ، فلما كان بعد مدة رأى على ذلك الفراش ثيابا جميلة و بزّةً ظاهرة ، فاستدعاه سرّا ، وقال: بحياتى هذا من تلك ؟ فخجل ، فقال : لا بأس عليك ، فاعترف ، فلم يعارضه .

---

(١) له ترجمه فى شذرات الذهب ٨/٥ ، وقال عنه « أمير الحج العراقى ... حج بالناس ستا وعشرين سنة » وفى النجوم الزاهرة ١٩٠/٦، وقال عنه : « طاشتكين ابن عبد الله المقتفوى مجير الدين أمير الحاج » وفى تاريخ ابن كثير ٤٥/١٣ ، وقال « كان شيخا خيراً حسن السيرة كثير العبادة غاليا فى التشيع »

(٢) فى ب ، ث « مجير الدين » محرفا ، وقد ورد فى الشذرات « ويلقب بمجير الدين » ونظيره فى النجوم الزاهرة وابن كثير

(٣) فى النجوم الزاهرة « المقتفوى » نقلا عن رواية من عقد الجمان والذيل على الروضتين ، وفى رواية أخرى من العقد كما هنا وكذا فى ابن كثير

(٤) فى ب، ث « فقال الرجل : أحمار أنت » وما أثبتناه عن الشذرات

وكان طاشتكين قد جاوز تسعين سنة ، فاستأجر أرضا وقفا مدة ثلثمائة سنة على جانب دجلة ليعمرها دارا ، وكان فى بغداد رجل محدّث يحدّث فى الخلق يسمى فتيحة ، فقال : يا أصحابنا ، نهنيكم ، مات ملك الموت ، فقالوا : وكيف ذلك ؟ فقال : طاشتكين عُمْرُهُ تسعون سنة ، وقد استأجر أرضا ثلثمائة سنة ، فلولم يعلم أن ملك الموت قد مات ما فعل هذا ، فتضاحك أصحابه .

وتوفى بتستر ، وأمر أن يحمل إلى مشهد علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ودفن هناك ، والله أعلم .

(١٦٩)

طه بن إبراهيم الاربلى

طَهَ بن إبراهيم ، الإربلى[1] .

من شعره :

دع النجوم لطرقىّ يعيش بها ... وأُنْهَض بعزم صحيح أيها الملك

إن النبىّ وأصحاب النبىّ نَهَوْا ... عن النجوم وقد عاينت ماملكوا

(١٧٠)

أبو فراس طراد بن علي الدمشقي البديع

طراد بن على بن عبد العزيز[2] ، أبو فراس ، السلمى ، الدمشقى ، الكاتب ، المعروف بالبديع .

مات متوليا بمصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة .

وكان آية فى النظم والنثر .

---

(١) ذكره فى شذرات الذهب ٣٥٧/٥ فى وفيات سنة ٦٧٧ وقال عنه : « كمال الدين ، أبو محمد ، طه بن إبراهيم بن أبى بكر ، الإربلي ، الشافعى ، قال الأسنوى : كان فقيها أديبا ، ولد بإربل ، وانتقل إلى مصر شابا ، وانتفع به خلق كثير ، وروى عنه جماعة منهم الدمياطى . ومات بمصر فى جمادى الأولى وقد نيف على الثمانين » اه

(٢) له ترجمة فى تاريخ دمشق (المختصر ٥١/٧) وقال « كان حيا سنة ثمانين وأربعمائة » وفى معجم الأدباء لياقوت ١٩/١٢ وليس فى أحدهما ذكر ولايته بمصر

ومن شعره :

يا نسيما هبّ مسكا عَبِقَا ... هــذه أنفاسُ رَيَّا جِلَّقَا

كُفَّ عنى والهوى ما زادنى ... بَرْدُ أنفاســـك إلا حُرَقَا

ليت شعرى نقضوا أحبابنا ... يا حبيب النفس ذاك الموثقا

يا رياح الشوق سوقِي نحوهم ... عارضا من سُحْبِ عينى غَدِقَا

وانثرى عقد دموع طالما ... كان منظوما بأيام اللقا

اشتهرت هذه الأبيات ، وغنى بها المغنون ، قال بعضهم : مررت يوما ببعض شوارع القاهرة ، وقد ظهرت جِمال كثيرة حمولها تفاح فتحى من الشام ، فعبقت روائح تلك الحمول ، فأكثرت التلافت لها ، وكانت أمامى امرأة سائرة ، ففطنت لما داخلنى من الإعجاب بتلك الرائحة ، فأومأت إلىّ وقالت :

* هٰذِهِ أنفاسُ رَيَّا جِلَّقَا *

ومن شعره :

هكذا فى حبكم أستوجب ... كَبِدٌ حَرَّا وقلب يَجِبُ

وجزا من سَهِرَتْ أجفانه ... حِجَّة تمضى وأخرى تعقب[1]

زَفَرَاتٌ فى الحشى محرقة ... وجفون دمعها ينسكب

قاتل الله عذولى ما درى ... أن فى الأعين أسدا تَثِبُ

لا أرى لى عن حبيبى سَلْوَةً ... فدعونى وغرامى واذهبوا

وقال وقد جلس فى آخر مجلس :

قيل لى لِمْ جَلَسْتُ فى آخر القو ... م فأنت البديع رب القوافى

قلت : آثَرْته لأن المناديــــل يُرَى طرزها على الأطراف[2]

---

(١) حجة — بكسر الحاء — سنة

(٢) فى ب ، ث « قلت إخترته » وآثرنا إثبات ما فى المعجم لخلوه عن الضعف بقطع همزة الوصل

وقال من قصيدة مدح بها أبا النصر بن قاضى الصعيد :

هل البين أيضاً مغرم يعشق البانا فيأخـــذ قُضْبَاناً و يَدْفَعُ مُرّانا

أيا عاذلىّ اللاحِيَيْنِ صدعتما فؤادا بأنواع الـكآبة ملآنا

أيجمل بالسالى يفنِّدُ عاشقا ويحسن بالصاحى يعاتب سكرانا

فراق الفتى أحبابَهُ مثل موته فليت الردى من قبل فرقتهم كانا

أيا دهر لاتسفك دمى إن ناصرى أبو النصر فاعلم أنه دم عثمانا

وقال فيه أيضاً رحمه الله :

حاكِمُكُمْ بهيمـة ليس يساوى العلفا

وليس فيـه مضغة طيبـــة إلا القفا

فأمر القاضى بسجنه ، فقال :

أصبحت بين مصائب من كيد ذات حِرٍ سمين

أنا يوسف أمرت بسجـــنى زوجة القاضى المكين

(١٧١)

أبو المعالى طغرل شاه محمد بن الحسين الكاشغرى

طغرل شاه محمد بن الحسين بن هاشم ، الـكاشغرى ، أبو المعالى ، بن أبى جعفر الواعظ (١) .

كان له معرفة بالتفسير والأدب ، وكان حسن الوعظ ، كثير الحفظ ، جوّالا فى البلاد .

ومولده سنة تسعين وأربعمائة ، وتوفى سنة ستين وخمسمائة .

ومن شعره :

عبث الدلال بعطفها فتمايلت عبث النسيم بناعمٍ ميَّاسِ

فرأيت غصن البان يَثْنِيهِ الصبا من فوق حِقْفِ الرمل للمقياس

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الرجال

ومنها فى المديح :

الجاعل الأموال جُنَّةَ عِرْضِهِ والمستعان به على الإفلاس
عرفت فضائله بعرف نجاره والزند يعرف من نبا المقباس

وأورد له محب الدين بن النجار فى تاريخه :

صَدَّ بعد اللِّقا وأبدى القطيعه مَنْ غدا قلب كل صب مُطِيعَهْ
شادن مقلتاه غَرْبَا حُسَامٍ جفنه الجفر والحجاج القبيعه
كل وقت تُبْدِى اللواحظ منه غارة فى القلوب جِدٌّ فظيعه
كم أسالت من جفن صب محب حين أصْمَتْهُ دمعه ونجيعه
خُدْعة حربه تراه إذا را م قلوبَ العشاق أبدى الخديعه
أظمأ الخصر منه رِدْفٌ ثقيل ضامن أن يذيبه ويجيعه
لفع الحسن وجهه وكساه حلة زان وَشْيَهَا تلفيعه
كم نهيت الدموع فى ساعة التو ديع أن تُظْهِرَ الهوى وتذيعه
كان يدنى الخيال والليل قد جرّ إلى الصبح قطعة وهزيعه
يا بديع الجمال فى كل يوم فعلة بالقلوب منك بديعه
ينفث السحر إن نظرت بطرف لا يداوى الدرياق عجن اللسيعه
أقسمت مُقْلَتَاكَ بالغَنَجِ منها أنها لا تقيل قَطُّ صريعَهْ
رب ليل قطعته بِكَ لَهْوًا آمنا من تفرق وقطيعه
غار بدر السماء لما رآنى لائما شِبْهَ وجهه وضجيعه

قال العماد الكاتب : ورد طلحة هذا إلى البصرة فى زمن الحريرى صاحب المقامات ، وكتب إليه رسالته السينية نظما ونثرا ، وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

(١٧٢)

أبو عبد المنعم طويس بن عبد الله المغنى ، المدنى

طُوَيْس(١) بن عبد الله ، أبو [عبد] المنعم(٢) ، المدنى ، المغنى .

يُضْرَبُ به المثل فى الحذق والغناء ، وكان أحول ، مفرطا فى الطول ، ويضرب به المثل فى الشؤم ؛ لأنه ولد يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفُطِمَ يوم وفاة أبى بكر رضى الله عنه ، وخُتن يوم مقتل عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، وتزوج يوم مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وولد له يوم مقتل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكانت وفاة طويس سنة اثنتين وتسعين(٣) للهجرة .

وهو أول من غنى فى الإسلام بالمدينة ، وأول من هزج الأهزاج ، ولم يكن يضرب بالعود ، بل كان ينقر بالدف المربع ، وكان يسمع الغناء من سبى فارس والروم ، فتعلم منهم ، وكان يُضْحِكُ الثكلى لحلاوة لسانه وظرفه ، وكان مخنثا ، فأسقطه خنثه عن طبقة المغنين الفحول ، وأول صوت غنى به فى الإسلام صَوْتٌ غنى به طُوَيس على عهد علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وهو :

كيف يأتى من بعيد ... وهو يأتيه القريبُ

نازح بالشأم عنا ... وهو مكسال هَيُوبُ

قد برانى الحبّ حتى ... كدت من وجدى أذوبُ

---

(١) له ترجمة فى وفيات الأعيان لابن خلكان (الترجمة رقم ٤٩٢) وسماه عيسى بن عبدالله ؛ ونقل عن صحاح الجوهرى أن اسمه طاوس وأنه لما تخنث جعلوه طويسا ، وله ترجمة فى شذرات الذهب ١/١٠٠ ؛ وفى تاريخ ابن كثير ٩/٨٤ ؛ وسماه عيسى بن عبد الله أيضا

(٢) فى ب ، ث « أبو المنعم » وما أثبتناه عن ابن خلكان وابن كثير ، وفى نسخة من ابن خلكان « أبو عبد النعيم »

(٣) فى ب « اثنتين وسبعين » تحريف ، وما أثبتناه موافق لما فى ث وابن خلكان وابن كثير والشذرات .

وكان من شؤمه يقول : يا أهل المدينة مادمت بين أظهركم فتوقعوا خروج الدابة والدّجال ، وإن متُّ فأنتم آمنون .

حكى أبو الحسن المدايني قال : صعد طُوَيس يوما على جبل حِرَاء ، فأعيا ، وسقط كالمغشى عليه تعباً ، فقال : يا جبل ، ما أصنع بك ؟ أشتمك لا تبالى ، أضربك لا يوجعك ، ولكن ياشماتتى بك يوم تبقى كالعهن المنفوش [1] .

---

(١) فى الشذرات وابن كثيرأنه انتقل عن المدينة إلى السويداء ، وهو موضع على مرحلتين منها فى طريق الشام ، وأنه توفى هناك عن ثنتين وثمانين سنة

حرف الظاء المعجمة

(١٧٣)

أبو الوليد ظفر بن يحى ابن هبيرة

ظفر بن يحيي بن محمد بن هبيرة ، أبو الوليد ، بن الوزير أبي المظفر عون الدين ابن هبيرة [١].

كان يلقب شرف الدين ، ناب عن والده فى الوزارة .

وكان شابا ظريفا ، نظيفا ، أديباً ، فاضلا ، ينظم الشعر ، امتحن بالحبس أيام والده سنين بقلعة تكريت ، ثم خلص .

ولما توفى الوزير اتصل بالخليفة أنه عزم على الخروج من بغداد مختفيا ، فقبض عليه وحبسه ، ولم يزل إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، فخرج من الحبس ميتاً ، ودفن عند أبيه

ومن شعره :

طُلَّ دمٌ بالعتــاب مطلوب ... وطاح دمع فى الركب مسكوب

وذَلَّ قلب أمسى الغــرام به ... وهو بأيدى الغـواة منهوب

يركب فى طاعــة الهوى خَطَرا ... تضرم من دونه الأنابيب

إذا ادْلَهَمَّ الدجى أضــاء له ... من زفرات الضلوع ألهوب

لا موعِــد مُطْمِع ولا أمل ... ولا لقاء فى العمر محسوب

مقتنعاً من وصاله بِمُـــــنَّى ... أصدق ما عندنا الأكاذيب

ما بعــد دمعى دمع يُرَاق ولا ... فوق عـذابى لديك تعذيب

لم يبق للناصــحين من أمل ... فىّ ولا للعُــذالِ تأنيب

وقال يعارض مهيارا الديلمى فى قوله :

بَكَرَ العارضُ يحدوه النُّعَامِى ... فسقيت الرىّ يا دار أماما [٢]

(١) لأبيه عون الدين أبى المظفر يحيي بن محمد بن هبيرة ترجمة مطولة فى شذرات الذهب ١٩١/٤ وتاريخ ابن كثير ٢٥٠/١٢ ، أما هو فلم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى الآن من مصادر الرجال

(٢) العارض : السحاب المعترض فى الأفق ، ويحدوه : يسوقه ، والنعامى ـ بضم النون ، بزنة الحبارى ـ ريح الجنوب ، وهى أرطب الرياح ، والقصيدة فى ديوان مهيار ٣٢٧/٣ وفيه « فسقاك الرى »

فقال :

أخلف الغيث مواعيد الخزامَى ... فَقِفِ الأنضاء نستسق الغماما(١)

وخُذِ الْيَمْنَةَ من أعلى الحمى ... تلق بالغور حميا وحماما

وأبجني ساعة من عمرى ... أملأ الدار شكاة وسلاما

أصِفُ الأشواق فى تلك الرُّبا ... وأعاطى الترب شوقا والتثاما

أى حلم خف فى حبهم ... وعقول رَفَضَتْ فيه الملاما(٢)

ودموع كلما كفكفها ... زاجر العذل أبت إلا انسجاما

يا ولاة العذل ما دينكمُ ... أحرام فيه أن تقضُوا الذِّماما(٣)

قد رَضِينا إن رضيتم بالأذى ... وعزيز بعزيز أن يضاما

خَطَرت بى جوف لَيْلٍ سحرا ... نسمة أحسبها ريح أُماما

فارجع الطرف وقل لى فى خَفا ... أهضاباً تتراءى أم خياما

ما صنيعى بمهاة كُلَّما ... زوّدتنى لثمة زدت أُواما(٤)

أهيام أم لَظًى فى كبدى ... لفحت حتى انثنى الظَّلْم ضِرَامَا(٥)

ليس إلا فَرْطُ وجدى بهمُ ... ظعن العاذل عنى أم أقاما

أنا مِنْ أسْرِ الهوى فى رِبقَةٍ ... حكمت للحرّ فيها أن يُسَامَا

---

(١) الغيث : المطر ، وإخلافه : أن ينقطع عند ترقب نزوله ، والخزامى : نبت طيب الريح ، والأنضاء : جمع نضو ، وهو من الجمال الذى أهزله السفر وأضناه

(٢) الحلم ، هنا : التأنى فى الأمور والتؤدة والسكينة

(٣) الذمام — بكسر الذال ، بزنة الكتاب — العهد

(٤) الأوام — بضم الهمزة — حرارة العطش ونحوه

(٥) الظلم — بفتح الظاء — الريق ، والضرام — بكسر الضاد — اتقاد النار

حرف العين المهملة

(١٧٤)

أبو عمرو المعتضد عباد ابن إسماعيل

المعتضد عباد بن [محمد بن] إسماعيل[1] بن عباد ، أبو عمرو ، صاحب إشبيلية ، وابن قاضيها ، أبى القاسم .

دانت له الملوك ، اتخذ جيشاً فى قصره ، وجللها برؤوس ملوك ، وأعيان ، ومقدّمين ، وكان ابنه ولى عهده إسماعيل قد همّ بقبضه ، فلم يتمّ له ذلك ، وضرب أبوه عنقه ، وطالت أيامه إلى أن توفى فى شهر رجب سنة أربع وستين وأربعمائة .

يقال : إن ملك الإفرنج سمّه فى ثياب بعثها إليه .

قال فيه الحجارى : وهذا الرؤوف العطوف ، الدمث الأخلاق الألوف ، ما مات حتى قبض أرواح ندمائه وخواصه بيده ، ولم يَكِلْهُمْ إلى غيره ، ولم يحوجهم إلى أحد بعده ، فجزى عنهم بما هو أهله ، وكان قد عرف منه ذلك واشتهر ، فصار الأدباء يتحاشَوْنَهُ .

ومن شنيع ما روى عنه : أن غلاماً دون البلوغ دخل عليه من غير استئذان ، فقطع رأسه ، فسمع جارية تقول : والله القبر أحسن من سُكْنَى هذا القصر ، فقال : والله لأبلغنك ما طلبتيه ، وأمر بها ، فدفنت حية

وتعجب الناس من وزيره ابن زيدون كيف انفرد بالسلامة منه ، فقال : كنت كمن يمسك بأذنى الأسد يتقى سطوته تركه أو أمسكه ، وفيه يقول عند موته :

لقد سرّنا أن الجحيم مُوَكل ... بطاعته قد حمّ منه حمام
تجانَبَ صَوْبُ المزن عن ذلك الصدى ... ومرّ عليه الغيث وهو جَهَامُ

---

(١) له ترجمة فى « المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب » ٩٥ ، وفى نفح الطيب للمقرى (٣٧٣/٤) وفى شذرات الذهب ٣١٦/٣ ، والنجوم الزاهرة ٩٠/٥ ، وانظر ابن خلدون ١٥٨/٤ ، وابنه المعتمد على الله قد ترجمه الفتح بن خاقان فى قلائد العقيان ٢ ترجمة مطولة ، وابن خلكان (الترجمة رقم ٦٥٨)

(٢) فى ب ، ث « عباد بن إسماعيل بن عباد » وزدنا « محمد بن » عن المعجب وابن خلكان والشذرات

(١٧٥)

عبادة بن عبد الله بن ماء السماء

عبادة بن عبد الله ، هو ابن ماء السماء[١] .

شاعر الأندلس ، ورأس الشعراء فى الدولة العامرية .

توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وقيل : سنة تسع عشرة .

قال ابن بسام فى الذخيرة : كان فى ذلك المصر شيخ الصناعة ، وأحكم الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت غرائبه : مَرْحباً وأهلا .

وكانت صنعة التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرُود ، ولا منظومة العُقود ، فأقام عُبادة هذا عِمَادها[٢] ، وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه ، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته .

وأوّل من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن حَمُّود القَبْرى ، الضرير .

وقيل : إن ابن عبد ربه صاحب العقد أوّل من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادى ، ثم نشأ عُبَادة هذا ، فأحدث التصغير[٣] ، وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف فى المراكز[٤] .

ومن شعر عبادة المذكور :

---

(١) له ترجمة فى الذخيرة لابن بسام (١/٢/١) وقال عنه « هو عبادة بن عبد الله الأنصاري ، من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء لجدهم الأول ، ولحق بقرطبة الدولة العامرية والحمودية ومدح رجالها » وفى مطمح الأنفس ٨٤

(٢) فى الذخيرة « فأقام عبادة هذا منآدها »

(٣) فى الذخيرة «فأحدث التغيير»

(٤) العبارة مختصرة عن الذخيرة اختصارا أفسدها ، وهي هناك « وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف فى الأغصان فيضمنها ، كما اعتمد الرمادى مواضع الوقف فى المركز »

لا تشـكُونَنَّ إذا عثر　　ت إلى صديق سوء مابك[1]

فَيُرِيك أنواعا من الإذلال لم تخـطر ببالك

إياك أن تدرى يميـنك ما يدور على شمالك

واصبر على نُوَبِ الزما　　ن وإن رمت بك فى المهالك

وإلى الذى أغنى وأقـنى اضرَعْ وسَلْه صلاح حالك

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

دارت دوائر صُدْغِهِ فـكأنما　　حامت على تقبيل نُقْطة خالِهِ

رشأ توحَّشَ من ملاقاة الورى　　حتى توحَّشَ من لقاء خياله

فلذاك صار خياله لى زائراً　　إذ كنت فى الهجران من أشكاله

ولقد هَمَمْتُ به ورُمْتُ حرامه　　فحمانىَ الإجلال دون حلاله

ومن موشحات عبادة المذكور :

مَنْ وَلِي　　فى أمة أمراً ولم يعدل　　يُعْزَلِ　　إلاَّ لحاظُ الرشإ الأكحل

جُرْتَ فى　　حكمك فى قتلىَ يامسرف

فأنصف　　فواجب أن ينصف المنصف

وارأف　　فإن هذا الشوق لا يرأف

عَـلِّلِ　　قلبى بذاك البارد السلسل　　ينجلى　　مابفؤادى من جوًى مشعل

إنمـا　　تبرز كى توقد نار الفتن

صـنما　　مصوَّراً فى كل شىء حسن

إن رمى　　لم يُخْطِ من دون القلوب الجُنَنْ

كيف لى　　تَخَلُّصٌ من سهمك المرسَلِ　　فَصِلِ　　واستبقنى حيا ولا تقتل

ياسَنَا　　الشمس ويا أبهى من الكوكب

يا مُنَى　　النفس ويا سؤلى ويا مطلبى

(١) فى الذخيرة « إلى خليط سوء حالك »

ها أنا حلّ بأعدائك ما حلّ بى !

عُذَّلِى من ألم الهجران فى معزل وانْخَلِى فى الحب لا يسأل عمن بُلى

أنت قد صيرت بالحسن من الرشد غىّ

لم أجد فى طَرَفَىْ حبك ذنباً علىّ

فاتئد وإن تشأ قتلىَ شيئاً فشىّ

أجملِى وَوَالِنِى منك يدَ المُفْضِلِ فهى لى من حسنات الزمن المقبل

ما اغتذى طرفىَ إلاّ بسَنَا ناظريك

وكذا فى الحب مابى ليس يخفى عليك

وكذا أنشد والقلب رهينٌ لديك

يا على سلطت جفنيك على مَقْتَلِى فابق لى قلبى وجُدْ بالفضل يامَوْئِلِى

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

حب المهَا عباده من كل بسام السوارى (1)

قمر يطلع من حسن آفاق الكمال حُسْنُه الأبدع

لله ذات حسن مليحة المحيا

لها قَوَامُ غُصْنِ وشِنْفهَا الثُّرَيَّا

والثغر حَبُّ مُزْنِ رُضَابُهُ الحميَّا

من رشفه سعاده كأنه صِرْف العُقَارِ (2)

جوهر رصع يسقيك من حلو الزلال طيب المشرع

رشيقة المعاطف كالغصن فى القوام

---

(1) المها : جمع مهاة ، بزنة فتاة وقناة ، وهى فى الأصل بقرة الوحش ، والعرب تشبه النساء بها فى سعة العينين .

(2) صرف العقار — بكسر الصاد وسكون الراء — الخمر غير ممزوجة بالماء .

شهدية المراشف | كالدر فى نظام
دِعْصِيَّةُ الروادف | والخصر ذو انهضام[1]
جَوَّالة القِلادهْ | محلولة عقد الإزار
حسنها أبدع من حسن ذَيَّاكَ الغزال أكحل المدمع

ليلِيَّةُ الذوائب | ووجهها نهار[2]
مصقولة الترائب | ورَشْفُهَا عقار[3]
أصداغها عقارب | والخدُّ جُلَّنَار
ناديت وفؤاده | من غادة ذات اقتدار
لحظها أقطع من حد مصقول النصال فى الفتى الأشجع

سَفَرْجَلُ النُّهُود | فى مرمر الصدور
يُزْهَى على العقود | من لذة النحور
ومقلة وجيد | من غادة سفور
حبى لها عبادة | أعوذ من ذاك الفخار
برَشَا يرتَعْ فى روض أزهار الجمال كلما أينع[4]

عفيفة الذيول | نقيَّة الثياب
سَلاَّبة العقول | أرقُّ من شراب
أضحى لها نحولى | فى الحب من عذابى
فى النوم لى شراده | وحكمها حكم اقتدار
كلما أمنع منها فإنْ طَيْفُ الخيال زارنى أهجع

---

(١) الدعصية : المنسوبة إلى الدعص — بكسر الدال وسكون العين — وهو الكثيب من الرمل المجتمع .

(٢) أراد بالذوائب شعرها ، وأراد وصفه بالسواد فنسبه إلى الليل

(٣) أراد برشفها ريقها ، والعقار : الخمر ، وقد شبه ريقها بالخمر

(٤) يرتع : يلعب ، وأينع الروض والزهر : أدرك وطاب وحان قطافه

وكانت وفاة عبادة بمَالَقَةَ فى التاريخ ، ضاعت له مائة مثقال ذهب ، فاغتم لذلك ، ومات ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !.

(١٧٦)

عبادة المخنث

عبادة المخنث[١] :

كان صاحب نوادر ومجون ، كان ببغداد ، وتوفى فى حدود الخمسين ومائتين .

دخل على المأمون وقد امتحن الناس بخلق القرآن فقال : يا أمير المؤمنين ، يعظم الله أجرك ، قال : فيمن ؟ قال : فى القرآن ، فمَنْ بَقَا يُصَلِّى بالناس التراويح ، فقال : ويحك ! القرآن يموت ؟ فقال : أليس قال أمير المؤمنين إنه مخلوق ، فقال : أخرجوه عنى قبحه الله تعالى .

ولما قتل المتوكل كان حاضراً ، فلما هجموا على المتوكل وهو على شرابه وقطعوه بالسيوف قام الفتح بن خاقان وألقى نفسه عليه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لا حياة لى بعدك ، فقطعوه بالسيف أيضاً ، فلما رأى ذلك عبادة انزوى وقال : يا أمير المؤمنين إلا أنا إن لى بعدك أدواراً وأنزالا أشربها ، فضحكوا منه وتركوه .

(١٧٧)

عبد الله بن إبراهيم (ابن المؤدب)

عبد الله بن إبراهيم بن مثنى الطوسى ، المعروف بابن المؤدب[٢] .

أصله من المهدية ، وكان شاعراً مذكوراً مشهوراً قليل الشعر ، مفرطا فى حب الغلمان ، مجاهراً بذلك ، بعيد الغَوْر ، ذا حيلة ومكيدة ، مُغْرًى بالسياحة والكيمياء والأحجار ، مُعْسِراً مُقَتَّراً عليه ، متلافا إذا أفاد .

خرج مرة يريد صقلية ، فأسره الروم ، وأقام عندهم مدة إلى أن هادَنَ ثقة الدولة ملك الروم بعث إليه بالأسرى ، وكان [ابن] المؤدب من جملتهم ، فمدح ثقة الدولة ، ورام صلته ، فلم يَصِلْه بما أرضاه ، فتكلم فيه فبلغ ذلك ثقة الدولة ، فطلبه ، فاختفى ،

---

(١) له ذكر فى الأغانى ١٨/٩٠ فى أثناء ترجمة إبراهيم بن محمد اليزيدى ، وكان يضحك المتوكل ويغنيه ، وانظر الأغانى أيضا (١١/٤) فى ترجمة مروان الأصغر

(٢) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من مصادر الأعلام

وطالت المدة ، فخرج وهو سكران بعضَ الليالى ليشترى نَقْلاً ، فما شعر إلا وقد قِيدَ وحُمل إلى بين يدى ثقة الدولة ، فقال له : ما الذى بلغنى عنك ؟ قال : المحال يا سيدنا ، قال : من الذى يقول :

* والحر مُمْتَحَن بأولاد الزنا *

قال : الذى يقول :

* وعداوة الشعراء بئس المقتنى *

فتنمر ساعة ثم أمر له بمائة رباعى ، وأمر بإخراجه من المدينة ، كراهيَةَ أن تقوم عليه نفسه فيعاقبه ، فخرج ، ثم مدح ثقة الدولة بقصيدة منها :

أبيت أراعى النجم فى دار غربة ... وفى القلب منى نار حزن تَضَرَّمُ
أرى كل نجم فى السماء محـله ... ونجمى أراه فى النجوم المنجم
سأحمل نفسى فى لظى الحرب جملة ... تبلغها من خطبها كل معظم
فإن سَلِمَتْ عاشت بعزو إن تَمُتْ ... (إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم)[1]

وقال وهو فى الأسر :

لا يذكر الله قوما ... حَلَلْتُ فيهم بخـير
جاهدت بالسيف جهدى ... حتى أسرت وغيرى
والآن لست أطيق الـ ... ـجهاد إلا بأيرى
فهات من شئت منهم ... لو كان صاحب دَيْرِ

وكان صديقاً لعبد الله بن رشيق ، وهو يؤدب بعض أولاد تجار القيروان ، وكان حسنا ، وكان ابن المؤدّب يزوره ، فعلق بالغلام ، وخرج ابنُ رشيق للحج ، فكلما أتى بعلم لم يقم عنده إلا أسبوعاً ، ويدعى الغلام أنه راوده ، فذكر ابن

---

(١) عجز هذا البيت من كلام زهير بن أبى سلمى المزنى فى قصيدته المعلقة ، والبيت فى كلامه هكذا : فشد ولم يفزع بيوتاً كثيرة ... لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم وأم قشعم : كنية المنية (الموت) وفى هذه الأبيات الإقواء : الأولان مرفوعان ، والأخيران مجروران

المؤدب لوالده ، فأحضره ، فما كان إلا ساعة دخوله فى المسجد ودخول الغلام إليه فأغاق باب الصحن وقام فبلغ أربه منه ، وخرج الغلام إلى أبيه مبادراً فأخبره فقال أبوه : الآن تقرر عندى أنك كاذب ، وكذبت على من كان قبله ، وصرفه إلى المكتب ، فأقام على تلك الحال مدة طويلة ، وقال :

وظبى أنيسٍ عَالجتهُ حَبَائلى ... فغادَرْنَه قبل الوثوق صريعاً
وكان رجال حاولوه ففاتَهُمْ ... سباقاً ، ولكنى خلقت سريعاً
فتكت به إن شاء فى بيت ربه ... وإن لم يَشَأ مستضعِياً ومطيعاً
ليعلم أهل القيروان بأننى ... إذا رمت أمراً لم أجده منيعاً
فيــا لغزال ألجأته كلابه ... إلى أسَدٍ ضارٍ وصادف جوعا

وكان قد اشتهر فى محبة غلام علمه ، فتذمم أبوه أن يقتله جهاراً ، وخرجوا يتصيدون ، فأمر من حــــل حزام دابته سرًّا ، وتبعوه طرداً ، فسقط وانكسرت فخذه حتى ظهر مخه وعظمه

ومات سنة أربع عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

(١٧٨)

أبو جعفر أمير المؤمنين القائم بامر الله عبدالله بن أحمد

عبد الله بن أحمد ، أمير المؤمنين ، أبو جعفر ، القائم بأمر الله بن القادر[١] .

ولد فى نصف ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وبويع بالخلافة بمدينة السلام يوم ثالث عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، وكان أمره مستقيما إلى أن خرج البساسيرى ، وقصته مشهورة .

وتوفى القائم ليلة الخميس ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة[٢] ، فكانت دولته خمسا وأربعين سنة ، وبويع بعده المقتدى .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣/٣٢٦ وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٧ وفى تاريخ ابن كثير ١٢/١١٠ وفى تاريخ ابن الأثير ١٠/٣٥

(٢) فى ب وحدها « سنة تسع وتسعين وأربعمائة » تحريف ، وماأثبتناه موافق لما في ث وما ذكرناه من الأصول من قبل

وكان القائم كثير الحلم والحياء ، فصيح اللسان ، أديبا ، خطيبا ، شاعرا ، تقلبت به الأحوال ، ورأى العجائب ، وفى أيامه انقرضت دولة الديلم ببغداد بعد طول مدتها ، وقامت دولة السلجوقية ، وكان آخرهم الملك الرحيم من ولد عَضُد الدولة .

دخل عليه بغداد طغرلبك السلجوقى ، وهو أول السلجوقية ، فقبض عليه وقيده ، فقال له الملك الرحيم : ارحمنى أيها السلطان ، فقال له : لا يرحمك من نازَعْتَهُ فى اسمه المختص به ، مشيراً إلى الله تعالى ، فبلغ ذلك القائم فقال : قد كنت نهيته عن هذا الاسم ، فأبى إلا لجاجا أورده عاقبة سوء اختياره ، وخلصه طغرلبك من بين يديه إلى أن وصل عَتَبَةَ باب التوبة فقبلها شكراً لله تعالى ، وصارت سنة بعده .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

يا أكرم الأكرمين العفو عن غرق ... فى السيآت له ورد وإصدار[1]

هانت عليه مَعَاصيه التى عظمت ... علما بأنك للعاصين غفار

فامْنُن علىّ وسامحنى وخذ بيدى ... يا من له العفو والجنات والنار

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

سَهِرْنا على سنة العاشقين ... وقلنا لما يكره الله نَمْ

وما خيفتى من ظهور الورى ... إذا كان رب الورى قد علم

وقال أيضا غفر الله له :

قالوا الرحيل فأَنْشَبَتْ أظفارها ... فى خدها وقد اعتلَقْنَ خضابا[2]

---

(١) أصل الورد ـ بكسر الواو ـ ورود الماء ، والإصدار : الرجوع عن الماء بعد الشرب

(٢) أنشبت أظفارها : أعلقتها وخمشت بهاوجهها ، وإنما يفعل النساء ذلك عند نزول المصائب ، فكنى عن هذا بهذه العبارة

فاخضرّ تحت بنانها فكأنما غرست بأرض بنفسج عنابا(١)

وقال أيضا سامحه الله :

جُمِعَتْ علىَّ من الغرام عجائب خلفن قلبي في أثار موحش

خِلٌّ يصدُّ ، وعاذل متنصح ومعارض يؤذى ، وَنَمَّام يَشِي

(١٧٩)

أبو محمد عبدالله ابن أحمد الجماعيلي الحنبلي

عبدالله بن أحمد بن محمد بن أحمد (٢) بن قُدَامة بن مقدام بن نصر بن شيخ الإسلام موفق الدين ، أبو محمد ، الجماعيلي ، الدمشقي ، الصالحي ، الحنبلي ، صاحب التصانيف ولد بجماعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وتوفى سنة عشرين وستمائة ، وهاجر فيمن هاجر مع أبيه وأخيه ، وحفظ القرآن ، واشتغل في صغره ، وارتحل إلى بغداد صحبة ابن خالته الحافظ عبد الغنى ، وسمع بالبلاد من المشايخ ، وكان إماما حجة مصنفا متفننا محرّراً متبحراً في العلوم كبير القدر ، ومن تصانيفه « البرهان » جزآن « مسألة العلوّ » جزآن « الاعتقاد » جزء « ذم التأويل » جزء ، « المتحابين في الله تعالى » جزآن « فضل عاشورا » جزء « فضائل العشر » ذمّ الوسواس ، مشيخته ، جزء ضخم ، وصنف « المغنى » في الفقه في عشر مجلدات ، و « الكافى » أربع مجلدات ، و « المقنع » مجلد ، و « العمدة » مجلد لطيف ، و « التوابين » مجلد صغير ، و « الرقة والبكاء » مجلد صغير ، و « مختصر الهداية » مجلد ، « التبيين ، في نسب القرشيين » مجلد ، « الاستنصار ، في نسب الأنصار » مجلد ، « قنعة الأديب ، في الغريب » مجلد ، « الروضة ، في أصول الفقه » مجلد ، « مختصر العلل » للخلال ، مجلد ضخم .

وكان إماما في علم الخلاف والفرائض والأصول والفقه والنحو والحساب ،

---

(١) في ب « غرست رياض بنفسج عنابا »

(٢) له ترجمة طويلة في شذرات الذهب ٥/٨٨ وفي تاريخ ابن كثير ١٣/٩٩ ، وفي النجوم الزاهرة ٦/٢٥٦ ، وليس فيهما ذكر « أحمد » بين محمد وقدامة

والنجوم السيارة والمنازل ، واشتغل الناس عليه مدة بالخرق والهداية ، واشتغلوا عليه بتصانيفه ، وطول الشيخ شمس الدين ترجمته فى تسع ورقات ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !.

(١٨٠)

ضياء الدين عبدالله بن أحمد ابن البيطار الأندلسى

عبدالله بن أحمد ، الحكيم ، العلامة ، ضياء الدين بن البيطار[١] ، الأندلسى ، المالقى ، النباتى[٢] ، الطبيب ، مصنف كتاب «الأدوية المفردة» ولم يصنف مثله .

وكان ثقة فيما ينقله ، وكان حجة ، و إليه انتهت معرفة النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكِنه ، لا يجارى فى ذلك ، سافر إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم وأخذ فن النبات عن جماعة ، وكان ذكيًّا فَطِنا .

قال الموفق بن أبى أُصَيْبِعة : شاهدت معه كثيراً من النبات فى أماكنه بظاهر دمشق ، وقرأت عليه تفسيره ، لا سيما أدوية كتاب ديسقوريدوس ، فكنت أجِدُ من غزارة علمه ودرايته شيئاً كثيراً ، وكان لا يذكر دواء إلا ويُعَيِّن فى أى مكان هو من كتاب ديسقور يدوس وجالينوس ، وفى أى عدد هو من الأدوية المذكورة فى تلك المقالة ، وكان فى خدمة الملك الكامل ، وقد كان يعتمد عليه فى الأدوية المفردة والحشائش ، وجعله مقدما فى أيامه حَظِيًّا عنده .

وتوفى بدمشق فى شعبان سنة ست وأربعين وستمائة .

وكان بمصر رئيسا على سائر العَشَّابين وأصحاب البسطات ، ثم إنه خدم بعده ابنه الصالح ، وحَظِىَ عنده ، وله كتاب « المغنى » فى الطب ، وهو مجيد مرتب

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٢٣٤ ، وفى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ٢/١٣٣

(٢) فى ب ، ث « البينانى » تحريف

على مداواة الأعضاء ، وكتاب « الأفعال الغريبة ، والخواص العجيبة » و « الإبانة والإعلام ، على مافى المنهاج من الخلل والأوهام » وكتاب « الأدوية المفردة » .

(١٨١)

تقى الدين عبد الله بن أحمد الحنبلى

عبد الله بن أحمد بن تمام ، الشيخ الإمام ، الأديب ، تقى الدين ، الصالحى ، الحنبلى ، أخو الشيخ القدوة محمد بن تمام الآتى ذكره إن شاء الله تعالى .

كان فاضلا ، زاهداً ، ورعا ، معرضا عما أغرى به الناس من الرياسة ، وكان حسن البزّة مع الزهد والقناعة ، حَبْراً ، نَزِها ، محبوبا إلى الفضلاء ، مليح المحاسن حسن العشرة ، جمع من ابن فهيرة[1] والمرسى والبلدانى ، وله أشعار رائقة وترسل ، كتب إليه قصيدة الشهاب محمود رحمه الله تعالى من الديار المصرية وأرسلها إليه إلى جبل الصالحية :

هل عند مَنْ عندهم برِّى وإقسامى	علم بأن نواهم أصل آلامى
وأن قلبى وجفنى بعد بعدهم	ذا دائم وجده فيهم وذا دامى
بانوا فبَانَ رقادى يوم بينهم	فلست أطمع فى طيف بإلمام[2]
كتمت شأن الهوى يوم النوى فنما	بسره من جفونى أى نمام
كانت ليالىَّ بيضا فى دنوهم	فلا تَسَلْ بعدهم عن حال أيامى
ضَنِيتُ وجداً بهم والناس تحسب بى	سقما فأبهم حالى عند لوامى
وليس أصل ضَنَى جسمى النحيل سوى	فرط اشتياقى إلى لُقْيا ابن تمام
مولًى مَتَى أَخْلُ من بر برؤيته	خلوت منه بأشجان وأسقام
نأى ورؤيته عندى أحبُّ إلى	قلبى من الماء عند الحائم الظامى

---

(١) فى نسخة عند ث « ابن قميرة »

(٢) بانوا : بعدوا عنى وفارقونى ، وبان رقادى : فارقنى ، والإلمام : الزيارة

وصَدَّ عني ولم يسأل بجفــونه ... عن هائم دمعه من بعـــده هامى
ياليت شعري ألم يبلغه أن له ... أخا بمصر ضعيف الجسم مُـذْعَامِ
ما كان ظنىَ هـــذا فى مودته ... ولا الحديث كذا عن ساكنى الشام
يا غائبا داره قلـــبى ، ولو هجعت ... عينى لأدنته منى رُسْل أحـلامى
أصبحت بعد اشتطاطى فى الحقيقة من ... لقياك أخـــدع آمالى بأوهامى
هـــذا ولم يبق لى فى لذة أرب ... إلا اجتماعى بأصحـــابى وألزامى
و إن هُمُ خلفونى مفـــرداً ونأوا ... فبتُّ أسهر أجفـــانى لنوامى
وأين نَيْـــلُ مرامى من لقائهم ... ضاق الزمان وهَيَّا سَهْمَه الرامى (١)
ولت بشاشـــة أيامى فلو عُرِضَتْ ... علىَّ أعرضْتُ عنها غـــير مستام
هل بعد سبعين لى إلا التأهب من ... أجل الرحيـــل بإسراج و إلجام
الناس يرجون ما قد قَدَّمُوا لغـــد ... والخوف من سوء ماقدمت قدامى
ولست أرجو سوى عفو الإلٰهِ وأن ... ألقى السلامة فى الأخرى بإسلامى
بلى وحُب الذى أرجوه يشفع لى ... غَدًا إذا جئتـــه أسعى بآثامى
فاذكر أخاك بظهر الغيب وادْعُ له ... فأنت فى نفسه من خـــير أقوام
فَعَلَّ يجمعنا فى دار رحمتـــه ... مَنْ عفوُهُ فوق إسرافى و إجرامى
عليك منى ســلام الله ما ابتسمت ... أزاهر الروض من دمع الْحَيَا الهامى

فأجابه الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى :

يا ساكنى مصر فيكم ساكن الشـام ... يكابد الشوق من عام إلى عام
الله فى رَمَقٍ أودى الســقام به ... كم ذا يعلل فيكم نضو أسقـــام (٢)
ما ظنكم ببعيـــد الدار منفرد ... حليف هم وأحـــزان وآلام

---

(١) هيا : أصله هيأ ـ بالهمز ـ أى أعد ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا

(٢) الرمق ــ بالتحريك ــ بقية النفس ، وأودى به : أهلكه ، والنضو ـ بالكسر ـ الهزيل

يا نازحين متى تدنو النوى بكم حالت لبعدكم حالى وأيامى [1]

كم أسأل الطرف عن طيف يعاوده وما لجفنىَ من عهد بأحلام

أستودع الله قلبا فى رحالكم عهدته منذ أزمان وأعوام

وما قضى بكم من حبكم أربا ولو قضى فهو من وجد بكم ظامى

مَنْ ذا يلوم أخا وجدٍ يحبكم فأبعد الله عُذَّالى ولوامى

فى ذمة الله قوما ما ذكرتهم إلا ونم بوجدى مدمعى الدامى

قوم أذاب فؤادى فَرْطُ حبهمُ وقد ألم بقلبى أىَّ إلمام

ولا اتخذت سواهم مِنْهُمُ بدلا ولا نقضت لعهدى عقد إبرام

ولا عرفت سوى حبى لهم أبداً حبا يعبر عنه جفنىَ الهامى

يا واحداً أعربت عنه فضائله وسار فى الكون سير الكوكب السامى

فى نعْتِ فضلك حار الفكر من دَهَشٍ وكل ظام روى من بحرك الطامى

لا يرتقى نحوك السارى على فَلَكٍ فكيف من رام أن يسعى بأقدام

منك استفاد بنو الآداب ما نظموا وعنك ما حفظوا من رقم أقلام

أنت الشهاب الذى سامى السماك عُلَى وفيض فضلك فينا فيض إلهام

لما رأيت كتابا أنت كاتبه وأضرم الشوق عندى أى إضرام

أنشدت قلبىَ هذا منتهى أربى أعاد عهد حياتى بعد إعدام

يا ناظرىَّ خذا من خدِّه قُبَلاً فهو الجدير بتقبيل وإكرام

ثم أسرَحَا فى رياضٍ من حدائقه وقد زها زهرها الزاهى بأكمام

مَنْ ذا يُوَافيه فى ردِّ الجواب له عذراً إليه ولو كنت ابنَ بَسَّامِ

يا ساكنا بفؤادى وَهْوَ منزله محل شخصك فى سرى وأوهامى

---

(١) نازح : اسم فاعل فعله « نزح ينزح » من باب فتح ـ أى بعد ، وتدنو : تقرب ، والنوى : البعد ، وحالت : تغيرت ، وأبدع ما جاء فى هـذا المعنى قول ابن زيدون :

حالت لبعدكم أيامنا فغدت سودا ، وكانت بكم بيضا ليالينا

حقا أراك بلا شك مشاهــدة ... ما حال دونك إنجادى و إتهامى[1]
ولَذَّ عَتْبُكَ لى يا منتهى أربى ... وفى العتاب حيــاة بين أقوام
حُوشيتَ من عرض يشكى ومن ألم ... لـكن عبدكَ أضحى حِلْفَ آلام[2]
ولو شكا سمحت منــه شكايته ... إن الثمــانين تَسْتَبْطِي يد الرامى
وحيــد دارى فريد فى الأنام له ... جيران عهد قديم بين آكام
طالت به شقة الأسفار وَيْحهم ... أغفوا وما نطقوا من تحت أرجام
أبلى محاسنَهم مرّ الجـديدِ بهم ... وأبعد العهد منهم بعــدُ أيام
فلا عداهم من الرحمن رحمتــه ... فَهْىَ الرجاء الذى قدمتُ قدامى
وكم رجوت إلهى وهو أرحم لى ... وقَلّ عند رجائى قبــح آثامى
فطال عمرك يا مولاى فى دَعَةٍ ... ودام سعــدك فى عز و إنعام
ولا خلت مصر يوما من سَنَاك بها ... ولا نأى نورك الضاحى عن الشام

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أسكان المعاهد من فؤادى ... لـكم فى كل جارحة سكون
أ كرّر فيكم أبداً حديثى ... فيحلو، والحديث بكم شجون
وأنظمه عقوداً من دموعى ... فتنثره المحاجر والجفون
وأبتكر المعانى فى هوا كم ... وفيكم كل قافيــة تهون
وأسأل عنكم الركبان سراً ... وسرّ هوا كُمُ عندى المصون
وأعتبق النسيم لأن فيه ... شمائل من محاسنكم تبين[3]
وكم لى فى محبتكم غرامٌ ... وكم لى فى الغرام بكم فنون

---

(١) الإنجاد : مصدر « أنجد » أى أتى نجدا ، والإتهام : مصدر « أتهم » أى أتى تهامة ، ومثله أشأم وأعرق وأيمن : أى أتى الشأم والعراق واليمن

(٢) حلف آلام ـ بكسر الحاء وسكون اللام ـ أى أنه ملازم الآلام لا يفارقها

(٣) أعتبق النسيم : أشم عبقه

وقال أيضا من أبيات :

بيض الوجوه إذا افْتَرَّتْ مباسمهم ... فاللؤلؤ الرطْبُ حلو حين يَتَّسق (١)

تقسم الحسن عنهم فى الأنام كما ... تجمع الفضل فيهم وهو مفترق

كم زرتُهم وغصونُ الفضل دانية ... أجنى الثمار بها عفوا وأرتزق

هم الأُولىٰ إن دعونى عبدهم صدقوا ... لما استرقوا وكم منوا وما عتقوا

تحلو الأحاديث عنهم كلما ذكرت ... فكيف إن شافَهُوا يوما كما نطقوا (٢)

إنى لأشكر ما أولوه من نعم ... شكراً عليه قلوب الخلق تتفق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أما والهوى إن شَطَّ رَبْعُكُمُ عَنَّا ... فأنتم نزولٌ بالقلوب إذًا مِنَّا

وإن حُجِبَتْ أشباحكم عن عيوننا ... فلم يحجب البين المشتِّتُ لكم معنا

ولا نظرت عيناى إلا جمالكم ... ولطفكم الموصوف والحسن والحسنى

أحِنُّ إليكم فى التَّدانى وفى النوى ... ولا عجب للصب إنْ أنَّ أوحنا (٣)

ويشتاقكم طرف وأنتم سواده ... فما أبعد المشتاق منكم وما أدنى

لَحَىٰ الله دهراً راعنى بفراقكم ... وأفقرنى فيمن أحب وما استغنى (٤)

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ناقُ إن جئت الحمى سالمة ... فَعَفِّرِى خَدَّيْكِ فى تلك الرُّبا

وبلغى أُهَيْلَهَا تحيتى ... فإن فى تبليغهم لى أربا

عساهُمُ أن يبعثوا جوابها ... فى طى أنفاس نُسَيمات الصبا

فإنها أكتَمُ للسر ولا ... يخشى عليها من عيون الرقبا

وإن فعلت فهى عندى مِنَّة ... من أجلها أحمل عنك الأَعْبَا

---

(١) افترت : ضحكت ، والمباسم : جمع مبسم ، وأصله موضع الابتسام ، وأراد الفم ، وقد شبه أسنانه باللؤلؤ (٢) فى ب « فكيف إنشاؤه » تحريف

(٣) فى ب « أحن إليكم فى التنادى » تحريف (٤) فى ب « وأقترنى فيمن أحب »

أحبابنا مذ غبتم عن حيكم ... محبكم عن صبره قد غُلبا
قد بلغ الشوق بكم غايته ... وفى جواه بلغ السيلُ الزُّبى
لا يستطيع باللسان شَرْحَ ما ... لو شُق عنه القلب أبدى العجبا
وكلما شُمتُ فؤادى سلوة ... عنكم ينادى عنهم لا مذهبا
وكم أنادى فى الديار بعدكم ... واحَرَبًا من بعدهم واحربا

وقال أيضاً رحمه الله :

وقالوا صبا بعد المشيب تعللا ... وفى الشيب ماينهى عن اللهو والصِّبا(١)
نعم قد صبا لما رأى الظَّبْىَ آنساً ... يميل كغصن البان مالت به الصَّبَا(٢)
أدار التفاتاً حالىَ الجيدِ عاطلا ... وفى لحظه معنى به الصبُّ قد صبا(٣)
ومزق أثواب الدجىٰ وهو طالع ... وأطلع بدراً بالجمال محجبا
جرى حبه فى كل قلب كأنما ... تصورّ من أرواحنا وتركبا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أكاتبكم وأعلم أن قلبى ... يذوب إذا ذكرتُكُم حريقا
وأجفانى تَسِحّ الدمع سيلا ... به أمسيت فى دمعى غريقا
أشاهد من محاسنكم مُحَيَّا ... يكاد البدر يشبهه شقيقا
وأصحب من جمالكم خيالا ... فأنَّى سرت يرشدنى الطريقا
ومَنْ سلك السبيل إلى حماكم ... بكم بَلَغَ المنىٰ وقضى الحقوقا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى وعفا عنه :

تَبَدَّى فهو أحسن من رأينا ... وألطف من تهيم به العقول

---

(١) الصبا ـ بكسر الصاد ـ الميل إلى محاب النفس وشهواتها

(٢) الصبا ـ بفتح الصاد ، هنا ـ ريح الشمال

(٣) صبا : أصله « صبأ » بالهمز ـ أى عدل ومال ، فسهل الهمزة بقلبها ألفا

وأسفر وهو فى فلك المعانى — وعنه الطرف ناظره كليل[١]
له قَدّ يميـــل إذا تَثَـنَّى — كذاك الغصن من هَيَفٍ يميل[٢]
وخدّ وردُه الجورىّ غَضٌّ — وطرف لحظه سيف صقيل[٣]
وخَالٌ قد طفا فى ماء حسن — فراق بحسنه الخـدّ الأسيل
تخال الخدَّ من ماء وخمـــر — وفيه الخـالُ نشوان يجول
وكم لام العذولُ عليه جهلا — وآخر ماجرى عشق العذول

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا عاذلى حَــكَمَ الهوى — وكَلِفتُ بالرشإ الـكحيل
ريَّانَ من ماء الصِّبَا — جذلان يلعب بالعقول
راقت محاسنـه التى — جليت على الوجه الجميل
وعلى مُثَقَّفِ خــدّه — بدر يجلّ عن الأفول
والخال عـــمَّ جماله — فى سالف الخدّ الأسيل
زَعَمَ العـذول بأنه — يلهى الخليل عن الخليل
يا طالمـا نَصَّ العـذو — ل وما قبلت من العذول
ولبست ثوب خلاعتى — وخلعت أثواب الخمول

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لله ليلتنا التى نَظَمَتْ لنـا — شمـــل المسرّة والوشاةُ رُقود
جادت بأهْيَفَ كالغزال لحاظُهُ — يسطو بها بين الجفون أسود
ريّان يعتبق النسيم لطافة — ويميلُ من مرّ الصبا ويميد[٤]

---

(١) كليل : تعب ، كل يكل : أى تعب وأعيا .
(٢) الهيف ــ بفتح الهاء والياء جميعاً ــ أصله رقة الخصر والنحافة
(٣) ورد جورى: منسوب إلى جور، والسيف الصقيل: المصقول المرهف المحدد
(٤) يعتبق ــ بالعين المهملة ــ يتنسم عبقه ، ووقع فى ب ، ث « يغتبق » بالغين معجمة ، وليس بشىء

لم أنسه إذ زار يخترق الدجى ... وعليه من درر النجوم عقود

فى صورة القمر المنير وحسنه ... لكنه حسناً عليه يزيد

يا ناظرىّ تمتّعاً بجماله ... فالحسن حيث ترى العيون بَرِيد

واستقصيا نظراً إليه فإنه ... كالطيف يدنو والمزار بعيد

وإذا رنا بلحاظه فتعرّضا ... واللحظُ يقتل والقتيل شهيد

كم بتّ من سَهَرِى عليه مُسَهَّدا ... وعليه يحلو فى الهوى التسهيد

يامن أعار البدر نوراً باهرا ... قسما لقد راقت عليك سعود

أنا فى هواك إذا ادّعيت صبابة ... ياواحد الحسن البديع وحيد

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

راق المدام وثغرُ الكأس يلتهب ... وللكؤوس ثغور حَلْيُهَا الحَبَبُ(١)

فقل لكأسك فى الندمان حىّ على ... شمس المدام وروحُ الراح تنسلب

أما ترى الشمس تُجْلَى فى سنا قمر ... كأنه بالنجوم الزُّهْرِ ينشعب

والطير تسجع بالألحان صادحة ... كأن ألحانها الأوتار تصطخب

والروض يضحك فى أكمامه خجلا ... من الغمام ودمع الغيث ينسكب(٢)

وللزجاجة معنًى رقة وسَنًا ... كأنها الزهرة الغراء ترتقب

لله ندمان ذاك الحى من نَفَرٍ ... قوم دعاهم إلى حاناتها الطرب

فلا تَقُلْ حجبوا عنى محاسنهم ... فليس تمنعها الأستار والحجب

بالله يامهجتى لا تبتغى بدلا ... منهم وإن سلبوا قلبى وقد سلبوا

ويا غرامىَ لى فى صبوتى حُرَق ... أودى وحقك بى من حرّها اللهب

حسبى وقد علموا حالى بحبهم ... وعندهم زفرات الشوق تحتسب

إن بَلَّغ الله آمالى مآربها ... وقد قضيت هوًى لم يبق لى أرب

وأين منى ديار القوم إذ وقفت ... بى الركاب وحَنَّت تحتهم نُجُبُ

---

(١) الحبب : فقاعات تطفو فوق وجه الكأس إذامزج الماء

(٢) الأكمام : أغلفة الزهر

ولا تقل شـقة الأسفار تبعدنى إذا عزمت فذاك البعد يقترب
لا أشتكى أبداً بعـدا لدارهمُ ولا أرى غيرهم فى الكون لاحجبوا
يحلو بى الصدّ منهم حيث يعذب بى مُرُّ العتاب فلا صدّوا ولا عتبوا
وأرتضى كل ما فيه رضًا لهم وقد ألفت الرضا منهم فلا غضبوا
فاسْتَجْلِ لمحــــة برق من محاسنهم ولا تقل عندها الأرواح تنتهب
لا تنح فى الدهر يوماً غـيرهم أبدا فنحوهم وإليهـم ينتهى الطلب
تحلو الأحاديث عنهم كلما ذكروا وفيهمُ تعذب الأشعار والخطب
لا تعجبنّ لوصـفى فى محاسنهم فـكل معنى لهم فى وصفه عجب

(١٨٢)

أبو مسلم
عبد الله بن
ثوب الخولانى

أبو مسلم الخَوْلاَنى ، عبدالله بن ثوب ، الزاهد ، المشهور ، سيد التابعين[١] . أسلم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدم المدينة فى خلافة أبى بكر ، وهو معدود فى كبار التابعين ، وكان فاضلا ناسكا عابداً ، وله كرامات وفضائل . روى عنه أبو إدريس الخولانى[٢] ، وجماعة من تابعى الشام ، ولما تنبأ الأسود باليمن بعث إلى أبى مسلم ، فلما جاءه قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ماأسمع؟ قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فردّد ذلك عليه ، وهو يقول كما قال أوّل ، فأمر بنار عظيمة ، فأحميت ، ثم ألقى فيها أبامسلم ، فلم يضرّه ذلك ، فقيل للأسود : أخرجه ، وإلا أفسد عليـك من اتبعك ، فأمره بالرحيـل ،

---

(١) له ترجمة فى تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ ، وثوب – كما فى التقريب – بضم الثاء وفتح الواو وبعدها باء موحدة ، وقيل : بإشباع الواو ، وقيل : أثواب ، وقيل : أثوب ، بوزن أحمر ، وقيل : هو عبد الله بن عبد الله ، وقيل : ابن عوف ، وقيل ابن شكم ، وقيل : اسمه يعقوب

(٢) أبو إدريس الخولانى اسمه عائذالله بن عبدالله توفى سنة ثمانين للهجرة ، وقد عده ابن حجر (الإصابة ٥/٥٧) فى الصحابة

فأتى أبو مسلم المدينة ، وقد قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأناخ راحلته بباب المسجد ، وقام يصلى إلى سارية ، وبَصُرَ به عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام إليه ، وقال : ممن الرجل ؟ قال : من أهل اليمن ، قال : ما فعل الذى أحرقه الكذابُ بالنار ؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب ، قال : أنشدك بالله أنت هو ؟ قال : اللهمّ نعم ، فاعتنقه عمر وبكى ، ثم أجلسه بينه وبين أبى بكر رضى الله عنه ، وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل عليه السلام .

وتوفى أبو مسلم سنة اثنين وستين للهجرة .

وروى له مسلم والأربعة ، ودفن بداريّا من ضياع دمشق ، رحمه الله تعالى !

(١٨٣)

عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الجواد

عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، الجواد[١] .

له صحبة ورواية ، ولد بالحبشة من أسماء بنت عُمَيْس[٢] ، يقال : إنه لم يكن بالإسلام أسخى منه ، وروى عن أبيه وعمه ، وعن عمه علىّ بن أبى طالب ، كرّم الله وجهه ! وهو آخر مَنْ رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم ، سكن المدينة ، وتوفى سنة ثمانين للهجرة .

وهو أوّل مولود ولد فى الإسلام بالحبشة ، وكان يسمى بحر الجود ، وكان لا يرى بسماع الغناء بأسا ، وكان إذا قدم على معاوية أنزله داره ، وأكرمه ، وكان ذلك يغيظ فاختة بنت قُرَظَة بن عبد عمرو بن نوفل ، زوجة معاوية ، فسمعت

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ١/٨٧ وفى تاريخ ابن كثير ٩/٤٣ وفى الإصابة لابن حجر (٤/٤٨) وفى خلاصة الخزرجى ١٩٣ بولاق ، وفى تهذيب التهذيب ٥/١٧٠ ، وانظر أخباره فى العقد الفريد لابن عبد ربه (١/٢٦٢ و ٣٣٩ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٦٧ – ٢/٧٠ و ٧١ و ٧٦ طبع اللجنة)

(٢) فى ب «أسماء بنت حميس» بالحاء المهملة – تحريف صوابه فى كل الأصول التى ذكرناها من قبل

ليلةً غناء عند عبد الله بن جعفر ، فجاءت إلى معاوية ، فقالت : تعال ، فاسمع مافى منزل هذا الرجل الذى جعلته بين لحمك ودمك ، فجاء ، فسمع وانصرف ، فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر ، فأنبه فاختة ، وقال : اسمعى مكان ما أسمعتينى .

ويقولون(١) : إن أجواد الأعراب فى الإسلام عشرة ، فأجواد أهل الحجاز : عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وسعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص ، وأجواد أهل الكوفة : عبد الله بن عتاب بن ورقاء ، أحد بنى رياح بن يربوع ، وأسماء بن خارجة بن حِصْن الفَزَارى ، وعكرمة بن ربعى الفياض ، أحد بنى تَيْم الله بن ثعلبة ، وأجواد أهل البصرة : [عمر بن](٢) عبيد الله بن معمر ، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعى ، وهو طلحة الطلحات ، وعبيد الله بن أبى بكرة ، وأجواد أهل الشام : خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد بن أبى العيص بن أمية ، وليس فى هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر .

عوتب فى ذلك فقال : إن الله عز وجل عودنى عادة ، وعود الناس عادة ، فأخاف إن قطعتها قُطِعت عنى .

وأخبارهُ فى الجود كثيرة ، رحمه الله تعالى ! :

(١٨٤)

عبد الله الزبير القرشى

عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أسد بن قُصَى ، القرشى ، الأسدى(٣) شهد وقعة اليَرْمُوك والقسطنطينية والمغرب ، وله مواقف مشهورة ، وكان فارس قريش فى زمانه .

---

(١) انظر العقد الفريد ١/٣٣٩ وذيل أمالى القالى ٢٠

(٢) هذه الزيادة ليست فى العقد ولا فى ذيل الأمالى

(٣) له ترجمة فى تهذيب التهذيب ٥/٢١٣ وفى خلاصة الخزرجى ١٩٧ بولاق وفى أخبار الخلفاء للسيوطى ٨٢ وفى تاريخ ابن كثير ٧/٣٣٢ وفى تاريخ ابن الأثير ٤/ ١٤٥ بولاق

بويع بالخلافة سنة أربع وستين ، وحكم على الحجاز ومصر واليمن وخراسان والعراق ، وأكثر السند .

وولد سنة اثنتين من الهجرة ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين وأربعة أشهر .

خرجت أسماء أمه حين هاجرت حُبْلىٰ ، فنُفِسَتْ بعبد الله فى قبا ، قالت أسماء : ثم جاء بعد سبع سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمره بذلك الزبير ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه مقبلا ، ثم بايعه .

ولما قدم المهاجرون أقاموا لايُولَد لهم ، فقالوا : سحرتْنَا اليهود ، فكان أول مولود بعد الهجرة ، فكبر المسلمون تكبيرة واحدة حتى ارتجت المدينة ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأذن فى أذنيه بالصلاة ، وكان عارضاه خفيفين ، فما اتصلت لحيته حتى بلغ ستين سنة .

وأتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ، فلما فرغ قال : يا عبد الله ، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما غاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمد إلى الدم فشربه ، فلما رجع قال له : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت إلى أخفى موضع علمت به فجعلته فيه ، قال: لعلك شربته(١) ؟ قال : نعم ، قال : ولم شربت الدم ؟ ويل للناس منك ! وويل لك من الناس !

وعن إسحاق بن أبى إسحاق قال : حضرت قَتْلَ عبد الله بن الزبير ، جعلت جيوش تدخل عليه من باب المسجد ، فكان كلما دخل عليه قوم من باب حمل عليهم

---

(١) في ابن كثير « كان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتجم فى طست ، فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه ، فشربه ، فقال له : لا تمسك النار إلا تحلة القسم ، وويل لك من الناس ! وويل للناس منك. وفى رواية أنه قال له : ياعبدالله ، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد ، فلما بعد عمد إلى ذلك الدم فشربه ، فلما رجع قال : ماصنعت بالدم ؟ قال : إنى شربته لأزداد به علما وإيمانا ، وليكون شىء من جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جسدى ، وجسدي أولى به من الأرض ، فقال : أبشر ، لاتمسك النار أبدا ، وويل لك من الناس ، وويل للناس منك » اهـ

وحده حتى يُخْرِجهم ، فبينما هو على هذه الحالة إذ جاءته شرفة من شرفات المسجد فى رأسه ، فصرعته فوقع وهو يقول :

أسماء يا أسماء لا تبكينى ... لم يبق إلا حسَبى ودينى

* وصارم لا ثت به يمينى *(١)

وقال سهل بن سعد : سمعت ابن الزبير يقول : ما أرانى اليوم إلا مقتولا ، رأيت الليلة كأن السماء فرجت ، فدخلتها ، فقد والله مللت الحياة وما فيها .

وقال عمرو بن دينار : كان ابنُ الزبير يُصَلّى فى الحِجر والمنجنيقُ يصيب طرف ثوبه فما يلتفت إليه ، وكان يسمى حَمَامَةَ المسجد .

وقال ابن إسحاق : مارأيت أحدا أعظم سجدة بين عينيه من ابن الزبير .

وجاء الحجاج إلى مكة فنصب المنجنيق عليها ، وكان ابن الزبير قد نصب فُسْطاطاً عند البيت ، فاحترق واحترق قرنا الكبش الذى فُدِى به إسماعيل يومئذ ، ورمى الحجاج المنجنيق على ابن الزبير وعلى مَنْ معه فى المسجد ، وجعل ابن الزبير بيضة(٢) على الحجر الأسود ترد عنه ، يعنى خُوذة ، ودام الحصار ستة أشهر وسبع عشرة ليلة ، وخذل ابنَ الزبير أصحابُه ، وخرجوا إلى الحجاج ، ثم إن الحجاج أخذه وصلبه مُنكسا .

وكان آدَمَ ، نحيفا ، ليس بالطويل ، بين عينيه أثر السجود .

قيل : إنه بقى مصلوبا سنة ، ثم جاء إذن عبد الملك أن يُسْلَم إلى أسماء ولدها ، فأنزلوه فحنطته وكفنته ، وصَلَّتْ عليه ، وحملته فدفنته بالمدينة فى دار صفية بنت حُيَيّ ، ثم زيدت دار صفية فى المسجد ، فهو مدفون مع النبى صلى الله عليه وسلم ومع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

وكان كثير الصلاة ، كثير الصيام ، شديد البأس ، كريم الجدّات والأمهات والخالات .

---

(١) فى ب « وصارم لابت به يمينى »

(٢) البيضة – بفتح الباء وسكون الياء – الخوذة كما قال

وقال على بن زيد الجذعانى : إلا أنه كانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة ، لأنه كان بخيلا ، ضَيِّقَ العَطَنِ ، سيىء الخلق ، حسوداً ، كثير الخلاف ، أخْرَجَ محمد بن الحنيفة ، ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف .

وقال : لما كان قبل قتله بعشرة أيام دخل على أمه وهى شاكية فقال : كيف أنت يا أمه ؟ قالت : ما أجدنى إلا شاكية ، فقال لها : إن فى الموت لراحة ، قال : لعلك تمنيته لى ، ما أشتهى أن أموت حتى تأتى على أحد طرفيك ، إما قتلت ، وإما ظفرت بعدوك ، فقرت عينى ، قال عروة : فالتفت إلىّ وضحك ، فلما كان اليوم الذى قتل فيه دخل عليها ، فقالت : يا بنى لا تقبل منهم خطة عليك فيها الذل مخافة القتل ، فوالله لضَرْبَة سيف فى عز خير من ضربة سوط فى مذلة ، قال : فخرج وقد جعل له مصراع عند الكعبة ، وكان تحته ، فأتاه رجل من قريش فقال : ألا يفتح لك باب الكعبة فتدخلها ، فقال ابن الزبير : إن حرمة المسجد كحرمة البيت ، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة قتلوكم ، ثم قال :

ولست بمُبْتَاع الحياة بسبة ولا مُرْتَقٍ من خشية الموتِ سلما[1]

ثم شد عليه أصحابُ الحجاج ، فقال : أين أهل مصر ؟ فقال : هم هؤلاء من هذا الباب ، فقال لأصحابه : اكسروا أغماد سيوفكم ، ولا تميلوا عنى ، فإنى فى الرَّعيلِ[2] ، ففعلوا ، ثم حمل وحملوا معه ، وكان يضرب بسيفين ، فضرب رجلا فقطع يده ، وانهزموا فجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، فجعل رجل أسود يسبه ، فقال له : اضرب يا ابن حام ، ثم حمل عليه فصرعه ، ثم دخل أهل حمص من باب بنى شيبة ، فشد عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم رجع وهو يقول :

---

(١) فى ب « ولا مرتق من خشية الله سلما » تحريف يفسد المعنى

(٢) الرعيل : أراد به الرعيل الأول ، وهم السابقون المقدمون قبل أصحابهم من أهل الدفاع

لو كان قِرْناً واحدا كُفِيتُهُ أوردته الموت وقد ذكيته

ثم دخل أهل الأردن من باب آخر ، فجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، وهو يقول :

لا عَهْدَ لى بغارةٍ مثل السَّيْلْ لا يَنْجَلِي فيها سُهَا حتى الليل

وجاءه حجر من ناحية الصَّفا ، فوقع بين عينيه ، فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومُنَا ولكن على أقطارنا يقطر الدم(١)

ثم اجتمعوا عليه ، فلم يزالوا يضربونه حتى قتلوه .

ولما قتل كبر أهل الشام ، فقال ابن عمر : المكبرون عليه يوم ولد خير من المكبرين عليه يوم قتل .

وقتل معه مائة وأربعون رجلا منهم مَنْ سال دمُه من جوف الكعبة .

قال ابن عبدالبر : دخل عروة ابن الزبير إلى عبدالله بن مروان ، فسأله فى إنزاله من الخشبة ، فأمر بإنزاله .

قال ابن أبى مليكة : كنت ممن تولى غَسْلَه ، فجعلنا لا نتناول عضوا إلا جاء معنا فنغسله ونضعه فى أكفانه ، ونتناول العضو الذى يليه فنغسله ونضعه فى أكفانه ، حتى فرغنا منه ، فقامت أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق فصلَّتْ عليه ، وكانت قبل ذلك تقول : اللهمّ لا تمتنى حتى تقرّ عينى بخشبته(١) ، فما أتى عليها بعد ذلك جمعة حتى ماتت .

ويقال : إنها - أى أمه - لما جىء به إليها وضعته فى حجرها فحاضت ودرّ ثديها .

وقيل : إن الحجاج حَلَفَ أن لا ينزله من تلك الخشبة حتى تشفع فيه أمه(٢) ، فبقى سنة ، ثم مرت تحته أمه فقالت : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ، فيقال : إن هذا الكلام قيل للحجاج إن معناه الشفاعة فيه ، فأنزله .

---

(١) كذا ، والمشهور فى رواية البيت « ولكن على أقدامنا »

(٢) فى ث « بجثته » (٣) حسيبه الله ، وينتقم منه ويجازيه !!

وكان قتله سنة ثلاث وسبعين للهجرة .

ويقال: إن الحجاج وَرَدَ عليه كتاب عبد الملك بن مروان قبل قتل ابن الزبير : أعْطِ ابنَ الزبير الأمان ، وحكمه فى الولاية ، واستنزله عن الخلافة ، فشاور ابن الزبير أصحابه ، فأشاروا عليه بأن لا يفعل ، فقال : لاخلعها إلا الموت ، ثم قال :

الموت أكرم من إعطاء منقصة ... إن لم تَمُتْ عَبْطَةً فالغاية الهرم(١)

اصبر فكل فتى لا بدّ مخترم ... والموت أسهل مما أمّلَتْ جُشَمُ

(١٨٥)

أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الدينورى

عبد الله بن عبد الرحمن ، الدينورى ، أبو القاسم ، من رؤساء الأدباء والكتاب .

ومن شعره من أبيات يسترجع بها كتابا مُعَارا :

أنا أشكو إليك فَقْدَ نديم ... قد فقدت السرور منذ تولّى

كان لى مؤنسا يُسَلِّى همومى ... بأحاديثَ مِنْ مُنَى النفس أحْلَى

عن أبى حاتم عن ابن قريب ... واليزيدىِّ كل ما كان أملَى

وهو ركن يشكو إليك ويبكى ... ويغنى « قد آن لى أن أخَلَّى »

فتفضل به علىّ ، لأنى ... لست إلا بمثله أتسلّى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

بأبى أنت وقد طبت لنا ضما وشما

ضاق فوك العذب والعينُ وشىء لا يُسَمّى

---

(١) عبطة — بالعين المهملة مفتوحة ، ووقع فى ب ، ث «غبطة» بالغين معجمة تحريف — أى مات فى فتاء السن وطراءة العمر

(١٨٦)

محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري

عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة ، الجذامي ، المصري ، المولى ، القاضي محيي الدين بن القاضي رشيد الدين[1].

الكاتب ، الناظم ، الناثر ، شيخ أهل الترسل ، ومَنْ سلك الطريق الفاضلية في إنشائه ، وهو والد القاضي فتح الدين محمد صاحب دواوين الإنشاء .

سمع من جعفر الهمداني وعبد الله بن إسماعيل بن رمضان ويوسف بن المخيلي وجماعة ، وكتب عنه البرزالي وابن سيد الناس وأثير الدين وابن جماعة .

وكان بارع الكتابة ، له في قلم الرقاع طريقة غريبة حلوة ، وكان ذاهيبة وعصبية .

ولد في المحرم سنة عشرين وستمائة ، وتوفي بالقاهرة سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

ومن إنشائه كتاب كتبه إلى الأمير شمس الدين أقسنقر جوابا عن كتاب كتبه بفتح بلاد النوبة :

(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

أدام الله نعمة المجلس ، ولازالت عزائمه مرهوبة ، وغنائمه مجلوبة ومحبوبة ، وخُطَاه هذه تكفي النُّوَبَ وهذه تكف النوبة ، ولا برحت وطأته على الكفار مشتدة ، وآماله لإهلاك الأعداء كرماحه ممتدة ، ولا عدمت الدولةُ بيضَ سيوفه التي يرى بها الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة !

صَدَرَتْ هذه الكتابة إلى ذلك المجلس تُثْنِي على عزائمه التي وانت كل أمرٍ رشيد ، وأتت على كل جبَّار عَنيد ، وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء

---

(١) له ترجمة موجزة في شذرات الذهب ٤٢١/٥ وفي تاريخ ابن كثير ٣٣٤/١٣ وقال «محي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة ، السندي ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية » اهـ ، وله ترجمة في النجوم الزاهرة ٣٨/٨

وما ربك بظلام للعبيد ، حيث شكرت الضُمَّر الجُرْد وحمدت العِيس ، واشتبه يوم النصر بأمسه بقيام حروف العلة مقام بعض فأصبح غزو كنيسة سوس كغزو سيس ، ونُفْهِمه أنا علمنا أن الله بفضله طهر البلاد من رِجْسها وأراح العباد ، وحَسَمَ مادة معظمها الكافر وقد كان وكاد ، وعجل عيد النحر بالأضحية بكل كبش حرب يبرك فى سواد وينزل فى سواد وينظر فى سواد ، وتَحَقَّقنا النصر الذى شَفَى النفوس وأزال البوس ، ومَحَا آيةَ الليل بخير الشموس وخرب دُنْقُلة بجريمة سوس ، وكيف لا يخرب شيء يكون فيه سوس ، فالحمد لله على أن صبحتهم عزائم المجلس بالويل ، وعلى أن أولج النهار من السيف منهم فى الليل ، وعلى أن رَدّ حرب حرابهم إلى نحورهم ، وجعل تدبيرهم فى تدميرهم ، وبين خيط السيف الأبيض من الخيط الأسود من فجر فجورهم ، وأطلع على مغيبات النصر ذهن المجلس الحاضر ، وأورث سليمان المؤمن مُلْكَ داود الكافر ، وقرن النصر بعزم المجلس الأنهض ، وأهلك العدو الأسود بميمون طائر النصر الأبيض ، وكيف لا وأقسنقر هو الطائر الأبيض ، وأقرّ لأهل الصعيد كل عين ، وجمع شملهم فلا يرون من عدوهم بعدها غُرابَ بين ، ونصر ذوى السيوف على ذوى الحراب ، وسَهَّل صَيْدَ ملكهم على يد المجلس وكيف يعسر على السنقر صيد الغراب ، والشكر لله على إذلال ملكهم الذى لان وهان ، وأزاله بيأسه الذى صرّح به شرّ كل منهم فى قتاله فأمسى وهو عُرْيان(١) ، وأنهل منهل الأسنة التى غدا طعنها كفم الزق غدا والزق ملآن ، ودَقّ أقفيتهم بالسيف الذى أنطق الله تعالى بفألهم الطير فقال دق قفا السودان ، ورعى الله جهاد المجلس الذى قوم هذا الحادث المتآد ،

---

(١) أخذ هذه الفقرة والتى بعدها من قول الحماسى :

صفحنا عن بنى ذهل	وقلنا القوم إخوان
فلما صرح الشر	وأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا	ن دناهم كما دانوا
بطعن كفم الزق	غدا والزق ملآن

ولا عدم الإسلام فى هذا الخطب سيفه الذى قام خطيباً وكيف لا وقد ألبسه منهم السَّوَاد ، وشكر له عزمه الذى استبشر به وجه الزمن بعد القُطُوب ، وتحققت بلاد الشمال به صلاح بلاد الجنوب ، وأصبحت به سهام الغنائم فى كل وجه تُسْهم ، ومُتُونُ الفتوحات يمتطى السيف منها كل سيس وتارة كل أدهم ، ولله المنة على أن جعل رَبْعَ العدو بعزائم المجلس حصيداً كان لم يَغْنَ بالأمس ، وأقام فُرُوضَ الجهادِ بسيوفه المسنونة وأناملِهِ الخَمْس ، وقَرَن ثباته بتوصيل الطعن لنحور الأعداء ووقْتُ النحر قيدُ رمح من طلوع الشمس ، ونرجو من كرم الله تعالى إدراكَ المطلوب ، وردّه على السيف بعيبِ هربه والعبدُ الأسودُ إذا هَرَبَ يُرَدّ بعيب الهروب

وفى هذه الغزوة قال ابن النقيب الفقيسى :

يا يوم دنقلة وقتل عبيدها فى كل ناحية وكل مكان

كم فيه زنجىٍّ يقول لأمِّهِ نوحى فقد دقوا قفا السودان

وكتب فى محضر قيم حمام الصوفيـــة جوار خانقاه سعيد السعداء اسمه يوسف :

يقول الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عبد الظاهر : إن أبا الحجاج يوسف ما برح لأهل الصلاح قيما ، له جَوْدة صناعة استحق أن يدعى بها قيما ، كم له عند كل جسم من منّ جسيم ، وكم أقبل مستعملوه تعرف فى وجوههم نَضْرَةَ النعيم ، وكم تجرد مع شيخ صالح فى خَلْوه ، وكم قال ولى الله يا بشراى إنه ليوسف حين أدلى فى حوضٍ دَلْوه ، كم خَدَم من العلماء والصلحاء إنساناً ، وكم أُدّخر بركتهم لدنيا وأخرى فحصل كل منهم شفيعين مؤتزرا وعريانا[(١)] ، كم حرمة خدمة له عند

---

(١) أخذ هذه الفقرة من قول الفرزدق فى طلاق زوجه نوار :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا

ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

أكابر الناس ، وكم له يد عند كل جَسَد ومنة على راس ، كم شكرته أبْشار البَشَر ، وكم حَكَّ رجل رجل صالح فتحقق هناك إن السعادة لَتَلْحَظُ الحجر ، قد مَيَّزَ بخدمة الفضلاء والزهاد أهله وقبله وقبيله ، وشكر على ما يُعاب به غيره من طول الفتيلة ، تتمتع الأجساد بتطبيبه لحمامه بظل مَمْدود وماء مَسْكوب ، وتكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن تكون أنبوباً على أنبوب .

وكتب إلى بعض أصحابه يستدعِيهِ إلى حمام :

هل لك ـ أطال الله بقاءك إطالةً تكرع بها من منهل النعيم ، وتَتَملَّى بالسعادة تملى الزهر بالوَسْمى[1] والنظر بالحسن الوَسِيم ! ـ فى المشاركة فى حمام جَمَع بين جنة ونار ، وأنواء وأنوار وزهر وأزهار ، قد زال فيه الاحتشام فكل عارٍ ، ولا عَارَ ، نجوم جاماتِه لا يعتريها أفول ، وناجم رخامه لا يغيره ذُبُول ، تنافست العناصرُ على خدمة الحالِّ به ، تنافساً أحسن كل التوصل فيه إلى بلوغ أربه ، فأرسل البحر بماء جسده من جسده ، لتقبيل أخمصه إذ قصرت همته عن تقبيل يده ، ولما لم ير التراب له فى هذه الخدمة مدخلا ، تَطَفَّل وجاء وما علم أن التسريح لمن جاء مُتَطَفِّلا ، والنار رأت أن لا أحد بمباشرتها يستقل ، وأن فيها معنى بفرض الخدمة لا يخل ، لأن لها حرمة هداية الضعيف فى السُّرَى ، وبها دفع القرّ ونفع القِرَى[2] ، فأعلمت ضدها الماء فدخل وهو حار الأنفاس ، وغلَتْ مَرَاجِلُهُ عليها فلأجل ذلك داخله من صوت تسكابه الوَسْوَاس ، والهوى أنه قصر عن مطاولة هذا المبار ، فأمسك متهيِّباً ينظر ولكن من خلف زجاجة إلى تلك الدار ، ثم إن الأشجار رأت أنها لا شائبة لها فى هذه الحُظْوَة ، ولا مُسَاهمة بشىء من تلك الخلوة ، فأرسلت من الأمشاط أكُفًّا أحسنت بها وجوه الفرق ، ومرت

---

(١) الوسمى : مطر أول الربيع ، والوسيم : الجميل

(٢) القر ـ بتشديد الراء ـ البرد ، والقرى ـ بكسر القاف مقصوراً ـ مايقدم للضيف

على سواد الغدائر الفاحمة كما يمر البرق ، وذلك على يد قيم قَيِّمٍ بحقوق الخدمة ، ماهر فيما يعامل به أهل النعيم من أسباب النعمة ، خفيف اليد مع الأمانة ، موصوف بالمهابة عند أهل تلك المَهَانة، لطف أخلاقا حتى كأنها عتاب بين جَحْظَة والزمان[1] ، وأحسن صنيعه فلا يمسك إلا بمعروف ولا يُسَرِّح إلا تسريحا بإحسان، أبداً يرى من نظافته وهو ذو صَلَف[2] ، ويشاهد مُزِيلا لكل أذى حتى لو خدم البدرَ أزال عن وَجْهه الكَلَف ، بيده مُوسًى كأنه صَبَاح ينسخ ظلاما ، أو نسيم ينفض عن الزهر أكماما ، إذا أخذ صابونه أوْهَمَ من يخدمه بما يمره على جسده أنه بحر عجاج ، لما يبدو من زَبَدِ الأعكان التى هى أحسن من الأمواج ، فهلم إلى هذه اللذة ، ولا تعد الحمام دعوة أهل الحرف فربما كانت هذه من بين تلك الدعوات فَذَّة ، ولعل سيدنا يشاهد مالا يُحْسِنُ وصْفَه قَلَمِى ، ولا ينسق عطفه يدى ولا فمى ، وإذ جمح عنان بنانى فأقول ، وأخلع للخلاعة ما تستر به ذوو العقول : لدى — ألهمك الله ! — غصونٌ قد هزها الحسن طربا ، بل رماح لغير كفاح قد نَشَرت من شعورها عذبا ، وبدور أسْبَلَتْ من الذوائب غَيْهَبا ، قد جعلت بين الخصور والروادف من المآزر برزخا لا يبغيان ، وعلمنا بهم أننا فى جنة تجرى من تحتها الأنهار وتَطوف علينا بها الوِلْدان ، يكاد الماء إذا مر على أجسادهم يجرحها بمره ، والقلبُ أن يخرج إلى مباشرتها من الصدر وعجيب لأمرئ لا يلقى الأمور بصدره ، إذا أسْدَلَ بعضهم ذوائبه ترى ماء عليه ظلٌّ يرف ، وجوهراً من تحت عنبر يَشِف ، يطلب كل منهم السلام وكان الواجب أن تطلب منه السلامة ، وكيف لا وقد غدا كل منهم أمير حسن وشعره المنشور

---

(١) أخذ هذه العبارة من قول الشاعر :

ورق الجو حتى طن فيه عتاب بين جحظة والزمان

(٢) الصلف — بالتحريك — الكبر

وخاله العلامة ، إذا أفاض ماء بيده على الحُضَّار ، قلت : هـذا بدر بيده نجم تقسم منه أشعة الأنوار ، وإن أخذ غَسُولا وأمَرَّه على جسمه مفركا ، لم يبق عضو إلا اكتسب منه لطافة وراح مدركا ، فما عذرك فى انتهاز تلك الفرص ، واقتناص هذه الشوارد التى يعذر فيها من اقتنص ، والله تعالى يوالى إليك المسار ، ويجعلها لديك دائمة الاستقرار ، بمنه وكرمه !.

ومن شعره :

كم قلت لما بتُّ أرشف ريقه ... وأرى نَقِيّ الثغر دُرًّا منتقى
بالله يا ذاكَ اللَّمَى مــتروِيا ... كرّر علىّ حديث جيران النقا(١)

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

قلت للعين طيفُ إلفك سارى ... فتهيَّىْ له ولو بعَوَارِى(٢)
فَتَهَيَّتْ لقــربه وتهادت ... من دموع إليه بين جوارى
يتسابقْنَ خــدمة فتراهن لديها ... كالدر أو كالدرارى
ثم لما تحقق الطيف أن تلك ... دموع خشى جوار البحار
بات جارى ودمع عينى جارى ... فتحيرت بين جار وجارى
يا لقومى ما بين هذا وهــذا ... كيف يبقى السلو حسن اصطبارى
مفرد فى جماله إن تَبَدَّى ... خَجِلَتْ منه جملة الأقمار
كيف أرجو الوفاء منه وعاملــت ... غريما من طرفه ذا انكسار
ذو حواش يبدو لنا قلم الريحان ... من خده فَجَلَّ البارى
فيه وجــدى محقق وسُلُوى ... وكلام العــذول مثل الغبار

---

(١) فى ب ، ث « بالله ياذات اللمى » وليس بشىء

(٢) تهي : أصله « تهيء » فلما سهل الهمزة بقلبها ياء اجتمع ياء ان فحذف إحداها

ولسانى فى حبه قلم الشعـــر ورَقِّى المكتوب بالطومار

كم أكنى عنه وأكتم وجدى   وأرى الحب هاتِكَ الأستارِ

وقال فى الشبابة رحمه الله :

وناطقة بالروح عن أمر ربها   تُعبِّر عما عنـــدنا وتترجم

سكتنا وقالت للنفوس فأطربت   فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

نسب الناس للحمامة حـزناً   وأراها فى الحُزْنِ ليست هنالك

خَضَبَتْ كفها وطوّقت الجيـــد وغنت وما الحزين كذلك

وقال رحمه الله تعالى :

لئن جاد لى بالوصل طيف خياله   وأصبح محروماً رَقِيبٌ ولائم

ألا إنما الأقدار تحرم سائلا   وآخر يأتى رزقه وهو نائم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا نقل الروض أحاديثـه   عن غير نمام غدت خافيه

فإنه ينقـل أخبـــاره   إلىَّ عين عنـــده صافيه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا قاتـلى بلحـاظ   قتيلُهَا ليس يقـبر(١)

إن صبّرُوا عَنْكَ قلبى   فهـو القتيل المصـبر

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

لا واخذ الله بَنْدَكْ   فـكم وشى بى عندك(٢)

وقال عـــنى بأنى   شبهت بالغصن قدّك

---

(١) فى النجوم « ياقاتلى بجفون »

(٢) البند ـ بفتح فسكون لفظ فارسى ، وأصله العقد ، واستعمل فى العلم الـكبير ، وقالوا «فلان كثير البنود » يريدون أنه كثير الحيل

وأنت تعظم عندى أن يصلح البدر عبدك
ولست والله أرضى أن يحكى الوردُ خدَّك
فقاتل الله طرفى فكم به نلت قصدك
ولا رَعَى الله قلبى فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أنا حتى جعلت قَتْلِيَ وُكْدَكْ
وكم أطعتك جهدى وكم تجنيت جهدك
وأنت تخلف وعدى ولست أخلف وعدك
وما عشقتك وحدى بلى عشقتك وحدك
وبعد هـذا وهذا وذاك لا ذقت فقدك

وقال أيضا متغزلا رحمه الله :

ما خلت أنى من سُلوى مملق حتى غدوت من المدامع أنفق[1]
كلَّا ولا خلت اصطبارى كاسدا حتى رأيت مَصُونَ دمعى يطلق[2]
يا للرجال نصيحة من عاشق بين النفوس وبينكم أن تعشقوا
علقته غُصُنًا ببـدر مثمرا لكنَّ أخضر عارضيه مورق
لو لم تكن كالرمح قامته لما أمسى عليه لواء قلبى يَخْفِقُ
قمر له الوجه الذى هو جَنَّة أمسى بها يتنعم المتعشق
فعذاره من سندس ، ورضابه من كوثر ، وخدوده إستبرق

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

كم عاشق ظنه لما بدا وثنا حتى لوى عطفه من تيهه وثنا[3]

---

(١) مملق : اسم فاعل فعله « أملق فلان يملق » أى افتقر ولم يبق عنده شىء
(٢) كسدت تجارته : أى لم تلق رواجا
(٣) الوثن فى صدر البيت : الصنم، و« ثنا » فى عجزه : فعل ماض معناه عطف ولوى ، وكان من حقه أن يكتب بالياء ، لكنهم هكذا يكتبونه بالألف إتماما لصنعة التجنيس

رخـيم دلّ إذا ما قال واصـفه — للظبي نَفرْتَه قلنا نعم وثنـا
كم قد رمى أسهما من لحظ مقلته — فحير الناس لمـا أن رمى ورنا[١]
كم من أحاديث عشق لست أسندها — إلا بحدثنا عنـــه وأخبرنا
قالت جفونيَ لمـا لاح عارضه — أهلا به عارض قد لاح ممطرنا
الصبح غرّته ، والليـل طرّته — والقلب لا يلتقي من ذا وذا سكنا
إن قيل مَنْ هو عبد للحبيب أقلْ — لو لم أكن أنا عبدالله قلت أنا
أو قلت بدر قضيب دمية رشأ — لقال والله بي عما ذ كرت غِنَى
دع ماهناك من الأوصاف مفترقا — ودونك الكل مجموعا لدىّ هنا
كم قلت واشيك ياما كان أوحشه — وغاب عنا فمـا والله أوحشنا
فيا حبيبا به قد صرت من زمني — أشكو وكنت عليه أشكر الزمنا
أشبهت يوسف في حسن وزدت على — شاريه بالبَخْسِ يامن قدغلا ثمنا
ملأت عينيّ نوراً مشرقا وسَنًا — فلم تسع جفنها من ذا وذا وسنا
أقسمت بالصفو من ودي ومن شيمي — ما إن عصيتك لا سرا ولا علنا
كم قلت عندك لي في الحب مسألة — فيهـا افتنَا يا مليحا حسنه فتنا
هل عنك يعتاض قلبي ياحشاشته — وليس مَنْ قد نأى عنه كمن كمنا

وقال أيضا من أبيات :

ذو قوام يجور منه اعتدال — كم قتيل به من العشاق
سَلَبَ القضب لينها فهي غيظا — واقفات تشكوه بالأوراق

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

بحق ما بينـكم و بيني — لاتذ كروا لي حديث بين[٢]

---

(١) رنا : نظر
(٢) البين : الفراق

فأنتم لى بياض حظى وأنتم لى سواد عينى

وقال رحمه الله تعالى وعفا عنه :

رب روض أزرى به بدر تم حيث غالى فى تيهه والتجرى
كان ظبى أن يفضح القد بالغصـــن وأن الزلال بالريق يُزْرِى
فرأيت الأغصان ذلا لديه واقفاتٍ والعينُ للدمع تذرى
ثم لما ثنى العنان عن النهـــر غدا فى ركابه وهو يجرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

صح الصحيح وأىّ شىء يختفى بى أهيف ، وفديته من أهيف[١]
كلفى ببدر قد سما بكماله فى الأرض عن بدر السماء الأكلف
ظبى من الأتراك إلا أنه فيه من الأعراب ترك تصلف
من جَنَّة المأوى فما منه سوى أصداغه أوراقها لم تخصف
رشأ حريرىّ الخدود وإنما قلبى مُرِيدُ عذاره المتصوّف
ما أبصرته مقلة ثم انثنت إلا تقول لها ملاحته قِفِى
من قال ريقته الشهية قَرْقَفٌ للريق لم يعرف ولا للقرقف
الغصن لما مال قال تهكما فضح التكلف شيمة المتكلف
مِنْ ردفه وقوامه كم صرعة لمحبه بمثقل ومخفف
كم مزقت ألحاظه من مهجة بسوى الوضا من قلبه لم ترتفى
وبليتى هَيَفُ القدود فإنها جاءت إلىّ بفتنة لم توصف
أهوى من الأحقاف غُصْناً فصلت زمرا حياصته بأحسن زخرف[٢]

---

(١) الأهيف : الوصف من الهيف ـ بالتحريك ـ وهو ضمور البطن

(٢) أصل الأحقاف : جمع حقف ـ بالكسر ـ وهو الكثيب من الرمل ، وسميت سورة من سور القرآن الكريم «الأحقاف» وسورة أخرى منه « فصلت» وثالثة « الزمر » ورابعة « الزخرف »

فحوى حواميم النساء ووجهه أيضا حوى ميم َاللَّمَى من مرشف
فهو المعوذ من عيون حواسد برقَىَ ملاحته وتلك بها كفى
كم بت منتظرا عذاريه عسى أسلو فزاد بها عليــه تأسفى
كم قال لى لمـا أشرت لمهجتى فى ناظريك أما فقلت له وفى
فوحق وجنته أما وخيالهـا تحكى لنا الأعشار جنب المصحف
ووحق سورة يوسف ما وَجْهُهُ إلا كما قد قيل صورة يوسف
وَجْـه حكى الدينار إلا أنه عن خاطرى ونواظرى لم يصرف
كم قلت فيه لعاذلى: كن عاذرى ما كنت ممن عذلى بى تعسف[1]
كم رمت أحلف لاعشقت مهفهفا وتقول لى ألحاظه لا تحلف

وكتب إلى ولده فتح الدين :

إن شئت تنظرنى وتنظر حالتى قابل إذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ولطافة ولأجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول إليك منى ليتنى كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أيها الصائد باللحظ ومَنْ هو من بين الورى مقتنصى
لا تَسُمْ طائر قلبى هربا إنه من أضلعى فى قفص

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لقد قال لى إذ رحت من خمر ريقه أحُثُّ كئوسا من ألذ مُقَبَّل[2]
بلثم شفاهى أو برشف شفاهها تَنَقَّلْ فلذات الهوى فى التنقل[3]

---

(١) عجز هذا البيت غير مستقيم ، ولم يظهر لنا وجهه
(٢) المقبل ـ بزنة المعظم ـ موضع التقبيل ، وأراد الفم
(٣) تنقل : انتقل من موضع إلى موضع ، وما يأكلونه على الشراب يسمونه النقل ـ بفتح النون وسكون القاف ـ ويقولون « تنقل فلان » إذا أكل النقل ، وأمثلة من المعنى الأول ، فلما جعل ريقه خمراً ، جعل اللثم والرشف نقلا

وله أيضا رحمه الله تعالى :

ولم أنسه إذ قال قم نُودِعُ الدجى ذخائر وصل فالزمان كتوم

فما مثله حــرز حريز فإنه تبيت عليـــه للنجوم ختوم

وقال أيضا فى معناه :

ألا ليت ليـلاتٍ مَضَيْنَ رواجع وهل مامضى من سالف الدهر يرجع

ليالٍ مواضٍ كم قطعت بها مُنًى ولا شك فى أن المواضىَ تقطع

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أنا فى العالم طُرْفَهْ من أشد الناس حرفه(١)

إن أجد رِدْفاً ثقيلا كان فى الصرة خفه

أو أجد هذا وهذا لم أجد فى الحال غرفه

أو أجِدْهُنَّ جميعا كان فى الآلة وقفه

فترانى طول دهرى تائبا من غير عفه

وقال أيضا فى دمشق رحمه :

لا تَلُومُوا دمشق إن جئتموها فهى قد أوضحت لكم ما لديها

إنها فى الوجوه تضحك بالزهـــر لمن مرّ فى الربيع عليها

وتراها بالثلج تبصق فى لحـــية من جاء فى الشتاء إليهـا

وقال فى منزلة القطيعة :

هذى القطيعة التى لا تشتهى نقلا وعقلا

حشيت بـــبرد يابس فلأجل ذاك الحشو تقلى

---

(١) الطرفة ـ بضم الطاء وسكون الراء المهملتين ـ الشىء الطريف النادر ، وأراد بالحرفة هنا ـ بالكسر أو بالضم ـ الحرمان

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لك طرف من حسنك الفتان بالسرحة كم قد أغار على العشاق فى سبحه
لما علمت بأنه سابق اللمحة عليه قد خفت شطبته على صحه

وقال ملغزا فى شبرية :

وهندية موطوءة غير أنها إذا افترشت أغرتك بالبيض والسمر
تُعَانق من أعطافها خيزرانة وتَلْمَحُ من أزرارها طلعة البدر
على أذرع أمست تنام ، وإن تقم تفوتك طولا وهى تعزى إلى الشبر

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وكم قال قوم بالمجالس خوطبت أناس ، وما هم من رجال التنافس
فقلت لهم ماذاك بِدْع وإنه لعند الدوا يدعى الخرا بالمجالس

وقال أيضا فى أعور رحمه الله :

وأعور العين ظل يكشفها بلا حياء منه ولا خيفه
وكيف تلقى الحياء عند فَتًى عورته لا تزال مكشوفه

وقال رحمه الله تعالى دو بيت :

لله ليال أقبلت بالنعم فى ظل بناء شاهق كالعلم
بالجيزة والنيل بدا أوله فى مقتبل الشباب عند الهرم

(١٨٧)

صفى الدين عبد الله بن على ابن شكر

عبد الله بن على بن الحسين [١] بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور الصاحب، صفى الدين بن شكر، المصرى، الدميرى [٢]، المالكى .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/١٠٠ وتاريخ ابن كثير ١٣/١٠٦ ، وذكره فى النجوم الزاهرة ٦/٢٦٣ و ٢٨٠ ومعجم البلدان ٤/٨٥

(٢) فى ب ، ث « الزهيرى » وفى ابن كثير « ولد بالديار المصرية بدميرة بين مصر وإسكندرية » وضبط ياقوت « دميرة » بفتح أوله وكسر ثانيه ، وذكر فيمن نسب إليها الوزير ابن شكر

ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

سمع من السِّلَفى وجماعة وجدت بدمشق ومصر ، وروى عنه الزكى المنذرى والشهاب القوصى ، وكان مؤثراً لأهل العلم والصالحين ، كثير البرّ لهم ، لا يشغله ماهو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم ، وقد أنشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة ، وبنى مصلى العيد بدمشق ، وبلط الجامع الأموى ، وعمر الفوّارة ، وعمر جامع المزة ، وجامع حَرَستا .

وكان حلو اللسان ، حسن الهيئة ، ذا دهاء مفرط ، فيه هوَج وخبث وطيش ورعونة مفرطة وحقد لا تخبو ناره : ويظن أنه لم ينتقم فيعود وينتقم ، لا ينام عن عدوه ، ولا يقبل له معذرة ، ويجعل الرؤساء كلهم أعداءه ، ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك ، لاتأخذه فى نقامته رحمة ، استولى على العادل ظاهرا وباطنا ، ولم يمكن أحدا من الوصول إليه ، ولا الطبيب ولا الفراش والحاجب إلا عليهم عيون ، فلايتكلم أحد منهم كلمة ، وكان لا يأكل من الدولة فلسا ، فإذا لاح له مال عظيم احتجنه[1] ، وعملت له « قبسة العجلان[2] » فأمر كاتبه أن يكتبها ويردها ، وقال : لا نستحل أن نأخذ منك ورقا ، وكان له فى كل بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر ، فى مصر والشام إلى خِلاط ، وبلغ مجموع مغله[3] مائة ألف وعشرين ألف دينار ، وكان يكثر الإدلال على العادل ، ويسخط أولاده وخواصه ، وكان العادل يترضّاه بما أمكنه ، وتكرر ذلك منه ، إلى أن غضب منه على حِرّانٍ ، فأقره العادل على الغضب ، وأعرض عنه ، وظهر منه فساد ، فأمر بنفيه عن مصر والشام ، فسكن آمِدَ ، وأحسن إليه صاحبها ، فلما مات العادل عاد إلى مصر ، ووزَر للكامل ، وأخذ فى المصادرات ، وكان قد عمى ، مات أخوه ولم يتغير ، وماتت أولاده وهو على حاله ، وكان يُحَم حُمّى قوية .

---

(١) احتجنه : احتواه وضمه إلى نفسه ، ووقع فى ث « احتجبه » بالباء مكان النون ، ولها وجه (٢) فى ب « وعنت له قينة العجلان » تحريف قبيح

(٣) فى ب « مجموع نقله »

وكان يأخذه النافض وهو فى مجلسه ينفذ الأشغال ، ولا يلقى جنبه إلى الأرض ، وكان يقول : ما فى قلبى حسرة إلا من ابن البيسانى ، ما تمرغ على عتباتى ، يعنى القاضى الفاضل ، وكان ابن الفاضل يحضر عنده وهو يشتمه فلا يتغير ، ويُدَاريه أحسن مداراة ، وبذل له أموالا جَمّة، وعرض له إسهال وزحير أنهكه حتى انقطع رئيس الأطباء عنه، فدعا من حبسه عشرة شيوخ من كبار العمال والكتاب ، وقال: أنتم تتشفَّوْنَ بى وركب عليهم المعاصير وهو يزجروهم ويصيحون إلى أن أصبح وقد خَفّ ما به ، وركب فى ثالث يوم ، وكان يقف على بابه الرؤساء من نصف الليل ومعهم المشاعل والشمع ويركب عند الصباح فلا يراهم ولا يرونه ، إما أنه يرفع طرفه إلى السماء ، وإما يعرج إلى طريق أخرى ، وفيه يقول ابن عنين :

ضاع شعرى وقلّ فى الناس قدرى ... من وقوفى بباب اللئيم ابن شكر
لو أتتــــه حوالة بخراء ... قال سدّوا بلحيتى باب جحرى

وفيه يقول أيضا رحمه الله :

ونعمة جاءت إلى سِـفْلَةٍ ... أبطرهُ الإثراء لمَّا ثَرَى[1]
فالناس من بغض له كلما ... مر عليهم لعنوا شــاورا
تبًّا لمصر ولهـــا دولة ... مارفعت فى الناس إلاَّ خرا

وكان السببُ فى انحرافه عن الفاضل رحمه الله تعالى ما قاله الفاضل ، وهو : وأما ابن شكر فهو لا يشكر ، وإذا ذكر الناس فهو الشىء الذى لا يذكر ، وتوفى الفاضل رحمه الله تعالى ! وقد عصمه الله ولم يمكنه منه .

وفى ابن شكر يقول ابن شمس الخلافه :

---

(١) فى ب « أبطرت الآثر والماثرا » تصحيف، والسفلة ـ بكسر السين وسكون الفاء هنا ـ غوغاء الناس وسقاطهم ، والأصل فيـه « سفلة البعير » وهى قوائمه ، استعملو«ا فى الناس على التشبيه ، وثرى : أصله من باب رضى بمعنى أثرى أى نما ماله وكثر ، وقد يأتى من باب نصر لازما بمعنى زاد

مدحتك ألسنة الأنام مخـافة　　وتقارضت لك فى الثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخِّراً فى مدتى　　حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

وقيل : إنه عاش بعده ، وأطلق لسانه ، ثم تمنى أن لا يكون قد عاش إلى انطلاق الألسن ، ولشعراء عصره فيه أمداح طَنَّانة مليحة إلى الغاية ، فمن امتدحه ابن الساعاتى ، وابن سناء الملك ، وابن نقادة ، وابن نبيه ، وابن عنين ، وغيرهم ، والأمداح موجودة فى دواوينهم .

(١٨٤)

تقى الدين عبد الله بن على بن منجد السروجى

عبد الله بن على بن منجد بن ناجد بن بركات ، الشيخ تقى الدين السروجى .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : كان خيراً عفيفاً تالياً للقرآن ، عنده حظ جيد من النحو واللغة والآداب ، متقللا من الدنيا ، يغلب عليه حُبُّ الجمال مع العفة التامة والصيانة ، نظم كثيرا ، وغَنَّى بشعره المُغَنُّون ، وكان ينكر على المفضل[1] والمتنبى وصاحب المقامات ، ويستحضِرُ خطأ كبيراً من صحاح الجوهرى ، وكان مأمون الصحبة ، طاهر اللسان ، يتفقد أصحابه ، لا يكاد يظهر إلا يوم الجمعة ، وكان يكره أن يخبر أحدا باسمه ، لأنه كان يقول : لى مع الأصحاب ثلاث رتب : أول ما أجتمع بهم يقولون : جاء الشيخ تقى الدين ، راح الشيخ تقى الدين ، فإذا طال الأمر يقولون : جاء التقى ، فأصبر عليهم ، وأحمل أنهم قد أخذوا فى الملل ، فاذا قالوا : جاء السروجى ، راح السروجى ، فذلك آخر عهدى بهم .

وقال الشيخ شهاب الدين محمود : كان يكره مكاناً يكون فيه امرأة ، ومن دعاه قال : شرطى معروف أن لا تحضر امرأة ، وحضر فى دعوة فأحضر شواء ، فأدخل إلى النساء فقطعوه وجعلوه فى الصحون فلم يأكل منه ، وقال فيه : لَمَسْنَهُ[2] بأيديهنَّ .

---

(١) فى ب ، ث « ينكر على الفضل »
(٢) فى ب . ث « لمسوه بأيديهم »

وكان مولده سنة سبع وعشرين وستمائة بسَرُوجَ[1] ، وتوفى بالقاهرة رابع رمضان سنة ثلاث وتسعين وستمائة .

قال أبو حيان : ولما توفى قال أبو محبوبِهِ : والله ما أدفنه إلا فى قبر ولدى ، لأنه كان يهواه ، وما أفرق بينهما ، لما كان يعتقده فيه من دينه وعَفَافه ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !.

ومن شعره :

أنعم بوصلك لى فهٰذَا وقْتُه ... يكفى من الهجران ما قد ذُقْتُه
أنفقت عمرى فى هَوَاكَ وليتنى ... أعطى وصـولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره ... وسلوتُ كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حبك فارس ... بالصدق فيك إلى رضاك سبقته
أنت الذى جَمَعَ المحاسن وجهُهُ ... لـكن عليـــه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادّعى بك نسبة ... فسررت لمــــا قلت قد صدقته
بالله إن سألوك عنى قل لهم ... عبدى ومِلْكُ يَدِى وما أعتقته
أو قيل مشتاق إليك فقل لهم ... أدرى بذا وأنا الذى شوّقته
ياحسن طَيْف من خيالك زارَنى ... من عظم وجدى فيه ما حَقَّقته
فمَضى وفى قلبى عليه حسرة ... لو كان يمكننى الرقاد لحقتـه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

دنيا المحب ودينُـــــه أحبابه ... فاذا جَفَوْه تقطعت أســـبابه
وإذا أتاهم فى المحبة صـــادقاً ... كُشِفَ الحجابُ له وعَزَّ جنابه

---

(١) سروج – بفتح السين وضم الراء المهملتين – بلدة قريبة من حران من ديار مضر ، وهي التى يعيد الحريرى فى ذكرها ويبدى فى مقاماته ، فتحت فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى سنة ١٧ من الهجرة صلحا

ومتى سَقَوْه شراب أنس منهم رقت معـــانيه وراق شرابه
وإذا تهتـــك لا يُلاَم لأنه سكران عشقا لا يفيد عتابه
بعث السلام مع النسيم رسـالة فأتاه فى طى النسيم جـوابه
قَصَدَ الحمى وأتاه يجهد فى السرى حتى بدت أعــلامه وقبابه
ورأى لليلى العــامرية منزلا بالجود يعرف والنَّدَى أصحابُهُ
فيه الأمان لمن يخاف من الورى والخـــير قد ظفرت به طلاَّبه
قد أشرِعَتْ بيض الصوارم والقنا من حـوله فهو المنيع حِجَابه[1]
وعلى حمــاه جلالة من أهله فلذاك طارقة العيون تهابه
كم قلبت فيه القلوب على الثرى شوقا إليـــه وقُبِّلَتْ أعتابه
كم أخصبت منه الأباطح والربا للزائرين وفُتِّحَـــتْ أبوابه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

بالجانب الأيمن من خدها نقطة مسك أشتهى شمهـا
حسبته لمـــا بدا خالَهَا وجدته من حسنه عَمَّهـا[2]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

معامَلَةُ الأحباب بالوصـل والوفا فَدَعْ يا حبيبى عنك ذا الصَّدَّ والجفا
وإن كان لى ذنب بجهلى فعلته فمثلىَ من أخطا ومثلُكَ من عفا
أيا بدر تمّ حان منــــه طلوعه ويا غصن بانٍ آن أن يتعطفا
كفى ماجرى من دمع عينىَ بالبكا وعشقى على قلبى جرى منه ما كَفَى

---

(١) أشرعت ـ بالبناء للمجهول ـ رفعت ، والبيض : جمع أبيض ، والصوارم : جمع صارم ، وهو السيف القاطع ، وإضافة « بيض الصوارم » من إضافة الصفة للموصوف ، والقنا : أراد الرماح ، والمنيع : الذى لايوصل إليه ،

(٢) الخال : نقطة سوداء فى خد الحسان ، وهو أخو الأم ، وفى الكلمة تورية وعمها : أى أتى عليها كلها ، فعل ماض ، وفيه تورية ، والمعنى القريب العم أخو الأب لذكر الخال فى آخر المصراع الأول .

فإن كنت لاتدرى وتعرف ماالهوى ... فقصدىَ أن تدرى بذاك وتعرفا
أعِدْ ذلك الفعــل الجميل تجملا ... وإن لم يكن طبعا يكون تكلفا
فما أقبح الإعراض عمن تحبـه ... وماأحسن الإقبال منك وألطفا
تَقَدَّمَ شـوقى يسبق الدمع جاريا ... إليك ، ولـكن عنك صبرى تخلفا
فديتك محبو با على السخط والرضَا ... وعذرك مقبول على الغدر والوفا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ساعىَ الشوق الذى مذجرى ... جرَتْ دموعى فهى أعْوَانُهُ
خُذْلى جوابا عن كتابى الذى ... إلى الحســـينية عنوانه
فَهْىَ كما قد قيل وادى النقا ... وأهلهــا فى الحسن غزلانه
أمش قليلا وانعطف يسرة ... يلقـاكَ دَرْبٌ طـال بنيانه
واقصد بصدر الدرب دار الذى ... بحســـنه تحسن جيرانه
سـلم وقل بحسن قول له ... عندى حديث طال كتمانه
فيك التُقَى لازم شرط الهوى ... فحسبه أنت وأشجانه
واسأل لى الوصل فإن جاد لى ... فقل له قد طـال هجرانه
وكن صديقى واقض لى حاجة ... فشكر ذا عندى وشكرانُهُ

أنشدنى القاضى عَلَم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان مُسْتَوْفى الشام — وقد كان رحمه الله تعالى بسوق الـكتب فى شهور سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة — فى معنى أبيات السروجى رحمه الله تعالى :

قصة الشوق سِرْبهـا يا رسولى ... نحو مَنْ قُرْبُهُ مُنَاىَ وسُولِى[١]
عند باب الفتوح جار بهـاء الــدين تحت الساباط قف يا خليلى
فإذا ما حَلَلْتَ تلك المَغَانى ... قف بتلك الطلول غيرَ مُطِيل[٢]

---

(١) المنى : جمع منية — بضم الميم — وهى كل مايتمناه الإنسان ، والسول — بضم السين — أصله السؤل مهموزاً ، فسهل الهمزة بقلبها واوا لسكونها وانضمام ماقبلها

(٢) المغانى : جمع مغنى ، وأصله اسم مكان من « غنى بالمـكان » كرضى — إذا أقام ، ويراد بها المساكن والدور لأنها أمكنة الإقامة

وتأمل هناك تَلْقَ غرير الطـــرف يرمى بالنبل كل نبيل
ألفى القـــوام قد ألف المهجـــر دلالا على المحب الذايـل[1]
فإذا ما رأيتـــه من بعيد يتثنى عجبـــا بتلك الطلول
قَبِّـلِ الأرض ثم قدم إليــه قصـة تَرْجَمتْ بشرح طويل
ثم سَـــلْهُ بعد السلام عليه كيف حال المضنى الكئيب العليل
فإذا ما وجـدت حسن كلام فتلطف وقل بلا تطـــويل
جُدْ لمن فى هواك قد شفَّه الوجـــد فأضحى حِلْفَ الضنى والنحول[2]
عُدْنا إلى شعر السرجى .

وقال أيضا :

قلت لمحبوبى وقد زارنى إلىّ يا محبوبَ قلبى إلى
قد عشق الناس وقد واصلوا ما وقع الإنـكار إلا على

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا رَيِّسَ الحب أدركنى فقد وحلت مراكبُ الحب بى فى بحر أشواق
ولى بضاعة صبر ضاع أكثرها وقد عَلاَنَا الهوى يستغرق الباقى

وله أيضا رحمه الله تعالى :

تَفَقَّهْتُ فى عشقى لمن قد هويته ولى فيه بالتحرير قول ومذهب[3]
وللعين تنبيه به طال شرحــه وللقلب منه صدق ودّ مهذب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

عندى هَوًى لك طال عمر زمانه لم يبق لى صبر على كتمانه
قد ضَلَّ قلبى عن طريق سلوه فدليـــله لا يهتدى لمكانه

---

(١) ألفى القوام : يريد أن قامته تشبه الألف فى اعتدالها واستقامتها
(٢) شفه الوجد : أسقمه الحب . وحلف الضنى : ملازم السقام والمرض
(٣) التحرير ، والتنبيه ، والمهذب : أسماء كتب فى فقه الشافعية

يا صاحب القلب الذى أفراحه تلهيــه عن قلبى وعن أحزانه
عينى لفقدك قد بدا إنسانُهَا وجفا الـكَرَى شوقا إلى إنسانه
يا من بدا فى حسـنه متلطفا فعشقته وطمعت فى إحسانه
كان اعتقادى أن أفوز بوصـله فحرمته ورزقت من هجـرانه
كان الرقاد لصيد طيفك حيلتى فسلبته وفجعتنى بعيـــانه
ومنعتنى أن آجتنى من وصله ثمراً يطيب جَنَـاه قبل أوانه
ضمن التلطُّفُ منك وصلى فى الهوى لـكن أطـال ، وما وَفَى بضمانه
خوف الفراق إلى حماك يسوقنى فمتى أفوز من اللقا بأمانه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

مَدَّلى من أحب حبل صدود حين أوهى تجلدى واصطبارى[١]
ثم قال امش لى عليه سريعا كيف أمشى وما أنا باختيارى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أرى المُشْتَهَى فى روضة الحسن قد بدا على رَصَدِ المعشوق فالقلب واجد
وحقك ما السبع الوجوه إذا بدت بمغنية عن وجهه وهو واحـــد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

خدمت لذاك الوجه للثغر ناظراً لعـلّىَ أمسى واليا من ولاته
وأصْلُ حسابى ضبط حاصل وصله وتقبيله مستخرج من جهاته

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لى حبيب منه أرى وجه بدر لم يزل داخلا بباب السعاده
هو للحسن جامع حا كمىّ فلهذا عشــاقه فى الزياده[٢]

---

(١) أوهى : أضعف ، والتجلد : تكلف الجلد ، وهو الصبر
(٢) الزيادة : مكان يزاد فى المسجد الجامع ، وهى أيضا الـكثرة ، وفى كلمة « جامع » و« حا كمى » و« الزيادة » تورية

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

نديمى ومَنْ حالى من الوجد حاله ... ومن هو مثلى عن مناه بعيد
أعِدْ ذكر من أهوى فإنى مدرس ... لذكراه من شوقى وأنت مُعيد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ألاَ هل لجمع الشمل ممن أحبه ... دعوتك ملهوفا وأنت سميع
فلم يبق لى مما تشوقت مهجةٌ ... ولم يبق لى مما بكيت دموعُ

وله أيضا غفر الله له :

أفدى رئيسا كُلُّ فعل له ... يحبه العبد ويرضـــاه
ومثـــله خادمه محسن ... والعبـد من طينة مولاه

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا مرحبا بقدوم جـيران النقّا ... كمل السرور بهم وطاب الملتقَى[(١)]
أنِسَتْ بقربهم المنازل واغتدى ... وجه الزمان بهم منيرا مشرقا
ولطيب نَشْرهم تعطرت الصبا ... وأرى على الدنيا بذلك رونقا[(٢)]
فبهنّ يا قلبى تَهَنّ وطالمـــا ... قدبِتَّ نحوهم كئيبـــا شَيِّقَا[(٣)]
يا ناظرى ، ولك البشارة ، طالما ... أبكاك من ألم البعـــاد وأرقا
فلمثل هذا اليوم كنت مؤمّلا ... وإليه كنت على المَدَى متشوقا
يا جيرةً صَفَتِ الحياة بقربهم ... وغدا بهم روضُ المسرة مونقا
لا تحسبوا أنى سررت بغيركم ... مذ كان شمل وصالنا متفرقا
وحياتكم مالى سواكم مرتجًى ... أبدا ولست بغيركم متعلقا
لـكننى أخشى على أسراركم ... دمعا غـــدا متدافعا متدفقا

---

(١) الملتقى : مصدر ميمى بمعنى اللقاء
(٢) النشر ـ بفتح النون وسكون الشين المعجمة ـ الريح الطيبة ، والرونق : بهاء المنظر
(٣) الشيق ـ بفتح الشين وكسر الياء مشددة ـ المشتاق

قد عَبَّرَتْ عـبراته عن كل ما أخفى بطول بكائها لا منطقا(١)

أحببتكم وأشَعْتُ حب سواكم إذ كنت حذرانا عليكم مشفقا

ولقد وجـدتُ لبينكم ياسادتى ما أزعج القلب المَشُوقَ وأقلقا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

سأودعُكَ السرَّ الذى قد كتمته وأعلمك الأمر الذى قد علمتـه

وأفهمك المعنى اللطيف من الهوى وأشرحه حتى تقول فهمتـــه

فعندى حديث منك سوف أقوله إذا ما خلونا ساعة الوصـل قلته

وتقرأ من شوقى كتاباً مترجماً بدمعى على خدى إليك كتبته

وبى منك داء أصلُه كان نظرة عدمت اصطبارى عنك لما وجدته

سألت طبيبَ الحيِّ ماذا دواؤه فرَقَّ لمـا أشكوه لمـا سألته

أرانى إذا أبصرت شخصك مُقْبِلا تغـــير منى الحال عما عهدته

وقال جليسى ما لوجهك أصفراً فقلت له بالرغم مـــنى صبغته

ومد إلى قلبى يداً وهو خافق فغالطته عنـــه وقلت فقدته

وقال لمن تهـوى فقلت أهابه ويشرقنى دمعى إذا ما ذكرته

وقال وقد رأى زفةَ مليحٍ ليلة عرسه :

عاينت فى بارحَـتِى زَفَّةً قَضَيْتُ فيها كل أوطارى

وشَمْعُهَا مثلُ نجوم الدجى محيطة بالقمر الســارى

مازلت مذ عاينتها قائلا ياليتها كانت إلى دارى

فلما سمع والد العروس هذه الأبيات حمل ولده طبق حلوى وأتى به إلى باب الشيخ تقى الدين؛ لمـا كان يعتقده فيه .

---

(١) أحسن ما ورد فى هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

لا جزى الله دمع عينى خيراً وجزى الله كل خير لسانى

كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان

وقال أيضاً وهو عليل :

بالله إن حضَرَتْ لديك مَنِيَّتى ... وشهدْتَ من روحى الغداةَ حِمَامَهَا(١)

فكن الوَفى لهـا فأنت قتلتهـا ... وتَمَشَّ خلف جنـازتى وأمامها

فلعل منكراً أو نكيراً يُبْلِغا ... روحى بأنك قد وفيت ذِمَامَهَا(٢)

وقال أيضاً رحمه الله مُوَشَّحا :

بالروح أفديك يا حبيبى ... إن كنت تَرْضى بها فداكْ

فداوِنى اليـوم يا طبيبى ... فالجسم قد ذاب من جفاكْ

يا طلعة البدر إن تجـلّى ... وإن تثنى فغصن بان

بالوصـل طوبى لمن تملّى ... ونال من قربك الأمانى

قل لى نعم قد ضجرت من لا ... وضاع مـنى بها الزمان

فارجع إلى الله من قريب ... فبعض ما حَلَّ بى كفاكْ

من دمع عينى ومن نحيبى ... وادى الحمى أنبت الأراكْ

والله ما كنت فى حسابى ... وإنما عشقك اتفـاق

وما أنا من ذوِى التصابى ... فلِمْ دمى فى الهـوى يراق

وكلت بى تبتغى عـذابى ... بالصـد والبين والفراق

ثلاثة قد غـدت نصيبى ... ياليتها لا عـدت عـداكْ

وإن تكن ترتضى الذى بى ... فإن كل المنى رضاكْ

إن طال شوقى وزاد وجدى ... فإننى عاشق صبـور

اسمع حديثى بقيت بعدى ... أنا وحق النبى غيـور

---

(١) المنية ، والحمام — بكسر الحاء بزنة الكتاب — الموت

(٢) ليست الألف فى قوله « يبلغا » ألف الاثنين لما يلزم عليه من حذف نون الرفع من غير ناصب ولاجازم ، وهو من الشذوذ بمكان ، وإنما هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة ، وتوكيد الفعل المضارع فى مثل هذه الحال كثير ، والذمام — بكسر الذال — العهد

ما أشتهى أن يكون ضدى   يمشى حواليك أو يدور
كأنما لحظه رقيبى   ملازم عند ما أراكْ
يسعى إلى الناس فى مغيبى   يقول هذا يحب ذاكْ
جميع ما تشتهى وترضى   علىّ إحضاره إليك
وذاك شىء أراه فرضاً   بالله قل لى وما عليك
أنفِقْ وخذ ما تريد نضا   فحاصلى أمره لديك
فأنت يا نزهتى طبيبى   عن صحبتى مالك انفكاك
ولا ابن عمى ولا نسيبى   يرى إلى مهجتى سواك
إن كنت تهوى مقام شرب   قم نغتبق ثم نم نصطبح
تعال حتى تزيل عتبى   و بعد ذاك العتاب نصطلح
والحقد فى القلب لا تُخَبِّى   ورَوِّحِ الهم كى تستريح
فالعيش للعاشق الكئيب   يطيب للأنس فى حماك
فى خلسة المنظر العجيب   تجيبه كلما دعاك

وقال أيضا موشحا رحمه الله :

يا لائمى فى الهوى كفانى   فَعَدِّ عن بعض ذا الملام(١)
لِمْ لا تلوم الذى جفانى   وصَدَّ عن مقلتى المنام
هواه مِنْ أشكل المسائل   كم حار فى وصفه فقيه
وفيه ما تنفع الوسائل   أخشاه جهدى وأتقيه(٢)
وكم عتاب وكم رسائل   أعدها حين ألتقيه
يهتزُّ من نشوة الدنان   كأنما لحظه مدام

---

(١) عد عنه : أى تجاوزه إلى غيره ، ويراد اتركه ، وذا هنا : اسم إشارة ، والمراد اترك بعض هذا اللوم

(٢) الوسائل : جمع وسيلة ، وهى كل ما تتوسل بها إلى بلوغ غرض من أغراضك ، وأتقيه : أتحاماه وأباعد نفسى عنه

ويعترى سكتة اللسان يعود لا يفصح الكلام
أقسام هجرانه لعشقى ماض ومستقبل وحال[1]
خاطَرْتُ فى حبه بنطقى إذ قلت لا بد من وصال
أخلصت عزمى به وصدقى وقد تعرضت للسؤال
عسى بعين الرضا يرانى من غير عجب ولا احتشام
يُبَدِّلُ البعد بالتدانى ويعقب الهجر بالتئام
سكرت من حبه بشمس من فوق عطفيه تطلع
وفيه يومى مضى وأمسى وشَمْلُنَا لَيْسَ يُجْمَعُ
عَسَى غَدَاةَ اللقاء أُمْسِى قَدْ ضَمَّنَا فيه مَوْضِعُ
وأنهب العيش من زمانى بالضم من ذلك القوام
وأبلغ القصد والأمانى بلثم ما قد حوى اللثام
مالى عذول عليه لكن لسوء حظى له رقيب
يكون فى أبعد الأماكن تلقاه من جمعنا قريب
وفى فؤادى هواه ساكن وما لدائى به طبيب
فى حسنه كامل المعانى كأنه البدر فى التمام
وإنما نقصه اعترانى وذاب قلبى من الغرام
إذا تخلَّصت من غرامى أتوب منه ولا أعود
ولا أقاسى على الدوام من لم يزل ينقض العهود
أجفانُ عينى به دَوَامِى من طول ما يخلف الوعود
أراه بالطيف إن أتانى وليس فى وصله مرَام
وعن كلامى به توانى حتى ولا لفظة السلام

رحمه الله تعالى وتجاوز عنا وعنه وعن جميع المسلمين آمين يا رب العالمين!

---

(١) يريد أنه عشقه من قديم ، وأن هواه باق على توالى الأزمان

(١٨٥)

عبد الله بن على بن محمد بن سليمان بن حمائل .

جمال الدين عبد الله بن على بن حمائل

هو جمال الدين بن الشيخ علاء الدين بن غانم ، الكاتب ، الناظم ، الناثر ، الفاضل ، المترسل .

كان شابا حسن الشكل ، مليح الوجه ، جيد الكتابة فى الدرج ، مع قوة واصلة ، وتسرع فى الإنشاء ، يكتب من رأس قلمه ، وله غوصٌ فى نثره ونظمه .

مولده فى شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة .

وتوفى فى آخر شوال سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، رحم الله تعالى شبابه ! ويَسَّر حسابه ! .

مرض فى مدة عمره مرضا حادا مرة ، ونجاه الله تعالى منه .

ثم إنه حصلت له سعلة ، قرحت منه قصبة الرئة ، وبقى متمرضا من ذلك ، يصح آونة ، ويعتل أخرى ، إلى أن قضى نحبه .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى — رحمه الله تعالى ! — يرثيه :

تبكى الطُّرُوسُ عليك والأقلام ... وينوحُ فيك على الغصون حمامُ

يا من حَوَاه اللحد غصنا يانعا ... وكذا كسوف البدر وهو تَمَامُ

ياوحشة الديوان منك إذا غدت ... فيـــه مُهِمَّات البريد تُرَام

مَنْ ذا يوافيها مقاصِدَهَا على ... ما يقتضيـــه النقضُ والإبرام

هيهات كنت له جمـالا باهرا ... فعليه بعــدك وحشة وظلام

أســفى على الإنشاء وهو بجلقٍّ ... نشاؤه قد مات والنـــظَّامُ[1]

(١) جلق : اسم من أسماء دمشق ، وقيل : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل : اسم موضع بقرية من قرى دمشق ، وهى بكسر الجيم وكسر اللام مشددة ، وفيها يقول حسان بن ثابت :

لله در عصابة نادمتهم ... يوما بجلق فى الزمان الأول

ولو كان عجز البيت « وشاؤه قد مات والنظام » لتم التوجيه

كم من كتاب سار عنك كأنه ... بُرْدٌ أجاد طرازه الرقَّامُ
إن كان فى شرّ فقد ردّ الردى ... وبه ترفّهَ ذابل وحسام
لم لا يردّ البأس ما ألفاتُهُ ... مثلُ القنا واللام منه لام
أو كان فى خير فكل كلامه ... درّ يؤلف بينهنّ نظام
وكأنما تلك السطور إذا بدت ... كأس ترشف تاجها الأفهام
يهتز عِطفُ أولى النهى لبيانه ... فكأن هاتيك الحروف مدام
كم فيه وجه سافرٌ مثل الضحى ... وعليه من ليل السطور لثام
ولكم كتبت مطالعاتٍ خدّها ... قانٍ وثغر فصولها بسّامُ[1]
وكأنما ألفاتها قُضُبُ اللِّوَى ... وكأنما همزاتهنّ حَمامُ
صلى وراءكَ كل من عاصرته ... علماً بأنك فى البيان إمامُ
وكأن قبرك للعيون إذا بدا ... (قصر عليه تحية وسلام)[2]
لما تغيب فى التراب جمالهم ... قعدوا لهولٍ عاينوه وقاموا
ما كُنْتَ إلا فارس الكتب التى ... فيها تفرق صنعه الأقلام
ما محنة نزلت بعترة غانم ... هانوا، وهم فى العالمين كرام
يا قبره لا تنتظر سُقْياَ الحيا ... حزنى ودمعى بارق وغمام
لى فيك خِلٌّ كم قطعت بقربه ... أيام أنس والخطوبُ نيام
لَذَّت فلَذَّتْ بظلها فكأنها ... لقياد لَذَّات الزمان زمام
أسفى على صحب مضى عمرى بهم ... وصَفَتْ بقربى منهم الأيام
(ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأننا وكأنهم أحلام)[3]

---

(١) قان : أحمر شديد الحمرة ، وبسام : مبالغة باسم ، ومعناه كثير الضحك

(٢) هذا صدر بيت لأشجع السلمى هو مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وعجزه فى كلامه قوله « خلعت عليه جمالها الأيام »

(٣) هذا بيت لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى من قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المأمون (الديوان ٢٧٩) وأول هذه القصيدة فى كلام أبى تمام قوله:

دمن ألم بها فقال سلام ... كم حل عقدة صبره الإلمام

بالرغم منى أن أفارق صاحبا لى بعده ضرّ النـوى وغرام

يا من تقـدّمنى وسار لغاية لا بدّ لى منهـا وذاك لزام

قد كنت أحسبه يرثينى فقـد عكست قضيته معى الأحكام

أنا ما أراك على الصراط لأنه بينى و بينـك فى الأنام زحام

إذ قد سبقتَ خفيفَ ظهرٍ لا كمن قد قيـدت خطواتِهِ الآثام

فاز المُخِفُّ وقد تقـدم سابقا وشفيعه لإلٰـه الإسـلام

فاذهب فأنت وديعة الرحمن لى يلقاك منـه البرُّ والإكرام

و يجود قبرك منه غيثُ سماحةٍ بالعفو صَيِّبُ وَدْقِهَا سَـجَّامُ

ولقد قضيتك حَقّ ودك بالرثا والحـرّ من يُرْعَى لديه ذِمام

خَلَّفتنى رهن التنـدم والأسى تعتادنى الأحـزان والآلام

ومن شعر جمال الدين المذكور ، ما كتبه إلى الشيخ صلاح الدين الصفدى وهو بالديار المصرية ، رحمه الله تعالى :

ذَكَّرْتُ قلبى حين شَطَّ مزارهم بهمُ فناب عن الهوى تذكارهم (١)

و بكى فؤادى وهو منزل حبهم وأحق من تبكى الأحبة دارهم

و يحلِّق الجفنُ الهمولُ كأنمـا لحته عنـد مرورهم أنوارهم

تُذْرِى الدموع عليهم ، وكأنهم زهر الربا ، وكأنهـا أمطارهم

و بكين من حالى العواذل رحمة لما بكيت وما الأنينُ شعارهم (٢)

ويح المحبـين الذين بودّهم قرب المـزار ولو نأت أعمارهم

فقدوا خليلهم الحبيب فأذكيت بالشوق ما بين الأضالع نارهم

---

(١) شط مزارهم : بعد الموضع الذى يزارون فيه ، ومن شعر عمر بن أبى ربيعة :

تشط غدا دار جيراننا وللدار بعد غد أبعد

(٢) « بكين العواذل » جاء على لغة ضعيفة تلحق علامة التثنية والجمع بالفعل المسند إلى اسم ظاهر

مولى تقلص ظل أنس منه عن ... أصحابه فاستوحشت أفكارهم

كم راقَهُمْ يوما برؤية وجهه ... مالا يروقهمُ له دينارهم[1]

ولكم بَدَتْ أسماءهم فى حلية ... من لفظه وكذا غدت أبصارهم

كانوا بصحبته اللذيذة رُتَّعاً ... بمسرة ملئت بها أعشارهم[2]

يتنافسون على دنو مزاره ... وكأنما بلقاه كان فخارهم

لا غيَّبَ الرحمن رؤية وجهه ... عن عاشقيه فإنها أوطارهم

وجلا ظلام بلادهم من نوره ... فلقد تساوى ليلهم ونهارهم

فكتب الشيخ صلاح الدين إليه الجواب :

أفدى الذين إذا تناءت دارهم ... أدناهُمُ من دارهم تذكارهم[3]

فى جِلِّقَ الفيحاء منزلهم ، وفى ... مصر بقَلْبِ الصب تضرم نارهم

قوم بذكرهمُ الندامى أعرضوا ... عن كأسهم وكفتهمُ أخبارهم

وإذا الثناء على محاسنهم أتى ... طربوا له وتعطرت أوتارهم

وإذاهمُ نظروا بحسن وجوههم ... لم تبق أنجمهم ولا أقمارهم

فهمُ النجوم إذا أُدلهمَّ ظلامهم ... وهم الشموس إذا استنار نهارهم

دَنَتِ النجوم تواضعاً لمحلهم ... وترفعت من فوقها أقدارهم

وبكفهم وبوجههم كم قد هَمَتْ ... أنواؤهم وتوقّدَتْ أنوارهم

أهدى جمالهمُ إلىَّ تحيةً ... منها يُدَار على الأنام عُقَارهم

لك ياجمال الدين سَبْق فى الوفا ... حتى تقر لصفوه أكدارهم

ياابن الكرام الكاتبين فشأنهم ... صدق المودة ، والوفاء شعارهم

---

(١) وقع فى ب « لم يأتهم يوما برؤية وجهه » تحريف ، وصوابه ما أثبتناه موافقاً لما فى ث

(٢) رتع : جمع راتع ، وهو اسم فاعل فعله « رتع يرتع » أي لعب

(٣) تناءت : بعدت ، مثل نأت ، وأدناهم : قربهم

قوم إذا جاءوا إلى شأو العلى سبقوا إليه ولم يُشَقَّ غبارهم[1]
صانوا وزانوا باليراع ملوكهم أسوارهم من كتبهم وسوارهم
ما مثلهم فى جودهم ؛ فلذاك قد عزت نظائرهم وهان نُضَارهم
فتعلَّمُ الشيمات من أخلاقهم وتنوب عن زهر الربا أشعارهم
وحمام يحمى النزيل بربعه من جور ما يخشى ويُرْغى إجارهم
بالرغم منى أن بعدت ولم أجد ظلا تفيؤه علىَّ ديارهم
لو كان يمكننى وما أحلى المنى ما غاب عنى شخصهم ومزارهم
ويح النوى شَمْلَ الأحبة فرقت فمتى يفك من البعاد إسارهم

واجتمع يوماً هو وجمالُ الدين بن نُبَاته فى غياض السَّفَرْجل فقال جمال الدين ابن نباته :

قد أشبه الحمَّامَ منزلُ لهونا فالماء يسخن والأزاهر تحلق
فلذاك جسمى منشد ومصحف عرق على عرق ومثلى يعرق

فقال جمال الدين بن غانم :

ما أشبه الحمَّامَ منزلُ لهونا إلا لمعنًى راق فيه المنطقُ
فالدَّوْحُ مثل قبابِهِ والزهر كالـ ـجامات فيه وماؤه يتدفقُ

(١٩٠)

موفق الدين عبد الله ابن نصر الله الأنصارى

عبد الله بن عمر بن نصر الله الفاضل الحكيم موفق الدين[2] الأنصارى المعروف بالْوَزَّان[3]
كان قادراً على النظم ، وله مشاركة فى الطب والوعظ والفقه ، وكان حُلْو

---

(١) الشأو — بفتح الشين وسكون الهمزة — الأمد والغاية ، وقالوا « فلان بعيد الشأو » ، ولم يشق غبارهم : كناية عن أنه لا يلحقهم فى ذلك أحد ، وأصله فى الفرس يجرى فيثير غباراً كثيفاً خلفه ؛ فإذا عبروا عن أنه لا يلحق قالوا : « لا يشق غباره »

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٥٨/٥ والنجوم الزاهرة ٢٨٢/٧ وقد وقع فى ب ، ث « عبد الله بن عز » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الشذرات والنجوم

(٣) كذا فى ب ، ث ، وفى الشذرات « المعروف بالورل » وفى الذهبى « بالورق »

النادرة ، لا تُمَل مجالسته ، أقام ببعلبكّ مدة ، وخَمَّس مقصورة ابن دريد ومرثية في الحسين بن علي عليه السلام ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله تعالى :

أنا أهوى حلو الشمائل أَلْمَى ... مشهد الحسن جامع الأهواء[1]

آية النمل قد بدت فوق خديـــه فهيموا يا معشر الشعـــراء

وكتب أيضاً إلى بعض الكتاب :

أيا ابن السابقين إلى المعـالى ... ومَنْ في مدحه قال وقيـــل[2]

لقد وصل انقطاعي منك وَعْدٌ ... فمن قطع الطريق على الوصول[3]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

من لي بأسمر في سواد جفونه ... بيض وحمر المنـــايا تُنْتَضَى

كيف التخلص من لواحظه التي ... بسهامها في القلب قد نفذ القضا

أو كيف أجحد صبوة عُذْرِية ... ثبتت بشاهد قده العدل الرضا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

تجور بجَفْن ثم تشكو انكساره ... فواعجبا تَعْدُو عليَّ وتَسْتَعْدِى

أحمل أنفاس القبول سلامها ... وحسبي قبولا حين تسعف بالرد

تشذَّتْ فمال الغصن شوقاً مقبلا ... من الترب ماجرت به فاضل البُرْدِ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ياسعد إن لاحت هضابُ المنحنَى ... وبدت أثيلات هناك تبين

عرّج على الوادي فإن ظباءه ... للحسن في حركاتهن سكون

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

لله أيامنا والشمل منتظـــم ... نظم به خاطر التفريق ماشعرا

---

(١) ألمى : وصف من اللمى — بفتح اللام مقصوراً — وهو سمرة في الشفة مستحسنة

(٢) كذا ، ولعل الأصل « وما في مدحه قال وقيل »

(٣) كذا في الأصول كلها ، وإذا صح هذا البيت على هذا الوجه كان في البيتين الإقواء

والَهف نفسى على عيش ظفرت به — قطعت مجموعه المختار مختصراً

وقال أيضاً غفر الله له :

أري غدير الروض يهوى الصَّبَا — وقد أبَتْ مِنْهُ سـكونا يدوم (١)

فؤاده مرتجف للنـــوى — وطرفه مختلج للقـــدوم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حار فى لطفه النسيمُ فأضحى — رائحا نحوه اشتيـاقا وغادى

مذ رأى الظبيُ منه طرفا وجيدا — هام وجدا عليه فى كل وادى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يذكرنى نَشْرُ الحِمَىٰ بهبُوبه — زماناً عرفنـا كلَّ طيب بطيبـه (٢)

ليـال سرقناها من الدهر خلسة — وقد أمنت عينـاى عين رقيبـه

فمن لى بذاك العيش لوعاد وانقضى — وسكن قلبى ساعة من وَجِيبِهِ

ألا إن لى شوقا إلى ساكن الغضا — أعيذ الغضا من حره ولهيبه

أحن إلى ذاك الجنـاب ومن به — ويسكرنى ذاك الشذا من جنوبه

أخا الوجد إن جاوزت رملَ محجر — وجزت بمأهول الجناب رحيبـه

دع العيسَ تقضى وقفة بُربَا الحمى — ودع محرما يجرى بسفح كثيبه

وقل لغريب الحسن ما فيك رحمة — لمفرد وجـد فى هواك غريبـه

متى غرَّدَ الحادى سُحَيرا على النقا — أمال الهوى العذرى عطف طروبه

وإن ذكرت للصب أيام حاجر — هناك يُقَضَّ نحبـه بنحيبه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى :

رق النسيم لطافة فكأنما — فى طيـه للعاشقين عتـاب

وسَرَى يفوحُ تعطرا وأظنه — لرسائل الأحباب فهو جواب

---

(١) فى ب « وقد أبثته سكونا يدوم »

(٢) فى ب , ث « يذكرنى نشر الحمى وهبوبه * زمان ـ إلخ » تحريف ، وما أثبتناه عن النجوم الزاهرة

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

يا ليالى الحمى بعهد الكثيب ... إن تناءيتِ فارجعى من قريب[1]

أى عيش يكون أطيب من عيـــش مُحب يخلو بوجه الحبيب

يقطع العمر بالوصال سروراً ... فى أمان من حاسد ورقيب

يتجلى الساقى عليـــه بكأس ... هو منها ما بين نور وطيب

كلما أشرقت ولاح سَـناهَا ... آذنت من عقـــولنا بغروب

خلت ساقى المدام يُوشَعَ لما ... ردَّ شمسا بالكأس بعد المغيب[2]

نغمات الراووق يَفْقَهُهَا الكأ ... سُ ويوحِى بسِرِّها للقلوب

فلهذا يميـلُ من نَشْوَةِ الكأ ... س طروبا من لم يكن بطروب

يا نديمى أشمـأل أم شمـول ... رَقَّ منها وراق لى مشروبى

أم قدود السقاة مالت فملنا ... طـربا بين واجـد وسَلِيب

أم نسيم من حاجر هَبَّ وَهْناً ... فسكرنا بطيب ذاك الهبوب

أم سرى فى الأرجاءِ من عنبر الجـــو أريج بالبارق المشبوب

ما ترى الركب قد تمايل سكرا ... وأمالوا منا كبا لجنوب

لست أبكى على فوات نصيب ... من عطايا دهرى وأنت نصيبى

وصديقى إن عاد فيك عـدوّى ... لا أبالى ما دمت لى يا حبيبى

وقال أيضا سامحه الله تعالى :

لا غرو إن سُلبت بك الألباب ... وبديع حسنك ما عليه حجاب

يا من يَلَذُّ على هـواه تهتكى ... شَغَفاً ويَعْـذُب لى عليه عَذَابُ

---

(١) تناءيت : بعد بنا عهدك

(٢) يوشع : صاحب موسى ، رد الله له الشمس ، ومن أجل ذلك تكنى الشمس بأخت يوشع

حسبي افتخاراً فى هواك بأن لى نسباً له تسمو به الأنساب

أحبابنا وكفى عبيد هواكم شرفا بأنكم له أحباب

يا سعد مِلْ بالعيس حلة منزل أضحى لعزة ساكنيه يُهابُ

ربع تودّ به الخدود إذا مشت فيه سليمى أنها أعتاب

كم فى الخيام أهِلّةً هالاتُهَا تبدو لعينك برقع ونقاب

وشموسُ حسن أشرقت أنوارها أفلا كُهُنّ مضارب وقباب

شنوا على العشاق غارات الهوى فإذا القلوب لديهمُ أسلاب

من كل هَيْفاَء القوام إذا انثنت هز الغصون بقدِّها الإعجاب

تهب الغرام لمهجتى فى أسرها فجمالها الوهاب والنهاب

وغَدَتْ تجرُّ على الكثيب برودَهَا فإذا العبير لدى ثراه تراب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

طَرْفى على سِنَةِ الكَرَى لا يطرف
وبخيلة بخيالها لا تُسعف

وأضالعى ما تنطفى زفراتها إلا وتذكيها الدموع الذرّف(1)

شَمِتَ الحسود لأن ضَنيتُ ، وما درى
أنى بأثواب الضنى أتشرّف

ياغائبين وما ألذ نداهم وحياتكم قسمى وعز المصحف

إن بَشَّرَ الحادى بيوم قدومكم ووهبته روحى فما أنا منصف(2)

قد ضاع فى الآفاق نشر خيامكم وأرى النسيم بعرفها يتعرّف

---

(١) تنطفى : أصله تنطفىء ـ بالهمز ـ والزفرات : جمع زفرة ـ بفتح فسكون ـ وهى النفس الخارج ، والأدباء يشبهون زفرة العاشقين باللهيب ، وتذكيها : تشعلها

(٢) مثل هذا قول سلطان العاشقين عمر بن الفارض :

لو أن روحي فى يدى ، ووهبتها لمبشرى بقدومكم لم أنصف

(١٩١)

أمير المؤمنين عبدالله بن محمد أبو العباس السفاح

عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب [١] أمير المؤمنين السفاح ، أول خلفاء بنى العباس :

ولد بالحُمَيْمَةِ ، مولده سنة ثمان [٢] ومائة ، وتوفى فى سنة ست وثلاثين ومائة بالجدرى ، وعاش ثمانية وعشرين سنة ، وبويع له بالكوفة سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وهو ابنُ أربع وعشرين سنَةً ، وقد كانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر :

ولما صعد المنبر خطب قائما ، فقال الناس : يا ابن عمّ رسول الله أحييت السنة ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً ، ولم يحج فى خلافته ، وصَلَ عَبدَ الله ابن حسن بن الحسن بألفى ألف درهم ، وهو أوّل خليفة وصل بهذه الجملة ، ولما تولى الخلافة وأصعده أبو مسلم المنبر أرتج عليه ، فقال :

فإن لم أ كُنْ فيكم خطيباً فإننى   بسيفى إذا جدّ الوغَى لَخَطيبُ

وأخذ سيفه فى يده ونزل ، فعجب الناس من بلاغته و إصابته المعنى ، وهو أولُ من نزل العراق من خلفاء بنى العباس ، بُنيت له المدينة الهاشمية إلى جانب الأنبار ، وبها قبره ، وهى المعروفة الآن بالأنبار ، لأن الأولى دَرَسَتْ .

وكان من أكرم الناس فى المعاشرة ، وأسمحهم بالمال .

ومن شعره قوله فى بنى أمية :

تناولت ثأرى من أميـة عَنْوَةً   وحزت بثارى اليوم من سلفى قسرا

وألقيت ذلا من مفارق هاشم   وألبستها عـزا وأعليتها قدرا

ومن كلامه : ماأقبح الدنيا بنا إذا كانت لنا ، وأولياؤنا خالون من حسن آثارها .

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ٩٩ وتاريخ ابن الأثير ١٨٦/٥ وفى تاريخ ابن كثير ٥٢/١٠ و٥٨ - ٦١ وفى تاريخ اليعقوبى ٨٦/٣ والفخرى ١٧٧ أوربة ، ومروج الذهب ٢٦٦/٣ بتحقيقنا

(٢) وقيل : مولده فى سنة أربع ومائة

وقال : الأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة .

ولما وقع فى النزع كان آخر كلامه : إليك يارَبِّ لا إلى النار .

(١٩٢)

أمير المؤمنين
عبدالله بن محمد
أبو جعفر
المنصور

عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، أبو جعفر ، المنصور ، أمير المؤمنين(١) .

ولد سنة خمس وتسعين ، وكان قبل الخلافة يقال له « عبد الله الطويل » ، وصرّف الآفاق إلى الحِيرَة والعراق وأصبهان وفارس ، أتته الخلافة وهو بمكة ، عهد إليه أخوه السفاح ، وكان أسمر ، طويلا ، نحيفا ، خفيف العارضين ، مفرق الوجه ، رَحْبَ الجبهة ، يخضب بالسواد ، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان ، يخالط أبهة الملك بزى النساك ، تقبله القلوب ، وتَتَبَعَهُ العيون ، وكان من أفراد الدهر ، حزما ودهاء وجبروتاً ، حريصا على جمع المال .

وكان يلقب « أبا الدوانيق » لمحاسبته الكتابَ والعمال على الدّوانيق ، وكان شجاعا مَهيبا ، تاركا للهو واللعب ، كامل العقل ، قتل خلقا كثيرا ، حتى ثبت الأمر له ولولده ، وكان فيه عدل ، وله حظ من صلاة وعلم وفقه .

توفى محرما على باب مكة فى سادس ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، ودفن ما بين الحَجُون و بئر ميمون .

وكان فحل بنى العباس ، وكان بليغا فصيحا ، ولما مات خلَّفَ فى بيوت الأموال تسعمائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف درهم ، وقال : رأيت كأنى فى الحرم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكعبة ، وبابها مفتوح ، فنادى منادٍ :

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٠١ ، وفى تاريخ ابن كثير ١٠/١٢ وتاريخ ابن الأثير ٦/٦ — ١٢ بولاق ، ومروج الذهب ٣/٢٩٤ بتحقيقنا ، والفخرى ١٨٦ أوربة ، وتاريخ اليعقوبى ٣/١٠٠

أين عبد الله ؟ فقام أخى أبو العباس السفاح حتى صار على الدرجة ، فأدخل ، فما لبث أن أخرج ومعه لواء أسود على قَفَاه قدر أربعة أذرع ، ثم نودى : أين عبد الله ؟ فقمت إلى الدرجة ، فصعدت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال يعقد لى ، وأوصانى بأمّته ، وعَمّمنى بعمامة ، وكان كَوْرُها ثلاثة وعشرين ، وقال : خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة ، وعاش أربعا وستين سنة ، وتوفى ببئر ميمون من أرض الحرم ، وكان يقول حين دخل فى الثلاث وستين : هـذه تسميها العرب القاتلة ، والحاصدة ، وكان نقش خاتمه « الحمد لله » .

ومن شعره قوله لما قَتَلَ أبا مسلم الخراسانى :

زعمت أن الدَّيْنَ لا ينقضى فاكْتَلْ بما كِلْتَ أبا مجرم

واشرب كئوسا كنت تسقى بها أمرّ فى الحلق من العلقم

حتى متى تضمـــر بُغْضَآلنا وأنت فى الناس بنا تنتمى

(١٩٣)

أمير المؤمنين عبد الله بن محمد أبو القاسم (المقتـدى بامر الله)

عبد الله بن محمد ، أمير المؤمنين ، أبو القاسم ، بن ذخيرة الدين أبى العباس بن الإمام القائم بأمر الله .

بويع بالخلافة فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وهو ابن تسع عشرة سنة ، توفى أبوه الذخيرة وهو حَمْل ، وقال ابن النجار : ظهر فى أيامه خيرات كثيرة وآثار حسنة فى البلاد ، وتوفى فجأة فى تاسع عشر المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

وكان قد أحضر إليه تقليد السلطان بركياروق ليعلم عليه ، فقرأه وعلم عليه ،

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٩ ، وفى الفخرى ٣٤٢ أوربة ، وقال عنه « كان المقتـدي عالى الهمة ، خبيراً بالأمور . من أفاضل خلفائهم » وله ترجمة فى تاريخ ابن الأثير ٨٥/١٠ بولاق

ثم تغدى وغسل يديه وعنده جاريته شمس النهار ، فقال لها : هؤلاء الأشخاص قد دخلوا بغير إذن ، قالت : فالتفتُّ فلم أر شيئاً ، ورأيته قد تغير حاله ، فاسترخَتْ يدَاه ، فظننت أنه قد غشى عليه ، فقلت لجارية عندى : ليس هذا وقت البكاء ، فاستحضرت الوزير وأخبرته الخبر ، فأخذ البيعة لولده المستظهر بالله أحمد .

وكانت قواعد الخلافة فى أيامه باهرة ، والحرمة وافرة ، وكان محبا للعلوم ، مكرما لها ، ولأهلها ، وله أشعار فمنها :

أردت صفاء العيش مَع مَنْ أحبه ... فحاولنى عما أريد مريد

وما اخترت بَتّ الشمل بعد اجتماعه ... ولكنه مهما يريد أريد

وله أيضاً :

أما والذى لو شاء غَـيّر مابِنا ... فأهوى بقوم فى الثراء إلى الثرا

وبدَّلنَا من ظلمة الجور بعد ما ... دَجَا ليلُهَا صبحا من العدل مسفرا

وكانت خلافته عشرين سنة وأشهرا ، وأمه أم ولد ، وكان أبْيَضَ أشْهَلَ ، رحمه الله تعالى !

(١٩٤)

عبدالله بن محمد ابن سنان الخفاجى

عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان ، أبو محمد ، الخفاجى ، الشاعر ، الأديب[١] . كان يرى رأى الشيعة ، وكان قد عصى بقلعة عزاز[٢] من أعمال حلب ، وكان بينه وبين أبى نصر محمد بن الحسن بن النحاس الوزير لمحمود بن صالح مودة مؤكدة ، فأمر محمود أبا نصر بن النحاس أن يكتب إلى الخفاجى كتابا يستعطفه ويؤنسه ، وقال : لا يأمن إلا إليك ولا يثق إلا بك ، فكتب إليه كتابا ، فلما فرغ منه

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٩٦/٥ وهو صاحب كتاب « سر الفصاحة » فى علم البلاغة ، وقد ذكر حاجى خليفة هذا الكتاب فى كشف الظنون (٩٨٨) وزعم أنه فى علم اللغة ، ولم يزد عن ذكر اسم المؤلف وسنة وفاته

(٢) فى النجوم « أعزاز » وفى ب « عزار » والصواب ما أثبتناه موافقاً لما فى ث ومعجم البلدان بعين مهملة مفتوحة وزايين

وكتب « إن شاء الله تعالى » شدّد النون من إن ، فلما قرأه الخفاجى خرج من عزاز قاصدا حلب ، فلما كان فى الطريق أعاد النظر فى الكتاب ، فلما رأى التشديد على النون أمسك رأسَ فرسه ، وفكر فى نفسه ، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثا ، فلاح له أنه أراد (إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) فعاد إلى عزاز ، وكتب الجواب أنا الخادم المعترف بإنعام ، وكسر الألف من « إنا » وشدد النون وفتحها ، فلما وقف أبو نصر على ذلك سُرّ ، وعلم أنه قصد به (إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها) وكتب الجواب يستصوب رأيه ، فكتب إليه الخفاجى :

خفْ مَنْ أمنت ولا تركن إلى أحد ... فما نصحتك إلا بعد تجريب

إن كانت الترك فيهم غير وافِيَةٍ ... فما تزيد على غدر الأعاريب[1]

تمسكوا بوصايا اللؤم بينهم ... وكاد أن يدرسوها فى المحاريب

واستدعى محمود بأبى نصر بن النحاس وقال : أنت أشرت علىّ بتولية الخفاجى ، وما أعرفه إلا منك ، ومتى لم يفرغ بالى منه قتلتك ، وألحقت بك جميع من بينك و بينه صلة وحرمة ، فقال له : مُرْنى بأمر أمتثله ، قال : تمضى إليه وفى صحبتك ثلاثون فارسا ، فإذا قار بته عَرِّفْهُ بحضورك فإنه يلتقيك ، فإذا حضر سألك النزول عنده والأكل معه ، فامتنِعْ وقل له : إنى حلفتك أن لا تأكل زاده ، ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك فى الحضور عندى ، وطاوله فى الحديث حتى يقارب الظهر ، ثم ادّعِ أنك جُعْتَ وأخرج هذه الخشكنانجتين[2] ، فكُلْ أنت

---

(١) الأعاريب : جمع أعراب الذى هو جمع عرب ، واشتهر إطلاق الأعراب على سكان البادية الجافية أخلاقهم ، خاصة ، ووقع فى ب « الأغاريب » بالغين معجمة — تحريف ما أثبتناه موافقاً لما فى ث

(٢) الخشكنانة : دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملىء بالسكر واللوز أو الفستق وماء الورد ، ثم عجن وجمع وخبز ، وأهل الشأم تسميه « المكفن » اهـ عن تذكرة داود ، وقد تكلمت به العرب ، قال الشاعر :

ياحبذا الكعك بلحم مثرود ... وخشكنان وسويق مقنود

هذه وأطعمه هذه ، فإذا استوفى أكلها عجل الحضور إلىّ فإن منيته فيها ، ففعل ما أمره به ، ولما أكلها الخفاجى رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجى إلى عزاز ، ولما استقر بها وجد مَغَصاً شديدا ورعدة شديدة ، فقال : قتلنى والله أخى أبو نصر ، ثم أمر بالركوب خلفه وردّه ، ففاتهم ، ووصل إلى حلب ، وصبح من الغدّ محمودا فجاءه من عزاز من أخبره أن الخفاجى فى السياق ومات

وكانت وفاته فى سنة ست وستين وأربعمائة ، وحمل إلى حلب .

ومن شعره :

وقالوا قد تغيرت الليالى ... وضُيِّعَتِ المنازل والحقوق
فأقسم مااستجدّ الدهر خلقا ... ولا عـدوانه إلا عتيق
أليس يُرَدُّ عن فَدَكٍ على ... ويملك أكثر الدنيا عَتِيقُ[1]

وقال أيضاً :

بقيت وقد شطت بكم غربة النوى ... وما كنت أخشى أننى بعدكم أبقى
وعلمتمونى كيف أصبر عنكم ... وأطلب من رق الغرام بكم عتقا
فما قلت يوما للبكاء عليكم ... رويدا ولا للشوق بعدكم رفقا
وما الحب إلا أن أعدّ قبيحكم ... إلىّ جميلا والقلا منكم عشقا

وقال أيضاً :

هل تسمعون شكاية من عاتب ... أو تقبلون إنابة من تائب
أو كل ما يتلو الصديق عليكم ... فى جانب وقلوبكم فى جانب
أما الوشاة فقد أصابوا عندكم ... سوقاً يُنَفِّقُ كل قول كاذب
فملأتمُ من صابر ، ورقدتم ... عن ساهر ، وزهدتم فى راغب

(١) فدك — بفتح الفاء والدال جميعاً — قرية بينها وبين المدينة يومان ؛ وقيل : ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله فى سنة سبع صلحا ، ولما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى طلبت فاطمة نصيبها فيها ميراثا عن أبيها ، فامتنع أبو بكر محتجا بحديث « نحن معاشر الأنبياء لانورث ، ما تركنا صدقة » وعتيق : اسم أبى بكر الصديق رضى الله عنه

وأقلُّ ما حكم الملال عليكم … سوء القِلاَ وسماعُ قول العائب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ما على محسنكم لو أحسنا … إنما نَطْلُبُ شيئاً هينا
قد شجانا اليأس من بعدكم … فادركونا بأحاديث المنَى
وعِدُوا بالوصل من طيفكم … مقلة تفكر فيكم وسنا
لا وسحر بين أجفانكم … فتن الحب به من فتنا
وحديث من مواعيدكم … تحسد العين عليه الأذنا
ما رحَلْتُ العيس من أرضكم … فرأت عيناى شيئاً حسنا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خشْفاً … فإنا لمحنا من مرابعها ظلفا[1]
وقولا لخوط البان فلتمسك الصبا … علينا فإنا قد عرفنا بها عرفا
سرت من هضاب الشام وهى مريضة … فما ظهرت إلا وقد كاد أن تخفى
عليلة أنفاس نداوى بها الجوى … وضعفا ولكنا نرجِّى بها ضعفا
وهاتفة فى البان تملى غرامها … وتتلو علينا من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة … وقد جاوَبَتْ من كل ناحية إلفا
ويشجى قلوب العاشقين حنينُهَا … وما فهموا مما تَغَنتْ به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى … لما لبست طوقا ولا خضبت كفا
أجارتنَا أذ كرْتِ من كان ناسيا … وأضرمت نارا للصبابة لا تُطْفَى
وفى جانب الماء الذى تَرِدينه … مواعيد لا ينكرن ليا ولا خُلْفَا[2]
ومهزوزة للبان فيها تمايل … جعلن لها فى كل قافية وصفا
لبسنا عليها بالثنية ليلة … من السود لم يطو الصباحُ لها سجْفَا
لعمرى لئن طالت علينا فإننا … بحكم الثريا قد قطعنا لها كفا
ونَسْلبنها فى العرف وهى ضعيفة … ولم نبق للجوزاء عقدا ولا شنفا

(١) فى ث « فإنا لمحنا من مرابعها ظرفا » (٢) اللى : المطل والتسويف

كأن الدجى لما تولت نجومه ... مُدَبِّرُ حرب قد هَزَمْنَ له صفا
كأن عليه للمجرة روضة ... مفتحة الأنوار أو نثرة زغفا (١)
كأنَّا وقد ألقى إلينا هلاله ... سلبناه جاما أو فصمناله وَقفاً (٢)
كأن السُّهاَ إنسان عين غريقة ... من الدمع تبدو كلما ذرفت ذرفا
كأن سهيلا فارس عاين الوغى ... ففر ولم يشهد طراداً ولا زحفا
كأن سنا المريخ شُعْلَةُ قابسٍ ... يخطفها عجلان يقذفها قذفا
كأن أفول النسر طرف تعلقت ... به سِنَة ماهب منها ولا أغْفَى

(١٩٥)

عبدالله بن محمد الأزدى المغربى

عبد الله بن محمد ، الأزدى ، المغربى ، المعروف بالعطار (٣) .

قال ابن رشيق فى الأنموذج : شاعر حاذق نقى اللفظ جيد لطيف الإشارات ، مليح العبارات ، صحيح الاستعارات ، على شعره ديباجة ورونق يمازج النفس و يملك الحس ، وفيه مع ذلك قوة ظاهرة ولم أر عطارديا مثله ، لا ترى عينه شيئاً إلا صنعته يده .

وكان الأمير حسين بن ثقة الدولة قد أرادَهُ للكتابة فأبى ، وكانت له عند عبد الله بن حسين بمدينة طرابلس الغرب حال شريفة ، وجراية ووظيفة ، إلى أن نازعته نفسه إلى الوطن ، وكانت وفاته بعد الستمائة .

ومن شعره وهو غريب :

شكوت إليه جفوته ... ومن خاف الصدود شكا
فأجرى فى العقيق الدر واستبقاه فامسكا
فقلت مخاطباً نفسى ... أرق للوعتى فبكى
فقالت ما بكيت عينا ... ه لكن خده ضحكا

---

(١) النثرة — بفتح النون وسكون الثاء المثلثة — كوكب فى السماء ، والعرب تسميه نثرة الأسد ، والدرع السلسة أو الواسعة ، والزغف — بفتح فسكون — الدرع الواسعة الطويلة ، ويقال « زغفة » أيضا (٢) الوقف — بالفتح — سوار من عاج

(٣) كذا ، وانظر هذا مع قول ابن رشيق « لم أر عطارديا مثله »

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

مهفهف القامة ممشوقُها ... مستملح الخطرة معشوقها

فى طرفه من سحر أجفانه ... دعوى وفى جسمى تحقيقها

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أودعت صبرى عَيْنَ الشوق مختبرا ... ما تحتها وخبأت النوم فى الأرق(١)

لله وجنتــــه ياما أميلحَهَا ... كم بت مشتملا منها على حُرَق

حتى إذا زال صبح الخدّ عنه بدا ... ليل تَزَيَّنَ فى أعلاه بالشفق

كدوحة الورد روّاها الحَيَا فبدا ... نوارها وتوارى الشوق بالورق

(١٩٦)

عبدالله بن محمد ابن أبى الدنيا القشيرى

عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، القشيرى ، مولى بنى أمية ، يعرف بابن أبى الدنيا(٢) .

توفى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، ومولده سنة ثمان ومائتين .

وكان يؤدب المكتفى بالله فى حداثته ، وهو أحد الثقاة المصنفين للأخبار والسير ، وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب .

كتب إلى المعتضد وابنه المكتفى ، وكان مؤدبهما :

إنّ حَقّ التأديب حَقّ الأبوه ... عند أهل الحِجَى وأهل المروّه

وأحَقّ الأنام أن يعرفوا ذا ... ك ويرعَوْهُ أهلُ بيت النبوّه

وقال : كنت أؤدب المكتفى ، فأقرأته يوما كتاب « الفصيح » فأخطأ

---

(١) في ب « أودعت صبرى عند الشوق مختبراً »

(٢) له ترجمة فى البداية والنهاية لابن كثير ٧١/١١ وذكر أن وفاته كانت فى جمادي الأولى من سنة إحدى وثمانين ومائتين عن سبعين سنة

فقرصت خدّه قرصة شديدة ، وانصرفت ، فلحقني رشيق الخادم ، فقال : يقال لك ليس من التأديب سماع المكروه ، فقال : سبحان الله ! أنا لا أسمع المكروه غلامي ولا أمتي ، قال : فخرج إليّ ومعه كاغد ، وقال : يقال لك صدقت يا أبا بكر ، وإذا كان يوم السبت تجيء على عادتك ، فلما كان يوم السبت جئت ، فقلت : أيها الأمير ، تقول عني مالم أقل ؟ قال : نعم يامؤدبي ، من فَعَلَ مالم يجب قيل عنه مالم يكن .

وسمع من المشايخ ، وروى عنه جماعة ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي ، وكان صَدُوقا ، وكان إذا جالس أحداً إن شاءأضحكه ، وإن شاء أبكاه ، رحمه الله تعالى ونفعنا به !

(١٩٧)

أبو محمد
عبد الله بن محمد
الروزني

عبد الله بن محمد بن يوسف ، أبو محمد ، الزوزني ، الأديب[١] .

توفي سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وهو رجل مشهور من الشعراء ، حسن الكلام ، غزير العلم ، كثير الحلم ، سمع الحديث ، وكان خفيف الروح ، كثير النوادر والمضاحك ، سريع الجواب ، قصير القامة ، لا يزيد على ذراعين ، كثّ اللحية ، نحيف الجسم ، إلا أن وجهه بهي ، وكان يكتحل إلى قريب من أذنيه ، فصير شهرة مضحكة ، وكان ملوك خراسان يصطفونه لمنادمتهم وتعليم أولادهم .

ومن شعره :

ياسيدي نحن في زمان أبدلنا الله منه غيره
كل خسيس وكل نذل متمتع بالطيبات أيره

---

(١) لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال

وكل ذى فطنة وكَيْس يجلد من فقره عُمَيْره

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

لما رأيت الزمان نكسا وليس فى الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال وكل رأس به صُدَاعُ
وكل نذل له ارتفاع وكل حُرٍّ بِهِ اتضاع
لزمت بيتى وصنت عرضا به عن الذلة امتناع
أشرب مما ادخرت راحا لها على راحتى شعاع
لى من قواريرها نَدَامَى ومن قراقيرها سماع
وأجتنى من ثمار قوم قد أقفرت منهمُ البقاع

(١٩٨)

أمير المؤمنين عبد الله بن منصور المستعصم بالله

عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن ، أمير المؤمنين ، أبو أحمد ، المستعصم بالله بن المنتصر بالله بن الظاهر بن الناصر بن المستضىء ، البغدادى ، آخر خلفاء بنى العباس ببغداد .

كان ملكهم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة إلى سنة ست وخمسين وستمائة .

مولده سنة تسع وستمائة ، وبويع له بالخلافة لما توفى والده فى العشرين من جمادى الأول سنة أربعين وستمائة ، فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما ، وتقدير عمره سبعاً وأربعين سنة .

وكان متدينا ، متمسكا بمذهب أهل السنة والجماعة ، على ما كان عليه والده وجده رحمهم الله تعالى ، ولم يكن على ما كانوا عليه من التيقظ والهمة ، بل كان قليل المعرفة والتدبير والتيقظ ، نازل الهمة ، محبًّا للمال ، مهملا للأمور ،

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٨٦ وفى النجوم الزاهرة ٧/٦٣ وفى شذرات الذهب ٥/٢٧٠ وفى تاريخ ابن كثير ١٣/٢٠٤ وفى الفخرى ٣٨٢ أوربة

يتكل فيها على غيره ، ولو لم يكن فيه إلا ما فعله مع الملك الناصر داود فى أمر الوديعة لكفاه ذلك عاراً وشَنَاراً ، والله لو كان الناصر من بعض الشعراء ، وقد قصده وتردّد عليه على بعد المسافة ، ومدحه بعدة بقصائد كان يتعين عليه أن ينعم عليه بقريب من قيمة وديعته من ماله ، فقد كان فى أجداد المستعصم بالله من استفاد منه آحادُ الشعراء أكثر من ذلك ، إلى غير ذلك من الأمور التى كانت تصدر عنه ، مما لا يناسب منصب الخلافة ، ولم تتخلق بها الخلفاء قبله ، فكانت هذه الأسباب كلها مقدّمات لما أراد الله تعالى بالخليفة والعراق وأهله ، وإذا أراد الله تعالى أمراً هَيّأ أسبابه .

واختلفوا كيف كان قَتْلُه ، قيل : إن هولاكو لما ملك بغداد أمرَ بخَنْقِهِ ، وقيل : رفس إلى أن مات ، وقيل : مزق ، وقيل : لفّ فى بساط وأُلقى فى الدِّجْلَةِ فغطس ، والله تعالى أعلم بحقيقة الحال .

وكانت واقعة بغداد ، وقتل الخليفة من أعظم الوقائع ، قال الشيخ شمس الدين الكوفى الواعظ ، الآتى ذكره إن شاء الله تعالى يذكر خراب بغداد وقتل الخليفة :

عندى لأجل فراقكم آلام ... فإلامَ أعْذَلُ فيكم وألَامُ
من كان مثلى للحبيب مفارقا ... لا تعذلوه فالكلام كِلَامُ
نعم المساعد دمعى الجارى على ... خدّىّ إلا أنه نمام
ويذيب روحى نَوْحُ كل حمامة ... فكأنما نوح الحمام حِمَامُ
إن كنت مثلى للأحبة فاقداً ... أو فى فؤادك لوعة وغرام
قف فى ديار الظاعنين ونادها ... (يا دار ما صنعت بك الأيام)(1)

(1) هذا صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى نواس الحسن بن هانى يمدح فيها أمير المؤمنين الأمين بن الرشيد ، وعجزه من كلامه :

* ضامتك والأيام ليس تضام *

ويروى هذا العجز برواية أخرى سنذكرها قريباً ، ورواية النصف الذى اقتبسه هنا شمس الدين الكوفى ، فى ديوان أبى نواس :

* يا دار ما فعلت بك الأيام *

أعرضت عنك لأنهم مذ أعرضوا (لم يبق فىّ بشاشـه تستقام)[1]
يا دار أين السا كنون وأين ذياك البهاء وذلك الإعـظام
يادار أين زمان ر بعك مُونِقاً وشعارك الإجلال والإكرام
يا دار مذ أفلت نجومك عَمَّنَا والله من بعد الضياء ظلام
فلبعدهم قرب الردى، ولفقدهم فقد الهدى، وتزلزل الإسلام
فتى قبلت من الأعادى سا كناً بعد الأحبة لاسَقَاكِ غمام
يا سادتى أما الفؤاد فشيق قلق وأما أدمعى فَسِجَامُ
والدار مذ عدمت جمال وجوهكم لم يبق فى ذاك المقام مقام
لا حَظَّ فيها للعيون وليس للأقدام فى عرصاتها إقدام
وحياتكم إنى على عهد الهوى باقٍ، ولم يخفـر لدىّ ذِمام
فدمى حلال إن أردت سوا كم والعيش بعدكم علىّ حرام
يا غائبين وفى الفؤاد لبعدهم نار لها بين الضلوع ضِرَامُ
لا كتبكم تأتى، ولا أخبار كم تروى، ولا تدنيكم الأحلام
أقصتكم الدنيا علىّ، وكلما جدّ النوى لعبَتْ بى الأسقام
ولقيت من صرف الزمان وجوره مالم تُخَيَّـله لى الأوهام
يا ليت شعرى كيف حال أحبتى وبأىِّ أرض خَيَّمُوا وأقاموا
مالى أنيس غـير بيت قاله صَبٌّ رَمَتْه من الفراق سهام
والله ما اخترت الفراق، وإنما حكمت علىّ بذلك الأيام

ومن الاتفاقات العجيبة: أن أوّل الخلفاء من آل أبى سفيان، اسمه معاوية، وآخرهم اسمه معاوية[2]، وأولَ الخلفاء الفاطميين بالمغرب والديار المصرية، اسمه

---

(١) عجز هذا البيت هو عجز بيت أبى نواس فى رواية أخرى غير التى ذكرناها، فى البيت قبله، وقد غير فيه الشاعر قليلا، وهو فى شعر أبى نواس هكذا:

* لم تبق فيك حشاشة تستام *

(٢) آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد الملقب بالحمار

عبد الله[1] ، وآخرهم اسمه عبد الله ، وأول الخلفاء من بنى العباس عبد الله السفاح ، وآخرهم عبد الله المستعصم ، وكان عددهم سبعاً وثلاثين خليفة ، ومدة ملكهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، فسبحان من لا يزول ملكه !

وقال القاضى جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى : أخبرنى مَنْ أثق بنقله يوم ورود الخبر بتملك التتر بغداد أنه وقف على كتاب عتيق[2] ما صورته : إنّ على ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، جدّ الخلفاء العباسيين ، بلغ بعض خلفاء بنى أمية عنه أنه يقول : إنّ الخلافة تصير إلى ولده ، فأمر به ، فضرب ، وحُمل على جمل ، وطيف به ، وهم ينادون عليه : هذا جزاء مَنْ يجترىء ويقول : إنّ الخلافة تكون فى ولده ، فكان يقول : إى والله إن الخلافة تكون فى ولدى ، ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خُراسان فينزعها منهم ، فوقع مصداق ذلك وهو ورود هُولاَكو من خراسان و إزالة ملك بنى العباس .

قال الشيخ شمس الدين الذهبى رحمه الله تعالى : توفى الخليفة فى أواخر المحرّم سنة ست وخمسين وستمائة ، وما أظنه دفن ، وكان الأمر أعظم من أن يوجد من يؤرخ موته أو يوارى جسده ، وراح تحت السيف أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فيقال : إنهم أكثر من ألف ألف ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلىّ العظيم ، وخلت بغداد من أهلها ، وتشتت مَنْ بقى منهم فى البلاد .

وقال الشيخ شمس الدين الكوفى الواعظ ، المقدّم ذكره ، يذكر واقعة بغداد ، ويرثى أهلها ، ويذكر خرابها :

إن لم تقرّح أدمعى أجفانى   من بعد بعدكم فما أجفانى

---

(١) اسم أولهم عبيد الله المهدى

(٢) ما زالت هذه القصة إحدى الوسائل التى كان أتباع العلويين والعباسيين يروجون بها للدعاية لهم ، وقد سئل أبو الحسنين على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه وأرضاه : هل أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ترك فيهم خاصة شيئا ؟ فأجاب بأنه لم يخصصهم من بين سائر الأمة بعلم ، إلا ما فى هذه الصحيفة ، وليس فى هذه الصحيفة شىء من ذلك .

إنسان عيني مذ تناءت داركم ما راقه نظر إلى إنسان[1]
يا ليتني قدمتُ قبل فراقكم ولساعة التوديع لا أحياني
مالى وللأيام شتّت شملُهَا حالى وخَلاّني بلا خِلاّنِ[2]
ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلى ولا جيرانها جيرانى
وحياتكم ما حلها من بعدكم غير البِلَى والهدم والنيران
ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم ووقفت فيها وقفة الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم فتكلمت لكن بغير لسان
ناديتها يا دار ماصَنَعَ الأولى كانوا هم الأوطار فى الأوطان[3]
أين الذين عهدتهم ولعزهم ذُلاًّ تخر معاقدُ التيجان
كانوا نجوم مَنِ اقتدى فعليهم يبكى الهدى وشعائر الإيمان
قالت : غَدَوْا لما تبدد شملهم وتبدّلوا من عزهم بهوان
كدم الفِصاد يراق أرذل موضع أبداً ويخرج من أعز مكان
أفنتهمُ غِيَرُ الحوادث مثل ما أفنت قديماً صاحب الإيوان[4]
لما رأيت الدار بعد فراقهم أضحت معطلة من السكان
مازلت أبكيهم وألثم وحشةً لجمالهم مستهدمَ الأركان
حتى رثى لى كل من ماوَجْدُهُ وجدى ولا أشجانه أشجانى
أترى تعود الدار تجمعنا كما كنا بكل مسرّة وتهان
إذ نحن نغتنم الزمان ونجتنى بيد الأمان قُطُوفَ كل أمانى
والدهر تخدمنا جميع صروفه والوقت يعدينا على العدوان

---

(١) إنسان العين : النكتة التى تبدو سوداء فى وسط سوادها ، وبها يبصر
(٢) خلانى — بفتح الخاء — تركنى ، وخلانى — بكسر الخاء — جمع خليل، وهو الصديق (٣) الأوطار : جمع وطر ، وهو البغية والمقصود
(٤) صاحب الإيوان : كسرى ملك الفرس

والعيش غَضٌّ والدنو ممزق بيد الوصال ملابس الهجران
هيهات قد عز اللقاء وسددت طرق المزار طوارق الحدثان
مالى أردد ناظرىَّ ولا أرى الأحباب بين جماعة الإخوان
والهفتى واوحدتى واحيرتى واوحشتى واحر قلبى العانى
سرتم فلا سَرَتِ النسيمُ ولازها زهرٌ ولاماست غصون البان
مالى أنيس بعدكم غير البكى والنوح والحسرات والأحزان
يا ليت شعرى أين سارت عِيسكم أم أين موطنكم من البلدان

(١٩٩)

أمير المؤمنين عبدالله بن هارون الرشيد أبو العباس المأمون

عبدالله بن هارون، أمير المؤمنين، أبو العباس، المأمون بن الرشيد بن المهدى[1]
ولد سنة سبعين ومائة، وتوفى سنة ثمانى عشرة ومائتين، وكانت خلافته
عشرين سنة وستة أشهر.

قرأ العلم فى صغره من هُشَيم وعباد بن العوام ويوسف بن عطية وأبى معاوية
الضرير وطبقتهم، ورَوَى عنه يحيى بن أكثم وجعفر بن أبى عثمان الطيالسى
والأمير عبد الله بن طاهر، وبرع فى الفقه والعربية وأيام الناس، ولما كبر
عُنى بعلوم الأوائل، ومَهَرَ فى الفلسفة، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن،
وكان من رجال بنى العباس حَزْما وعزماً وحلما وعلماً ورأيا ودهاء وشجاعة
وسُؤددا وسَماحة.

قال ابن أبى الدنيا: كان أبيض رَبْعَة حسن الوجه، تعلوه صفرة، قد وخَطَه
الشيب، أعْيَن، طويل اللحية، ولما خلعه الأمين غضب ودعا إلى نفسه بخُرَاسان
فبايعه الناس، وأمه أم ولد اسمها مراجل، ماتت أيام نفاسها به، وادعى المأمون

---

(١) له ترجمة فى تاريخ الخلفاء ١٢١ وفى شذرات الذهب ٣٩/٢ وفى تاريخ ابن كثير ٢٧٤/١٠ وانظر حياته السياسية فى الجزء السادس من تاريخ ابن الأثير، وقد ترجم له فى ص ١٥٨ – ١٦١، وفى الفخرى ٢٥٩ أوربة، وفى تاريخ اليعقوبى ١٧٢/٣، وفى مروج الذهب للمسعودى ٤/٤ بتحقيقنا طبعة ثانية

الخلافة وأخوه حى فى آخر سنة خمس وتسعين ومائة إلى أن قتل الأمين ، فاجتمع الناسُ عليه ببغداد فى أول سنة ثمان ، وكان فصيحاً مُفَوها ، كان يقول : معاوية بعَمْرِه ، وعبد الملك بحَجّاجه ، وأنا بنفسى ، وكان يختم كل شهر من شهور رمضان ثلاثين ختمة .

قال يحيى ابن أكثم : قال المأمون : أريد أن أحدث ، فقلت : ومَنْ أولى بهذا من أمير المؤمنين ؟ فقال : ضَعُوا لى منبراً ، ثم صعد فأول ما حدث حدثنا هُشَيم [1] عن أبى الجهم عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفع الحديث قال : امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار ، ثم حدث بنحو ثلاثين حديثاً ، ثم نزل ، فقال لى : كيف رأيت يا يحيى مجلسنا ؟ فقلت : أجل مجلس ، نفع الخاصة والعامة ، فقال : ما رأيت لكم حلاوة ، وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر .

وروى محمد بن عوف عن ابن عُيَيْنة أن المأمون جلس فجاءته امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين مات أخى ، وخَلَّف ستمائة دينار ، فأعطونى ديناراً ، وقالوا : هذا نصيبك ، فقال المأمون : هذا خلف أربع بنات ؟ قالت : نعم ، قال : لهن أربعمائة دينار ، وخلف والدة ؟ قالت : نعم ، قال لها مائة دينار ، وخلف زوجة لها خمسة وسبعون ديناراً ، بالله ألك اثنا عشر أخا ؟ قالت : نعم ، قال : لكل واحد ديناران ولك دينار واحد .

وقال المأمون : لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا إلى بالجرائم .

ويروى أن ملاحا مر فقال لمن معه : أتراكم تظنون أن هذا نبيل فى عينى وقد قتل أخاه الأمين ؟ قال : فسمعه المأمون ، فتبسم ، وقال : ما الحيلة حتى أُنبُل فى عين هذا السيد الجليل ؟ .

---

(١) فى ب « هيثم » هنا وفيما مضى من الترجمة وفيما يلى ، وما أثبتناه موافقا لما فى ث هو الصواب ، وهشيم : هو أبو معاوية السلمى ، ولد سنة أربع ومائة ، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقد ذكره السيوطى على الصواب ، وذكر معه كل هذه الأعلام .

وكان المأمون بخراسان قد بايع بالعهد لعلى بن موسى الرضا ، ونَوّهَ باسمه ، وغير لبس آبائه من لبس السواد ، وأبدله بالخضرة ، فغضب بنو العباس بالعراق بهذين الأمرين ، فخلعوه ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدى ، ولقبوه المبارك ، فحارب الحسن بن سهل ، فهزمه إبراهيم وألحقه بواسط ، وأقام إبراهيم بالمدائن ، ثم سار جيش الحسن وعليه حميد الطوسى وعلى بن هشام فهزموا إبراهيم ، فاختفى ، ولم يظهر خبره إلا فى وَسَط خلافة المأمون ، فعفا عنه على ما ذكره قاضى القضاة ابن خلكان فى ترجمة إبراهيم بن المهدى .

وتقدم إلى المأمون رجل غريب بيده محبرة ، وقال : يا أمير المؤمنين ، رجل من أهل الحديث منقطع به ، فقال : ما تحفظ فى باب كذا وكذا ؟ فلم يذكر فيه شيئاً ، فما زال المأمون يقول : حدثنا هشيم ، وحدثنا يحيى ، وحدثنا حجاج ، حتى ذكر الباب ، ثم سأله عن باب آخر ، فلم يذكر فيه شيئا ، فقال المأمون : حدثنا فلان ، وحدثنا فلان ، ثم قال لأصحابه : يطلب أحدهم ثلاثة أيام ثم يقول: أعطونى أنا من أهل الحديث ، أعطوه ثلاثة دراهم .

ومع ذلك فكان مُسْرِف الكرم ، جواداً ، ممدحا ، فرق فى ساعة ستة وعشرين ألف ألفِ درهم .

ومدحه أعرابى مرّة ، فأجازه بثلاثين ألف دينار .

وقال أبو معشر : كان أمّاراً بالعدل ، ميمون النقيبة ، فقيه النفس ، يعد مع كبار العلماء .

وأهدى إليه ملك الروم تُحَفاً[١] سنية منها مائة رطل مسك، ومائة حلة سَمُّور[٢] ، فقال المأمون : أضعفوها له ، ليعلم عز الإسلام وذل الكفر .

---

(١) التحف : جمع تحفة — بالضم — وهى كل ما يهدي إلى الإخوان من الطرائف ، وسنية : أى رفيعة القدر

(٢) السمور ـ بفتح السين وتشديد الميم مضمومة ـ حيوان برى يشبه السنور يتخذ من جلده فراء ثمينة للينها وخفتها وشدة إدفائها ، وربما أطلق السمور على جلده ، ومن الناس من يزعم السنور هو النمس ، وليس كذلك

وقال يحيى بن أكثم : كنت عند المأمون ، وعنده جماعة من قُوّاد خُرَاسان ، وقد دعا إلى القوْل بخَلْق القرآن ، فقال لهم : ما تقولون فى القرآن ؟ فقالوا : كان شيوخنا يقولون ما كان فيه من ذكر الجمال والبقر والخيل والحمير فهو مخلوق ، وما سوى ذلك فهو غير مخلوق ، فأمّا إن قال أمير المؤمنين هو مخلوق فنحن نقول كله مخلوق ، فقلت للمأمون : أتفرح بموافقة هؤلاء ؟ .

وقال ابن عرفة : قد أمر المأمون مناديا ينادى فى الناس ببراءة الذمة ممن ترحَّمَ على معاوية أو ذكره بخير ، وكان كلامه فى القرآن سنَةَ اثنتى عشرة ، فكثر المنكر لذلك ، وكاد البلد يفتتن ، ولم يلتئم له ما أراد ، فكف عنه إلى بعد الوقت .

وقال النضر بن شميل : دخلتُ على أمير المؤمنين ، فقال : إنى قد قلت اليوم :

أصبح دينى الذى أدين به ولستُ منه الغدَاةَ معتذرا

حبّ على بعد النبىّ ولا أشتم صِدِّيقَهُ ولا عمرا

وابن عفان فى الجنان مع الأبرار ذاك القتيل مصطبرا

وعَائشُ الأم لست أشتمها من يفتريها فنحن منه بَرَا[1]

ونادى مناديه بإباحة مُتْعَة النساء ، فلم يزل به يحيى بن أكثم وروَى له حديث الزهرى عن ابن الحنفية محمد بن على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نَهَى عن متعة النساء يوم خيبر» ، فلما صحح له الحديث رجع إلى الحق وأبطلها ، وأما مسألة خلق القرآن فلم يرجع عنها ، وصمم عليه فى سنة ثمان عشرة ومائتين ، وامتحن العلماء ، فعوجل ولم يُمْهَلْ ، توجه غازيا إلى أرض الروم فلما

---

(١) عائش : أراد أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق أبى بكر ، وقد رخم هذا اللفظ فى غير النداء ، وقد ورد نظيره عن العرب المحتج بشعرهم ، ولكن النحاة يأبون إقرار الإتيان به إلا فى النداء

وصل إلى البَذَنْدُون مرض، وأوصى بالخلافة إلى أخيه المعتصم، ثم توفى بالْبَذَنْدُون، فحمله ابنه العباس إلى طرطوس، ودفنه بها فى دار خاقان خادم أبيه .

ومن شعر المـأمون :

لسانى كَتُوم لأسراركم	ودمعى نمـوم لسِرِّى يذيع
فلولا دموعى كَتمتُ الهوى	ولولا الهوى لم تكن لى دموع

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

أنا المـأمون والملكُ الهمام	ولـكنى بحبك مستهـــام
أترضى أن أموت عليك وَجْداً	ويبقى الناس ليس لهم إمام

ومن شعره رحمه الله :

بعثتك مرتادا فَفُزْتَ بنظـرة	وأغفلتنى حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مغربا	فياليت شعرى عن دنوك ما أغـنَى
فياليتنى كنت الرسول وكنتنى	فكنت الذى يقصَى وكنت الذى أدنَى

(٢٠٠)

أمير المؤمنين عبدالله بن المعتز محمد بن جعفر العباسى

عبد الله بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون بن العباس بن المعتز بن المتوكل [ابن المعتصم] بن الرشيد بن المهدى بن المنصور (١) .

الأديب ، صاحب الشعر البديع ، والنثر الفائق ، أخذ الأدب والعربية عن المبرد وثعلب وعن مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقى .

مولده فى شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين (٢)، وتوفى فى ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين .

(١) ليس هو من الفوات ، فقد ترجمه ابن خلـكان (الترجمة رقم ٣١٤) وذكر ولادته فى شعبان من سنة ٢٤٧ ووفاته فى سنة ٢٩٦ ، وله ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٠٨/١١ وذكر وفاته فى سنة ٢٩٦ كما ذكر ابن خلـكان ، وفى شذرات الذهب ٢٢٢/٢ مثله ، وفى مروج الذهب ٢٩٣/٤ (٢) هذا خطأ ، وفى ابن خلـكان «ومولده لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ، وقال سنان بن ثابت : فى سنة ست وأربعين ومائتين » ، وفى ب ، ث بعد هذا «وقيل : فى ربيع الآخر ـ الخ » أى ولادته، والغالب أن الألفاظ الواقعة هنا تحريف فى الطبع أو النسخ عن الذى ذكرناه

قامت الدولة ، ووثبوا على المقتدر ، وأقاموا ابن المعتز ، فقال : بشرط أن لا يقتل بسببى مسلم ، ولقبوه بالمرتضى بالله ، وقيل : المنصف بالله ، وقيل : الغالب بالله ، وأقام يوما وليلة ، ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا واجتمعوا وحاربوا هم وأعوانُ ابن المعتز وشتتوهم ، وأعادوا المقتدر إلى دَسْتـه ، واختفى ابن المعتز فى دار ابن الجصاص الجوهرى[1] ، فأخذه المقتدر وسلّمه إلى مؤنس الخادم ، فقتله وسلمه إلى أهله ملفوفا فى كساء ، وقيل : إنه مات حَتْفَ أنفـه ، وليس بصحيح ، بل خَنَقَه مؤنس ، ودفن فى خرابة بإزاء داره ، وقصته مشهورة فيها طول ، وهذا خلاصتها.

وكان شديد السمرة ، مَسْنُون الوجه ، يخضب بالسواد ، وله تصانيف ، قال فيه ابن بسام[2] .

لله درّك من مَيْتٍ بمضيعة	ناهيك فى العلم والآداب والحسب
ما فيه لو، ولا ليت ، فتنقصه	وإنما أدركته حِرْفَةُ الأدب

وقال فيه بعض الأدباء :

لا يبعد الله عبد الله من ملك	سام إلى المجـد والعلياء مذ خلقا
قد كان زَيْنَ بنى العباس كلهم	بل كان زين بنى الدنيا حِجًى وتقى
أشعاره زيفت بالشعر أجمعـــه	فـكل شعر سواها بَهْرَجٌ ولَقَى

قال بعض مَنْ يخدمه : إنه قد خرج يوما يتنزه ومعه ندماؤه ، وقصد باب الحديد و بستان الندى ، وكان آخر أيامه ، فأخرج خِرْقَةً وكتب بالجص :

سقيا لظـل زمانى	وعيشىَ المحمـود

---

(١) ابن الجصاص : سبق أن ترجم له المؤلف باسم الحسن بن عبد الله بن الحسين (الترجمة رقم ١١٠) وصوابه « الحسين بن عبد الله » كما فى ابن كثير وابن خلكان

(٢) ابن بسام : على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، شاعر لسن ، مطبوع ، هجاء ، لم يسلم منه وزير ولا أمير ، وله شعر فى هجاء أبيه وإخوته وسائر أهل بيته مات فى خلافة المقتدر بالله في سنة ٣٠٣

وَلّى كَلَيلَةِ وصلٍ   فدام يوم صدود

قال : وضرب الدهر ضَرَبَانه ، ثم عُدْت بعد قتل ابن المعتز فوجدت خطه خفيا ، وتحته مكتوب :

أف لظل زمانى   وعيشىَ المنكود

فارقْتُ أهلي وإلفي   وصاحبي وودودي

ومن هويت جفانى   مطاوعا لحسود

يا رب مَوْتاً وإلا   فراحة من صدود

وكان ابن المعتز حنفى المذهب ، لقوله من أبيات :

فهات عُقارا فى قميص زجاجة   كياقوتة فى درة تتوقد

وقتنىَ من نار الجحيم بنفسها   وذلك من إحسانها ليس يجحد

وكان سُنى العقيدة ، منحرفا عن العلويين ، ولهذا قال فى قصيدته البائية التى أولها :

ألا من لعين وتسكابها   تشكى القذاة وتبكى بها[1]

نهيت بنى رَحِمِي لو وعوا   نَصِيحة بر بأنسابها[2]

وراموا فَرَائس أسْدِ الشرى   وقد نشبت بين أنيابها

قتلنا أميــة فى دارها   فكنا أحق بأسلابها

وكم عصبة قد سَقَتْ منكم الخلافة   صابا بأكوابها[3]

إذا ما دَنَوْتُم يلقونكم   زَبونا وقرت بحلابها

ولما أبى الله أن تملكوا   دعينَا إليها فقمنا بها

وما رد حجابها وافدا   لنا إذ وقفنا بأبوابها

---

(١) فى الديوان «تشكى القذى وبكاها بها»

(٢) فى ب ، ث «لودعوا بصحة بر» تحريف ما أثبتناه ، وفى الديوان «نصحت بنى رحمى»   (٣) الصاب : شجر مر كريه الطعم

كقطْبِ الوحى وافقت أختها — دعونا بها وعملنا بهـــا
ونحن ورثنا ثيابَ النبى — فـــلم تجذبون بأهدابها[1]
لـكم رَحِم يا بنى بنتـه — ولـكن بنو العم أولَى بها
به نَصَرَ الله أهل الحجاز — وأبرأها بعد أوصـــابها
ويوم حُنَين قَدَ أُعيتكم — وقد أبدت الحرب عن نابها
فهلا بنى عمنا إنهـــا — عطية رب حبانا بهـــا
وأقسم أنكم تعلمــو — ن أنّا لها خيرُ أربابها

وقد أجابه عن ذلك صفى الدين الحلى فى وزنها ورويها ، وهى قوله :

ألا قل لشر عباد الإله — وطاغى قريش وكذّابها
وباغى العباد وباغى العناد — وهاجى الـكرام ومغتابها
أأنت تفاخر آل النبى — وتجحدها فضل أحسابها
بكم بَاهَلَ المصطفى أم بهم — فردّ العداة بأوصابهـــا
أعنكم نفى الرجس أم عنهم — كطهر النفوس وأربابهـــا
أمِ الرجسُ والخمرمن دأبكم — وفرْطُ العبادة من دابِهَا
وقلتم ورثنا ثياب النبى — فـــلم تجذبون بأهدابها
وعندك لا تورث الأنبياء — فـكيف حظيتم بأثوابهـــا
فَـكذَّبت نفسك فى الحالتين — ولم تعلم الشهد من صابها
أجَدُّكَ يرضى بما قلته — وما كان يوما بمرتابها[2]
وكان بصفِّين فى حربهم — لحرب الطغاة وأحزابها

---

(١) يشير إلى برد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يتوارثه خلفاء بنى العباس ، ويقال : أصله الذى خلعه النبى صلوات الله وسلامه عليه على كعب بن زهير حين أنشده لاميته ، اشتراه معاوية من ورثة كعب ، وبقى عند بنى أمية حتى سلبه بنو العباس من حرم مروان بن محمد بعد مقتله (وانظر مروج الذهب ٣/٢٦١)

(٢) يريد بجده عبد الله بن العباس رضى الله تعالى عنهما

وقد شمر الموت عن ساقه وكشرت الحرب عن نابها
فأقبل يدعو الى حيدر بإرعابها وبإذهابها(١)
وأمل أن يرتضيه الأنام من الحكمين لإشهابها
ليعطى الخلافة أهلالها فلم يرتضوه لإنجابها
وصلى مع الناس طول الحياة وحيدر فى صدر محرابها
فهلا تقمصها جدكم إذا كان إذ ذاك أحرى بها
وإذ جعل الأمر شورى لهم فهل كان من بعض أربابها
أخامسهم كان أم سادسا وقد جليت بين خطابها
وقولك أنتم بنو بنته ولكن بنو العم أولى بها
بنو البنت أيضا بنو عمه وذلك أدنى لأنسابها
فَدَعْ فى الخلافة فضل الخلاف فليست ذلولا لركابها
وما أنت والفحص عن شأنها وما قمصوك بأثوابها
وما شاورتك سوى ساعة فما كنت أهلا لأسبابها
وكيف يخصوك يوما بها ولم تتأدب بآدابها
وقُلْتَ بأنكم القاتلون لأسد أمية فى غابها
عديت وأسرفت فيما ادعيت ولم تنه نفسك عن عابها
فكم حاولتها سراة لكم فردت على نكص أعقابها
ولولا سيوف أبى مسلم لعزت على جهد طلابها
وذلك عبد لهم لا لكم رعى فيكم قرب أنسابها

---

(١) حيدر : أصله من أسماء الأسد ، وهو لقب على بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه ، وهو الذى يقول :

أنا الذى سمتن أمى حيدره أكيلكم بالسيف كيل السندره

وكنتم أسارى بطون الحُبُوسِ ... وقد شفكم لثم أعتابها

فأخرجكم وحبَا كم بها ... وقمصكم فضل جلبابها

فجازَ يتموه بشر الجزاء ... لطغوى النفوس وإعجابها

فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف ... وجاءوا الخلافة من بابها

هم الزاهدون، هم العابدون ... هم العالمون بآدابها

هم الصائمون، هم القائمون ... هم الساجدون بمحرابها

هُمُ قطب مكة دين الإله ... ودور الرحاء بأقطابها

عليك بلهوك بالغانيات ... وخَلِّ المعالى لأصحابها

ووصف العَذَارَى وذات الخمار ... ونعت العقار بألقابها

وشعرك فى مدح ترك الصلاة ... وسَعْى السقاة بأكوابها

فذلك شأنك لا شأنهم ... وجَرْىُ الجياد بأحسابها

ومن قول ابن المعتز فى هذه المادة :

فأنتم بنو بنته دُونَنَا ... ونحنُ بنو عمه المُسْلِمِ

ومن شعر ابن المعتز قولُه فى الهلال والثريا :

قد انْقَضَتْ دولة الصيام وقد ... بَشَّرَ سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغرٍ شَرِهٍ ... يفتح فاه لأكل عنقود

ومنه أيضاً رحمه الله تعالى :

فى ليلة أكَلَ المحاق هلالها ... حتى تبَدَّى مثل وَقْفِ العاج

والصبح يتلو المشترى فكأنه ... عريان يمشى فى الدجى بسراج

ومنه فى وصف روضة :

تُضَاحكُ الشمسُ أنوار الرياض بها ... كأنما نثرت فيها الدنانير

ويأخذ الريح من دخانها عبقا كأن تربتها مسك وكافور

ومنه أيضاً رحمه الله تعالى :

أطال الدهر فى بغداد همى وقد يشقى المسافر أو يفوز

ظللت بها على كرهى مقيما كعنين تعانقه عجـــوز

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

كأن بكأسها قلبى تَلَظَّى ولولا الماء كان لها حريق

كأن غمامة بيضاء بينى وبين الراح تحرقها البروق

وقال أيضا رحمه الله :

أهلا بفطر قد أنار هلالُهُ الآن فاغد على المدام و بكر

وانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولَةٌ من عنبر

وقال أيضا رحمه الله :

يا رب إن لم يكن فى وصله طمع وليس لى فرج من طول جَفْوته

فَابْرِ السقام الذى فى غنج مقلته واستر محـاسن خديه بلحيته

وما أحسن قول الأمير أسامة بن مُنْقِذ فى هذا المعنى :

يا رب خُذْ بيدى من ظلم مقتدر علىّ قد لج فى ظلمى وعدوانى

لَيِّنْ قسـاوته لى أو تيسر لى صبرا لأحظى بوصل أو بسلوان

أو فاطف جمرة خديه وأيقظ جفـــنيه اللذين أراقا ماء أجفـــانى(١)

ومن شعر ابن المعتز رحمه الله :

يا رُبَّ ليل سَحَرٌ كله مفتضح البدر عليل النسيم

لم أعرف الإصباح فى فجره لما بدا إلا بسكر النديم

(١) كذا ، وليس بمستقيم

(٢٠١)

تاج الدين عبد الباقى بن عبد المجيد المخزومى، اليمنى

عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله، تاج الدين، اليمنى، المخزومى، المكى[١]
ولد بمكة فى شهر رجب سنة ثمانين وستمائة ، وتوفى فى أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

وكان شيخا طويلا ، حسن الشكل والعمة ، حلو الوجه ، قادرا على النظم والنثر ، وكان مُعْجَبًا بنفسه ، يعيب كلام القاضى الفاضل وغيره ، و يظن أن كلامه خير من كلام الفاضل ، و يفضل ابن الأثير عليه ، وكان خطه جيدا ، عمل تاريخا للنحاة ، وذيل تاريخ ابن خلكان بذيل قصير لم يبلغ ثلاثين رجلا ، وكان يعظم نفسه و يمدحها ، ولكلامه وقع فى النفوس إذا أطنب فى وصف فضائله ، فمن شعره :

تجنب أن تُذَمَّ بك الليالى — وحاول أن يذمّ لك الزمان[٢]
ولا تحفل إذا كملت ذاتا — أصبت العز أم حصل الهَوَانُ

ومنه أيضاً رحمه الله :

بخلت لواحظ مَنْ رأينا مقبلا — برموزها ورموزهن سلام
فحذرت نرجس مقلتيه لأنه — يخشى العذار فإنه نمام

أخذ هذا المعنى من قول الأول ، وهو أحسن وأكمل :

لافتضاحى فى عوارضه — سبب والناس لوام
كيف يخفى ما أكابده — والذى أهواه نمام

وقال فى حمار وحشىّ :

فمذغدا فى حسنه أوحدا — تشاركا فيه الدُّجى والصباح

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦/١٣٨

(٢) من عادة الناس إذا أرادوا أن يذموا أحداً أن يقولوا «قبح الله زمانا أرانا فيه فلانا» فهذا ذم الليالى به ، وذم الزمان له : أن يكون موضع أمل الناس فيأتوه قائلين : نشكو إليك عنت الدهر وظلمه ، وما أشبه ذلك

حمار وحش نَقشـــه معجب   فلا تضاهى حسنه فى الملاح

(٢٠٢)

أبو محمد عبد الجليل ابن وهبون المرسى

عبد الجليل بن وَهبون ، أبو محمد ، الملقب بالدمغة ، المرسِى .

قال ابن بسام فى ترجمته : شمس الزمان وبَدْرُه ، وسرّ الإحسان وجَهْرُه ، ومُسْتودع البيان ومُسْتَقره ، أحد من أفرغ فى وقتنا فنونَ المَقَال ، فى قالَب السِّحر الحلال ، وقيد شوارد الألباب ، بأرق من لَمْح العتاب ، وأروق من غفَلَات الشباب ، اجتاز بالمَرِيَّة ، فى بعض رحـلِهِ المشرقية ، وملـكُهَا يومئذ أبو يحيى ابن صُمَادح فاهتز لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بحرمة وافرة ، فلم يعرج على ذلك ، وارتحل عن بلده ، وقال :

دنا العيد لو تَدْنُو به كَعْبَة المُنَى   ورُكْنُ المعالى من ذُؤابة يَعْرُبِ

فيا أسَفِى للشِّعْـــر تُرْمى جماره   ويا بعد ما بين النقا والمحصَّبِ

ومن العجيب ما اتفق أن عبد الجليل وأبا إسحاق بن خفاجة تصاحبا فى طريق مخوف ، فمرا بعلمين ، وعليهما رأسان ، كأنهما بسِرّ متناجيان ، فقال ابن خفاجة :

ألاَ ربّ رأس لا تَحَاور بينـه   وبين أخيـــه والمزار قريب

أناف به صلد الصفا فهو منبر   وقام على أعلاه فهو خطيب

فقال عبد الجليل :

يقول حذار الاغترار فطالما   أناخَ قتيل لى ومرّ سليب

قال : فما تم كلامهما حتى لاح قتَام ساطع ، كأن السيوف فيه بَرْق لامع ،

---

(١) له ترجمة فى « المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب» ١٠٢ وفى قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٢٤٢ بولاق ، وانظر نفح الطيب (١٧٩/٢ بتحقيقنا)

فما تجلّى إلا وعبدُ الجليل قتيل وابن خفاجة سليب ، فكأنما كشف له فيما قال ستر الغيب .

ومن شعره في النيلوفر[1] :

وبركة تزهــو بنيلوفر   نسيمه تشبه ريح الحبيب
حتى إذا الليل دنا وقته   ومالت الشمس لعين المغيب
أطبق جفنيه على إلفــه   وغاص في الماء حذار الرقيب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

زعموا الغزال حكاهُ قلت لهم نعم   في صدّه عن عاشقيه وهجره
قالوا الهلال شبيهه ، فأجبتهم   إن كان قيس إلى قلامة ظفره
وكذا يقولون المدام كرِيقِهِ   يارب لا علموا مذاقة ثغــره

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يعز على العلياء أنيَ خامل   وأن أبصرت مني خمود شهابي
وحيث ترى زند النجابة واريا   فثم ترى زند السعادة كابي

وقال في مغنية لا بسة حليا :

إني لأسمع شَــدْوًا لا أحققه   وربما كذبت في سمعها الأذن
متى رأى أحد قبلي مُطَوقة   إذا تغنت بلَحنٍ جاوب الفَنَنُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

بنفسي وإن كنت لا نفس لي   فقــد سلبتها لحاظُ المُقَلْ
عِــذار وخد كما يحتوى   سواد القلوب بياض الأمل

---

(١) النيلوفر : نوع من الزهر ، قال صاحب شفاء الغليل : « وقع في أشعار المتأخرين ، وهو مولد ، قال أمين الدولة : هواسم فارسى ، معناه النيلي الأجنحة ، والنيلي الأرياش ، وربما سمي أرياشا ، ومنه نوع تسميه أهل مصر عرائس النيل ، وهو معروف » وقد وقع في ب، ث « اللينوفر » والمشهور تقديم النون

وأنشد المعتمد بن عباد يوما قول المتنبي :

إذا ظفرت منك العيونُ بنظرةٍ　　أثابَ لها مُعْـيِي المَطِيّ ورازمُهْ

فجعل المعتمد يردّده استحسانا له فقال عبد الجليل :

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما　　تجيد العطايا واللُّهَا تفتح اللَّهَا

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى　　بأنك تروى شـــعره لتألها

وجلس يوما المعتمد و بين يديه جارية تسقيه ، فلمع البرق ، فارتاعت ، فقال[1] :

روعها البرق وفى كفها　　برق من القهوة لماع

عجبْتُ منها وهى شمس الضحى　　كيف من الأنوار ترتاع

وأنشد الأول لعبد الجليل فاستجاده ، فقال :

ولن ترى أعجب من آنسٍ　　من مثل ما يمسك يرتاع

ومن شعر عبد الجليل :

غزَال يُسْتَطَاب الموت فيـه　　ويَعْذبُ فى محاسنه العَذَاب

يقبـله اللثام هوى وشوقا　　ويَجْنِي ورد خـــدّيه النقاب

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

سقى فسقى الله الزمان من أجله　　بكأسين من لميائه وعقاره

وحَيَّا فحيا الله دهـــرا أتى به　　بأطيب من ريحانِهِ وعذاره

وكان للمعتمد خادم يسمى خليفة ، فأمره أن يأتى بنبيذ ، فأخذ وعاء يسمى القمصال وأتى إليهم ، فعثر ، ووقع القمصال فانكسر ، ومات خليفة ، فأخبر المعتمد بذلك ، فقال :

---

(١) ذكر هـذه القصة ابن ظافر فى « بدائع البدائه » (٥٨ بولاق) ثم قال بعد روايتها « وبيته أحسن من بيت المعتمد عندى » .

أنأمن والحياة لنا مخيفهْ ونفرح والمنون بنا مطيفه

فقال ابن عمار :

وفي يوم وما أدراك يوم مضى قمصالنا ومضى خليفه

فقال ابن وهبون :

هما فَخَّارَتَا راحٍ وروح تكسرتا فأشقاف وجيفه

(٢٠٣)

عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين، المرسى

عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد ، بن سبعين ، الشيخ قطب الدين ، أبو محمد ، المُرْسِى ، الصوفى(١) .

كان صوفيا على قواعد الفلاسفة ، وله كلام كثير فى العرفان وتصانيف ، وله أتباع ومريدون يُعْرَفون بالسبعينية .

قال الشيخ شمس الدين الذهبى : ذكر شيخنا قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد قال : جلست مع ابن سبعين من ضَحْوة إلى قريب الظهر وهو يَسْرُد كلامًا تُعْقَل مفرداته ، ولا تعقل مركباتُه .

قال الشيخ شمس الدين : واشتهر أنه قال : لقد تَحَجَّرَ ابن آمنة واسعا بقوله « لا نبي بعدى » .

قال : إن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام ، مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله فى رب العالمين : إنه حقيقة الموجودات ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ! .

---

(١) له ترجمة فى البداية والنهاية لابن كثير ٢٦١/١٣ وذكر وفاته فى الثامن والعشرين من شوال سنة ٦٦٩ وفى شذرات الذهب ٣٢٩/٥ مثله ، وفى النجوم الزاهرة ٢٣٢/٧

وحدثنى فقير صالح أنه صحب فقراء من السبعينية ، وكانوا يهونون له ترك الصلاة وغير ذلك .

قال : وسمعت عن ابن سبعين أنه فصد يديه ، وترك الدم يخرج حتى تصفى ، ومات بمكة فى ثامن عشرى شوال سنة ثمان وستين وستمائة ، وله من العمر خمس وخمسون سنة .

قال الشيخ صفى الدين الهندى : حَجَجْت سنة ست وستين ، وبحثت مع ابن سبعين فى الفلسفة ، فقال لى : لا ينبغى لك المقام بمكة ، فقلت له : فكيف تقيم أنت بها ؟ قال : انحصرت القسمة فى قعودى بها ، فإن الملك الظاهر يَطْلُبنى بسبب انتمائى إلى أشراف مكة ، واليمن صاحبها لى فى عقيدة ولكن وزيره حَشْوِىّ يكرهنى .

قال صفى الدين : وكان ابن سبعين قد داوى صاحبَ مكة من مرض كان به فبرىء ، فصارت له عنده مكانة ، يقال : إنه نفى من المغرب بسبب كلمة كفر صدرت عنه وهى قوله : لقد تحجر ابن آمنة ، كما مرّ فى ترجمته ، ويقال : إنه كان يعرف السيمياء والكيمياء ، وإن أهل مكة كانوا يقولون : إنه أنفق فيهم ثمانين ألف دينار ، وإنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكرر عليه ثلاثون سطرا من كلام غيره ، وإنه لما خرج من وطنه كان ابن ثلاثين سنة ، وخرج معه جماعة من الطلبة والأتباع فيهم الشيوخ ، ولما أبعدوا بعد عشرة أيام أدخلوه الحمام ليزيل وَعْثاءَ السفر ، ودخلوا فى خدمته ، وأحضروا له قيما ، فجعل القيم يَحُك أرجلهم ويسألهم عن وطنهم لما استغربهم ، قال : فقالوا له من المُرْسِية ، قال : من البلد الذى ظهر فيها هذا الزنديق ابن سبعين ؟ فأومأ إليهم أن لا يتكلموا ، وقال : نعم ، فأخذ يسبه ويلعنه ، وابن سبعين يقول له : استَقْصِ فى ذلك ، وذلك القيم يزيد فى اللعن والشتم ، إلى أن فاض أحدهم غيظا وقال له : ويحك ! هذا الذى

تَشُبه قد جعلك الله تحت رجليه وأنت فى خدمته أقل غلام ، فسكت خجلا وقال : أستغفر الله !.

ويحكون عنه أشياء من الرياضة ، وكلامه مخل محشو بكلام الفلاسفة ، وله كتاب «مالابدّ للعارف منه» ، وكتاب «الإحاطة» ومجلدة صغيرة فى الجوهر ، وغير ذلك ، وله عدّة رسائل بليغة المعـنى ، فصيحة الألفاظ ، منها رسالة « العهد » وهى : يا هذا اهل عمرك إلا كَلَمْحٍ ، أو عطاء نَـكْدٍ لا سَمْح . وآصالك لهو ولعب ، وأسحارك سَهَر وعلل ، وهى على هذا الأسلوب .

وكانت وفاته سنة ثمانٍ وستين وستمائة[١] .

(٢٠٤)

أبو محمـــد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلى الأزدى

عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد ، أبو محمد ، الأزدى ، الإشبيلى ، ويعرف بابن الخراط[٢] .

روى عن شريح بن محمد ، وأبى الحـكم بن برْجَان ، وغـيرهم ، وأجاز له ابن عساكر ، وأنزل بجـايه وقت فتنة الأندلس ، فبثّ بهـا علمه ، وصنف التصانيف ، وولى الخطبة والصلاة بها ، وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ، ورجاله ، موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ، والتقلل من الدنيا ، مشاركا فى الأدب وقول الشعر ، وصنف فى الأحكام نسختين كبرى وصغرى ، وجمع بين الصحيحين و بوّبه ، وجمع الـكتب الستة ، وله كتاب فى المعتل من الحديث ، وله كتاب « الزهد » وكتاب « العاقبة فى ذكر الموت » وكتاب « الرقائق » ومصنفات أخر ، وله فى اللغة كتاب حافل ضاهى به كتاب الهروى ، وتوفى بعد محنة نالَتْهُ من قبل الولاية ، روى عنـه أبو الحسن المعافرى ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

---

(١) قد ذكرنا فى صدر ترجمته أن الأكثرين على أن وفاته كانت فى سنة ٦٦٩

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤/٢٧١

ومن شعره :

إنّ فى الموت والمعاد لشغلا　　وادّكاراً لذى النُّهى و بلاغا
فاغتنم خصلتين قبل المنايا　　صحة الجسم يا أخى والفراغا

(٢٠٥)

عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبى الحديد المدائنى الفقيه

عبد الحميد[١] بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبى الحديد ، عز الدين المدائنى ، المعتزلى ، الفقيه ، الشاعر ، أخو موفق الدين .

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وخمسين وستمائة .

وهو معدود فى أعيان الشعراء ، وله ديوان شعر مشهور ، روى عنه الدمياطى ، ومن تصانيفه « الفلك الدائر ، على المثل السائر » صنفه فى ثلاثة عشر يوماً ، وكتب إليه أخوه موفق الدين .

المثل السائر يا سيدى　　صَنَّفْتَ فيه الفلك الدائرا
لكنّ هذا فلك دائر　　أصبحت فيه المثل السائرا

ونَظَمَ فصيح ثعلب فى يوم وليلة ، وشرح نهج البلاغة فى عشرين مجلدا ، وله تعليقات على كتاب المحصل والمحصول للامام فخر الدين :

ومن شعره :

وحقك لو أدخلتنى النار قلت للذين بها قد كنت ممن يحبه
وأفنيت عمرى فى دقيق علومه　　وما بغيتى إلا رضاه وقربه
هَبُونى مسيئاً أوضع العلم جهله　　وأوبقه دون البرية ذَنْبُهُ[٢]
أمايقتضى شرع التكرّم عفوه　　أيحسن أن يُنْسَى هواه وحبه
أماردّ زيغ ابن الخطيب وشكه　　وتمويهه فى الدين إذ عز خطبه

---

(١) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٩٩ وترجمته ثابتة فى آخر كتابه « شرح نهج البلاغة » (٤/٥٧٥) نقلا عن كتاب « معجز الآداب ، فى معجم الألقاب »

(٢) أوبقه : أهلكه

أما كان ينوى الحق فيما يقوله ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه
وغاية صدق الصب أن يَعْذُبَ الأسى إذا كان من يهوى عليه يصبه

فردّ عليه الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمه الله تعالى بقوله :

علمنا بهذا القول أنك آخذ بقول اعتزال جلّ فى الدِّينِ خَطْبُه
فتزعم أنّ الله فى الحَشْرِ ما يُرَى وذاك اعتقاد سوف يرديك غِبُّهُ
وتنفى صفات الله وهى قديمة وقد أثبتتها عن إلاهك كتبه
وتعتقد القرآن خَلْقاً ومحدثا وذلك داء عز فى الناس طبه
وتثبت للعبد الضعيف مشيئة يكون بها مالم يقدره ربه
وأشياء من هذى الفضائح جمة فأيكما داعى الضلال وحزبُهُ
ومن ذا الذى أضحى قريباً إلى الهدى وجاء عن الدين الحنيفىّ ذبُّهُ
وما ضرّ فخر الدين قول نظمته وفيه شناع مفرط إذ تسبه
وقد كان ذا نور يقود إلى الهدى إذا طلعت فى حِندِسِ الشك شُهْبه(1)
ولو كنت تعطى قدر نفسك حقه لأخمدت جمراً بالمحال تَشُبُّه
وما أنت من أقرانه يوم معرك ولا لك يوماً بالإمام تَشَبُّه

ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى :

لولا ثلاث لم أخَفْ صَرْعَتِي ليست كما قال فتى العبد
أن أبصر التوحيد والعدلَ فى كل مكان باذلا جهدى
وأن أناجى الله مستمتعا بخلوةٍ أحلى من الشهد
وأن أتيهَ الدهْرَ كبراً على كل لئيم أصعر الخدّ
كذاك لا أهوى فتاة ولا خمراً ولا ذا مَنْعة نَهْد

---

(1) الحندس — بكسر الحاء والدال المهملتين بينهما نون ساكنة — أصله الظلام الشديد ، وإضافة الحندس إلى الشك من إضافة المشبه به إلى المشبه ، نظير « لجين الماء » و « ذهب الأصيل »

قوله « كما قال فتى العبد » هو طَرَفة بن العبد حيث يقول وقد سئل عن لذات الدنيا ، فقال : مركب وطى ، وثوب بهى ، ومطعم شهى ، وسُئل امرؤ القيس فقال: بيضاء رُعْبوبة ، بالشحم مكروبة ، بالمسك مَشْبُوبة ، وسئل الأعشى فقال: صَهْباء صافية ، تمزجها ساقيــة ، من صَوْب غادية ، قال العَكوك : فحدثت بذلك أبادُلف ، فقال :

أطيبُ الطيبات قتـلُ الأعادى ... واختيال على متون الجياد
ورسول يأتى بوعـد حبيب ... وحبيب يأتى بلا ميعـــاد

وحُدِّث بذلك حميد الطوسى فقال[1] :

ولولا ثلاث هُنّ من لذة الفتى ... وحَقِّك لم أحْفِل متى قام عودى
فمنهنّ سَقْىُ الغانياتِ بشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تزبِدِ[2]
وكرى إذا نادى المضاف محنبا ... كسِيدِ الغَضا نبّهْتَهُ المتورد
وتَقْصير يوم الدجن والدَّجْنُ معجبٌ ... ببهكنةٍ تحت الخباء المعمد

رجعنا إلى ابن أبى الحديد .

وقال :

عن ريقها يتحدث المسواك ... أرَجًا فهل شجر الأراك أراك
ولطرفها خَنِثَ الجبان فإن رنت ... باللحظ فهو الضيغم الفتـاك
شرك القلوب ولم أخل من قبلها ... أن القلوب تصيدها الأشراك
يا وَجْهَهَا المصقول ماء شبابه ... ما الحتف لولا طرفك الفتاك
أم هل أتاك حديث وقفتنا ضُحًى ... وقلو بنا بشبا الفراق تشاك
لا شىء أفظع من نوى الأحباب أو ... سيف الوصِىِّ كلاهما سفـاك

---

(١) الأبيات الأربعة التى تلى هى من معلقة طرفة بن العبد البكرى ، وأغلب الظن أن فى الكلام سقطا يشتمل على جواب حميد الطوسى ثم ذكر أن أصل ذلك كله قول طرفة هذا

(٢) فى معلقة طرفة « فمنهن سبق العاذلات »

وقال الصفدى يعارض ابن أبى الحديد :

لولا ثلاث هن أقصى المنى   لم أهب الموت الذى يُرْدِى
تكميل ذاتى بالعلوم التى   تَنْفَعني إن صرت فى لحدى
والسعى فى رد الحقوق التى   لصاحب نلت بهِ قصدى
وأن أرى الأعداء فى صَرْعة   لقيتها من جَمْعِهِم وحدى
فبعدها اليوم الذى حُمَّ لى   قد استوت فى القرب والبعد

(٢٠٦)

تاج الدين عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن سباع ، الفزارى الإمام الفقيه، الشافعى

عبد الرحمن بن إبراهيم[١] بن سباع بن ضياء ، العلامة ، الإمام الفقيه ، فقيه الشام ، تاج الدين الفزارى ، البدرى ، المصرى الأصل ، الدمشقى الشافعى .

ولد فى شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة ، وتوفى سنة تسعين وستمائة .

سمع من ابن الزبيدى وابن النجار وابن اللتى ومكرم بن أبى الصقر وابن الصلاح ومن السخاوى وتاج الدين بن حمويه ، وخَرَّجَ له البِرْزَالى مشيخة عشرة أجزاء صغار وعن مائة نفس ، وسمع منه ولده الشيخ برهان الدين وابن تيمية والمزى والقاضى ابن صصرى وكمال الدين بن الزَّمْلِكانى وابن العطار وكمال الدين بن قاضى شهبة وعلاء الدين المقدسى وزكى الدين بن زكرى وغيرهم، وخرج من تحت يده جماعة من القضاة والمدرسين والمفتين ، درس وناظر وصنف ، وانتهت إليه رياسة المذهب كما انتهت إلى ولده ، وكان ممن بلغ رتبة الاجتهاد ، ومحاسنه كثيرة ، وكان يلثغ بالراء غينا ، وكان لطيف اللحية[٢] ، قصيراً ، أسمر ، حلو الصورة ، ظاهر

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٤١٣ ، وفى النجوم الزاهرة ٨/٤١

(٢) فى ث « لطيف الجثة »

الدم ، مفركح الساقين ، يركب البغلة ، ويحف به أصحابه ، ويخرج معهم إلى الأماكن النزِهة ويباسطهم ، وكان مفرط الكرم .

وله تصانيف تدل على محله من العلم ، وتبحُّرِه ، وكانت له يدٌ فى النظم والنثر تفقه فى صغره على الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ تقى الدين بن الصلاح وبرع فى المذهب وهو شاب ، وجلس للاشتغال وله بضع وعشرون سنة ودرس فى سنة ثمان وأربعين ، وكتب فى الفتاوى وقد كمل الثلاثين ، ولما قدم النووى من بلده أحضروه ليشتغل عليه بعث به إلى الرواحية ليحصل له بها بيت ويرتفق بعلومها ، وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار ، وإذا سافر إلى القدس يترامى أهل البر على ضيافته ، وكان أكبر من الشيخ محيي الدين النووى بسبع سنين ، وقيل : إنه كان يقول : إيش قال النووى فى مزبلته ؟ يعنى الروضة ، وكان الشيخ عز الدين ابن عبد السلام يسميه « الدُّوَيْكَ » لحسن بحثه ، وقرأ عليه ولده برهان الدين وكمال الدين بن الزملكانى وكمال الدين الشهبى وزكى الدين بن زكرى ، وكان قليل المعلوم كثير البركة ، ولم يكن له إلا تدريس البازدارية مع ماله من المصالح .

دفن بمقابر باب الصغير ، وشيَّعه الخلق ، وتأسفوا عليه ، عاش ستا وستين سنة وثلاثة أشهر .

وله « الإقليد » فى شرح التنبيه ، وهو جيد ، « وكشف القناع » فى حِلِّ السماع » .

ومن شعره لما انجفل الناس سنة ثمان وخمسين رحمه الله تعالى :

لله جمعُ ليالى الشمل ما برحت ... بها الحوادث حتى أصبحت سمرا
ومُبْتَدَا الحزنِ من تاريخ مسألتى ... عنكم فَلَمْ ألق لا عينا ولا أثرا
يا راحلين فَرَرْتُمْ فالنجاء لكم ... ونحن للعجز لا نستعجز القدرا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا كريم الآباء والأجداد ... وسعيد الإصدار والإيراد

كنت سعدا لنا بوعدٍ كريم لا تكن فى وفائه كسعاد[١]

ومن شعره رضى الله عنه دو بيت :

ما أطيب ما كنت من الوجد لقيت إذ أصبح بالحبيب صبا وأبيت

واليوم صحا قلبي من سكرته ما أعرف فى الغرام من أين أتيت

(٢٠٧)

أبو سليمان عبد الرحمن ابن أحمد الدارانى العنسى

عبدالرحمن بن أحمد ، السيد القدوة ، أبو سليمان ، الدارانى، العنسى[٢]، بالنون أصله من واسط ، قال أحمد بن أبى الحوارى : تمنيت أن أرى أبا سليمان الدارانى فى النوم ، فرأيته بعد سنة ، فقلت له : يا معلم الخير ، ما فعل الله بك ؟ قال : يا أحمد ، دخلت من باب الصغير ، فلقيت حِمْلَ شِيحٍ ، فأخذت منه عوداً تخللت به ، ثم رميت به ، فأنا فى حسابه من سنة ؛ مات سنة خمس وعشرين ومائتين[٣].

---

(١) أشار إلى قول كعب بن زهير :

وما سُعَادُ غَدَاةَ البين إذ رحَلُوا إلا أغَنُّ غضيضُ الطرف مكحول

كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلا وما مواعيدُهَا إلا الأباطيلُ

(٢) له ترجمة فى « اللباب » لابن الأثير ٤٠٣/١ وفى معجم البلدان ٢٤/٤ وفى تاريخ بغداد ٢٤٨/١٠ وفى النجوم الزاهرة ١٧٩/٢ وفى رسالة القشيرى ١٩ وفى الطبقات الكبرى للشعرانى ٩٢/١ وفى تاريخ ابن الوردي ٢١٨/١ وفى تاريخ ابن كثير ٢٥٥/١٠ وذكره ابن الأثير فى التاريخ الكامل ١٥٤/٦ ، وحكوا فى نسبه «عبد الرحمن بن عطية ، وقيل : عبدالرحمن بن أحمد بن عطية ، وقيل : عبدالرحمن ابن عسكر » وذكروا أنه منسوب إلى داريا ـ بفتح الدال والراء بعدها ياء مثناة مشددة ـ وهي قرية فى غوطة دمشق

(٣) ذكر صاحب معجم البلدان أن وفاته فى سنة ٢٣٥ بالأرقام ولم يقيدها بالحروف ولعله تحريف فى الطبع ، وذكر صاحب تاريخ بغداد روايتين : إحداهما أن وفاته كانت فى سنة خمس عشرة ومائتين ، وهذه هى التى ذكرها ابن الأثير وابن كثير وابن الوردى ، والأخرى أن وفاته كانت فى سنة خمس ومائتين ، وهى التى نروى عن تلميذه أحمد بن أبى الحوارى ، وهى التى اعتمدها صاحب النجوم الزاهرة

(٢٠٨)

أبو حبيب عبد الرحمن ابن أحمد

عبد الرحمن بن أحمد، أبو حبيب.

قال ابن رشيق: ولد بالمحمدية، وتأدب بالأندلس، وخالط أشراف الناس وأهل الأقدار، برز فى الأدب وصناعة الشعر، وعلم النثر، فصار صَدْراً مذكوراً فى كل واحد منها.

ومن شعره رحمه الله تعالى:

أضحى عذولى فيه من عشاقه ... لما بدا كالبدر فى إشراقه

وغدا يلوم ولومه لى غيرة ... منه عليه ليس من إشفاقه

قمر تنافست الجوانح والصبا ... فى حبه لتفوز عند عناقه

فى خده نَوْرٌ تفتح ورده ... ألحاظه منعته من عشاقه

عرض الوصال وظل يعرض دونه ... وتخلق المعسول من أخلاقه

وغدا مُحاق البدر موعِدَ بينِهِ ... ورحيله فمحقت قبل محاقه(١)

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

وإنى على شوقى إليه وصبوتى ... أغار عليه فى دجى الليل أن يسرى

فبت ودمعى مَزّج فيض دموعه ... أقبل ما بين الترائب والنحر(٢)

إذا همّ أن يمضى جذبت بثوبه ... وأطبقت من خوفى على مُقْلَتى شُفْرِى(٣)

وكم ليلة هافت علىّ ذنوبها ... بما بات يروينى من الريق والخمر

أقَبِّلُ منه الورد فى غير حينه ... وألثم بدر التم فى غيبة البدر

إلى أن بدا نور التبلج فى الدجى ... كنور جبين لاح فى ظلمة الشَّعْرِ

---

(١) محاق البدر ـ بزنة كتاب أو غراب أو سحاب ـ استسراره فلا يرى غدوة ولا عشية، وذلك فى آخر الشهر القمرى، ومحقت: أراد فنيت

(٢) الترائب: عظام الصدر، واحدها تريبة، بفتح التاء

(٣) المقلة: العين، والشفر ـ بضم فسكون، وقد تفتح الشين ـ الجفن، وأصله منبت الشعر فى حرف الجفن

وهبت نسيم للصباح كأنها　　تهب بريح المسك أو خالص العطر
وقد نبه الساقى الندامى لقهوة　　كشعلة مصباح خلا أنها تجرى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

مجرى جفونى دماء وهو ناظرها　　ومتلف القلب وجدا وهو مرتعه
إذا بدا حَالَ دمعى دون رؤيته　　يغارمنى عليـــه فهو يرفعه

(٢٠٩)

أبو سعيد عبد الرحمن ابن أحمد بن يونس مؤرخ مصر

عبدالرحمن بن أحمد(١) بن يونس بن عبدالأعلى ، الصَّدَفِى ، المصرى ، الحافظ ، المؤرخ ، أبو سعيد ، مؤرخ مصر .

ولد سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وتوفى سنة سبع وأربعين وثلثمائة .

وكان إماما فى علم التاريخ ، وله كلام فى الجرح والتعديل يدل على تبصره بالرجال ومعرفته بالعلل ، وعمل لمصر تاريخين : أحدهما ـ وهو الأكبر ـ يختص بأهل مصر ، والثانى يختص بذكر الغرباء الواردين على مصر ، ولما مات رثاه أبو عيسى عبد الرحمن بن إسماعيل الخشاب النحوى بقوله :

بَثَثْتَ علمك تشريقاً وتغريبا　　وعدت بعد لذيذ العيش مندوبا
أبا سعيد وما يألوك إن نشرت　　عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه　　حتى رأينك فى التاريخ مكتوبا
أرّخْتُ موتك فى ذكرى وفى صحفى　　لمن يؤرّخه إن كنت محسوبا
نشَرْتَ فى مصر من سكانها علما　　مبجلا لجـال القوم منصوبا
كشفْتَ عن فخرهم للقوم ماسجعت　　وُرْقُ الحمام على الأغصان تطريبا

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٧٥/٢ ، وذكر أن « الصدفى » بفتح الصاد والدال جميعاً نسبة إلى الصدف ـ بزنة كتف ـ قبيلة من حمير ، وقد ذكره فى النجوم الزاهرة (٣٢١/٣) فيمن ذكر الذهبى وفياتهم فى سنة ٣٤٧ وله ست وستون سنة وله ترجمة فى تذكرة الحفاظ (١١٣/٣) وفى تاريخ ابن كثير ٢٣٣/١١ وقال : « عبد الرحمن بن يونس » لم يذكر « أحمد »

إن المكارم للإحسان موجبة | وفيك قد ركبت ياعبد تركيبا
حجبت عنا وما الدنيا بمظهرة | شخصا وإن جل إلا عاد محجوبا
كذلك الموت لا يبقى على أحد | مدى الليالى من الأحباب محبوبا

قوله :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه | حتى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

مأخوذ من خبر لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو أنه كان رجل مجنون فى زمانه يمشى أمام الجنائز وينادى : الرحيل ، الرحيل ، لا تكاد جنازة تلومنه ، فمرت يوما جنازة بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ولم يره أمامها ، ولم يسمع نداءه ، فسأل عنه ، فقيل له : هو هذا الميت ، فقال : لا إله إلا الله ، وأنشأ يقول :

مازال يصرخ بالرحيل مناديا | حتى أناخ ببابه الجمـــال

وقال الأصمعى : حدثنى أبى قال : رأيت رجلا على قصر أُوَيْس أيام الطاعون وبيده كوز يعد الموتى فيه بالحصى ، فعد فى أول يوم ثمانين ألفا ، وفى اليوم الثانى مائة ألف ، فمر قوم فرأوا على الكوز رجلا غيره ، فسألوه عنه فقال : وقَعَ فى الكوز .
ومثل هذا قول التهامى رحمه الله تعالى :

بَيْنا يُرَى الإنسان فيها مُخْبِرا | حتى يُرَى خَبَراً من الأخبار

(٢١٠)

أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن ابن إسماعيل المقدسى

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان[١] ، الإمام ، العلامة ، ذو الفنون ، شهاب الدين ، أبو شامة ، المقدسى الأصل ، الدمشقى ، الشافعى ، المقرئ ، النحوى ولد سنة ست وتسعين وخمسمائة بدمشق ، وكانت وفاته سنة خمس وستين وستمائة ، ودفن بمقابر باب كَيْسَان .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/ ٣١٨ وفى تاريخ ابن كثير ١٣/ ٢٥٠ وفى دائرة المعارف للبستانى ٢/ ١٨٦ وقد ذكره صاحب النجوم الزاهرة (٧/ ٢٢٤) فيمن ذكر الذهبي وفاتهم فى سنة ٦٦٥

قرأ القرآن وله دون العشر ، وجمع القرآت كلها سنة ست عشرة على الشيخ علم الدين السخاوى ، وسمع بالإسكندرية من الشيخ أبى القاسم عيسى بن عبد العزيز وغيره ، وحصل له سنة تسع وثلاثين عناية بالحديث ، وسمع أولاده ، وقرأ بنفسه ، وكتب الكثير من العلوم ، وأتقن الفقه ، ودرّس ، وأفتى ، وبرع فى العربية ، وصنف شرحا نفيسا للشاطبية ، واختصر تاريخ دمشق مرتين : الأول فى عشرين مجلدا ، وله كتاب « الروضتين ، فى أخبار الدولتين : النورية ، والصلاحية » وكتاب « الذيل » عليها ، وكتاب « شرح الحديث المقتفى ، فى مبعث المصطفى » وكتاب « ضوء القمر السارى ، إلى معرفة البارى » و « المحقق فى علم الأصول ، فيما يتعلق بأفعال الرسول » وكتاب « البسملة » الأكبر ، فى مجلد ، و كتاب « البسملة » الأصغر ، وكتاب « الباعث ، على إنكار البدع والحوادث » وكتاب « السواك » و « كشف حال بنى عبيد » و « الأصول ، فى الأصول » و « مفردات القراء » و « مقدمة نحو » ونظم المفصل للزمخشرى ، وشيوخ البيهقى ، وغير ذلك ، وذكر أنه حصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة ، وولى مشيخة القراء بتربة الأشرفية ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان متواضعاً مُطَّرحا للتكلف ، أخذ عنه القراآت الشيخُ شهابُ الدين الكفوى والشهاب أحمد اللبان وزين الدين أبو بكر بن يوسف المزى وجماعة ، وقرأ عليه شرحَ الشاطبيه الشيخُ شرف الدين الفزارى الخطيبُ .

دخل عليه اثنان جبليان إلى بيته الذى بآخر المعمور من طواحين الأشنان ومعهم فتوى ، فضرباه ضربا مبرّحا كاد يتلف منه ، ولم يدر به أحد ولا أغاثه .

وتوفى رحمه الله تعالى فى تاسع عشر رمضان ، ودفن بباب الفراديس[1] ، وقيل : بباب كيسان[2]

---

(١) قال ياقوت « الفراديس : موضع بقرب دمشق ، وباب الفراديس : باب من أبواب دمشق »

(٢) لم يذكر ياقوت باب كيسان

قال رحمه الله تعالى : جَرَتْ لى محنة بدارى بطواحين الأشنان فألهم الله الصبر ولطف ، وقيل لى : اجتمع بولاة الامر ، فقلت : أنا قد فوضت أمرى إلى الله تعالى وهو يكفينا ، وفى ذلك قلت :

قلت لمن قال أما تشتكى ماقد جرى فهو عظيم جليل
يقيض الله العلى لنا مَنْ يأخذ الحق و يشفى الغليل[1]
إذا توكلنا عليه كفى وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن نظمه فى السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله :

إمام محب ناشئ متصدق و باك مُصَل خائف سطوة الباس
يظلهم الله الجليل بظله إذا كان يوم العرض لا ظل للناس
أشرت بألفاظ تدل عليهم فيذ كرهم فى النظم من بعضهم ناسى

وقال فى المعنى :

وقال النبي المصطفى : إن سبعة يظلهم الله العظيم بظله
محب عفيف ناشئ متصدق و باك مصل والإمام بعدله

(٢١١)

عبد الرحمن ابن إسماعيل الحميرى

عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلاَل ، الحميرى ، المعروف بوضاح اليمن[2] قيل : إنه من الفرس الذين قدموا اليمن مع وهرز لنصرة سيف بن ذى يزن على الحبشة ، وكان من حسنه يقتنع فى المواسم مخافة العين ، وكان يهوى امرأة من اليمن اسمها روضة ، وتشبب بها فى شعره ، فمن ذلك قوله :

قالت ألا لا تلجَنْ دارنا إن أبانا رجل غائر[3]
قلت فإنى طالب غِرَّةً وإن سيفى صارم باتر[4]

---

(١) فى الشذرات وابن كثير « يقيض الله تعالى لنا »

(٢) له ترجمة فى الأغانى ٣٢/٦ بولاق ، وانظره أيضا ٨٨/٥

(٣) غائر : ذو غيرة (٤) سيف باتر : قاطع

قالت فإن القصر عالى البنا   قلت فإنى فـوقه طائرُ[1]

قالت فإن البحر من دوننا   قلت فإنى سابح ماهر

قالت فحولى إخوة سـبعة   قلت فإنى لهـمُ حاذر[2]

قالت فليث رابض دوننا   قلت فإنى أسد عاقر[3]

قالت فإنَّ الله من فوقنا   قلت فربى راحم غافر

قالت فقد أعييتنا حجة   فأتِ إذا ما هجـع السامِرُ[4]

وأسقط علينا كسقوط الندى   ليـلة لا ناهٍ ولا آمِرُ

وهذه الأبيات عدَّها أرباب البديع فى المراجعة .

وأما هذا المعنى — وهو قوله « وأسقط علينا كسقوط الندَى » ـ فقد اشتهر ونظم الشعراء فى معناه كثيراً ، وأصله لامرىء القيس حيث قال :

سَمَوْتُ إليها بعد ما نام أهلها   سُمُوَّ حَبَاب الماء حالا على حال

وما أحسن قول صردرٍّ فى قصيدته التى أولها :

عسى رائح يأتى بأخبار من غدا

وهو :

وحَىٍّ طرقناه على غير موعد   فما إن وجدنا عند نارهم هُدَى

وما غَفَلَتْ حراسهم غير أننا   سقطنا عليهم مثل ما يسقط الندى

ولما وقف بعضُ الظرفاء على قصيدة وضاح اليمن ووصل إلى قوله « قلت فربى راحم غافر » كتب على الحاشية هذا نياك بالدبوس مايرجع .

---

(١) فى الأغانى «فإن القصر من دوننا» و « فإنى فوقه ظاهر » وما هنا أحسن

(٢) فى الأغانى « قلت فإنى غالب قاهر » وما هنا أجود

(٣) فى الأغانى « رابض بيننا »   (٤) وفيه « قالت لقد أعييتنا »

ولما استأذنت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الوليد بن عبد الملك في الحج وأذن لها وهو خليفة ، وهى زوجته، وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعا أن يذكرها أحد منهم ، أو يذكر أحداً ممن معها ، فقدمت مكة ، وتراءت الناس ، وتَصَدّى لها أهل الغزل والشعراء ، ووقعت عينها على وضاح اليمن فهويته ، وأنفذت إلى كثير عزة و إلى وضاح اليمن أن شبِّبابى ، فكره ذلك كثير وشبب بجاريتها غاضرة ، وذلك في قوله :

* سقى أظْمَانَ غَاضِرَةَ الغوادى *

وأما وضاح اليمن فإنه صرح ، فبلغ ذلك الوليد ، فقتله .

وقيل : إنه مدح الوليد ، فوعدته أم البنين أن تساعده وتعينه على رِفدِه ، فقدم على الوليد ، وأنشده :

صبا قلبي إليكِ وَمَال ميلا وأرّقنى خيـالك يا أثيلا
يَمَانية تلمّ بنا فتبـدى دقيق محاسن وتكنّ غيلا

وهى أبيات مشهورة ، فأحسن رِفْدَهُ ، ثم نمى إليه أنه يشبب بأم البنين ، فجفاه وحجبه ، ودبر في قتله ، واختلسه ، ودفنه في داره .

وقيل : إن[1] أم البنين كانت ترسل إليه ، فيدخل إليها ، ويقيم عندها ، فإذا خافت وارته في صندوق عندها ، فأهدى إلى الوليد جوهر ، فأعجبه ، ودعا خادما ، وبعث به إلى أم البنين ، فدخل عليها مفاجأة ووضاح عندها ، فرآه وقد وارته في الصندوق ، فقال لها : يا مولاتى هَبِي لِى منه حجراً ، فقالت : يابن اللخناء : لا [ولا] [2] كرامة ، فرجع الخادم إلى الوليد ، وأخبره الخبر ، فقال له : كذبت ، وأمر به فوُجِئت عنقه ، ثم أتى أم البنين وهى تمتشط في بيتها ،

---

(١) في الأغانى ٦/٣٩ ذكر هذه الرواية وذكر روايات أخر فارجع إليها هناك

(٢) هذه الزيادة ليست في ب، ث، وهى مما يحتاج إليها السياق ، وهى في الأغانى

وقد وصف له الخادم الصندوق ، فجـاء ، فجلس عليه ، وقال لهـا : يا أم البنين ما أحبّ إليك هذا البيتَ من دون البيوت ، فلم تختارينه ؟ قالت : أختاره لأنه يجمع حوائجى كلها ، فأتناولهـا منه من قريب على ما أريد ، قال لهـا : هبى لى صندوقا من هذه الصناديق ، فقالت : كلها لك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما أريدها كلها ، و إنمـا أريد واحـداً منها ، فقالت : خذ أيها شئت ، قال : هذا الذى جلست عليه ، قالت: غيره خذ ، فإنّ لى فيه أشياء أحتاج إليها ، قال : ما أريد غيره ، قالت : خذه ، فدعا بالخدم ، وأمرهم بحمله حتى انتهى به إلى مجلسه ، وحفر بئراً عميقا فى المجلس إلى أن وصل إلى المـاء ، ووضع الصندوق على شفير البئر ، ودنا منه ، وقال : يا صندوق إنه بلغنا شىء ، فإن كان حقا فقد كفيناك ودفناك وقطعنا ذكرك إلى آخر الدهر ، و إن كان باطلا فإنما دفنا الخشب ، وما أهون ذلك ، ثم قذف به ، وهال عليه التراب ، وسُوِّيت الأرض، وردّ البسط على حاله ، وجلس الوليد ، وما رأى الوليد ولا أمّ البنين فى وجه واحد منهما أثراً حتى فرّق الدهر بينهما .

(٢١٢)

رشيد الدين عبد الرحمن ابن بدر النابلسى الشاعر

عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن المفرح بن بكار ، رشيد الدين ، النابلسى ، الشاعر المجيد[١] .

مدح الناصر وأولاده ، وأولاد العـادل ، وهو عمّ الحـافظ شرف الدين يوسف بن الحسن النابلسى .

قال شهاب الدين القوصى فى معجمه : أنشدنى رشيد الدين النابلسى ، وقد رأى مليحا بديع الصورة بين أسودين قبيحى الصورة :

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من كتب الرجال

لله مَنْ عايَنَتْ عينى محاسنه يوما فعوّذتُهُ بالله من عينى
يختال كالغصن تيها فى شمائله ما بين عبدين لون الليل عِلْجَيْن
فقلت والشوق يطوينى وينشرنى لم ألق قبلك صبحا بين ليلين
فمرّ يضحك من قولى وقال بلى كم قدرأى الناس سعداً بين نحسين

وأنشدنى لنفسه رحمه الله تعالى :

يا من عيون الأنام ترقبه رقبة شهر الصيام والفطر
وإنما يُرْقَبُ الهلال فلم تُرْقب بعد الكمال يا بدرى

ومن شعره قصيدة لها أربع قوافى(١) :

كم الحشى معذب موجع على المدى صب الفؤاد مغرم
بناره يلتهب ملذع ماخمدا أواره والضرم
حكم فيه أشنب ممنع من الفدا فهو الأسير المسلم
مبعد مجنب مودع تعمداً وهو القريب الأَمَمُ
زمانه تعتب وولع قد أكمدا مَنْ عزَّ فهو يحكم
ما الحب إلا لهب ومدمع تجددا ولوعة وسَقَمُ
ياهل إليه سبب ممتع يولى يدا من قلبه مضرم
ما أنا إلا أشعب وأطمع فيما غدا وما إليه سُلَّمُ

ومن شعره رحمه الله تعالى :

مالك والوُرْقُ على أوراقها تعجم ما تعرب من أشواقها
دعها وماهيجها فإنها أوالف تفرق فى فراقها

---

(١) يقرأ البيت الأول على الوجوه الآتية :

كم الحشى معذب موجع على المدى صب الفؤاد مغرم
كم الحشى معذب موجع على المدى
كم الحشى معذب صب الفؤاد مغرم
موجع على المدى صب الفؤاد مغرم

وإنما يريك ذا الوجد بها ملبسها الحلى فى أطواقها
أفدى الأولى فارقتهم فمهجتى لا تطمع الأساة فى افتراقها
سَرَوْا بدورا فى دجى غدائر أعاذها الرحمن من محاقها
غواربا أفلاكها غوارب تزرى بضوء الشمس فى إشراقها
تساق للبين المشتّ عِيسُها وأنفس العشاق فى سياقها
فكم حَشًى تطوى على حريقه وأدمع تنشر فى آماقها

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

هز لَدْناً من قدّه سمهريا ومن اللحظ صارما مشرفيا
شادن أرسل الجفون سهاما حين أبدى من حاجبيه قِسِيّا
من بنى الترك إن رنا لمحبّ أصبح القلب من جوَاه صِليا
مُخْطَف الخصر والسهام وما أر شق فى الرمى رائشا تركيا
فهو شاك السلاح مازال يُصمى كل صبّ رنا إليه خليا

وكانت وفاة الرشيد فى شهور سنة تسع عشرة وستمائة ، ودفن بمقابر باب الصغير ، رحمه الله تعالى !

(٢١٣)

تقى الدين قاضي القضاة عبدالرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز

عبد الرحمن[١] بن عبد الوهاب بن خليفة بن بدر ، قاضى القضاة ، تقى الدين ، أبو القاسم ، ابن قاضى القضاة تاج الدين العلامى[٢] ، المصرى ، الشافعى ، المعروف بابن بنت الأعز .

كان جدّه لأمّه يعرف بالقاضى الأعز وزير الملك الكامل بن أبى بكر أيوب ، وعَلَامَة ـ بالفتح والتخفيف ـ قبيلة من لخم .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٤٣١ وفى تاريخ ابن كثير ١٣/٣٤٦ وفى النجوم الزاهرة ٨/٨٢

(٢) فى الشذرات وابن كثير « العلائى » تحريف والذى فى النجوم كما هنا ، وفى المنهل الصافى أنه نسبة إلى علامة ، وهى قبيلة من لخم كما قال المؤلف فيما بعد

سمع من الرشيد العطار وغيره ، وتفقه على ابن عبد السلام وعلى والده ، وكان فقيها إماما ، مناظرا ، بصيرا بالأحكام ، جيد العربية ، ذكيا ، كاملا ، نبيلا ، شاعرا ، محسنا ، فصيحا ، مُفَوها ، وافر العقل ، كامل السودد ، روى عنه الدمياطى فى معجمه شيئاً من نظمه .

توفى كهلا سنة خمس وتسعين وستمائة .

وولى الوزارة مع القضاء ، ثم استعفى من الوزارة ، وتولى القضاء بعده الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد ، امتحن(١) فى الدولة الأشرفية على يد شمس الدين ابن السلعوس ، ثم نجاه الله تعالى منه ، ويقال : لما حكم بتعزيره نهره ابن السلعوس وأقامه ، فقالوا له : هذا تعزير مثل هذا ، فقال : لا بدّ من زيادة ، فقالوا : ينزل من القلعة إلى باب زويلة ماشيا ، ولم ينله منه مكروه بعد عزله من القضاء أكثر من هذا ، وسكن القرافة ، وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى ، ثم سافر إلى الحج فقضى الفريضة وزار مدينة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأنشد القصيدة البليغة من نظمه ، وهى :

النّاس بين مُرَجِّزٍ ومُقَصِّدِ ... ومُطَوِّل فى مَدْحِه ومُجَوِّدِ
ومخبر عَمَّنْ رَوى ومعبر ... عمّا رآه من العلى والسؤدد
ما فى قوى الأذهان حصر صفاتك العليا ومالَكَ من كريم المحتِدِ
ومن المحيط بكنه معنى مدهش ... بَهَرَ العقولَ بمصدر وبمورد
فإذا البصائر فيه تنفذ أدركت ... منه معانى حسنها لم ينفد
ورأتك فى مرآتها شمس الضحى ... طلعت بكل تنوفة وبفدفد

---

(١) فى النجوم « وامتحن محنة شديدة فى أول الدولة الأشرفية ، وعمل على إتلافه بالكلية ، وذلك بسعاية الوزير ابن السلعوس الدمشقى ، وقد استوعبنا أمره فى المنهل الصافى ، ثم أعيد إلى القضاء بعد وفاة الأشرف ، فلم تطل أيامه ومات » اهـ

فأفادت البصر الصحيح إنارة　　يقوى على البصر الضعيف الأرمد
وأخو الهوى فى طرفه وفؤاده　　مرض يحيد عن الطريق الأرشد[1]
جَحَدَ الظهيرة نورها وَاهًا له　　حُرِمَ السعادة كلها إن يجحد
حظ الموفَّقِ أن يتابع دائما　　أخلاقك الغرّ الكرام ويقتدى
لم ترتفع لله عن خفض، ولم　　تقرب إليـه من مكان مبعد[2]
لكن أرى محبوبه ملكوته　　حتى يشاهد فيـه ما لم يشهد
وأراه كيف تفاضل الأملاك والـ　　ـرسل الكرام وكان غير مقلد
ورأت له الأملاك فى ملكوته　　جاها وقدرا مثـله لم يوجد
هل جاء قبلك مرسل بخوارق　　إلا وجئت بمثـله أو أزيد
فعصا الكليم تبدّلت أعراضها　　وكذا عصاك تبدلت بمهند
نبعت عيونُ الماء من حَجَر لنا　　والنبع فى الأحجار كالمتوقد
إن البعيـد من العوائد كلها　　نبع بدا بين الأصابع فى اليد
هذى هى الكف التى قد أصبحت　　بحرا إذا مدحوا لنا الكف الندى
ومحبة المولى هى الأصل الذى　　لم يثن عزمك فيه رأىُ مُفَنِّدِ
ومن الذى تجلى عليـه جهرة　　ذاك الجمال فلم يخرّ ويسجد
صلوات ربك والسلام عليك ما　　حُيِّيتَ من متوجه متعبد
وجرى بذكرك لفظه فى وقفة　　لخطابه أو جلسة المتشهـد
وإذا مررت على القلوب فكنت كالـ　　ـأرج الذكىّ يردّ روح المكمد
وعلى صحابتك الكرام وآلك الـ　　ـبرآء من قول الجهول المفسد

---

(١) يحيد : يميل وينحرف
(٢) يشير إلى قصة المعراج برسول الله صلى الله عليه وسلم

وعلى ضجيعيك اللذين تشرّفا ... بالقرب منك بمقعد و بمرقد
لمكانة فى الدين ما خفيَتْ على ... متبصر قرأ العلوم مسدد
قاما بنصرك فى الحياة عبادة ... وجلادة أزرت على المتجلّدِ
وتكفلا بعد المماةِ بنصرة الـ ... ـدين الحنيف على الكفور الملحد
وتقلدا الأمر العظيم فأصبحا ... حُجَجاً على كل امرئ متقلد
تالله قد بدرا وماونيا ولا ... اختارا الأخف على الأشق الأجهد
وكلاهما بِزُلاَل فضلك يرتوى ... و بفضل برد من شعارك يرتدى
كانا سعادة كل عبد صالح ... وشقاوة الباغى الجهول المعتدى

(٢١٤)

بدر الدين عبد الرحمن ابن المسجف الشاعر

عبد الرحمن بن أبى القاسم بن غنائم بن يوسف ، الأديب ، بدر الدين ، الكنانى ، العسقلانى ، بن المسجف ، الشاعر(١) .

ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وكان أديبا ظريفا خليعًا ، وتوفى فجأة ، وخلف خمسمائة ألف درهم فأخذها الجوادُ صاحبُ دمشق ، وله أخت فقيرة عَمْياء ، فمنعها حقها من ميراثها .

وكان بدر الدين يتجر ، وله رسوم على الملوك ، وأكثر شعره فى الهجو

قال القوصى فى معجمه : كان الشريف شهاب الدين بن الشريف فخر الدولة ابن أبى الجن الحسينى رحمه الله تعالى لما ولاه السلطان الملك الناصر الكتابةَ على الطالبيين من الأشراف اجتمع فى داره لتهنئتِهِ جماعةُ الولاة والقضاة والصدور ، وسألنى الجماعة إنشاء خطبة تقرأ أمام قراءة المنشور ، فذكرت خطبة على البديهة

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غيرهذا الكتاب فيما بين يدى الساعة من كتب الرجال

جمعت فيها بين أهـل البيت عليهم السلام و بين شكر السلطان على توليته وما أولاه من الإحسان ، فحضر بدر الدين بن المسجف رحمه الله تعالى المجلس ، وأنشد هذه الثلاثة الأبيات لنفسه :

دار النقيب حوت بمن قد حلها ... شرفا يقصر عن مداه المطنب

أضحت كسوق عكاظ فى تفضيلها ... وبها شهاب الدين قسٌّ يخطب

الفاضل القوصىُّ أفْصَحُ من غدا ... عن فضله فى العصر يعرب معرب

وأنشدنى المذكور لنفسه فى الشرف الحلى (١) الشاعر :

يقولون لى ما بال حظك ناقصا ... لدى راجح رب الفهاهة والجهل (٢)

فقلت لهم إنى سمىّ ابن ملجم ... وذلك إسم لا يقول به حلى (٣)

وأنشدنى لنفسه هذين البيتين ، وكان قد قالهما ببغداد وقد جاء مطر كثير يوم عاشوراء ، وكان فصل الصيف :

مطرت بعاشورا وتلك فضيلة ... ظهرت فـــا للناصـبىِّ المعتدى

والله ما جاء الغمام و إنمـــا ... بكت السما لزوال آل محمـــد

وأنشدنى لنفسه يمدح الـكمال القانونى :

لو كنت عاينت الـكمال وجسَّه ... أوتار قانون له فى المجلس

لرأيت مفتاح السرور بكفه الـــيسرى وفى اليمنى حياة الأنفس

وأنشدنى لنفسه :

ولقــد مدحتهم على جهل بهم ... وظننت فيهم للصنيعة موضعا

ورجعت بعد الاختبار أذمّهم ... فأضعت فى الحالين عمرى أجمعا

---

(١) تقدمت ترجمة راجح الحلى (الترجمة رقم ١٢٥)

(٢) فى ب « رب الشهامة والفضل » ولا يلتئم مع ما أراده ، وماأثبتناه موافق لما فى ث

(٣) ابن ملجم : قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، واسمه عبد الرحمن ، وهو يشير إلى أن أهل الحلة شيعة ، فهم لا يسمون عبد الرحمن

ومثل هذا قول سِبْط التعاويذى :

قضيت شطر العمر فى مدحكم ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاء لكم فضاع عمرى فيكم كله

ولابن المسجف :

يارب كيف بلوتنى بعصابة مافيهم فضل ولا إفضال
متنافرى الأوصاف يصدق فيهم الـهاجى وتكذب فيهم الآمال
غَطَّى الثراء على عيوبهم وكم من سَوْءة غطى عليها المال
جُبَنًا إذا استنجدتهم لملمة لُؤَما إذا استرفدتهم بُخَّال
فوجوههم غرف على أموالهم وأكفهم من دونها أقفال
هم فى الرخاء إذا ظفرت بنعمة آل وهم عند الشدائد آل[1]

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أنا فى جيل خسيس وقبيل وزمان
أمدح السلطان كى يصبح مالى فى أمان
أكذا كان أبو تمام قبلى وابن هانى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قالوا تلقب بدر الدين مفتخرا نجل الجنوبىّ من قد زين الأمنا
فقلت لا تعجبوا منه فذا لَقَبٌ وقف على كل نحس والدليل أنا

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

ثلاثة أشياء ثقلن بخلة على كل قلب بالدليل المحقق

---

(١) آل الأول أصله أهل ، ومعناه معناه ، وآل الثانى هو السراب الذى تراه وسط النهار فتحسبه ماء وليس بماء

تزهد قاضينا الخوّلى وطرحه الشهـــاب وإسلام الحـكيم الموفق

وقال ابن القصار الفارقى :

وعزيز كأنه غصن تين أحول المقلتين مرّ لمَـاه

قلت ما الاسم قد أطال عنائى قال مسعود قلت من لا يراه

وقال فى جماعة بدمشق :

تسعة رهط فى جِلّق جمعوا ليس لهم فى الفساد من عاشر

الأعور التاج والشقيقة والصــفار وابن الخصيب والـكافر

والمنسوة الشـــاعر يخفى نفاد ليـــله ظاهر(١)

وقال يخاطب الملك العادل ، وقد أمر بنزح الماء من الخندق لأجل عمارة البرج :

أرح من نزح ماء البرج يوما فقـــد أفضى إلى تعب وعىّ

من القاضى بوضع يديه فيه وقد أضحى كرأس الدولقىّ

وقال فى جماعة حول الملك الأشرف :

وخمسة عند موسى لا خَلاَقَ لهم ما فيهـــم أبدا نفع لمخلوق(٢)

ابن المحوّر والدخوار والفلك الـــمصرى وابن جرير وابن مرزوق

وقال يخاطب الملك الأعظم :

أيا ملـكا حوى علما وجودا وحاز لـكل مكرمة وفضل

ومن هو كالمسيح اسما وفعلا ونصب للحياة وحزم مجل(٣)

يكلفنى إليـــه زكاة مال حرام كله من غـــير حل

وكيف يقوم بالزكوات مَنْ لا يصوم ولا يحج ولا يصـــلى

---

(١) هذا البيت غير مستقيم وزنا ولا معنى ، وبقى من التسعة خمسة

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم فى خير

(٣) الملك المعظم : اسمه عيسي كاسم المسيح ، وعجز هذا البيت غير ظاهر .

فجد بهبات ذلك لى فإنى أجل زكاتكم عن مال مثلى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قالوا علام رفَضْتَ الشعر مطرحا فقلت من قلة الإنصاف فى زمنى
لا المدح يورثنى مالا أسر به ولا الهجاء إلى مولى يقربنى
حتى ينال أديب شاعر فطن حرام كل أديب شاعر فطن

وقال فى محيي الدين بن الجوزى رسول الخليفة وكان يتردد إلى الملوك فى الرسائل فمات منهم جماعة متقاربين يخاطب المستنصر :

يا إمام الهدى أباجعفر المنصور يامن له الفخار الأثيل
ماجرى من رسولك الشيخ محيي الدين فى هذه البلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهو فغدا والقصور منهم طلول
أقفرالروم والشآم ومصرا أفهذا مغسل أم رسول[1]

وقال فى جماعة بدمشق :

خمس تيجان لا يساوون نعلا رث فى قيمة ولا مقدار
الشخيرير والأعيور والتيشار وابن المصرى وابن الحوارى

وقال فى ابن الزكى يونس المصرى :

يقيسون يحيي بالفعال بيونس وهذا على ضد القياس المؤسس
وكيف يصح الحكم والحوت بالع لذاك ، وهذا بالع حوت يونس

ومن شعره فى الغرز خليل والى دمشق :

ماخليل بخليل لا ولا أصحابه أهل صلاح بل فساد[2]
لقبوه الغرز لا جهلا به صدقوا لكنه غرز جراد

---

(١) فى ث « أفهذا مفسد أم رسول » .
(٢) فى ب « أهل صلاح أوفساد »

وقال يمدح الملك الكامل :

إذا لبس الدرع مستلئما وكرسيه صهوة الصاهـل
ترى الأرض محمـرة بالدما ومخضرة اللون بالنـائل

وقال على لسان بنت الملك الأشرف فى دار السعادة :

قالت مليكة : هذى الدار حين ثوى من شيد الدار بعد الملك بالترب[1]
لا تحسدونى على دار السعادة بل دار السعادة كانت فى زمان أبى

وصل ابن المسجف فى بعض سفراته إلى الموصل بما معه من التجارة ، فباع الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا الأتابكى متملك الموصل شيئاً معه ، ومَدَحه ، فتقدم إلى نائبه الأمير أمين الدين لؤلؤ عتيقه بقضاء أشغال له ، فتوقف فى أمره ، فقال له بعض أصحاب الباب : لو طاب قلب أمين الدين مشى الحال ، وحصل المقصود ، فقال :

يقولون لو طاب قلب الأمين رجعت بِدُرٍّ نفيس ثمين
فقلت أعود بلا حبـة ولا طيب الله قلب الأمين

(٢١٥)

أبو محمـد عبد الرحمن (ابن أبى حاتم) الحافظ

عبدالرحمن بن محمد[2] بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، أبو محمد ، ابن أبى حاتم ، التميمى ، الحنظلى ، الإمام بن الإمام ، الحافظ بن الحافظ .

سمع أباه وغيره ، قال ابن مَنْدَه : صنف ابن أبى حاتم المسند فى ألف جزء ، وكتاب « الزهد » وكتاب « الكنى » و« الفوائد الكبرى» و« فوائد الزائرين » و« مقدمة الجرح والتعديل » وصنف فى الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء

---

(١) فى ب « قالت ملائك هذى الدار »

(٢) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١١/١٩١ وشذرات الذهب ٢/٣٠٨ والنجوم الزاهرة ٣/٢٦٥

الأمصار ، وله « الجرح والتعديل » فى عدة مجلدات تدل على سَعَة حفظه و إمامته وكتاب « الرد على الجسمة » كبير ، وله تفسير كبير سائره آثار مسندة فى أربع مجلدات .

قال أبو على الخليلى : كان يعد من الأبدال ، وقد أثنى عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل .

وتوفى فى المحرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !

(٢١٦)

أبو القاسم عبد الرحمن (ابن منده) الحافظ

عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى[(١)] بن مَنْده إبراهيم بن الوليد ،أبو القاسم ، الحافظ بن عبد الله ، العبدى ، الأصبهانى .

كان كبير الشأن ، جليل القدر ، حسن الخط ، واسع الرواية ، له أصحاب وأتباع ، وهو أكبر الإخوة ، والإجازة كانت عنده قوية ، وله تصانيف كثيرة ، وردود جمة على أهل البدع .

قال السمعانى : سمعت الحسن بن محمد الرضا العلوى يقول : سمعت خالى أبا طالب ابن طباطبا يقول : كنت أشتم عبد الرحمن بن منده إذا سمعت ذكره ، أو جرى ذكره فى محفل ، فسافرت إلى جرايافاذ فرأيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المنام ويَدُه فى يد رجل عليه جُبة زرقاء فى عينه نكتة ، فسلمت عليه ، فلم يرد على السلام ، وقال : لم تشتم هذا إذا سمعت ذكره ؟ فقيل لى فى المنام : هـذا عمر بن الخطاب ، وهذا [ابنُ] منده ، فانتبهت ، ثم رجعت إلى أصبهان ، وقصدت الشيخ عبد الرحمن ، فلما دخلت عليه ورأيته صادفته على النعت

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣/٣٣٧ ، وقال « ابن يحي بن إبراهيم بن الوليد بن منده بن بطة بن استندار » وفى تاريخ ابن كثير ١٢/١١٨

الذى رأيته فى المنام وعليه جبة زرقاء، فلما سلمت عليه قال: وعليك السلام يا أبا طالب، وقبل ذلك ما رآنى ولا رأيته، وقال لى قبل أن أكلمه: حرمه الله ورسوله، حرمه الله ورسوله، يجوز لنا أن نحله؟ فقلت له: اجعلنى فى حل، وناشدته الله، وقبلته بين عينيه، فقال لى: جعلتك فى حِل مما يرجع إلى

وتوفى ابن منده سنة سبعين وأربعمائة، رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين!

(٢١٧)

فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد (ابن عساكر)

عبد الرحمن بن محمد بن الحسن[١] بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن[٢]، الإمام، المفتى، فخر الدين، أبو منصور، الدمشقى، الشافعى، ابن عساكر، شيخ الشافعية

تولى تدريس الجاروخية، ثم تدريس التقوية، وكان يقيم بالقدس أشهرا وبدمشق أشهرا، وولى تدريس الصلاحية بالقدس، وكان عنده بالتقوية فضلاء الشام حتى كانت تسمى نظامية الشام، وهو أول من درس بالعذراوية، وكان يتورع من المرور فى رواق الحنابلة لئلا يأثموا بالوقيعة فيه؛ لأن عوامهم يبغضون بنى عساكر لأنهم شافعية أشاعرة، وعرضوا عليه ولايات ومناصب فتركها، وصنف فى الفقه وفى الحديث مصنفات

وتوفى سنة عشرين وستمائة، ومولده سنة خمسين وخمسمائة، رحمه الله!

(٢١٨)

عبد الرحمن ابن محمد الفراسى

عبد الرحمن بن محمد الفراسى

وهو من قرية تعرف ببنى فراس جوار تونس، إلا أن مستقرهُ تونس وبها تأدب

---

(١) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٠١/١٣، وفى النجوم الزاهرة ٢٥٦/٦ وفى شذرات الذهب ٩٢/٥

(٢) فى النجوم الزاهرة «ابن الحسين» مكان «ابن الحسن»

كان شاعرا ، ما جنا ، خليعا ، شريرا ، كثير المهاجاة ، قليل المداراة ، خبيث اللسان .

توفى بمدينة سوسة ، سَقَط من سطح وهو سكران ، فتردَّى ، وذلك سنة ثمان وأربعمائة ، وقد نيف على الثلاثين .

ولما ولى القاضى عبد الرحمن بن محمد النحوى قضاء تونس قال الفراسى :

يقول فراسى الزمان ومازا ل حيا فنى قوله يعـــدل

متى يملك الأرض دَجَّالها فقد صار قاضيهَا أحول[(١)]

فبلغ ذلك القاضى، فأَحْفَظَه[(٢)] ، ودعاه إليه رجل خاصمه ، فلما مثل بين يديه سمع دعوى خصمه ، ثم سأله ، فأقر ، فألزمه أداء الحق ، فامتنع وقال : علىّ يمين أن لا أؤديهُ إلا وقت كذا ، فأطرق القاضى ساعة وقضى عنه ما وجب عليه لغريمه ، فلما خرج قيل له : ما صنعت ؟ قال : أردت أن أستحل عرضه فحرمه على ، وقد نظم رحمه الله تعالى :

مَنْ كان عندى له مطالبة فإن بينى و بينـــه القاضى

قاضٍ قَضَى الحقوقَ عنى على بعدىَ منه وفرْطِ إعراضى

أباح لى ماله ليمنعـــــــنى من عرضه وهو ساخط راضى

فيالها رُقْيَـــةً مسكنة لحيَّـــةٍ ساورتْهُ نضناض[(٣)]

وجلس يوما إلى شيخ تونس ، وكان نهاية فى المجون ، فاجتاز بهما رجل يسأل عن دار ابن عبدون ، فقال له الشيخ : هى تلك الرائقة حيث يقوم أيرك ، فقال الفراسى : والله لأنظمنه فما رأيت هذا المعنى ، وقال من ساعته :

---

(١) فى ث « فقد صار قاضينا » وفى نسخة عندها « فقد صار قاصيها » .
(٢) أحفظه : أغضبه
(٣) فى ب ، ث « ساورت » ولا يستقيم معه الوزن

إن شئت أن تعرف عن صحة دار الذى يعـــزى لعبدونه
فامش فإن أيرك أبصرته قام فإنَّ الباب من دونه

(٢١٩)

شمس الدين
ـ أبو محمد ـ
عبدالرحمن بن
محمد بن قدامة
الجماعيلي

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة ، شيخ الإسلام ، و بقية الأعلام ، شمس الدين ، أبو محمد ، بن القدوة الشيخ أبى عمر[٢] ، المقدسى ، الجماعيلى ، الصالحى ، الحنبلى ، الخطيب ، الحاكم .

ولد سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، بالدير المبارك بسَفح قاسيون ، وتوفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

سمع حضورا من ست الـكتبة بنت الطراح ، ومن أبيه وعمه ، وعليه تفقه ، وعرض عليه « المقنع » وشرحه فى عشر مجلدات ، وسمع من حنبل وابن طبرزد والـكندى وابن الحرستانى وابن كامل والقاضى أسعد بن المنجا وابن البناء وابن ملاعب والبكرى والحلاحلى والشمس النجارى وجماعة كثيرة ، وطلب بنفسه ، وكتب وقرأ على الشيوخ ، قرأ على ابن الز بيدى وجعفر الهمدانى والضياء المقدسى ، وسمع بمكة من أبى المجد القزوينى وابن باسويه ، وبالمدينة من أبى طالب ابن أبى العمد الحتيتى ، وأجاز له أبو الفرج بن الجوزى وأبو جعفر الصيدلانى ، وروى عنـه الأئمة أبو بكر المناوى وأبو الفضل بن قدامة والحاكم بن تيمية والحارثى وابن العطار وابن المرى والشيخ برهان الدين وإسماعيل الحرانى والبرزالى وخلق كثير ، وإليه انتهت رياسة المذهب فى عصره ، وكان عديم النظير علما وعملا وزهدا ، وولى القضاء أكثر من اثنى عشر شهراً أو سنة ،

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ٥/٣٧٦ وفى النجوم الزاهرة ٧/٣٥٨ وفى البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٣٠٢ ، وقال عنه « أول من ولى قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين »

(٢) فى ب ، ث « ابن عمر » تحريف ، وأبو عمر كنية أبيه محمد

ولم يأخذ عليه رزقاً ، ثم تركه ، ولما توفى رثاه شمس الدين الصائغ ، والشيخ علاء الدّين بن غانم ، وتقىّ الدّين بن غانم ، وشهاب الدّين محمود رحمه الله تعالى !.

(٢٢٠)

أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن محمد بن الأنبارى النحوى

عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، أبو البركات ، النحوى ، كمال الدين ، ابن الأنبارى(١) .

كان إماماً ثقة صَدُوقاً ، غزير العلم ، ورعاً ، زاهداً ، تقيا ، عفيفاً ، لا يقبل من أحد شيئاً ، وكان خشن العيش ، خشن الملبس ، لم يتلبس من الدنيا بشىء .

توفى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وله تصانيف كثيرة ، تركتُ أسماءها للاختصار ، وله فى علم التعبير كتاب « نسمة العَبير » .

ومن شعره :

العلم أوْفىٰ حلية ولباس ... والعقل أوْفىٰ جُنَّةِ الأكياس
كنْ طالباً للعلم تحْىَ وإنما ... جهل الفتى كالموت فى الأرماس
وصُنِ العلوم عن المطامع كلها ... لترى بأن العز عن الباس
والعلم ثوبٌ والعفاف طرازه ... ومطامع الإنسان كالأدناس
والعلم نور يهتدى بضيائه ... وبه يسود الناس فوق الناس

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٥٨/٤ ، وقال « تفقه بالنظامية على ابن الرزاز ، وأخذ النحو عن ابن الشجرى ، واللغة عن ابن الجواليقى » وتاريخ ابن كثير ٣١٠/١٢ وفى النجوم الزاهرة ٩٠/٦ ، هذا مع أن له فى ابن خلكان الترجمة (رقم ٣٤٢) فليس هو من الفوات ، ومولده فى سنة ٥١٣

(٢٢١)

أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن أبي طلحة الداوودي

عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل ابن الحكم بن شيرازاد ، أبوالحسن ، ابن أبي طلحة ، الداوودى (١) .

جمال الإسلام ، وشيخ خراسان ، راوى البخارى عن السرخسى .

كان من الأئمة الكبار فى معرفة المذهب ، والخلاف ، والأدب ، مع علوّ الإسناد ، وله حظ من النظم والنثر ، قرأ الفقه على القفال المروزى ، وأبى سهل الصعلوكى ، وابن طاهر محمد بن محمد بن الزيادى ، وأبى بكر الطوسى ، وأبى سعيد يحيى بن منصور ، وصحب الأستاذ أبا علىّ الدقاق ، وأبا عبد الرحمن السلمى ، وفاخر السجزى الضرير ، ويحيى بن عمار ، وقدم بغداد ، وقرأ على أبى حامد الإسفرائنى حتى برع فى المذهب والخلاف ، وعاد إلى بوشنج ، وأخذ فى التدريس والفتوى والتصنيف ، وعقد مجالس التذكير ، ورواية الحديث ، إلى أن توفى سنة سبع وستين وأربعمائة ، وكان مولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة .

ومن شعره :

كان اجتماع الناس فيما مضى يورث للبهجة والسَّلْوَه

فانقلب الأمر إلى ضده فصارت السلوة فى الخلوه

وله أيضاً رحمه الله تعالى :

كان فى الاجتماع من قبلُ نورٌ فمضى النور وادلهمّ الظلام

فَسَدَ الناس والزمان جميعاً فعلى الناس والزمان السلامُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إن شئت عيشاً طيباً يغدو بلا منازع

فاقنع بما أوتيته فالعيش عيش القانع

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٩٩/٥ وفى شذرات الذهب ٣٢٧/٣ وفى تاريخ ابن كثير ١١٢/١٢ وفى طبقات الشافعية الكبرى ٢٢٨/٣

(٢٢٢)

عبدالرحمن بن محمد بن دوست

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عزيز بن يزن الحاكم ، أبو سعيد ، بن دوست ، وَدُوَسْت : لقب جده محمد[١] .

أحد الأعيان الأئمة بخراسان فى العربية ، سمع الدواوين وحَصَّلها ، وصنف التصانيف المفيدة ، وأقرأ الناس الأدب والنحو ، وله رد على الزجاجى فيما استدركه على ابن السِّكِّيتِ فى إصلاح المنطق .

وكان زاهداً عارفاً ورعاً ، وعنه أخذ الواحدى اللغة .

وتوفى سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وكان أطروشاً لا يسمع شيئا ، وكان يقرأ على الحاضرين مجلسه بنفسه .

وكان أوجه مَنْ قرأ اللغة على الجوهرى صاحب الصحاح .

ومن شعره :

ألا يا رِيمُ خبرنى عن التفاح مَنْ عَضَّهْ

وحدّث مسمعى عن فمك البكر من افتضه

وخَتَّمَ الله بالورد على خدّك مَنْ فَضَّهْ

لقد أثرت العضة فى وجنتك الغَضَّهْ

كما تكتب بالعنبر فى جام من الفضه

ومن شعره :

وشادنٍ نادمْتُ فى مجلس قد عُطِّلت فيه أباريقُهُ[٢]

طلبت ورداً فأبى خدّه ورمت راحاً فأبى ريقه[٣]

---

(١) له ترجمة فى دائرة معارف البستاني ٤٨٢/١ وأحسبها منقولة عن هذا الكتاب فهى هى ، وفى يتيمة الدهر ٤٢٥/٤ بتحقيقنا ، ودوست بضم الدال وفتح الواو وسكون السين بعدها تاء مبسوطة

(٢) الأباريق : جمع إبريق ، وفى البيت مع مابعده جناس

(٣) أبى : ماض من الإباء ، والريق : ماء الفم

وله أيضاً :

وشادن قلت له هل لك فى المنادمه
فقال : كم من عاشق سفكت فى المُنَى دَمَهْ

وله أيضاً :

عليك بالحفظ دون الجمع فى كتب فإن للكتب آفات تفرقها
الماء يغرقها ، والنار تحرقها والفار يخرقها ، واللص يسرقها

(٢٢٣)

جمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ابن السنينيرة) الواسطى

عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر بن أبى القاسم ، جمال الدين ، الواسطى ، المعروف بابن السنينيرة الشاعر المشهور [١].

ولد سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وتوفى سنة ست وعشرين وستمائة .

طاف البلاد ، وطلب حلب ، ومدح الملك الظاهر ، وجرى له قضية يجرى ذكرها إن شاء الله تعالى فى ترجمة ابن خروف على بن محمد بن يوسف ، وكان عسر الأخلاق ، صعب الممارسة ، كبير الدعاوى ، لا يعتقد فى أحد من أقرانه من الشعراء ـ مثل الأبله ، وابن المعلم ، وغيرهما ـ شيئاً ، ويقول: أنا أسحب [٢] ذيلى عليهم فضلا ومَزِية ، ومدح الملك الظاهر بقصيدة يُذكر فيها القَنَاة التى أجراها بحلب ، وهى :

دون الصراةِ بدت لنا صور الدمَى لا أُدْم صيران الصريم ولا الحِمى
غيد هززن من القدود ذوابلا لُدْناً ورِشْنَ من النواظر أسهما
غنت وكم دون الحريم أحلّ من دم عاشق عانٍ وكان محرّما
فنهبن أنقاء الصريم روادفا ونهبن إيماض البروق تبسما

---

(١) له ترجمة فى دائرة معارف البستانى ٥٢٩/١ وفيها ذكر « محمد » فى آبائه ثلاث مرات

(٢) أسحب ذيلى : كناية عن الكبر والتيه

وأعرن أنفاس النسيم من الصّبا ... أرجا أبَتْ أسراره أن تُـكتما(١)
وعلى الصبابة كم فنى يوم النوى ... جَـلَد وعهد قدوهى وتصرّما(٢)
وأهِيمُ لولا فرط صـدّك لم أهم ... ظمأ ولا أظمْا إلى رشفِ اللّمَا
لما وقفت بسفح سلمى منشدا ... أمحلتى سلمى بكاظمةَ أسلما
خلفتنى بين التجنى والقـلى ... لا ممعنـا هربا ولا مستسلما
وتركتنى بفنا الزمان معللا ... نفسى بذكر عسى وسوف وربما
ولَـكَمْ طرقتك زائرافجعلت لى ... دون الوسادة والمهـاد المعصما
ومنحتنى ظَـلْماً ولثما لم يكن ... حَوْضُ العفاف بورده متهدّما(٣)
فاليوم طيفـك لو ألمّ لبُخْلِهِ ... للصب فى سِنَة الـكرى ما سلما
يا سعد إن حلاوة العشق التى ... قد كنت تعهدها استحالت عَلْقَمَا
سِرْبى فلى فى السّرْبِ قلب سارفى ... أثر الفريق مُقوضاً ومخيما
قد فاز بالْقِدْحِ المعلَّى من أتى ... نهـر المعلى زائرا ومسلما
لو لم تـكن تلك القبابُ منازلا ... ما قابَلَتْ فيـه البدورُ الأنجما
يا ساكنى دار السـلام عليكم ... منى التحية مُعْـرِقا أومُشْئما
وعلى حِمى حلب فإن مليكها ... ما زال صبـا بالمكارم مغرما
قَرْم ترى فى الدرع منه لدى الوغى ... أسـدا على الأعدا وصِلاً أرقما(٤)
ويضم منه الدست فى يوم الوغى ... بحـرا طمى كرما وَطَوْدا أيهما
رَوّى ثرى حلب فعادت روضة ... أنُفاً وكانت قبله تشكو الظما(٥)
أحيـا رفات عُفَاتها فـكأنه ... عيسى بإذن الله أحيا الأعظما

---

(١) الأرج : طيب الرائحة
(٢) وهى : ضعف ، وتصرم : تقطع (٣) الظلم — بالفتح — الريق
(٤) الصل — بكسر الصاد — الحية
(٥) روضة أنف — بضم الهمزة والنون — لم يرعها أحد

لاغرو أن أجرى القناة جدا ولا فلطالما بقناته أجـــرى الدما
وبكفه للآملين أنامـــــــل منها العُبَاب أو السحاب إذا طَمَا

(٢٢٤)

أبو محمد
عبد الرحمن
ابن مروان
(ابن المنجم)
الواعظ

عبد الرحمن بن مروان بن سالم بن المبارك، أبو محمد، التنوخى، المعرى، المعروف بابن المنجم، الواعظ[1].

قدم بغداد، وعليه مسح على هيئة الوعاظ السياح، فصار له ناموس عظيم، وعقد مجلس الوعظ بدار السلطان، وحضر السلطان محله، وصار له الجاه التام، وأنفذه الخليفة رسولا إلى الموصل، واشتهر ذكره، ونمى خبره، وكان مشتهراً بتزوج الأبكار، وأكثر من ذلك حتى قيل فيه الأشعار، وصار له جوارى يغنين له، وقد خرج من بغداد هاربا من أيدى الغرماء، ودخل الشام، فأقام بدمشق إلى أن توفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وقد جاوز السبعين.

وكان يعظ بدمشق، ونفق سوقُه بها، وكان يعظ فى الأعزية فأتاه يوما صغير ليتوب على يده، فحمله على كتفه، فقال:

هـذا صغير ما أتى كبيره فهل كبير يركب الكبائرا

فضج أهل المجلس بالبكاء، وكان يظهر لكل طائفة أنه منهم حرصا على التحصيل، وعمل عزاء أمير المؤمنين المقتفى لأمر الله فى الجامع الأموى بدمشق، فقام فى التعزية، ورثاه بأبيات، فخلع عليه صدرُ المجلس ثوبَهُ، فذكر عادته فى الكربة، وخرج عما كان فيه من التعزية إلى استدعاء موافقة الحاضرين، فخلع عليه بعضهم فقال: أنا المعزى لا المعزى.

---

١ له ترجمة فى شذرات الذهب ١٧٨/٤ ولم يذكر «مروان» بل قال «عبد الرحمن بن سالم التنوخى الواعظ»

ومن شعره رحمه الله :

حبيب لست أنظره بعينى وفى قلبى له حب شديد
أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

جارة قد أجارها الـ ـحسن من كل جانب
فهى بين النساء كالـ ـبدر بين الكواكب

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

وشارب مثل نصف الصاد صاد به قلبى رَشاً ثغره أنقى من البرد
كأنما خاله من فوق وجنته سواد عين بدا فى حمرة الرمد

(٢٢٥)

زكى الدين عبد الرحمن (ابن وهيب) الكاتب القوصى

عبد الرحمن بن وهيب بن عبد الله ، زكى الدين ، الكاتب ، القوصى[١] .

كان فاضلا فى نظمه ونثره ، متقنا للكتابة ، توفى بحماة مخنوقاً بعد الأربعين وستمائة ، بعد وزارته للمظفر صاحب حماة وصحبته له دهراً طويلا ، وكان المظفر قد وَعَدَه أنه متى ملك حماةَ أعطاه ألف دينار ، فلما ملكها أنشده شعرا :

مولاى هذا المُلْكُ قد نلته برغم مخلوق من الخالق
والدهر منقاد لما شئته وذا أوان الموعد الصادق

فأقام معه مدة ، ولزمه أسفارا أنفق فيها المال الذى أعطاه ، ولم يحصل بيده زيادة عليه ، فقال له رحمهما الله تعالى :

ذاك الذى أعطوه لى جملة قد استردّوه قليل قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا وحسبى الله ونعم الوكيل

---

(١) له ترجمة فى الطالع السعيد ١٥٠ وسماه « عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن الحسن بن على ، أبو القاسم ، الكاتب ، المنعوت بالزكى ، المعروف بابن وهيب القوصى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ » وذكر وفاته بحماة سنة ٦٣١

فبلغ ذلك المظفر ، فأخرجه من دار كان قد أنزله بها ، فقال :

أتخرجنى من كِسْرِ بيت مهدّم ولى فيك من حسن الثناء بيوت

فإن عشت لم أعدم مكانا يكنُّنِى وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال : ما ذنبى ؟ فقال : وحسبى الله ونعم الوكيل ، وأمر بخنقه، فلما أحس بذلك قال شعرا :

أعطيتنى الألف تعظيما وتكرمة يا ليت شعرىَ أم أعطيتنى ديتِى

وكان قد أنشده قصيدة قبل أن يملك حماة حين وعده بالألف دينار منها :

متى أراك ومن تهوى وأنت كما تهوى على رغمهم روحين فى بدن

هناك أنشد والآمال حاضرة : هنيت بالملك والأحباب والوطن

قال شهاب الدين القوصى فى معجمه : أنشدنى زكى الدين القوصى لنفسه :

تبدّت فهذا البدر من كَلَفٍ بها وحقك مثلى فى دجى الليل حائر

وماسَتْ فشق الغصن غيظا جيوبه ألست ترى أوراقه تتناثر[1]

فأجازهما يوسف بن عبد العزيز بن المرصص بقوله :

وفاحت فألقى العود فى النار نفسه كذا نقلت عنه الحديثَ المَجَامر[2]

وقالت فغار الدر واصفَرّ لونه كذلك ما زالت تغار الضرائر

وكتب إلىّ وأنا بالديار المصرية :

أوحشتنى والله يا سيدى وزاد شوقى وغرامى إليك

إن غبت عن عينى برغمى فقد أقام فى الحضرة قلبى لديك

وكتب إلىّ أيضا رحمه الله تعالى :

سيدى سيدى كتابُكَ أحلى من زلال على الفؤاد الصادى[3]

---

(١) ماست : تمايلت وتبخترت

(٢) فاحت : انتشر طيب رائحتها فى الجو

(٣) الصادى : العطشان

خِلْتُ فيه قميص يوسف لما ألصقته أنامـــلى بفؤادى

كرَّر اللثم يا فمى وترشَّفْ من حلاه آثار تلك الأيادى

وقال أيضا فى المفتى الهيتى ، وقد أمر بنفيه من الشام إلى مصر :

لا تحسب الهيتىّ يُفْلح بعدها ونحوسه تبغيه أنى قد سَلَكْ

قد غلقت أبواب مصر دونه بغضا لطلعته وقالت هيت لك

وقال أيضا :

فلان والجمـــاعة يعرفوه وظاهره التنسك والزهـاده

يموت على الشهادة وهو حى إلهى لا تمته على الشهـــاده

(٢٢٦)

نجم الدين
عبدالرحيم
ابن إبراهيم
(ابن البارزى)
الحموى القاضى

عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان ، القاضى ، نجم الدين ، الجهنى ، الحموى ، الشافعى ، المعروف بابن البارزى ، قاضى حَمَاة وابن قاضيها وأبو قاضيها [(١)] .

ولد بحَمَاة سنة ثمان وستمائة ، وتوفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

كان إماما فاضلا فقيهاً أصوليا خيرا ، له خبرة بالتعليقات ، ونظر فى الفنون ، سمع من القاسم بن رواحة وغيره ، وحكم بحماة بحكم النيابة عن والده ، ولم يأخذ على القضاء رزقا ، وعُزل قبل موته بأعوام ، وكان مشكور الأحكام ، وافر الديانة ، محبا للفقراء والصالحين ، درس وأفتى وصنف ، واشتغل ، وخرج الأصحاب فى المذهب ، توجه إلى الحج فأدركته منيته ، وحمل إلى المدينة ، ودفن فى البقيع .

ومن شعره فى القلم :

ومُشَقَّق كاللحظ يحكى فعل سُمْـــر الخط إلا أن هـذا أصغر

---

(١) له ترجمة فى طبقات الشافعية الكبرى ٥/٧١ ، وفى شذرات الذهب ٥/٣٨١ — ٣٨٢ ، وقال « توفى فى تبوك فى ذى القعدة فحمل إلى المدينة المنورة » وفى النجوم الزاهرة ٧/٣٦٢ وعن الذهبى « المسلم هبة الله » بدون كلمة « ابن » بينهما ووقع فى ب ، ث اسمه « عبد الرحمن » وصوابه « عبد الرحيم » كما فى الشذرات والنجوم والذهبى وطبقات الشافعية

في رأسه المسود إن أجروه في الـــمبيضّ للأعداء موت أحمـر

ومن شعره وهو تشبيه سبعة أشياء بسبعة :

يقطع بالسكين بطيخةً ضُحًى ... على طبق في مجلس لأصاحبه
كبدر ببرق قدّ شمسَ أهلةٍ ... لدى هالة في الأفق بين كواكبه

وهو يشبه قول بعضهم :

ولمـــا بدا ما بيننا منيةُ النفسِ ... فخرّط بالسكين صفراء كالورس
توهمت بدر التمّ قدّ أهـــلةً ... على أنجم بالبرق من كرة الشمس

والأصل في هذا لابن قلاقس الإسكندري حيث قال :

أتاني الغـــلام ببطيخة ... وسكينة قد أجيدت صِقالا
فقطّع بالبرق شمسَ الضحى ... وأهدى إلى كل بدر هلالا

ولبعضهم حيث يقول :

خلناه لمـاخرّط البطيخ في ... أطباقه بصَقِيلة الصفحات
بدرا يَقُدُّ من الشموس أهلة ... بالبرق بين الشهب في الهالات

وأول من سبق إلى هذا الباب العسكري حيث قال :

وجامعة لأصناف المعاني ... صلحن لوقت إكثار وقِلّه[1]
فمن أُدْمٍ وريحان ونَقْل ... فـلم يرِ مثلها سدّا لخله
فمنهـــا ما تشبهه بدورا ... فإن قَطعتها رجعت أهله

ومن شعر القاضي نجم الدين بن البارزي ما كتبه إلى الملك المنصور صاحب حماة :

خدمتك في الشباب وهامشيبي ... أكاد أحُلُ منه اليوم رَمْسًا[2]
فراع لخدمتي عهدا قديمـــا ... وما بالعهـد من قدم فينسىٰ

---

(١) الإكثار : الغنى ، والقلة : الفقر

(٢) الرمس ـ بالفتح ـ القبر

ومنه أيضا رحمه الله تعالى :

إذا شِمْتُ من تلقاء أرضكم برقا فلا أضلعى تَهْدَا ولا عبرتى تَرْقَا
و إن ناح فوق البان وُرْقُ حمائم سحيرا فنَوْحى فى الدجى عَلَّم الورقا
فرفقا بقلب فى ضرام غرامه حريق وأجفان بأدمعها شرقَى
سميرىّ من سَعد خذا نحو أرضهم يمينا ولا تستبعدا نحوها الطرقا
وعوجا على أفق توشَّحَ شِيحُه بطيب الشَّذَى المسكى أكرم به أفقا
فإن به المغنى الذى نزلوا به ومن ذكره يشفى الفؤاد ويسترقى
ومن دونهم عرب يرون نفوسَ مَنْ يلوذ بمغناهم حلالا لهم طَلْقَا
بأيديهم بيض بها الموت أحمر وسمر لدى هيجائهم تحمل الزرقا
وقولا محبٌّ حلَّ بالشام جسمه ومنه فؤاد بالحجاز غدا مُلْقَى
تعلقكم فى عُنفُوان شبابه ولم يسل عن ذاك الغرام وقد أنقى
وكان يُمَنِّى النفس بالقرب فاغتدى بلا أمل إذ لا يؤمّل أن يبقى

(٢٢٧)

أبو الفضائل عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد بن الإخوة العطار

عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الإخوة، العطار، أبو الفضل[١] .

سمع عن أبى الفوارس طراد الزينى وأبى الخطاب نصر بن البطر وغيرهم ، وسافر إلى خراسان فى طلب الحديث ، وسمع بنيسابور والرى وطبرستان و بأصبهان وقرأ بنفسه ، ونسخ ما لا يدخل تحت الحصر ، وكان يكتب خطا مليحا ، وكان سريع القراءة والكتابة .

قال محب الدين بن النجار : رأيت بخطه كتاب « التنبيه » فى الفقه لأبى إسحاق الشيرازى وقد ذكر فى آخره أنه كتبه فى يوم واحد ، وكانت له معرفة

---

(١) له ترجمة فى دائرة معارف البستانى ٣٧٢/١ وما أظنها إلا صادرة عن هذا الكتاب نفسه ، وما أظن اسمه إلا « عبد الرحيم » لوقوعه بين جماعة ظهر أن اسم كل منهم عبد الرحيم

بالحديث والأدب ، وله شعر ، وكان يقول : كتبت بخطى ألف مجلد .

وتوفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بشيراز .

روى أنه كان يقرأ معجم الطبرانى ويقلب ورقتين ويترك حديثاً وحديثين

رواه السمعانى عن يحيى بن عبد الملك بن أبى المسلم المكى وكان شابا صالحا .

ومن شعر ابن الأخوة :

ما الناس ناس فسرِّح إن خلوت بهم ... فأنت ما حضروا فى خلوة أبدا

ولا يغرَّنك أثواب لهم حسنت ... فليس مَنْ تحتها فى حسنها حُمِدا

القرد قرد ولو حليته ذهبـــا ... والكلب كلب ولو سميته أسدا

ومنه أيضا :

أنفقت شَرْخ شبابى فى دياركم ... فما حَظِيتُ ولا أنفدْت إنفاق (١)

وخير عمرى الذى وَلَّى وقد ولعت ... به الهموم فكيف الظن بالباقى

ومنه أيضا :

ولما التقى للبين خدّى وخدُّها ... تلاقى بهـــار ذابل وجنى ورد

وَلفَّتْ يَدُ التوديع عطفى بعطفها ... كما لفت النكباء مائستَىْ رَنْدِ

وأجرى النوى دمعى خلال دموعها ... كما نظم الياقوت والدر فى عقد

وولَّتْ وبى من لوعة الوجد ما بها ... كما عندها من حرقة البين ما عندى

ومنه أيضا :

الدهر كالميزان يرفع ناقصا ... أبدا ويخفض زائد المقدار

وإذا انتحى الإنصاف عادل عدله ... فى الوزن بين حديدة ونضار

---

(١) شرخ الشباب ـ بفتح الشين وسكون الراء المهملة ـ زمان القوة والمنعة .

(٢٢٨)

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري

عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، القُشَيْرِىّ، من أهل نيسابور.
كان من أئمة الدين، وأعلام المسلمين، قرأ الأصول على والده، وتفسير القرآن والوعظ، ورزق فى ذلك حظا وافراً، ولازم إمام الحرمين، ودرس عليه المذهب والخلاف، وبرع فى ذلك، وجاوز أقرانه، وقرأ الأدب ونظم ونثر، وعقد مجلس الوعظ ببغداد، وظهر له القبول العظيم، وأظهر مذهب الأشعرى، وقامت سوق الفتنة بينه وبين الحنابلة، وثَارَ العوام إلى المقاتلة، وكوتب الوزير نظام الملك بأن يأمره بالرجوع إلى وطنه، فأحضره وأكرمه، وأمره بلزوم وطنه، فأقام يدرس ويعظ الناس ويروى الحديث إلى أن توفى سنة أربع عشرة وخمسمائة.

كتب إليه فتوى، وهى:

يا إماماً حوى الفضائل طُرًّا ‌‌ طِبْتَ أصلا وزادك الله قدرا
ما على عاشق رأى الحِبَّ مختا ‌‌ لا كغصن الأراك يحمل بدرا
فَدنا نحوه يقبل خدَّيـ ‌‌ ـه غراماً به ويلثم ثغرا
وعليه من العفاف رقيب ‌‌ لا يدانى فى سُنَّة الحب غدرا

فقال رحمه الله تعالى وعفا عنه:

ما على مَنْ يقبل الحِبَّ حدٌّ ‌‌ غير أنى أراه حاول نكرا
امتحانُ الحبيب باللثم حَيْفٌ ‌‌ لو تعففت كان ذلك أحْرَى
لا تعرّض للثم خدٍّ وثغر ‌‌ فتلاقى من لحظ نفسك غرا

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٤ / ٤٥ وقال «توفى فى جمادى الآخرة من سنة ٥١٤ وهو فى عشر الثمانين» وفيه يقول إمام الحرمين:
معانى النجابة مجموعة ‌‌ لعبد الرحيم بن عبد الكريم
وفى ب، ث «عبد الرحمن بن عبد الكريم» وهو خطأ، وله ترجمة أيضا فى طبقات الشافعية الكبرى ٤ / ٢٤٩

واخشَ منه إذا تسامحت فيه   غائلات تجرّ إثمـاً ووزرا
قمعُكَ النفس دائماً عن هواها   لك خير فألزم النفس صبرا
مَنْ بلاه إلٰهه بهوى الخلـــق فقد سامَهُ هواناً وصغرا
فاجتنبهم وراقبِ الله سرّاً   فهو أولى بنا وأعظم أجرا
ذا جوابٌ لابن القشيرىّ فاسمع   إن أردت السداد سرا وجهرا

ومن شعره رحمه الله تعالى :

ليالِي وصالٍ قد مضين كأنها   بياض مشيب فى سواد الذوائب

ومن شعره أيضا رحمه الله :

تقبيلَ ثغرك أشتهى   أمـل إليـه أنتهى
لو نِلْتُ ذلك لم أمل   بالروح منى أن تهى
دنياى لذة ساعـة   وعلى الحقيقة أنت هى

(٢٢٩)

جمال الدين عبد الرحيم بن على الإسنائى الكاتب

عبد الرحيم بن على بن الحسين بن شـيث القاضى الرئيس ، جمـال الدين ، الأموى ، الأسنائى ، القوصى ، صاحب ديوان الإنشاء للملك المعظم عيسى .

ولد بأسنا سنة خمسين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وعشرين وستمائة .

نشأ بقوص ، وتفنن بها ، وقرأ الأدب ، وكان ورعاً ديناً خيرا حسن النظم والنثر ، ولى الديوان بقوص ، ثم بالإسكندرية ، ثم بالقـدس ، ثم ولى كتابة الإنشاء للمعظم ، وكان يوصف بالمروءة وقضاء الحاجة .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ١١٧/٥ وقال « تولى الوزارة للملك المعظم بالشام ، ونشأ بقوص ، ومات بدمشق ، ودفن بتربته بقاسيون » وذكره الذهبى فى وفيات ٦٢٥ « عبد الرحيم بن على بن إسحاق بن شيث القرشى القوصى ، بدمشق وكان كاتب المعظم » وفى الطالع السعيد ١٦٠ ، وقد وقع فى ب ، ث « عبد الرحمن ابن على » وتصويبه عن الشذرات والذهبى والطالع السعيد

وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بقاسيون بتربته ، وكانت بينه وبين المعظم مُدَاعبات .

كتب إليه مرّة أنه لما فارقه ودخل منزله طالَبه أهله بما حصل له من ابن السلطان ، فقال لهم : ما أعطانى شيئا ، فقاموا إليه بالخِفَاف وصفعوه ، وكتب بعد ذلك شعراً :

وتخالفَتْ بيض الأكف كأنها التـــصفيق عند مجامع الأعراس
وتطابقت سودُ الخِفاف كأنها وقع المطارق من يد النحاس

فرمى المعظم الرقعة إلى فخر القضاة بن بصاقة ، وقال : أجبه عنها ، فكتب إليه نثراً ، وفى آخره :

فاصبر على أخلاقهنّ ولا تكن متخلقا إلا بخلق الناس
واعلم إذا اختلفت عليك بأنه (مافى وقوفك ساعةً من باس)[1]

ومن شعره أيضا رحمه الله :

ما لقلبي إلى السلوّ طريق أنا من سكرة الهوى لا أفيق
ضحكوا يوم بينهم وبكينا فتراءت سحائب وبروق
لو ترانا وللمطالب إخـفا ق إلينا وللقلوب خُفُوقُ
لرأيت الدليل حيران منا كلما لاح للهلال شروق
وسِهام اللحاظ قد فوّقت لى فلها كلما رَمَقْتُ مُرُوقُ[2]
لست أدرى إذا أضرم اللثم وجدى أحريق رشفته أم رحيق
ليدعنى أهل الرشاد وشأنى ليس يدرى ما بالأسير الطليق

(١) عجز هذا البيت هو صدر بيت لأبى تمام ، وعجزه فى كلامه :

* نقضى ذمام الأربع الأدراس *

والذمام – بكسر أوله – العهد ، والأربع : جمع ربع ، وهو المنزل ، والأدراس : التى انمحت معالمها

(٢) فوقت لى : سددت وصوبت ، ورمقت : نظرت

أقفرت دار من أحبّ وكم كا نت رفاق بها وغصن وَرِيق[١]

وعفا ثوبها الصفيق وللريـــح عليها من حسرة تصفيق

دار لهوى وللهوى فى مغانيـــها عروق تُنْمى ووجد عريق[٢]

أشبهتنى تلك الديار فجسمى دارسٌ ودمع عينى العقيق[٣]

وكأنّ الثياب لفظ وجسمى فيه معنى من المعمَّى دقيقُ

ورشيق القوام يرشق باللحـــظ ولا يستقلّ منه الرشيق

لحُظه قاطع وما فارق الجفـــن وفى جفنه عن السيف ضيق

مشقت نون حاجبيه فأبدى ألفَ الحسن قَدُّه الممشوق

لامُه فى أصداغه لأمة والـــميم فوه والرقّ منه الريق

فغدا خط حسنه وهو منشو ر وأخلاقه عليه خـــلوق

أحْدَقَ الحسن بالحدائق من خدّيه لما آذاهما التحريق

مسحة للجمال مسح بركنيـــها وخدّ له الشقيق شقيق

وكأن الخال الذى لاح فى لجـــة خدّيه وهو طافٍ غريقُ

طابق الحسن قدّه بقوافى الشـــعر فيه التجنيس والتطبيق

يردف الردف وهومختصر الخصـــر فذا مُفْعَمٌ وذا دقيق

فائق الظرف فاتك الطرف عمدا وهو فى كل حالة معشوق

يا خليلى إن العدوّ كثير فاحذرنه وأين أين الصديق

والرفيق الذى يؤمّلُ منه الـــرفقُ قاسٍ فما رفيق رفيق

وبسوق الهوان يبتذل الفضـــل فما للفروع منه بُسُوقُ

فسد النـاس والزمان ولا بدّ بحـق أن يخلق المخـلوق

---

(١) غصن وريق : ذو ورق ونضرة

(٢) وجد عريق : قديم العهد ثابت الآساس

(٣) فى كلمة « العقيق » تورية ، فهى تطلق على مكان بعينه ، وتطلق على هذا الحجر الأحمر ، يشبه به الدمع

فالكريم الذى يغيث يغوث واللئيم الذى يعقُ يَعُوقُ

غير أنَّ المَلْكَ المعظم فرد فاق فضلا وخصه التوفيق

وكان ابن شيث هذا قد رمى من ابن عنين بالداء العُضَال فإنه هجاه مرات ، منها قوله :

الله يعلم يا ابن شيث ماحَصَلْتَ من الكتابه

إلا على الدّاء الذى خصت به تلك العصابه

وقال فيه أيضا رحمه الله تعالى :

أنا وابن شيث والرشيد ثلاثة لا يُرْتَجَى فينا لخلق فائده

من كل من قَصُرَتْ يداه عن الندى يوم الندى وتطول عند المائده

فكأننا واو بعمرٍو ألحقَتْ أو إصبع بين الأصابع زائدَهْ

ومن شعر ابن شيث رحمه الله [1] :

وشمعة فى المنجنيق وهى فيه تشرق

كأنها من تحته شمس عَلاَهَا شَفَقُ

ومنه :

وأنيسة باتت تساهر مقلتى تبكى وتورى فِعلَ صبّ عاشق

سرقت دموعى والتهابَ جوانحى فغدا لها بالقطِّ قَطْعُ السارق

(٢٣٠)

عبد الرحيم بن على بن حامد بن الشيخ مهذب الدين ، الطبيب الدخوار [2] ، شيخ الأطباء ورئيسهم بدمشق ، وقف داره بالصاغة العتيقة مدرسة للطب .

مهذب الدين عبد الرحيم بن على الطبيب

---

(١) أنشد صاحب الطالع السعيد ١٦١ هذين البيتين والبيتين بعدها

(٢) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥ / ١٢٧ وذكر وفاته فى سنة ٦٢٨ ، وذكره الذهبى فى وفيات ٦٢٨ ، وله ترجمة فى تاريخ ابن كثير ١٣ / ١٣٠ ، وكان فى ب ، ث « عبد الرحمن » وهو خطأ صوابه عن الشذرات والذهبى والنجوم الزاهرة ٦/٢٧٧ وتاريخ ابن الأثير وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ١/٢٦١

ومولده سنة خمس وستين وخمسمائة ، وتوفى سنة سبع وعشرين وستمائة ، ودفن بتربته بقاسيون فوق الميطور ، وكان أعرج .

روى عنه القوصى شعرا ، وتخرج به جماعة كثيرة من الأطباء ، وصنف كتباً ، منها « اختصار الحاوى » ومقالة فى الاستفراغ ، وتعاليق ، ومسائل فى الطب ، وشكوك وأجوبة ، وردّ على شرح ابن أبى صادق لمسائل حنين ، ورسالة يردّ فيها على يوسف الإسرائيلى فى ترتيب الأغذية اللطيفة والكثيفة ، ونسخ كتباً كثيرة بخطه المنسوب أكثر من مائة مجلد فى الطب ، واختصر الأغانى الكبير ، وقرأ العربية على تاج الدين الكندى ، وقرأ الطب على الرضىّ الرحبى(١) ، ثم لازم ابن المطران ، وأخذ عن الفخر المارديني وغيره ، وخدم العادل ، ولازم ابن شُكْر ، وكانت جامكيته جامكية الموفق عبدالعزيز فإنه نزل عليها بعده مائة دينار فى الشهر ، ومرّض الكامل ، فحصل له من جهته اثنا عشر ألف دينار وأربعة عشر بغلة بأطواق ذهب ، وخلع أطلس ، وغير ذلك ، وولاه السلطان رياسة الأطباء فى ذلك الوقت بمصر والشام .

وكان خبيراً بكلّ ما يقرأ عليه ، ولازم السيف الآمدى ، وحَصَّلَ معظم مصنفاته ، ونظر فى الهيئة والنجوم ، ثم طلبه الأشرف ، فتوجه إليه ، فأقطعه ما يُغِلُّ فى السنة ألفا وخمسمائة دينار ، ثم عرض له ثقل فى لسانه واسترخاء ، فجاء إلى دمشق لما مَلَكها الأشرف ، فولاه رياسة الطبّ بها ، وزاد ثقل لسانه حتى إنه لم يفهم كلامه ، وكان الجماعة يقفون بين يديه ، ويجيب هو ، وربما كتب لهم ما أشكل فى اللوح ، واجتهد فى علاج نفسه ، واستعمل المعاجين الحارّة ، فعرضت له حمى قوية ، فأضعفت قوّته ، وظهرت به أمراض قوية كثيرة ، وأسكت ، وسالت عينه ، واتفق له فى مبادىء خدمته للعادل أشياء قرّبته من خاطره ، وأعلت محله عنده .

---

(١) رضى الدين : أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن ، له ذكر فى طبقات الأطباء : ١ / ٢٦٣ و ٢ / ١٠٩ و ١١٩ و ١٨٤

منها : أنه اتفق له مرض شديد ، وعالجه الأطباء ، فقال : والله لئن لم تخرج له دماً ليخرجنّ بغير اختياره ، فاتفق أنه رُعِفَ السلطان ، وبرىء .

ومنها : أنه كان يوماً مع جماعة من الأطباء على باب دار السلطان ، فخرج إليهم خادم ومعه قارورة ، فرأوها ، ووصفوا لها علاجاً ، فأنكر هو ذلك العلاج ، وقال : ليس ذا داء ، ويوشك أن يكون هذا ماء حناء اختضب بها ، فاعترف الخادم لهم بذلك .

ومن شعره ما كتب به إلى الحكيم رشيد الدين أبى خليفة فى مَرْضَةٍ مرضها شعراً :

حُوشِيتَ من مرض تعاد لأجله ... وبقيتَ ما بقيت لنا أغراض

إنا نعدك جوهراً فى عصرنا ... وسواك إن عُدُّوا فهم أعراض

وقال ابن خروف يهجو الدخوار :

لا ترجونّ من الدخوار منفعة ... ولو شفى علتيه العُجْبَ والعرَجا

طَبَيِّبٌ إن رأى المطبوبُ طلعتَهُ ... لا يرتجى صحة منها ولا فرجا

إذا تأمل فى دستوره سحراً ... وقال : أين فلان؟ قيل: قد دَرَجَا(١)

فشربة دخلت مما يركبه ... جِسْمَ العليل وروح منه قد خرجا

وقال فيه أيضاً رحمه الله :

إن الأعيرج حاز الطبّ أجمعه ... أستغفر الله ، إلا العلم والعملا

وليس يجهل شيئاً من غوامضه ... إلا الدلائل والأمراض والعللا

فى حيلة البرء قلَّتْ عنده حيل ... بعد اجتهاد ويدرى للردى حيلا(٢)

الروح تشكن جُثمانَ العليل على ... علاته فإذا ما طَبَّهُ رحلا(٣)

---

(١) درج : مات

(٢) الردي : الهلاك

(٣) طبه : داواه وعالجه ، ورحل : هلك

وقال فيه أيضاً رحمه الله تعالى :

طَبَعَ المهـــذبُ طبه سيفاً ، وصال على المهج
باب السلامة لا يرى منه ولا باب الفرج

(٢٣١)

جمال الدين عبد الرحمن بن على بن الزويتينة الرحبى

عبد الرحمن بن على ، جمال الدين بن الزويتينة ، الرحبى [١] .

وصل إلى مصر رسولا من عند صاحب حمص ، وكانت وفاته بعد الخمسين وستمائة لما بنى الأشرف جامع التوبة بالعقيبية ، وكان حَانَةً فيما مضى ، وكان لبعض المدارس إمام [٢] يعرف بالجمال السبتى ، وكان فى صباه على ما قيل يغنى بالجعانة ، ثم لما كبر حسنت طريقته ، وعاشر العلماء وأهل الصلاح ، فذُكر للملك الأشرف ، فولاه خطابة الجامع المذكور ، ثم لما توفى رتب مكانه العماد الواسطى الواعظ ، وكان متهما باستعمال الشراب ، فنظم ابن الزويتينة هذه الأبيات وكتب بها إلى الصالح عماد الدين إسماعيل :

يا مليكا أوْضَحَ الحـق لدينـا وأبانَهْ
جامع التـوبة قد قلدنى منـه أمانه
قال قل للملك الصا لح أعْلَى اللهُ شانه
يا عماد الدين يامن حمد الناس زمانه
كمْ إلى كم أنا فى ضُـــرٍ وبؤس ومَهَانَهْ
لى خطيبٌ واسطِىٌّ يعشق الخمر ديانَهْ
والذى قدكان من قبـــل يُغَنِّى بالجعانه
فكما كنت ومازلـــتُ ولا أبرح حانه
رُدّنى للنمطِ الأول واستبق ضمانه

---

(١) لم أعثر له على ترجمة فى غير هـذا الـكتاب فيما بين يدى الساعة من كتب الأعلام ، وهو فى الأصول كلها « عبد الرحمن » بعد جماعة ظهر أن اسم كل واحد منهم « عبدالرحيم » (٢) فى ب « وكان لمدرسة ست الشام إمام يعرف بالجمالى السبتى »

(٢٣٢)

أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد بن الفوطى المحدث، المؤرخ

عبدالرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد ، الصابونى ، الشيخ ، الإمام المحدث[1] ، المؤرخ ، الأخبارى ، الفيلسوف ، المعروف بابن الفوطى ، صاحب التصانيف .

ولد سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وتوفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

ذكر أنه من ولد مَعْنِ بن زائدة الشيبانى ، أسر فى واقعة بغداد ، وقد صار للنصير الطوسى ، فاشتغل عليه بعلوم الأوائل ، وبالآداب والنظم والنثر ، ومَهَرَ فى التاريخ ، وله يد بيضاء فى توقيع التراجم ، وذهن سيال ، وقلم سريع ، وخط بديع إلى الغاية ، قيل : إنه يكتب من ذلك الخط الفائق الرائق أربع كراريس ، و يكتب وهو نائم على ظهره ، وله بصر بالمنطق ، وفنون الحكمة ، باشَرَ خزانة الرصد بمراغة أكثر من عشرة أعوام ، ولهج بالتاريخ ، واطلع على كتب نفيسة ، ثم تحوّل إلى بغداد ، وصار خازن كتب المستنصرية ، فأكبّ على التاريخ ، وسوّد تصنيفاً كبيراً ، وآخر دونه سماه « مجمع الآداب ، فى معجم الأسماء ، على معجم الألقاب » فى خمسين مجلدا ، وألف كتاب « درر الأصداف ، فى غرر الأوصاف » مرتب على وضع الوجود من المبدإ إلى المعاد ، وقدره عشرون مجلداً ، وكتاب « تلقيح الأفهام ، فى المؤتلف والمختلف » مُجَدْوَلاً ، والتاريخ على الحوادث ، من آدم إلى خراب بغداد ، و « الدرر الناصعة ، فى شعر المائة السابعة » وله شعر كثير بالعربى والعجمى ، رحمه الله تعالى !

(٢٣٣)

أبو طالب عبدالسلام ابن الحسين المأمونى

عبد السلام بن الحسين ، أبو طالب ، المأمونى ، من أولاد المأمون[2] .

توفى سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وردَ الرىّ ، وامتدح الصاحب بن عبّاد[3]

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٦/٦٠ وذكر أنه توفى فى ثالث المحرم من سنة ٧٢٣ ببغداد ودفن بالشونيزية ، وفى تاريخ ابن كثير ١٤/١٠٦

(٢) له ترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى ٤/١٦١ بتحقيقنا (٣) توفى الصاحب فى سنة ٣٨٥

بقصائد ، فأعجبه نظمه ، وتقدم عنده ، فَدَبَّتْ عقاربُ الحسد له ، ورماه نُدَماء الصاحب بالدعوة فى بنى العباس ، وبالغوا فى النصب(١) واعتقاد كفر الشيعة والمعتزلة وبهجاء الصاحب ، وينتحلون عليه الشعر ، ويحلفون أنه له ، حتى سقطت منزلته عند الصاحب ، وقال قصيدته الغراء وطلب الإذن للرحيل ، وأولها :

يا ربع لو كنت دمعاً فيك منسكبا ... قضيت نحبي ولم أقض الذى وجبا
لا ينكرَنْ ربعك البالى بِلَى جَسَدِى ... فقد شربت بكأس الحب ماشربا
ولو أفضت دموعى حسب واجبها ... أفضت من كل عضو مدمَعًا سَرَبا
عهدى بربعك للـــذات مرتبعا ... فقد غدَا لغوادى السحب منتحبا
فياسقاك أخو جفنى السحابُ حَياً ... يحبو رُبَا الأَرض من نور الرياض حبا
ذو بارق كسيوف الصاحب انتُضِيَتْ ... ووابلٍ كعطاياه إذا وهبـــا

ومنها :

وعصبة بات فيهـــا الغيظ متقدا ... إذ شِدْتَ لى فوق أعناق العلى رتبا
فكنت يوسف والأسباط هم وأبو الأسباط أنت ودعواهم دماً كذبا
ومن يَرُدُّ ضياء الشمس إن شرقت ... ومن يسد طريق الغيث إن سكبا
قد ينبح الكلب مالم يلق ليث شرًى ... حتى إذا ما رأى ليثا مضى هربا
أرى مآربكم فى نظم قافيــة ... وما أرى لى فى غـير العلى أربا
عَدُّوا عن الشعر إن الشعر منقصة ... لذى العلاء وهاتوا المجـد والحسبا
فالشعر أقصر من أن يستطال به ... أ كان مبتدعًا أم كان مقتضَبا(٢)
أسير عنـك ولى فى كل جارحة ... فَمٌ بشـكرك يحوى منطقا ذربا
إنى لأهـوى مقامى فى ذَرَاك كما ... تهوى يمينـك فى العافين أن تهبا
لـكن لسانى يهوى السير عنك لأن ... يُطَبق الأرض مدحا فيك منتخَبا

---

(١) كذا ، ولعل أصل العبارة « فى رميه بالنصب - إلخ » والنصب : معاداة أهل البيت وبغضهم (٢) فى اليتيمة « إن كان مبتدعا أو كان مقتضبا »

أظنني بين أهـلي والأنامُ همُ   إذا ترحلت عن مغناك مغتربا

قال : وكان يمنّي نفسه أن يقصد بغداد ويدخلها في جيش ينضم إليه من خُرَاسان ، وتسمو همته إلى الخلافة ، فاعتل بالاستقاء ، وتوفي كما ذكرنا في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة .

ومن شعره :

فلستُ وإن حُكْتُ القريضَ بشاعر   فأعطي ما قد قلته القل والكُثْرَا

ولـكن بحر العلم بين أضالعي   طَماً فرمى من درّه النظم والنثرا

ولو كان لي مال بذلت رِقابه   لمن يعتفيكم أو يذيع لـكم شكرا

فقد قنعت والحمـــد لله همتي   وفزت وما أبغي بمدحكم أجرا

وما طلبي إلا السرير وإنمـــا   سريت إليكم أبتغي بكم النصرا

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وغدا الجمر والرماد عليـه   في قميصين مذهب ومعنبر

ما ترى النار كيف أسقمها القرّ   فأضحت تخبو وحينا تَسَعَّرْ

وقال أيضاً :

وحَمّام له حر الجحيم   ولـكن شابَهُ برد النسيم

قذفت به ثيابا في عفاف   وزرت به نعيما في جحيم

(٢٣٤)

أبو الحكم عبد السلام ابن برجان

عبدالسلام(١) بن عبدالرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبدالرحمن ، أبو الحكم ، اللخمي ، الإفريقي ، الإشبيلي ، الصوفي ، العارف ، المعروف بابن بَرْجَان .

---

(١) له ترجمة في شذرات الذهب ١١٣/٤ ، وقال « توفي غريباً بمراكش ... وقبره بإزاء قبر ابن العريف »

سمع وحدث ، وله تآليف مفيدة : منهـا تفسير القرآن العظيم ، لم يكمله ، وله شرح أسماء الله الحسنى .

وكانت وفاته سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله !.

(٢٣٥)

مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن تيمية الحرانى

عبد السلام بن عبد الله[1] بن أبى القاسم الخضر بن محمد بن على ، الإمام ، شيخ الإسلام ، مجد الدين، أبو البركات بن تيمية الحرانى ، جد الشيخ تقى الدين .

ولد فى حدود التسعين وخمسمائة ، وتوفى سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

تفقه فى صغره على عمه الخطيب فخر الدين ، ورحل إلى بغداد وهو ابن بضع عشرة سنة فى صحبة ابن عمه السيف ، وسمع بها وبحَرّان ، وروى عنه الدمياطى وولدُه عبد الحليم وجماعة ، وكان إماما حجة بارعا فى الفقه والحديث ، وله يد طُولىٰ فى التفسير ، ومعرفة تامة فى الأصول والاطلاع على مذاهب الناس ، وله ذكاء مفرط، ولم يكن فى زمانه مثله ، وله المصنفات النافعة، كالأحكام ، و «شرح الهداية» وصنف أرجوزة فى القراءات وكتابا فى أصول الفقه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبى : قال الشيخ تقى الدين : كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول : أُلِينَ للشيخ مجد الدين الفقه كما أُلين لداود الحديد ، وشيخه فى الفرائض والعربية أبو البقاء ، وشيخه فى القراءات عبد الواحد ، وشيخه فى الفقه أبو بكر بن عتيقة صاحب ابن المنى ، وتوفى يوم عيد الفطر بحَرّان ، وحكى البرهان المراغى أنه اجتمع به فأورد نـكتة عليه ، فقال مجد الدين : الجواب عنها من مائة وجه : الأول كذا ، والثانى كذا ، وسَرَدَها إلى آخرها ، ثم قال البرهان : قد رضينا منك الإعادة ، فخضع له ، وانتهى ، رحمه الله تعالى !

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٢٥٧/٥ وفى النجوم الزاهرة ٣٣/٧ وذكره الذهبى فى وفيات سنة ٦٥٢ وقال « توفى يوم الفطر عن اثنتين وستين سنة » وفى تاريخ ابن كثير ١٨٥/١٣

(٢٣٦)

أبو منصور عبد السلام بن عبد الوهاب الفقيه الحنبلي

عبد السلام بن عبد الوهاب[1] بن عبد القادر ، الجيلي ، أبو منصور ، الفقيه الحنبلي ، البغدادي .

قرأ الفقه على أبيه ، ودرّس بمدرسة جدّه الشيخ عبد القادر بعد وفاة والده ، ودرّس بالمدرسة الشاطية ، وولى النظر بالرباط الناصرى مدة ، ثم ظهر له أشياء كتبها بخطه من العزائم وتبخير الكواكب ومخاطبتها وأنها المدبِّرة للخلق فأحضر بدار الخلافة ، وأوقف على ذلك ، فاعترف أنه إنما كتبه تعجبا منه لا معتقداً له ، فأخرجت تلك الكتب وأحرقت بعد صلاة الجمعة ، وكان يوما مشهوداً .

وتوفى سنة إحدى عشرة وستمائة .

وكان رتب بعد تلك الواقعة عميداً ببغداد مستوفيا للمكوس والضرائب ، فشرع فى ظلم الناس وارتكاب ما نهى الله عنه من سفك الدماء وضرب الأبشار وأخذ الأموال بغير حق ، ولم يزل كذلك حتى عزل واعتقل بالمخزن ، ثم أطلق ، ومكث خاملا ، وعمل وكيلا للأمير أبى الحسن على بن الإمام الناصر ، ولم يزل كذلك حتى مات .

وكان دَمِثَ الأخلاق ، لطيفا ، ظريفا .

ومن شعره فى مليح لابسٍ أحمر :

قالوا ملابسه حمر فقلت لهم	هذى الثياب ثياب الصَّيد والقنصِ
يرمى بسهم لحاظ طال ما أخذت	أسد القلوب فتلقيها لدى قفص
واللون فى الثوب إما من دم المهج	أو انعكاس شعاع الخد بالقُمُصِ

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥/٤٥

(٢٣٧)

أبو محمد
عبدالسلام بن
يحيي التكريتي

عبد السلام بن يحيي بن القاسم بن المفرج ، أبو محمد ، التكريتي ، أخو أحمد ابن عبد الرحمن ، وهو الأكبر .

تفقه على والده ، وحفظ القرآن ، وقرأ الأدب ، وبَرَعَ فيه ، وله النظم والنثر والخطب والمكاتبات والمصنفات الأدبية .

ولد سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفى سنة خمس وسبعين وستمائة .

ومن شعره رحمه الله :

متى يفيق من الأشواق سكران	ويَرْتَوِى من شراب الوصل ظمآن
ويرجع العيش غضا بعد ما يبست	منه بطول الجفا والصد أغصَانُ
أفنى اصطبارى صَدُوح غاب واحدُهَا	فكم لها فى فروع الأيك ألحان
باتت تنوح على غصن تميل به	ريح الصبا وكأن الغصن نَشْوَانُ
حزينة الصوت تشجى قلب سامعها	قريحة قلبها المفجوع حنان
تبكى بغير دموع والبكىُ خلق	بالدمع لى ولذاك الوجد ألوان
آهـا على عَيْشنا المـاضى ولذته	إذ غصنه باجتماع الشمل فينَانُ

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

أُمَنِّى فؤادى سـاعة بعد سـاعة	لِقَاكُمْ ولولا ذاك كنت أطيش
فما العيش إلا عيش مَنْ نال وصلكم	وهيهات من فارقتموه يعيش

(٢٣٨)

أمين الدين
أبو اليمن
عبدالصمد بن
عبد الوهاب
ابن عساكر

عبد الصمد[1] بن عبد الوهاب بن زين الأمناء أبى البركات الحسن بن محمد

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٩٥/٥

ابن عساكر ، الإمام المحدث الزاهد ، أمين الدين ، أبو اليمن ، هو الدمشقى ، الشافعى ، نزيل الحرم .

سمع من جده ومن الشيخ الموفق ومن ابن ألين وأبى القاسم بن صَصْرِى وابن الزبيدى وابن غسان والقاضى أبى نصر بن الشيرازى ، وأجاز له المؤيد الطوسى وأبو روح الهروى وطائفة ، وحدّث بالحرمين بأشياء ، وكان عالما فاضلا ، جيد المشاركة فى العلوم ، وله نظم ، وهو صاحب عبادة ، كل من يعرفه يثنى عليه .

ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، وتوفى سنة سبع وثمانين وستمائة .

وكان شيخ الحجاز فى وقته ، وله تآليف فى الحديث .

قال الشيخ علاء الدين على بن إبراهيم بن داود العطار قدّس الله روحه : لما ودعت الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النووى رحمه الله تعالى بنَوَى حين أردت السفر إلى الحجاز حمَّلنى رسالة فى السلام عنه للامام جار الله أبى اليمن عبد الصمد بن عساكر ، فلما بلغته سلامه رد عليه السلام ، وسألنى عنه أين تركته ، فقلت : ببلده نوى ، فأنشدنى بديها :

أمخيمين على نوَى أشتاقكم ... شوقا يجدد لى الصبابة والجوى
وأريد قربكم لأنى مرتجى ... يا سادتى قرب المقيم على نوى

وكتب إليه الشيخ العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قصيدة وأرسلها له إلى مكة رحمهما الله تعالى ، وهى :

أترى يرجع عهد العلم ... وزمان الوصل فى ذى سلم
وعهودى بالحمى روَّى الحمى ... مَدْمَعُ المشتاق قبل الدِّيَمِ (١)

---

(١) الديم : جمع ديمة ـ بكسر الدال ـ وهى المطر الدائم

زمن هَيَّجَ أشواقى به وعهودى فيــه طولُ القدم
كلما أملت تجــديدا به عَقَــلَ الحظُّ مطايا هممى (١)
وحقيــق أنا بالسعى ولو ناب طرفى فى السُّرَى عن قدمى
طالمــا قد مر لى عيش به كان أحلى من دوام النعم
فى حمى من إضم مَنْ حَلَّه راجيا أو لاجيــا لم يُضَم (٢)
نمت فى البعد ولولا أملى أن أراه فى الكرى لم أنم
و برغمى بعد طيب الوصل أن صرت أرجو زورة فى الحلم
صرت أبكى خيم الوادى وقد عشت دهرا بين تلك الخيم
فحنينى دام مــذ فارقتها ونعيمى بعــدها لم يدم
جــيرة الوادى وحُبِّى لـكم فهــو عندى من أبر القسم
ولياللٍ بمنى كانت لنــا بسناكم مشرقات الظــلم
والتزام العهــد فيما بيننا بين ذاك الركن والملتزم
وأحاديث رضاً كانت إذا مرض القلب شفاء السَّقَم
ما ذكرت العهد إلا سفحت نار شوقى عوضَ الدمع دَمِى
إن قلبى صار فى الركب الذى بالسُّرَى قدامكم من أمم (٣)
عارض النوق بشىء لم يطق حمل شىء منــه حمــر النعم
ســار فى ذمة إحسانكم مستجيرا يا أهَيْــلَ الذمم
ندمى إذ بعت أيام الحمى أترى يرجع بيعى ندمى
فهنيئــا لكم إحرامكم كلما شئتم بذاك الحــرم

---

(١) عقلها — من باب ضرب — حبسها ومنعها
(٢) لاجئا : مستجيرا عائذا ، وتسهل همزته فتصير ياء
(٣) من أمم — بالتحريك — من قريب

وجواراً أنتم الآن به ... شرفا أهل الصفا والعلم
ليتكم أن تذكروا مَنْ خصَّكم ... دونه السعد بأوفى القسم
أو تنادوا قلبه المضنى عسى ... أن يلبى بعد طول الصمم
وإذا لم يكُ أهلا فعسى ... عطفكم يجعله فى الخدم
واشركوه معكم جوداً ، ومن ... هو أولى منكُمُ بالكرم

(٢٣٩)

عبد الصمد ابن المعذل الشاعر

عبد الصمد بن المعذل[١] بن غيلان بن الحكم بن البحترى[٢] بن المختار .

كان شاعراً فصيحا من شعراء الدولة العباسية ، بصرى المولد والمنشأ ، وكان هجاء ، خبيث اللسان ، شديد العارضة ، لا يسلم منه من مدحه من الهجو فضلا عن غيره .

توفى فى حدود الأربعين ومائتين ، وله ذكر فى ترجمة أخيه أحمد ، وهما على طرفى نقيض .

ومن شعره :

استبق قلبك لا يموت صبابة ... حَذَرًا لبَيْنٍ أخ له يتوقع
إن حال بينهمُ و بينك بائن ... فبأى قلب بعد ذلك تجزع

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إنّ العيون إذا أمكنّ من رجل ... يفعلْنَ بالقلب مالا يفعل الأَسَلُ
وليس بالبَطَلِ الماشى إلى بطل ... فى الحرب يخمد أحياناً ويشتعل
لكنه مَنْ له قلب إذا رشقت ... فيه العيون فذاك الفارس البطل

---

(١) له ترجمة فى الأغانى ١٢/٥٧ - ٧٢ بولاق وانظر مهذب الأغانى ٨/٧٣
(٢) فى ب،ث « البحيرى » وأثبتنا مافى الأغانى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

برعت محاسنه فجلّ بها عن أن يقوم بوصفها لَفظ

نطق الجمال بعُذْر عاشقه للعاذلات فأخرس الوعظ

ما للقلوب إذا التبسن به منه سوى حسراتها حظ

ما ضرَّ من رَقَّتْ محاسنه لو كان رقَّ فؤاده الفظُّ

(٢٤٠)

أبو طاهر عبدالعزيز بن حامد الشاعر (سيدوك)

عبد العزيز بن حامد بن الخضر ، أبو طاهر ، الشاعر .

من أهل واسط ، كان يعرف بسيدوك ، روى عنه شعره أبو القاسم بن كردان ، وأبو الجوائز ، وهما الواسطيان .

توفى سنة ثلاث وستين وثلثمائة

ومن شعره رحمه الله تعالى :

تاركتى فى الهوى حديثاً بكثرة الدمع بين صحْبِي

هَبْـكِ تجنبت لاجتناب طيفُكِ يجفو لأى ذنب ؟

خذى حياتى بلا مِكاس يا نور عينى ونار قلبى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

شربنا فى شعَانين النصارى على ورد كأردية العـروس

تغنينا بنـات الروم فيه بألحان الرهابن والقسـوس

فيا ليـــل نعمنا فى دجاه بحاجات تردَّد فى النفوس

رياضُكَ والمدَامَةُ والتـدانى شموس فى شموس فى شموس

(١) ذكره الثعالبى فى يتيمة الدهر ٢ / ٣٧١ بتحقيقنا ، واختار من شعره عدة مقطعات

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

إن داء العداة أبرح داء   وطبيبى سريرة ما تبوح
تحسبونى إذا تكلمت حيا   ربما طار طائر مذبوح[١]

وله البيتان المشهوران اللذان لم يعمل مثلهما فى طول الليل وقصره ، وهى :

عهدى بنا ورداء الوصل يجمعنا   والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ غابوا فديتهم   ليل الضرير فصبحى غير منتظر

(٢٤١)

أبو المعالى عبدالعزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبى الصقلى

عبدالعزيز بن الحسين بن الحَبَّابِ[٢] ، الأغلبى ، السعدى ، الصقلى ، المعروف بالقاضى الجليس .

مات سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وقد أناف[٣] على السبعين .

وتولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق بن الخلال .

ومن شعره رحمه الله :

ومن عجبى أن الصوارم والقنا   تحيض بأيدى القوم وهى ذكور
وأعجب من ذا أنها فى أكفهم   تأجّجُ ناراً والأكفُّ بحور

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

حَيَّا بتفاحة مخضبة   من شفتىْ حبه وتيمنى[٤]
فقلت : ما إن رأيت مشبهها   فاحمرّ من خجلة فكذبنى

---

(١) هكذا « تحسبونى » بحذف نون الرفع ، وله نظائر فى العربية ، ولعل أصله هنا « حسبونى »

(٢) له ترجمة فى تاريخ ابن كثير ٢٥١/١٢ وقال « عبد العزيز بن الحسن بن الحباب » ثم قال « المعروف بابن الجليس لأنه كان يجالس صاحب مصر » وفى هذه العبارة تحريف ظاهر ، وله ترجمة فى النجوم الزاهرة ٣٧١/٥ وذكر اسم أبيه وشهرته على الصواب كما هنا

(٣) أناف : زاد

(٤) تيمنى : استعبدنى واستذلنى

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

وأصل بَلِيَّتِي مَنْ قد غزاني   من السقم الملحِّ بعسكرين
طبيب طبه كغراب بين   يفرّق بين عافيتي وبيني
أتى الحُمَّى وقد شاخت وباخت   فعادلها الشباب بنسختين
ودبَّرها بتـــدبير لطيف   حكاه عن سنين أو حنين[1]
وكانت نوبـة فى كل يوم   فصيرها بحـــذق نوبتين

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا وارثا عَنْ أبٍ وجد   فضيلة الطب والسداد
وحاملا ردَّ كل نفس   هَمَّتْ عن الجسم بالبعاد
أقسم لو قد طَبَبْتَ دهراً   لعاد كونا بلا فساد

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

قد أهملت كل الأمور فما   تعنى بمصلحة ولا نعنى
ضـدان مختلفان مالهـما   إلا فساد أمورنا معـنى
نأتى ونكتب ذا ونكشط ذا   فنعود بعـدهما كما كنا

وله أيضا رحمه الله تعالى :

ربَّ بِيضٍ سلان باللحظ بيضا   مرهفات جفونهنَّ جفون[2]
وخـدود للدَّمع فيهـا خدود   وعيون قد فاض فيها عيون[3]

وقال أيضاً :

حبذا متعة الشباب التى يُعْـــذَرُ فى حبها خليع العذار

---

(١) حنين : ابن اسحاق ، معروف ، فأما سنين فلا أدرى أأراد تصغير سنان ابن ثابت أم أصاب هذه الكلمة التحريف

(٢) بيض الأول جمع بيضاء ، وهى الحسناء من النساء ، وبيض الثانى : جمع أبيض وهو السيف ، ومرهفات : محددات

(٣) خدود الثانى : أى شقوق ، وأراد مجارى الدمع

إذ بذات الخِمار أمتع ليـــلى ... وبذات الخُمار ألهو نهارى[1]
والغوانى لا عن وصالى غوان ... والجوارى إلى جِوارى جَوارى

وكان القاضى الجليسُ بن الحبَّاب كبير الأنف ، وكان الخطيب أبو القاسم هبة الله بن البدر المعروف بابن الصياد مولعاً بأنفه وهجائه ، وذكر أنفه فى أكثر من ألف مقطوع ، فانتصر له أبو الفتح بن قادوس الشاعر ، فقال :

يا من يعيب أنوفنا الشــــمَّ التى ليست تُعَابُ
الأنف خلقـة ربنـا وقرونك الشمُّ اكتسابُ

وقال الجليس يرثى والده ، وقد غرق فى البحر بريح عصفت :

وكنت أهدى مع الريح السلام له ... ماهبت الريح فى صبح وإمساء

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

ألمت بنا والليـــل يُزْهى بلمة ... دَجُوجية لم يكتهل بعـدُ فَوْدَاهَا
فأشرق ضوء الصبح وهو جبينها ... وفاحت أزاهير الربا وهى ريَّاها
إذاما اجتنت من وجهها العين روضة ... أسالت خلال الروض بالدمع أمواها
وإنى لأستسقى السحاب لربعها ... وإن لم تكن إلا ضلوعىَ مأواها
إذا اسْتَعَرَتْ نارُ الأسى بين أضلعى ... نَضَحْتُ على حرّ الحشا برد ذكراها
وما بىَ أن يَصْلَى الفـؤاد بحرّها ... ويضرم لولا أنّ فى القلب سكناها

(٢٤٢)

عبد العزيز بن سَرَايا بن على بن أبى القاسم بن أحمـد بن نصر بن أبى العز ابن سَرَايا[2] .

صفى الدين عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم الحلى

---

(١) ذات الخِمار — بكسر الخاء — الحرة من النساء ، وذات الخُمار — بضم الخاء — الخمر

(٢) له ذكر فى تاريخ مصر لابن إياس فى حوادث سنة ٧٤١ (١٧٣/١) وقد ترجمه ترجمة موجزة فى (٢١٠/١) فى أواخر أخبار الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون

هو الإمام العلامة ، البليغ ، القدوة ، الناظم ، الناثر ، شاعر عصره على الإطلاق ، صفى الدين الطائى ، السنبسى ، الحلى ، شاعر أصبح راجِحُ الحلىِّ دونه ناقصاً(١) ، وكان سابقا فعاد على كعبه ناكصا ، أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم فى السماء كما قد أزرى بزهر الأرض فى الربيع ، تطر بك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التى كأنها سهام راشقة وسيوف مسلولة ، مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة ، دخل إلى مصر فى سنة ست وعشرين وسبعمائة ، واجتمع بالقاضى علاء الدين بن الأثير كاتب السر ومَدَحه .

ومدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبى ، التى أولها :

* بأبى الشموس الجانحات غواربا *

وهى :

أسْبَلْن من فوق النهود ذوائبا ... فتركن حبات القلوب ذوائبا(٢)

وجَلَوْنَ من صبح الوجوه أشعة ... غادرن فَوْدَ الليل منها شائبا

بيض دعاهن" الغبيُّ كواعبا ... ولو استبانَ لرشدَ قال كواكبا

سَفَّهْنَ رأى المانوية عند ما ... أسبلن من ظُلَم الشعور غياهبا(٣)

وسفرن لى فرأيت شخصا حاضراً ... شهدَتْ بصيرته وقلبا غائبا

أشرقن فى حلل كأنَّ أديمها ... شفق تَدَرَّعُهُ الشموس جلاببا

وغَرَبن فى كِلَلٍ فقلت لصاحبي ... (بأبى الشموس الجانحات غواربا)

ومعربد اللحظات يثنى عطفه ... فيُخَال من مرح الشبيبة شاربا

---

(١) تقدمت ترجمة راجح الحلى (الترجمة رقم ١٢٥) وألمعنا هناك إلى أنه أسبق من صفى الدين الحلى هذا

(٢) ذوائب الأول : جمع ذؤابة ، وهو شعر الناصية . وذوائب الثانى : جمع ذائبة ، وهى اسم الفاعل من « ذاب يذوب »

(٣) المانوية : نسبة إلى مانى ، وهو الذى يرى أن الليل إله الشر ، وأصل هذا من قول أبى الطيب المتنبى :

وكم لظلام الليل عندى من يد ... تخبر أن المانوية تكذب

حلو التعتب والدلال ، يروعه عتبى ، ولست أراه إلا عاتبا
عاتبتـــه فتضرّجت وجناته وازورّ ألحاظا وقَطَّب حاجبا
فأرانىَ الخدّ الكليم فطرفه ذو النون إذ ذهب الغَدَاةَ مغاضبا(١)
ذو منظر تغدو القلوب بحسنه نَهْباً وإن منح العيون مواهبا
لا غرو أن وهب اللواحظ حظوة من نوره وغدا لقلبى ناهبا
فمواهب السلطان قد كَسَتِ الورى نعما وتدعوه القَسَاوِرُ سالبا
الناصر الملك الذى خضعت له صِيدُ الملوك مشارقا ومغاربا
ملك يرى تَعَبَ المكارم راحة ويعدُّ راحاتِ الفراغ متاعبا
لم تخل أرض من ثناه وإن خَلَتْ من ذكره ملئت قنا وقواضبا
بمكارم تَذَرُ السباسب أبحرا وعزائم تذر البحار سباسبا
ترجى مواهبه ويرهب بطشه مثل الزمان مسالما ومحاربا
فإذا سطا ملأ القلوب مهابة وإذا سخا ملأ العيون مواهبا
كالغيث يبعث من عطاه نائلا سَبْطًا ويرسل من سَطاه حاجبا
كالليث يحمى غابه بزئيره طَوراً ويُنْشِبُ فى القنيصِ مخالبا
كالسيف يبدى للنواظر منظراً طلقا ويمضى فى الهياج مضاربا
كالسيل يحدر منه عَذْباً واصلا ويعده قوم عذاباً واصبا
كالبحر يهدى للنفوس نفائسا منه ويهدى للعيون عجائبا
فإذا نظرت نَدَى يديه ورأيه لم تلق إلا صَيِّباً أو صائبا
أبقى قَلَاوُون الفخار لولده إرثاً ففازوا بالثناء مكاسبا
قوم إذا سئموا الصوافِنَ صَيَّروا للمجد أخطار الأمور مراكبا

---

(١) النون : أراد به حاجبه ، شبهه فى تقوسه بالنون التى هى أحد حروف الهجاء ، وذو النون : تورية بيونس بن متى ، ولهذا قال «إذ ذهب الغداة مغاضبا» أخذ هذا من قول الله تعالى : (وذوالنون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه)

عشقوا الحروب تيمنا بِلِقا العدا ... فكأنهم حسبوا العداة حبائبا

وكأنما ظنوا السيوف سوالفا ... واللُّدْنَ قدًّا والقِسِىَّ حواجبا(١)

يا أيها الملك العزيز ومَنْ له ... شرف يجر على النجوم ذوائبا

أصلحت بين المسلمين بهمة ... تذر الأجانب بالوفود أقاربا

ووهبتهم زمن الأمان فمَنْ رأى ... ملكا يكون له الزمان مواهبا

فأقمت تقسم للوحوش قطائعا ... فيها وتصنع للنسور مآدبا

وجعلت هامات الكُماة منابرا ... وأقمت حدَّ السيف فيها خاطبا

وبذلت للمُدَّاح صفو خلائق ... لو أنها للبحر طاب مشاربا

فرأوك فى جنب النُّضار مُفرطا ... وعلى صلاتك والصلاة مواظبا

أوليتنى فيك المديح عناية ... وملأت عينى هيبة ومواهبا

ورفعت قدرى فى الأنام وقد رأوا ... مثلى لمثلك خاطبا ومخاطبا

فى مجلس ساوى الخلائق فى الندى ... وترتبت فيه الملوك مراتبا

وافيتُهُ فى الفلك أسعى جالسا ... رغماً على من قال أمسى راكبا

وسقتنىَ الدنيا غداة وردته ... رِيًّا وما مطرت علىَّ سحائبا

فطفقت أملأ من ثناك وشكره ... حقبا وأملأ من نداك حقائبا

أثنى فتثنينى صفاتك مظهراً ... عيا وكم أعيت صفاتك خاطبا

لو أنَّ أعضانا جميعاً ألسن ... تثنى عليك لما قضينا الواجبا

وأنشده الصاحب شمس الدين بن السدى أبيات سليم الهوى النبلى المصغرة ألفاظها التى أوَّلها :

* بُرَيق بالأبيرق فى الفُجَير *

---

(١) السوالف : جمع سالفة ، وهى شعر العذار ، واللدن : الرمح ، والقد القامة ، وتشبه قامات الملاح بالرماح ، والقسى : جمع قوس ، وهو من آلات الحرب وتشبه به حواجب الحسان

وذكر أن ناظمها نظم غزلا(١) لصاحب الديوان عـلاء الدين الجوشنى ، ولم يمكنه نظم بيت واحد مديحاً ؛ إذ شأن المدح التعظيم ، فنظم رحمه الله تعالى :

نُقَيط من مُسَيك فى وُرَيد ... خُوَيْلُكَ أو وُشَيم فى خُدَيد(١)
وذيابك اللُّوَيمْع فى الضُّحَيا ... وُجَيهك أم قُمَير فى سُعيد
وجيه شويدنٍ فيه شُكَيل ... أدق معينيات من خويد
ظُبَىٌّ بل صُبَىٌّ فى قُبَىٍّ ... مريهيب السطيوة كالأسيد
معيشيق الحريكة والمحيا ... مميشيق السوالف والقُديد
معيسيل اللُّمَىّ له ثُغَير ... وريقته خُمَير فى شُهيد
ظـبىٌّ فى مقيلته نُبيل ... مويقعة أفيـلاذ الـكبيد
شويعىٌّ اللفيظ فما أحيـلى ... عذيب قويله لى يا سويدى
تريكىٌّ اللحيظ له جُسَيم ... تريف لمسه لين الزبيـد
مُدَيْدِىٌّ القُديد له خُصير ... يجاذبه كُفيل كالطُّويد
فويق صُدَيغه لوُفيرْتيه ... لُيَيْلٌ من فـويحمه الجعيد
رويدك يا بُنىّ فلى قُلَيب ... سليب للنجيدة والجُلَيد
لبيـلِى من هُجُيرك فى سُهَير ... أطيول من مطيلك للوعيد
ولست حويذرا لصريف دهر ... رويب حديثه يضنى جُسَيدى
صريف الدهر يعجز عن عبيد ... سنيد ظهيره نجل السنيدى
نزلت جويْرَه فقضى حقيقى ... وصار جوينبى ورعى عهيدى
وراش جُنَيِّحِى وحمى ظُهَيرى ... وزاد حُرَيمتى وبنى مجيدى

---

(١) فى ب ، ث « عدلا » تحريف

(٢) نقيط : تصغير نقط ، ومسيك : تصغير مسك ، ووريد : تصغير ورد ، وخويل : تصغير خال ، ووسيم : تصغير وسم ، وخديد : تصغير خد ، وأراد أن يقول : أخالك — وهو النقطة السوداء فى الوجه المليح — نقطة من مسك فى ورد ؟ أم هو وشم — والوشم معروف — فى خدك ؟ . وهكذا . والواقع أن هذا النظم متكلف مفسول

وحنَّ على كُسَيِّر فى قُلَيبى ... كما حنَّ الأبىُّ على الوُلَيد

رويقدة مُقَيْـــلَةُ وافدِيهِ ... كأنهم طفيل فى مهيــد

نظرت حُوَيسديه وهم نُوَيس ... منيظرهم سميعك بالمعيدى

دُوَينك يا أهيل الجود منى ... نظيما فى وصيفـك كالعقيد

أحَيْسِنُ من قُصَيِّدِ من قبيلى ... وأسبق من نُظَيِّـمٍ مَنْ بعيدى

أريشق من غُزَيِّلهم مديحى ... وأحلى من هُزَيلهم جُدَيدى

حُسَيْبُ مكينتى وعلى قديرى ... ووسع طويقتى وقُوَى جُهَيدى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أقد سكرت عطفاه من خمر ريقه ... فمالت به أم من كؤوس رحيقه (١)

مليح يغار الغصن عنــد اهتزازه ... ويخجل بدر التم عنـد شروقه

فما فيه شىء ناقص غير خَصْره ... ولا فيه شىء بارد غـــير ريقه

ولا ما يسوء النفسَ غـــير نفاره ... ولا ما يروع القلبَ غير عقوقه

عجبتُ له يبدى القساوة عند ما ... يقابلنى من خــده ببريقه

ويَلْطُفُ بى من بعـد إعمال لحظه ... وكيف يرد السهم بعـد مروقه (٢)

يقولون لى والبدر فى الأفق مشرق ... بذا أنت صب ؟ قلت : بل بشقيقه

فلا تنكروا قتلى بدقة خصره ... فإن جليل الخطب دون دقيقه

وليلة عاطانى المــدام ووجهُهُ ... يرينا صَبُوح الشرب حال غَبُوقه

بكأس حكاها ثغره فى ابتسامه ... بما ضـمه من دره وعقيـقه (٣)

لقد نلت إذ نادمته من حديثه ... من السكر مالا نِلْتُهُ من عتيقه

---

(١) الريق : ماء الفم ، والرحيق : الخمر

(٢) مرق السهم : خرج من الرمية

(٣) فى ب « كما ضمه من ورده »

فلم أدر من أى الثلاثة سكرتى ... أمن لحظه أم لفظه أم رحيقه
لقد بعته قلبى بخلوة ساعة ... فأصبح حقا ثابتا من حقوقه
وأصبحت ندمانا على خُسْرِ صفقتى ... كذا من يبيع الشىء فى غير سوقه

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

غيرى بحبل سواكم متمسك ... وأنا الذى بترابكم أتمسك
أضَعُ الخدود على ممرِّ نعالكم ... فكأننى بترابها أتبرك
ولقد بذلت النفس إلا أننى ... خادعتكم و بذات ما لا أملك
شرطى بأن حُشَاشتى رِقّ لكم ... والشرط فى كل المذاهب أملك (١)
قد ذقت حبكم فأصبح مُهْلِكى ... ومن المطاعم ما يذاق فيهلك
لا تعجلوا قبل اللقاء بقتلتى ... وصِلوُا فذلك فائت يستدرك
ولقد بكيت لدهشتى بقدومكم ... وضحكت قبلُ وهجرُكم لى مهلك
ولربما أبْكَى السرور إذا أتى ... فرطا وفى بعض الشدائد يضحك
زعم الوشاة بأن هَوِيتُ سواكم ... يا قوتل الواشى فأنى يؤفك
عار علىّ بأن أكون مشرّعا ... دين الهوى و يقال إنى مشرك

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

جل الذى أطلع شمس الضحى ... مشرقة فى جنح ليل بهيم
وقدّر الخال على خده ... (ذلك تقدير العزيز العليم) (٢)
بَدْرٌ ظننا وجهه جنة ... فَمَسَّنَا منها عذاب أليمْ
ينفر كالريم ، ألا فانظروا ... إلى بخيل وهو عندى كريم

---

(١) هذا من قولهم « الشرط أملك » وأصله فى الشريعة من قوله عليه الصلاة والسلام — ويقال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ! — « كل شرط جائز إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا »

(٢) أخذ عجز هذا البيت من قوله تعالى : (والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم)

لما انحَنَى حاجبه وانثنى يَهُزُّ للعشاق قدا قويم[1]
عجبت من فرط ضلالى وقد بدا لىَ المعوجُّ كالمستقيم
دَاوِ حبيبى ياطبيبَ الهوى وخلنى إنى بحالى عليم
فخَصْره واهٍ ، وأجفانه مريضة ، واللحظ منه سقيم

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

رعى الله من لم يرع لى حق صحبة وسَلِّم من لم يَسْخُ لى بسلامه[2]
وفى ذمة الرحمن من ذم صحبتى ولم أكُ يوما ناقضا لذمامه
وإنى على صبرى على فرط هجره وقرب مغانيه وبعد مرامه
يحاول طرفى لقْطة من خياله ويشتاق سمعى لفظة من كلامه
ويوم وقفنا للوداع وقد بدا بوجه يحاكى البدر عند تمامه
شكوت الذى ألقى فظل مقابلا بُكاَى وشكوى حالتى بابتسامه
بدمع يحاكى لفظه فى انتثاره وعتب يحاكى ثغره فى انتظامه
فمارق من شكواى غير خدوده ولا لان من نجواى غير قوامه

وقال فى غلام كفله صغيرا ورباه فحسد عليه :

هويته تحت أطمار مشعثة وطالبُ الدر لا يغتر بالصَّدَفِ
وخبرتنى معانٍ من مراسمه به كما خبر العنوان بالصحف
ولاح لى من أمارات الجمال به ما كان عن لحظ غيرى بالخمول خفى
فظَلَلْتُ أرفض مايبديه من دَرَن به وأنقض ما يخفيه من جنف
حتى إذا تم معنى حسنه وبدا كالبدر فى التم أوكالشمس فى الشرف

---

(١) وقف على قوله « قدا قويم » على لغة قليلة الاستعمال ، ولغة جمهرة العرب الوقف على الاسم المنصوب المنون بالألف

(٢) سخا يسخو : جاد ، وفى ب « وسلم لى من لم يبح بسلامة » تحريف

وراح كالصارم المصقول أَخْلَصَه ... تَتَبُّعُ القين من شين ومن كلف(١)

وجال فى وجهه ماء الحياء كما ... يجول ماء الحيا فى الروضة الأنف(٢)

وولد الحسن فى أحداقه حَوَرا ... وضاعف الدَّلُّ ما بالجسم من ترف

أضحت به حدَقُ الحساد محدقة ... ترنو إليه بطرف غير منطرف

وظل كل صديق يرتضى سَخَطى ... فيـــه وكل شقيق يرتجى تلفى

يا للـرجال أما للحب منتصر ... اضْعَف كُلِّ محب غير منتصف

ما أطيب العشق لولا أن سالـكه ... يمسى لأسْهُم كيدالناس كالهدف

وقال أيضاً رحمه الله تعالى :

يا ربِّ أعْطِ العاشقين بصبرهم ... فى الخلد غايات النعيم المطلق

وأذقهمُ برد السرور فطالما ... صبروا على حر الغرام المقلق

حتى يرى الجبناء عن حمل الهوى ... غايات عزمهم التى لم تلحق

وقال أيضاً :

حَرَّضونى على السلو وعابوا ... لك وجها به يعاب البدر

حاش لله ما لعذرىَ وجه ... فى التسلِّى وما لوجهك عذر

وقال أيضاً :

قلوبنـا مُودَعة عندكم ... أمانة يعجز عن حملها

إن لم تصونوها بإحسانكم ... ردوا الأمانات إلى أهلها

وقال أيضاً :

أقول للدار إذ مررتُ بهـا ... وعَبرتى فى عِراصها تَـكِفُ

مابال وعدالسحاب أخلف مغـــناك فقالت فى دمعك الخلَفُ

---

(١) أخلصه : جلاه ونقاه من كل مايشينه ، والقين : الحداد ، وهوصانع السيوف

(٢) جال : تحرك ، وأراد سار ، وماء الحيا : المطر ، والروضة الأنف — بضم الهمزة والنون جميعا — التى لم يرعها أحد

وقال أيضا :

يا من حكت شمس النهار بحسنها ... وبعـاد منزلها وبهجة نورها

هلا عَدَلْتِ كعدلها إذ صيرت ... للناس غيبتها بقدر حضورها

وقال أيضا :

قيل إن العقيق يبطل للسحـر ... بتختيمه لسحر حقيقى

وأرى مقلتيك تنفثُ سحرا ... وعلى فيك خاتم من عقيق

وقال أيضا :

الوجهُ منك عن الصواب يُضِلنى ... فإذا ضللت فإنه يهـديني

وتميتنى الألحـاظ منك بنظرة ... وإذا أردتَ بنظـرة تحيينى

وكذاك من مرض الجفون بليتى ... وإذا مرضت فإنهـا تشفينى

فلذاك أشرِى الوصل منك بمهجتى ... وأبيع دنيـائى بذاك ودينى

وقال أيضا :

ما يقول الفقيه فى عبد رق ... لحبيب لم يرض منه بعتق

زاره فى الصيام يوما وأولا ... ه جميلا من بعد بعد وسحق

فإذا ضم قدَّه وعصى الشهـ ... ـوة فيه من غير نيـة فسق

هل عليه فى لَثْم فِيهِ جُناح ... إن غدا مضمرا محبة صدق

وقال أيضا :

شكوتُ إلى الحبيب أنينَ قلبى ... إذا جَنَّ الظلام فقـال إِنَّا[1]

فقلت له أظنك غير راض ... بما كابدت فيك فقال إنا[2]

---

(١) إنا ، هنا : فعل أمر من الأنين ، وهو الحنين والشكاية ، وألفه للاطلاق

(٢) أنا ، هنا : بفتح الهمزة ، اسم استفهام معناه كيف ، وأراد : كيف لأرضى: وكان من حقه أن يكتب هنا بالياء ، لـكنه بالألف إتماما لصنعة التجنيس ، أو هى بكسر الهمزة بمعنى نعم

فقلت أترتضى أن ناء قلبي ... بأثقال الغرام فقال أنا[١]

فقلت فإنكم لولاة أمر ... على أهل الغرام فقال إنا[٢]

وقال أيضا :

قلبي لكم بشروعه وشروطه ... وسروبهُ ملك لكم وحقوقهُ

حر تحيط به حدود أربع ... فيها تعين رَحْبُه ومَضيقه

الود أولها ، وثانيها الوفا ، ... والثالث العهد السليم وثيقه

والرابع المسلوك صدقُ محبتي ... لكم ، وفيه بابه وطريقه

وقال أيضا :

حسدتُ الشَّعر منه وقد تَدَلَّى ... على كفل له كالطَّود عَبْلِ

وقلت له أيا من طاب عيشا ... بما استوجبت ذلك منه قبلى

وأنت شبيه حَظِّى منه لَوْنًا ... ولست على الحقيقة رب فضل

فقال يقول ذا منه نصيبي ... وتزعم أن حظك منه مثلى

وقال أيضا :

للترك مالىَ تَرْكُ ... ما دِينُ حبي شِرْكُ

أخلصت دين هواهم ... فحبهم لى نسك

خاطرت بالنفس فيهم ... ومسلك العيش ضَنْكُ

قنعت بالود منهم ... إن القناعة ملك

وفى أغَنَّ غرير ... ملامتي فيه إفك

لحاجبيه وعينيه المحبين فَتْكُ

---

(١) أنا ، ههنا: بفتح الهمزة من كلمتين الأولى «أن» المصدرية، والثانية «ناء» بمعنى ثقل عليه ، وقد أدغم النونين وحذف همزة « ناء » وكتبت الكلمتان متصلتين إتماما لصنعه التجنيس أو بكسر الهمزة ، فعل ماض بمعنى حمل

(٢) إنا، ههنا: حرف مؤكد ينصب الاسم ويرفع الخبر، أوحرف جواب بمعنى نعم ، وعلى الأول قد حذف معموليه أوأحدهما للعلم بهما، وكأنه قال: إننا لولاة أمر — الخ

حواجب وعيون　　لهـــا بقلبي شـك
كالقوس تُصْمِي وهذى　　تشكى المحب وتشكو

وقال أيضا :

وذى مرح عارضته فى طريقه　　فلما رآنى قال لى امْضِ لِشَانكا
فقلت له فأل سعيد مبشر　　بتصحيفه أنى أمصُّ لسانكا

وقال أيضا :

إن غبت عن عِيانى　　ياغاية الأمـانى
فالفكر فى ضمـيرى　　والذكر فى لسانى
ما حَالَ عنك عهدى　　ولا أنثنى عِنـانى
شـوقى إليك باقِ　　والصبر عنك فانى

وقال أيضا :

خَلِّيانى من فترة النسوان　　وانعشانى بِنَشْطَةِ الغلمان
أبدلانى من نفحة المسك والندِّ　　بريح الـكيمخت والزعفران
ذاك عطرى مازال يعبق فى بُرْ　　دَىَّ من موزة ومن قفطان(١)
ليس يصبو لربة القُلْب قلبى　　بل لرب الأقراط حن جنانى(٢)
أخليا من فلانة خرق سمعى　　وأملآ مسمعى بذكر فلان
واتركا القَينة التى قيل عنها　　إنها من حبائل الشيطان
أين منى ذات الخِمَـار بحمَّا　　م وفى موكب وفى بستان
فلهذا لا أرتضى العيش إلا　　مع حبيب تراه حيث ترانى

---

(١) هكذا ، ولعله محرف عن « موزج » والموزج : الخف ، وهو معرب « موزه » بالهاء

(٢) القلب — بضم القاف وسكون اللام — السوار غير الملوى ، وقيل : هو ما كان مفتولا من طاق واحد ، وهو من لباس النساء ، والجنان — بفتح الجيم — القلب

إن رآه ذوو البصائر قالوا غيرُ مستحسن وصالُ الغوانى
فَلَوَ اُنى فرضت فى جنة الخـــلد وصرفت فى نعيم الجنان
لم أكن مائلا إلى طيب وصـــل الحور إلا مع عزة الولدان

وقال أيضا :

بأبى قـــدار منك وابن زرارة أَدْنَيْتَ حَتْفَ المستهامِ العانى
فَلَوَ أنَّ إسْم أبى مُعَــاذٍ قلبهُ ما كان فى البَلْوَى أبا حَسَّـانِ

وقال أيضا :

بعثت بأسباب الجمال فآمنت بحسنك أبصار لنـــا و بصائر
وأبديت حسنا باللحاظ ممنعا فلا خاطر إلا وفيك يُخَـــاطر
ولمـا بدت زهر الثغور وتاهت الـــخواطر وامتدت إليك النواظر
خَتَمْتَ على در الثنايا بخاتم عقيق وتحت الختم تُخْبَأ الجواهر

وقال أيضا :

إلى مُحَيَّــاك ضوء البدر يعتذر وفى محبتك العشاق قد عُذروا
وجنة الخلد فى خَدَّيك مونقة ونار حبـك لا تُبْقِى ولا تذر
يا من يهز دلالا غصنَ قامته الغصن هـذا فأين الظل والثمر
ما كنت أحسب أن الوصل ممتنع وأن وعدك بَرْقٌ ما به مطر
خاطرتُ فيك بغالى النفس أبذلها إن الخطير عليه يسهل الخطر
لما رأيت ظلام الشَّعر منك بدا خُضْتُ الظلام ولـكن غرنى القمر

وقال من الموشح المضمن ، وهو من مخترعاته التى لم يُسبق إليها ، والأبيات المنظمة منحولة إلى أبى نواس :

وحق الهوى ماحُلْتُ يوما عن الهوى ولـكنَّ نجمى فى المحبة قد هوى [١]
ومن كنت أرجو وصله قَتْلتى نَوَى وأضنى فؤادى بالقطيعة والنوى [٢]

---

(١) حلت : تحولت ، والهوى فى صدر البيت : العشق ، وهوى فى عجز البيت : أي سقط
(٢) نوى في صدر البيت : فعل ماض بمعنى قصد ، والنوى فى عجز البيت : البعد والفراق

ليس فى الهوى عجب   إذ أصابنى النَّصَبُ[١]
حاملُ الهوى تَعِبُ   يستفزه الطرب
أخو الحب لا ينفك صبا متيما   غريق دموع قلبهُ يشتكى الظَّمَا
لفرط البكىْ قد صار جلداً وأعظما   فلا عجب أن يمزج الدمع بالدما
الغرام أحمله   إذ أصاب مقتله
إن بَكَى يحق له   ليس ما به لعب
ألا قل لذات الخال يا ربة الذكا   ومَنْ بضياء الوجه فاقت على ذُكا
شكوت غرامى لو رثَيْتِ لمن شكىْ   وأطلقت دمعى لو شفى الدمع من بكىْ
فانثنيت ساهية   والقلوب واهية
تضحكين لاهيةً   والمحبُّ ينتحب
أسرت فؤادى حين أطلقتِ عبرتى   وبدّلتنى من مُنيتى بمَنِيَّتِى
ولما رأيت السقم أنحل مهجتى   تعجبتِ من سقمى وأنكرتِ قتلتى
صرتِ إذ بدا ألمى   عند ما أرقْتِ دمى
تعجبين من سقمى   صحتى هى العجب
تحجبت عن عينى فأيقنت بالشّقا   وآيسنى فرط الحجاب من البقا[٢]
فلما أُمِيطَ الستر وارتحت للقا   غضبتِ بلا ذنب وغادرتنى لَقَى[٣]
حين تُرْفَعُ الحجب   منك يصدر الغضب
كلما انقضى سبب   منك عادلى سبب

وقال فى الزنبق والورد :

قد نشر الزنبق أعلامه   وقال : كُلُّ الزهر فى خدمتى

---

(١) النصب : مثل التعب ، وزنا ومعنى
(٢) فى ب ، ت « وآنسنى فرط الحجاب » تحريف ما أثبتناه
(٣) أميط : نحى وأبعد ، ولقى : مطرحا ملقى

لو لم أكن فى الحسن سلطانه ... ما رفعت من دونه رايتى
فقهقه الورد به ناهيا ... وقال : ما تحذر من سطوتى ؟
وقال للسَّوْسَنِ : ما ذا الذى ... يقوله الأشيب فى حضرتى ؟
فامتعض الزنبق من قوله ... وقال للأزهار : يا رفقتى
يكون هذا الجيش بى محدقا ... ويضحك الورد على شيبتى ؟

وقال أيضا ، وفيها ست تشبيهات بطىّ ونشر :

خليانى أجرُّ فَضْلَ برودى ... راتعاً فى رياض عين البرود
كم بها من بديع زهرٍ أنيقٍ ... لفصول منظومة وعقود
زنبق بين قُضْب آس وبَانٍ ... وأقاح وعَبْهَر وورود
كجبين وعارض وقَوَام ... وثغور وأعين وخدود

وقال أيضاً :

ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة ... وقد غفلت عنا وُشَاةٌ ولوّامُ
وقد فرش الورد الخدود ونُشِّرَتْ ... لمقدمه للسوسن الغض أعلام
أقول وطرف النرجس الغض شاخص ... إلينا وللنَّمام حولىَ إلمام (١)
أيا رب حتى فى الحدائق أعين ... علينا ؟ وحتى فى الرياحين نمام ؟ (٢)

وقال فى مليح راقص :

جاء وفى قده اعتدال ... مهفهف ماله عديل (٣)
قد خففت عطفهُ شمال ... وثقَّلَتْ جفنه شمول (٤)
ثم انثنى راقصا بقَدٍّ ... تُثْنى إلى نحوه العقول

---

(١) النمام ، هنا : نوع من الزهر ، والإلمام : أصله الزيارة
(٢) النمام ، هنا : الواشى الذى يفسد ما بين المحبين
(٣) ماله عديل : ليس له نظير ... (٤) الشمول : من أسماء الخمر

يجول ما بيننا بوجـه ... فيه ميـاه الحيا تجول

فرنَّحَ الرقص منه عطفا ... حف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف ... وردفه خارج ثقيـل

وقال فى مليح قلع ضرسه :

لحا الله الطبيب فقد تعدَّى ... وجاء لقطع ضرسك بالمحال

أعاق الظبي فى كلتا يديه ... وسلَّط كلبتين على غـزال

وديوانه الذى دوّنه بنفسه ثلاث مجلدات ، وكله جيد .

وكانت وفاته فى أوائل سنة خمسين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى وعفا عنه !

(٢٤٣)

عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن (١) .

أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى

شيخ الإسلام ، وبقية الأعـلام ، الشيخ عز الدين ، السلمى ، الدمشقى ، الشافعى .

ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، وتوفى سنة ستين وستمائة .

سمع من الخشوعى ، وعبد اللطيف بن إسماعيل الصوفى ، والقاسم بن عساكر ، وابن طبرزد ، وحنبل ، وابن الحرستانى ، وغيرهم ، وخرج له الدمياطى أربعين حديثاً عوالى ، روى عنه الشيخ تـقى الدين بن دقيق العيـد ، والدمياطى ، وأبو الحسين اليونينى ، وغيرهم ، وتفقه على الإمام فخر الدين بن عساكر ، وقرأ الأصول والعربية ، ودرّس ، وصنف ، وأفتى ، وبرع فى المذهب ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقَصَده الطلبة من البلاد ، وتخرج به أئمة ، وله الفتاوى السديدة .

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٠١/٥ وتاريخ ابن كثير ٢٣٥/١٣ وفى النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ وذكره الذهبي فى وفيات ٦٦٠ وقال « توفى فى جمادى الأولى عن ثلاث وثمانين سنة » وله ترجمة مطولة فى طبقات الشافعية الكبرى ٨٠/٥

وكان ناسكا ورعاً ، أمّاراً بالمعروف ، نهاء عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

وُلى خطابة دمشق بعد الدولقى ، فلما تملك الصالح إسماعيل دمشق ، وأعطى الفرنج صفدوالشقيف(١) ، ذمّه ابن عبد السلام على المنبر ، وترك الدعاء له ، فعزله ، وحبسه ، ثم أطلقه ، فبرح إلى مصر ، فلما قدمها تلقّاه الصالح نجم الدين أيوب ، وبالغ فى احترامه ، واتفق موت قاضى القضاة شرف الدين بن عين الدولة ، فولى بدر الدين السخاوى قضاء القاهرة ، وولى ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلى مع خطابة جامع مصر .

ثم إنّ معين الدين بن الشيخ بنى بيتاً على سطح مسجد بمصر ، وجعل فيه طبلخانة معين الدين ، فأنكر ذلك ابنُ عبد السلام ، ومضى بجماعته ، وهدَمَ البنيان ، وعلم أن السلطان والوزير يغضبان ، فأسقط عدالة الوزير ، وعَزَلَ نفسه عن القضاء ، فعظم ذلك على السلطان ، وقيل له : اعزله عن الخطابة ، وإلا شنّع عليك على المنبر ، كما فعل فى دمشق ، فعزله ، فأقام فى بيته بشغل الناس ، وكان مع شدّته فيه حسنُ محاضرة بالنادرة والشعر ، وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد ، وأرسل له السلطان لما مرض ، وقال : عين مناصبك لمن تريد من أولادك ، فقال : ما فيهم مَنْ يصلح ، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضى تاج الدين ، ففُوِّضت إليه ، ولما مات شهد الظاهر جنازته والخلائق ، واختصر « نهاية المطلب » وله « القواعد الكبرى » و « القواعد الصغرى » و « مقاصد الرعاية » وغير ذلك .

---

(١) صفد – بفتح الصاد والفاء – مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان . وشقيف أرنون : قلعة حصينة فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل

والناسُ تقول فى المثل : ما أنت إلا من العوام ، ولو كنت ابن عبدالسلام .

ويقال : إنه لما حضر بيعة الملك الظاهر قال له : يا ركن الدين ، أنا أعرفك مملوك البندقدار ، فما بايعه حتى جاء مَنْ شهد له بالخروج عن ملكه إلى الملك الصالح ، وعتقه ، رحمه الله تعالى ! ورضى عنه ! .

ولما كان بدمشق سمع من الحنابلة أذى كثيراً ، رحمه الله ! .

(٢٤٤)

رفيع الدين أبو حامد عبدالعزيز بن عبد الواحد الجيلى القاضى

عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل ، قاضى القضاة بدمشق ، رفيع الدين ، الجيلى ، الشافعى ، الذى فعل بالناس تلك الأفاعيل [١] .

كان فقيهاً ، مناظراً ، متكلماً ، متفلسفا ، قدم الشام ، وولى القضاء ببعلبك أيام صاحبها الصالح إسماعيل ، ووزيره أمين الدولة السامرى ، فلما ملك الصالح دمشق ولاه القضاء بدمشق ، فاتفق هو والوزير المذكور فى الباطن على المسلمين ، وكان عنده شهود زور ومن يدّعى زوراً ، فيحضر الرجل المتموّل إلى مجلسه ، ويحضر المدعى عليه بألف دينار ، أو بألفين ، فينكر ، فيحضر الشهود ، فيلزمه ، ويحكم عليه ، فيصالح غريمه على النصف ، أو أكثر ، أو أقل ، فاستبيحت أموال الناس .

قال أبو المظفر بن الجوزىّ : حدثنى جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة ، دُهْريا ، مستهزئاً بأمور الشرع ، يجىء إلى الصلاة سكران ، وأنّ داره كانت مثل الحانة .

---

(١) له ترجمه فى شذرات الذهب ٥/٢١٤ وفى النجوم الزاهرة ٦/٣٥٠ وذكر فيه ما كان يتهم به من سوء العقيدة ، وذكر أنه قتل من أجل ذلك ، وله ترجمة فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة — وكان معاصره — ٢/١٧١

قال الشيخ شمس الدين : بلغنى أنّ الناس استغاثوا إلى الصالح ، فخاف الوزير وعجل بهلاكه ليمحو التهمة عنه .

وقيل : إنّ السلطان كان عارفا بالأمور ، والله تعالى أعلم .

وقبض على أعوان الرفيع وكبيرهم حسين بن الرواسى الواسطى ، وسجنه ، وعذبوا بالضرب والعصر والمصادرة ، ولم يزل ابن الرواسى فى العذاب إلى أن فقد

وفى ثانى عشر الحجة سنة اثنتين وأربعين وستمائة أخرج الرفيع من داره ، وحبس بالمقدمية ، ثم أخرج ليلا وسجن فى مغارة فى نواحى البقاع ، وقيل : ألقى من شاهق ، وقيل : بل خنق .

قال ابن واصل : حكى لى ابن صبح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى شقيف أرنون(١) ، قال : فعرف أنى أريد أن أرميه ، فقال : بالله عليك دعنى أصلى ركعتين ، فأمهلته حتى صلاهما ، ثم رميته ، فهلك .

ولما كثرت الشكاوى عليه أمر الوزير بكشف ما حمل إلى الخزانة ، وكان الوزير لا يحمل إلى الخزانة إلا القليل ، فقال لرفيع : الأمور عندى مضبوطة ، فخافه الوزير ، وخوّف السلطان من أمره ومن عاقبته ، فقال : أنت جئت به ، وأنت تتولى أمره ، فأهلكه الوزير .

وقال ابن أبى أصيبعة : كان من الأكابر ، والمتميزين فى الحكمة والطبيعى والطبّ ، وأصول الدين والفقه .

وحكى بعض الذين باشروه أنه لما رَموْه فى تلك الهوّة تحطم فى نزوله ، وكأنه تعلق فى بعض جوانبها ثيابه ، فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام ، وكلما مرّ يوم يضعف ويخفى ، حتى تحققنا موته ، ورجعنا ، نسأل الله تعالى حسن العاقبة .

---

(١) انظر الهامشة ١ فى ص ٥٩٥ ، ووقع فى ب ، ث ، « شقيق أرنون » وصوابه ما ذكرنا .

(٢٤٥)

شرف الدين عبدالعزيز بن محمد ، الحموى

عبد العزيز بن محمد[١] بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ، الإمام ، العلامة ، الأديب ، الشاعر ، شيخ الشيوخ ، شرف الدين ، بن القاضى بن[٢] عبدالله ، الأنصارى ، الأوسى ، الدمشقى ، الشافعى ، الحموى ، الصاحب ، ابن قاضى حَمَاة .

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة بدمشق ، وتوفى سنة اثنتين وستين وستمائة .

رحل به والده ، وأسمعه جزء ابن عرفة من ابن كليب ، وأسمعه المسند كله من عبيد الله بن أبى المجد الحربى ، وقرأ كثيراً من كتب الأدب على الكندى ، وسمع من جماعة ، وبَرَعَ فى العلم والأدب ، وكان من الأذكياء المعدودين ، وله محفوظات كثيرة ، وسكن بعلبك مدّة ، وسكن دمشق مدة ، ثم سكن حَمَاة ، وكان صدراً كبيراً نبيلا معظماً ، وافر الحرمة ، كبير القدر ، روى عنه الدمياطى وأبو الحسين اليونينى ، وابن الظاهرى ، وقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، وجماعة كثيرة .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : لا أعرف فى شعراء الشام بعد الخمسمائة وقبلها مَنْ نظم أحسن منه ، ولا أجزل ، ولا أفصح ، ولا أصنع ، ولا أسرى ، ولا أكثر ، فإن له فى لزوم مالا يلزم مجلداً كبيراً ، ومارأيت له شيئاً إلا وعلقته ، لما فيه من النكت والتوريات الفائقة ، والقوافى المتمكنة ، والتركيب العذب ، واللفظ الفصيح ، والمعنى البليغ ، فمن ذلك قوله :

غدوت فكنت شمسى فى صباحى ... ورحت فكنت بدرى فى مسائى

وجدتك إذ عدمت وجود نفسى ... فأهــــلا بالفراق وباللقاء

فإن أغفيت كان عليك وقعى ... أو استيقظت كان بك ابتدائى

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٣٠٩/٥ وفى النجوم الزاهرة ٢١٤/٧ وذكر نسبه «عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور» ثم قال: وقد استوعينا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلك فى تاريخنا المنهل الصافى » وذكره الذهبى فى وفيات ٦٦٢ وله ترجمة فى طبقات الشافعية الكبرى ١٠٨/٥ (٢) كذا ، ولعله «ابن القاضى أبى عبدالله»

فيا سعدى إذا مادام سكرى | علىّ وإن صحوت فيا شقائى
وقلت لصاحبى لما لحانى | عليك بما عناك ولى عنائى[1]
أصمّك سوء فهمك عن خطابى | وأعماك الضلال عن اهتدائى
وهُنْتَ فكنت فى عينى صبيا | أخاطبه بألفاظ الهجاء
فلو أصبحت ذا حاء وسين | لما عَنَّفْتَ فى حاء وباء[2]

وقال أيضا :

مالم يغير عكسه لفظه | مثاله « قد نبل البندق »
وما إذا صحف معكوسه | عاد إلى صيغته « فستق »

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

لائمى فى العشق مُخْطِى | وعلىّ العشق يخطى
مالكم يا من لحونى | لمتم باللوم ضَبْطِى
لا تخطوا بى إلى الجدّ | فقد جاوزت خطى
كم شرحتم ما أعمّى | وكشفتم ما أغطّى
وتهدّدتم وقلتم | إننى فى الأمر مخطى
خبرونى هل أخذتم | عملتى من تحت إبْطِى
قد تخليت عن العقل | فخلّونى وخَبْطى
شفّنى أغْيَدُ ، قلبى | منه فى قَبْض وبَسْط
وحياتى ومماتى | فى رضاً منه وسُخْط
ولحانى فى هواه | كل واهى العقل زطّى
يُشْهِر اللحظَ يمانى | ويهزّ القدّ خَطّى
زيّن الخدّ بخالٍ | وعذار هو شرطى
أبدع الحسن به ما | شاء من شكل ونقط

---

(١) لحاني : لامنى ، وعناك : أهمك ، مأخوذ من قولهم « من تعرض لما لا يعنيه سمع مالا يرضيه » (٢) ذاحاء وسين : أى صاحب حس ، وحاء وباء : أى حب

مدّ أطراف بنان حسنها يقطع وسطى
ثم عاطانى سُــلافا مثلها من فيه يعطى
عُتِّقت عنـد شيوخ من شيوخ الدير شُمْطِ
فلها بَذْلى ومَنْعى ولهـا حلّى ورَبْطِى
خَلِّنِي أفسـد مالى فى الذى يصلح خلطى
مذهبي هذا الذى أفـــتى به صحبى ورَهْطِى
وبه فاشهد على نطـــقى وخذ إن شئت خطى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

أرقت لبارقِ مزنٍ أضا على الأثلاثِ بذات الأضا
كما نبض العرق ثم انبرى كإدمان رامٍ إذا أنبضا(١)
فأذ كرنى بالغَضَا جيرةً تدلوا وأصليت جمر الفضا
أضاء الدجى لىَ لمـا دَنَوْا وبانوا فضاق علىّ الغضا
وطوّل فى حبهم لائمى فعرّض قلبي لمـا عرّضا
رأى النار فى كبدِي تلتظى وفى جوفه الماء ماخضخضا
بروحى غزال بألحاظه وُعود بألحاظنا تُقْتَضَى
سقانى من ريقه خمرةً شفانى بها وبها أمرضا
رنَا وانثنى فقضى حسنه علىّ ولى وَطَر ما انقضى
فمن قدِّه ذابل مُشْرَع ومن لحظه صارم مُنتضَى
أبثك وجداً كسانى الضنى فأعجزنى السقم أن أنهضا

---

(١) أنبض الرامى : جذب وتر القوس لتصوت، وأنبض بالوتر: جذبه ثم أرسله ليرن ، ويقال لمن ينتحل ماليس من شأنه « إنباض من غير توتير »

وعَمَّمَ فودىَ وَخطُ المشيب ... فسوَّد حالى بمـا بيضا
بعينى أقيك فَنَمْ وادعا ... وإن كان جفنى ما أغمضا
فَزِدْنى صدوداً أزد صبوة ... وفى حالة السخط لا فى الرضا
أعد نظراً منك فى أمر من ... إليـك مقاليدَهُ فوّضا
وفَاضَ على خدّه دمعُهُ ... فذهَّبه بعـد ما فضضا
وعاود أطرابه بعـد ما ... نَضَى من شبيبته ما نَضَى

وقال أيضا :

قرأت خط عذاريهِ فأطمعنى ... بواو عطف ووصل منه عن كَثَبِ
وأعربَتْ لىَ نونُ الصدغ معجمة ... بالحاء عن نجح مقصودى ومُطَّلبى
حتى رنا فسبت قلبى لواحظه ... (والسيف أصدق أنباء من الكتب)(١)

وقال أيضا :

حيث ترامت بى الجهات ... فلِى إلى وجهك التفاتُ
جيراننا باللوى أجيروا ... ولهان أودى به الشَّتات
إليكُمُ هجرتى وقصدى ... وفيكُمُ الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادى ... فآنسوا مقلتى ولاتوا(٢)

وقال أيضا :

نفحات مُعَنْبَرَهْ ... عن رياضٍ مُحبَّرَه
وغمام معربد ... ببرود وزَمْجَـرَه
ترك الروض ناظِراً ... بعيـون مخضره

---

(١) عجز هذا البيت صدر بيت لأبى تمام الطائى وهو مطلع قصيدته التى مدح بها المعتصم حين فتح عمورية ، وعجزه فى كلامه :

* فى حده الحد بين الجد واللعب *

(٢) ولاتوا : أراد « ولا توحشوها »

وقال أيضا :

كبد يلتظى ودمع غريق هكذا هكذا يكون المَشُوقُ

نَفِّسُوا عن خناق نفس كئيب كُلِّفت بالغرام ما لا تطيق

ما لنا فى الهوى حقوق عليكم بل لكم سادتى علينا الحقوق

مثلكم فى جمالكم ليس يلقى وغرامى بغيركم لا يليق

عَقَّنى لؤلؤ المدامع فيكم ووفى لى دمع حكاهُ العقيق

فبعينى أفدى سيوف جفون لدمى من جفون عينى تُرِيقُ

يا حبيبا له بصدرى وداد رَحْبُ صدرِ الفضاء عنه يضيق

رَقَّ معناى فيك مذ كنت طفلا لست أدرى بكم يباع الرقيق

إننى رب غبطة لعذولى ولداعى هواك عبد رقيق

بَهَرَتْ منك مقلتى عين شمس يتهادى بها قضيب وَرِيقُ

فبتفويق حاجبَيْك افتتانى كلما ماس قدك الممشوق

وبتعليق ذا العذار اشتغالى عن دروسى والضرب والتعاليق

وقال أيضا :

أفنيت عمرىَ فى دهر مكاسبة نطيع أهواءنا فيه وتعصينا

تسعا وعشرين مَدَّ الدهر شُقّتها حتى توهمتها عشرا وتسعينا(١)

وقال أيضا :

أكملت ستا وأربعين بها أخلَتْ همومى من راحتى رَبْعِى

وجُزْتُ فى السبع خائفا وجلا كأننى جائز على السبع(٢)

---

(١) فى ب « تسعا وعشرين هذا الدهر شفعها » تحريف

(٢) السبع فى صدر البيت العدد التالى للست ، والسبع فى قافية البيت الأسد

وقال أيضا :

مررت وبدره في عقربيه ... وصَدَّ فبان لى صِدْقُ النِّجامه[1]

فديتك لو رأيْتَ لهيب قلبي ... إذن لرحمت قلبي وانسجامه

وخدك في العذار بديع حسن ... وأحسن منه سالك في الحجامه

وقال أيضا :

ست عيون من تأتَّتْ له ... كانت له شافية كافية

العلم والعلياء والعفو وال ... عزة والعفة والعافية

وقال أيضا :

سألته من ريقه شربة ... أطفى بها من ظمإ حره

فقال أخشى يا شديد الظما ... أن تتبع الشربة بالجره

وقال أيضا :

إن قوما يَلْحَوْنَ في حب سُعْدَى ... (لا يكادون يفقهون حديثا)[2]

سمعوا وَصْفَهَا ولاموا عليها ... « أخذوا طيبا وأعطوا خبيثا »

وقال أيضا :

زعموا أننى هويت سواكم ... كذبوا ما عرفت إلا هواكم

قد علمتم بصدق مُرْسَل دمعى ... فَسَلُوهُ إن كان قلبي سلاكم

قال لى عُذَّلِى متى تبصر الرشـ ... ـد وتسلو فقلت يوم عماكم

حاولوا سلوتى بلومى فأغرو ... نى فمن ذا بصدكم أغراكم

لا تحيلوا قلبي على حسن صبرى ... أحسن الله في اصطبارى عزاكم

---

(١) النجامة ـ بكسر النون ـ صناعة المنجمين ، وفى ب « فبان ضد النجامة » تحريف

(٢) يلحون : يلومون . وعجز هذا البيت من قوله تعالى : (فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا)

وقال أيضا :

شرحت لوجدى فى محبتكم صدرا ... وصَبَّرت من نفسى فلم أستطع صبرا

ومن ظن سلوانى من البر والتقى ... فإنى إلى الرحمن من ظنه أبْرَا[1]

فيا يوسف الحسن الذى مذ لقيته ... بسيارة من فكرتى قلت يابُشْرَى[2]

لقد حل من قلبى بواد مقدس ... ليقبس من قلبى الكليم به جمرا

لئن خَوَّفتْنِي من تجنيه عُذَّلِي ... فإن مع العسر الذى زعموا يسرا

وقلت لعذالى ألم تعلموا الهوى ... لقد جئتم شيئا بعذلكم نُكرا

لعمرى لقد طاوعت زائد لوعتى ... عليكم ، وما طاوعت زيدا ولا عمرا

شفينا غليل الشوق منه بنزلة ... فطوبى لمن يَحظَى به نزلة أخرى

فلا تعجبوا للسيف والسيل واعجبوا ... لأجفانه المرضى ومقلتيَ العَبْرى

وإن بان ذلى وانكسارى لبينه ... فمن قيصر عند الوصال ومَنْ كسرى

وأى عذول كان فى الحب عاذرى ... فذاك الذى قد يسر الله لليسرى

خليلىَّ ها سقط اللوى قد بدا لنا ... فلا تقطعاه بل قفا نبك من ذكرى

بدا فاسترقَّ العالمين جماله ... فمن أجل هذا جَلَّ بالعين أن يُشْرَى

وأذكر آياتِ الخليل عذارُهُ ... لجنته الخضراء فى ناره الحَمْرَا

تباعد مَسْرَى شامنا من حجازه ... وقد زارنا ليلا فسبحان مَنْ أسْرَى

وقال أيضا :

طاوعتكم فعصيتُمُ أمرى ... وحفظتكم فأذعتُمُ سرّى[3]

وشغلت قلبى واللسان بكم ... فى الحب عن زيد وعن عمرو

---

(١) أبرا : أصله أبرأ ـ بالهمز ، من البراءة ـ فسهل الهمزة بقلبها ألفا

(٢) يشير بهذا إلى قوله تعالى فى قصة يوسف : (وجاءت سيارة ، فأرسلوا واردهم ، فأدلى دلوه ، فقال : يابشراى هذا غلام)

(٣) أذعتم سرى : نشرتموه بين الناس

لم تخفَ أشجانى ولا ظهرت فَضَنِيتُ بين السر والجهر
جودوا على مقدار فضلكم وذروا مكافأتى على قدرى[1]
لا تعرضوا عنى بلطفكم من ذا بحالى غيركم يدْرِى
ما فى صباحى والمساء سَناً لولاك يا شمسى ويا بدرى
وقف الهوى بى حيث أنت فلى وَقفاً عليك مدامع تجرى
ذَرْنى ووجدى ياعذول بمن كَلَفى بهم مذ كنت فى الذَّرِّ
أفنيت عمرى فى محبتهم فلئن سلوتهم فواعمرى
إن بِيعَ بالأرواح وصلهمُ فقد اشتريت بذلك السعر

وقال أيضاً :

خذ فى وقارك واتركنى ووسواسى فليس فى ولهى فى الحب من باس
إن أنت لم تَقْفُ إثرى فى الغرام فقف عنى لأجرى إلى اللذات أفراسى
ولاتقِسْنى على من لا يشاكلنى فإن أمرىَ شىء غير منْقَاس
قضيب آس تبدى مثمرا قمرا وجدى القديم به أطرى من لآس
لها معاطف تغْرِينى برقتها ولينها أن أقاسى قلبها القاسى
باتت مُوَسِّدة رأسى على يدها عطفا وكانت يدى منها على راسى

وقال أيضا :

أأسودُ غِيلٍ أم ظباء كِناس هدمت تقاىَ وأست وسواسى[2]
وتغزلى من بينها بغزَيِّلٍ خلس النفوس بطرفه الخلاَّسِ[3]
أشكو إليه وأين عز جماله من ذلتى وغناه من إفلاسى

---

(١) ذروا : اتركوا ودعوا ، ومكافاتى : هو بتسهيل الهمز وبتحقيقها ، كل صحيح

(٢) الغيل : مسكن الأسود ، ووقع فى ب « أأسود غيد » تحريف غير مستساغ والكناس — بزنة الكتاب — مسكن الظباء

(٣) غزيل : تصغير غزال ، وخلس النفوس : نهبها

ماذا ترى أذنبت فى شرع الهوى حتى بليت بكل قلب قاسى
مولاى تذكر إذ ترانى قائما فيما أمرت وأنت من جُلّاسى
حُوشِيتَ من نسيان عهد لم يزل ينسينىَ الإيحاش بالإيناس
ولئن عذرت لقد وقفت لك عبرتى والدمع منه خاذل ومُوَاسى
إن لم تزر فإذا مررت فقف بنا (ما فى وقوفك ساعة من باس)[1]
يا صاح لا تخدع فما لصحاتنا شبه سوى الأموات فى الأرماس
فإذا السرور عصى عليك ولم يطع فخذ المدام ودع كلام الناس
لا تكذبَنَّ فلست أترك شربها فى الدير بين القسِّ والشَّمَّاسِ
عنفتنى فيما مضى وعذرت إذ نادمتنى وشربت فضلة كاسى
هذا ولو أدركت فضلة نَشْوتى قبلت رجلى أو حلفت براسى

وقال أيضا :

أقسمت ماخَدُّه القانى من الخجل أرق من دمعىَ الجارى ولا غزلى[2]
أغنُّ ألمى غضيضُ الطرف ناظره خلو من الكُحْلِ مملوء من الكَحَلِ[3]
لأعدلن إليـه بالهوى وله جور على بقد منـــه معتدل
قد ماس غُصْنًا ولكن غير مختصر واهتز رمحا ولكن غير معتقل
يا نظرة ما حَلَتْ لى حسن طلعته حتى انقضت وأدامتنى على وَجَلِ
عاينتُ إنسانَ عينى فى تسرعه فقال لى (خلق الإنسان من عجل)
يا عاذلى ليس مثلى مَنْ تخادعه وليس مثلك مأمون على عَذَلِى
ما دمت خلوا فما تنفك متهما اعشق وقولُكَ مقبول علىَّ ولى

---

(١) عجز هذا البيت صدر بيت لأبى تمام ، وعجزه فى كلامه :

* نقضى ذمام الأربع الأدراس *

(٢) القانى : الشديد الحمرة

(٣) الأغن : الذى له غنة حين يتكلم ، والألمى : الوصف من اللمى ، وهو حمرة فى الشفة

وقال أيضاً :

سألت سوارها المثرى فنادى ... فقــــيرُ وشاحِها: الله يفتح

لها طرف يقول: الحرب أولى ... ولى قلب يقول: الصلح أصلــح

(٢٤٦)

زكى الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبد الواحد بن أبى الإصبع الأديب

عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد ، الأديب ، أبو محمد، ابن أبى الإصبع، العَدْوَانى ، المصرى ، الشاعر المشهور ، الإمام فى الأدب(١) .

له تصانيف حسنة فى الأدب ، وشعره رائق ، عاش نيفا وستين سنة ، وتوفى بمصر فى ثالث عشرى شوال سنة أربع وخمسين وستمائة .

ومن شعره :

تصدق بوصــل إن دمعى سائل ... وزود فؤادى نظرة فَهْوَ راحلُ

جعلتك بالتميـيز نصباً لناظرى ... فلم لا رفَعْتَ الهجرَ والهجرُ فاعل

وقال أيضا :

فديت التى إذ ودعتنىَ أودعت ... من اللفظ سمعى ساعة البين جوهرا

فلما التقينا رَدَّ دمعى لنحـــرها ... وديعتها فهى اللآلى التى تَرَى

بكت ودنت نحوى فجرد لحظها ... من الجفن سيفا بالدموع مجوهرا

وقال أيضا :

من يذُمُّ الدنيا بظـــلم فإنى ... بطريق الإنصــاف أثنى عليها

وعظتــــنا بكل شىء لو أنا ... حين جادت بالوعظ من مصطفيها

نَصَحَتنا فلم نر النصح نصـــحا ... حين أبدت لأهلهـــا ما لديها

أعلمتنا أن المـآل يقيــــــنا ... للبلى حين جـددت عصريها

---

(١) له ترجمة فى النجوم الزاهرة ٧ / ٣٧ وقال « مولده سنة خمس ــ وقيل : سنة تسع ــ وثمانين وخمسمائة ، بمصر ، وتوفى بها » وله ترجمة فى شذرات الذهب ٥/ ٢٦٥

كم أرتنا مصارع الأهل والأحباب لو نستفيق بين يديها
ولكم مهجة بزهرتها اغترَّت فأدمت ندامةً كفيها
أتراها أبقت على سَبَإٍ من قبلنا حين بَدَّلَتْ جنتيها
يومُ بؤسٍ لها ويوم رخاء فتزود ما شئت من يوميها
وتيقن زوال ذاك وهذا تَسْلُ عن ما تراه من حالتيها
دار زادٍ لمن تزود منها وغرور لمن يميل إليها
مهبط الوحى والمصلَّى التى كم عفرت صورة بها خديها
مَتْجَر الأولياء قد ربحوا الجنة فيها وأوردوا عينيها
رَغَّبت ثم رَهَّبت ليرى كل لبيب عقباه من حالتيها
فإذا أنصفت تعين أن يُثْنى عليها البرُّ من ولديها

وقال أيضا :

انتخب للقريب لفظا رقيقا كنسيم الرياض فى الأسحار
فإذا اللفظ رَقَّ شَفَّ عن المعنى فأبداه مثل ضوء النهار (١)
مثلما شفَّتِ الزجاجة جسما فاختفى لونها بلون العُقَار

وقال فى قيم حمام :

وقيم كَلَّمَتْ جسمى أنامله بغير ألسنة تكليمَ خرسان
إن أمسك اليدَ منى كاد يكسرها أوسَرَّحَ الشعر من فَوْدَىَّ أدمانى (٢)
فليس يُمْسِك إمساكا بمعرفة ولا يسرح تسريحا بإحسان

وقال أيضا :

جفتنى الليالى فاغتديت كأننى أفتش دهرى فى التراب على نجم

---

(١) أبداه : أظهره وأبانه ، وفى ب « فأهداه » ولها وجه ، ولكن ما أثبتناه موافقا لما فى ث أظرف

(٢) فى ب « إذ أمسك »

أرانىَ لا ينفك نجمىَ هابطًا ... تراه براه ربنا حَسْبُ للرَّجْمِ
فصرت إذًا قوسًا وعقلىَ راميا ... ورأيى الذى أصمى الرمايا به سهمى

وقال أيضا :

وساقٍ إذا ماضاحك الكأس قابلت ... وقائعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا
خشيت وقد أمسى ضجيعى على الدجى ... فأسبَلَ دون الصبح من ثغره حُجُبَا
وقسمت شمس الطاس بالكاس أنجما ... ويا طول ليلٍ شمسه قُسِّمَتْ شُهُبَا

وقال أيضا :

إذا ما سقانى ريقه وهو باسم ... (تذكرت ما بين العذيب وبارق)
ويذكرنى من قده ومدامعى ... (مجر عوالينا ومجرى السوابق)[1]

وقال أيضا :

أيا عَبْلَة الأرداف لحظك عنتر ... ومالى على غاراته فى الحشا صَبْرُ
نعم أنت ياخَنْساء خَنْساء عصرنا ... وشاهد قولى أن قلبك لى صَخْرُ

وقال أيضا :

رأيت بفيه إذ تبسم أدمعا ... فقلت رثى لى إذ بَكَى فمه حزنا
أجادَ لَهُ فى النظم شاعر ثغره ... ولكنه من مقلتى صَرَقَ المعنى

وقال أيضا :

تبسم لما أن بكيت من الهجر ... فقلت ترى دمعى فقال أرى ثغرى
فديتك لما أن بكيت تنظمت ... بفيك لآلى الدمع عقداً من الدر
فلا تدَّعِى يا شاعر الثغر صنعة ... فكاتِبُ دمعى قال ذا النظمُ من نثرى

---

(١) عجزهذا البيت وعجز البيت قبله هما مصراعا بيت هو مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى

(٢٤٧)

أبو محمد زكى الدين عبد العظيم ابن عبدالقوى المنذري الحافظ

عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعيد، الحافظ ، الإمام ، زكى الدين ، أبو محمد ، المنذرى ، المصرى ، الشافعى[١] .

ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة غرة شعبان بمصر ، وتوفى سنة ست وخمسين وستمائة .

قرأ القرآن على الأرباجى[٢] ، وتفقه على ابن القاسم عبدالرحمن بن محمد القرشى وتأدب على أبى الحسين بن يحيى النحوى ، وسمع من عبدالمجيد[٣] بن زهير و إبراهيم ابن البتيت ومحمد بن سعيد المأمونى والمطهر بن أبى بكر البيهقى والحافظ ربيعة اليمنى وأبى الجود غياث بن فارس والحافظ بن الفضل[٤] ، وبه تخرج وهو شيخه ، و بمكة من يونس الهاشمى وأبى عبد الله بن البناء ، وخرج لنفسه معجما كبيراً مفيداً ، روى عنه الدمياطى وأبو الحسين اليونينى و إسماعيل بن عساكر وعلم الدين الدوادارى وتقى الدين بن دقيق العيد وخلق كثير ، ودرس بالجامع الظافرى بالقاهرة مدة ، ثم ولى مشيخة دار الحديث الكاملية ، وانقطع بها نحوا من عشرين سنة ، رحمه الله تعالى !

(٢٤٨)

جمال الدين عبدالقاهر بن محمد، التبريزى الخطيب

عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن موسى بن القاضى ، الخطيب جمال الدين ، التبريزى ، الحرانى ، الدمشقى ، الشافعى[٥] .

مولده فى نصف شعبان سنة ثمان وأربعين وستمائة بحران ، ونشأ واشتغل بدمشق ، وتفقه على الشيخ شمس الدين ، ذكر لى قال : ماتت أمى ابنة عشرين سنة ، وكان أبى تاجراً ذا مال ، فقدم أبى إلى دمشق وأنا ابن ست سنين ، فمات

---

(١) له ترجمة فى شذرات الذهب ٥ / ٢٧٧ ، وفى النجوم الزاهرة ٧/٦٣ وفى تاريخ ابن كثير ١٣/٢١٢، وانظر تاريخ ابن الوردى ٢/٢٠٠، وفى طبقات الشافعية ٥/١٠٨ وفيها « سلامة بن سعد » بدون ياء (٢) فى الطبقات « الأرياحى »
(٣) وفيها « عبد المجيب » (٤) وفيها « بن المفضل »
(٥) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدى الساعة من كتب الرجال

وكفلنى عمى عبد الخالق ، ورجع بى إلى حرّان ، وباع أملاكنا بثمانين ألفا ، وردنى إلى دمشق ، فقال لى يوما : امض بنا نتفرج ، فمضى بى نحوميدان الحصى وعرج بى ، ثم نهض على فخنقنى ، فغشى على ، فرمانى فى حفرة ، وطمّ على المدَر والحجارة ، فبقيت كذلك ثلاثة أيام ، فلما كان فى اليوم الرابع مر بى رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ذلك بثلاثين سنة نزل من الصالحية ومر بجسر ابن شواش وهو يتلو، ثم إلى القطائع ، فجلس يبول ، وأنا أحرك رجلى ، فرأى المدَر يتحرك ، فظنه حية ، فقلب الحجر ، فبدت رجلى فى خف بلغارى فاستخرجنى ، فقمت أعدو إلى الماء ، فشربت من شدة عطشى ، ووجدت فى خاصرتى ضرراً من الحجارة ، وفى رأسى فتحا ، وأرانى أثر ذلك ، ودخلت البلد إلى إنسان أعرفه ، فمضى بى إلى ابن عم لنا وهو الصدر الخجندى ، وكان مختفيا بالصالحية ، وله غلامان يخدمانه ويطعمانه ، اختفى لأمور بدَتْ منه أيام هولاكو فأقمت مدة لا أخرج ، وبلغت وحفظت القرآن ، ومررت بعد مُدّة بالديماس ، فرآنى عمى فقال : هاه ، جمال ؟ امش بنا إلى البيت ، فما كلمته ، وتغير لونى ، وكان معى رفيقان فقالا لى : مابك ؟ فسكت وأسرعت ، ثم رآنى مرة أخرى بالجامع ، ثم خاف من عاقبتى ، فأخذ أموالى ودخل إلى اليمن ، وتقدم عند صاحبها ، ووزَرَ له ، ومات فى تلك البلاد عن أولاد ، وأما أنا فإنى جودت الختمة على الشيخ الزواوى ، وتفقهت على النجم الموعانى ، وترددت إلى الشيخ تاج الدين ، ثم قد وليت القضاء عن ابن الصائغ ، اهـ كلام الشيخ شمس الدين .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى : هذا القاضى جمال الدين جاء إلينا إلى صفد قاضيا من جهة جمال الدين الزرعى ، وأقام أشهراً ، فلما تولى القاضى جلال الدين عزله ، ثم توصل ودخل عليه فولاه ثم عزله ، وقرر له مرتبا يأخذه ولا يتولى الأحكام ، فلما توجه قاضى القضاة جلال الدين إلى الشام وتولى عز الدين بن جماعة ولاه قضاء دمياط ، فلم يزل بها حاكما إلى أن مات فى سنة

أربعين وسبعمائة ، وكان فصيح العبارة ، مليح الشكل ، أحمر الوجه ، مستديره . منور الشيبة ، عذب الكلام ، ينظم نظما عذبا مُنْسَجما ، وعمل مجلدة خطب ، ومن شعره فى الشبابة رحمه الله تعالى وعفا عنه :

وناطقـــة بأفواه ثمــان تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعار يخالف بن تقطيع الحروف
تخاطبنا بلفظ لا يعيه سوى من كان ذا طبع لطيف
فضيحة عاشق ونديم راع وعزة موكب ومدام صوفى

وقال أيضا رحمه الله تعالى :

جاءت تهز اختيالا قَدَّ القضيب المنعم
تجر إثر خطاها أذيال مِرْطٍ مُسَهَّم
قد أنجد الردف والخصـــر غار لطفا وأتْهَمْ
يا ويح خصر شَقِيٍّ من جَوْر ردف منعم
وبات بدرى بصدرى حتى إذا الصبح أنجم
ودعته وَهو يبكى ويمزج الدمع بالدم
فى موقف لو ترانا لكنت ترثى وترحم

(٢٤٩)

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى النحوى

عبد القاهر بن عبد[1] الرحمن ، أبو بكر ، الجرجانى ، النحوى المشهور .

أخذ النحو عن أبى الحسين محمد بن على الفارسى ، وَكان من كبار أئمة العربية ، صنف «المغنى ، فى شرح الإيضاح» فى نحو ثلاثين مجلداً ، « والمقتصد، فى شرح الإيضاح » أيضا فى ثلاث مجلدات ، و « إعجاز القرآن» وكتاب عروض،

(١) له ترجمة موجزة جدا فى النجوم الزاهرة ١٠٨/٥ وفى شذرات الذهب ٣٤٠/٣ وفى طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكى ٢٤٢/٣

و « العوامل المائة » و « المفتاح » و « شرح الفاتحة » فى مجلد ، وله « العمدة » فى التصرف » و « الجمل » و « التلخيص » بشرحه ، وكان شافعى المذهب ، أشعرى الأصول ، مع دين وسكون .

توفى سنة إحدى وسبعين وأربعمائة[١] .

ومن شعره :

لا تأمن النفثة من شاعر   ما دام حيا سالما ناطقا
فإن من يمدحكم كاذبا   يُحْسِنُ أن يَهْجُوَكم صادقا

وقال أيضا :

كَبِّرْ على العقل يا خليلى   ومِلْ إلى الجهل مَيْلَ هائم
وكن حمارا تَعِشْ بخير   فالسعد فى طالع البهائم

وقال أيضا :

أرخ باثنين وخمسينا   فليت شعرى ما قضى فينا
نسرّ بالحول إذا ما انقضى   وفى تقضيه تقضينا

(٢٥٠)

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر ، الفقيه الشافعى البغدادى

عبد القاهر[٢] بن طاهر بن محمد بن عبد الله ، التيمى[٣] ، أبو منصور ، الفقيه الشافعى .

ولد ببغداد ، ونشأ بها ، وسافر مع أبيه إلى خراسان ، وسكنا بنيسابور إلى أن ماتا ، تفقه أبو منصور على أبى إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفرائنى ، وقرأ عليه أصول الدين ، وكان ماهراً فى فنون عديدة ، خصوصا فى علم الحساب ، وله فيه تآليف نافعة : منها كتاب « التكملة »[٤] وكان يدرس فى سبعة وعشرين فناً ،

---

(١) فى طبقات الشافعية « وقيل : أربع وسبعين وأربعمائة »
(٢) له ترجمة مطولة فى طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢٣٨
(٣) فى الطبقات « التميمي »
(٤) هو كتاب فى الحساب كما فى كشف الظنون ١/٤٧١

وكان عارفا بالفرائض والنحو والشعر ، وكان ذا مال وثروة ، ولم يكتسب بعمله مالا ، وأربى على أقرانه فى الفنون ، وجلس بعد أستاذه أبى إسحاق للاملاء فى مسجد عقيل ، فأملى سنين ، واختلف إليه الأئمة فقرأوا عليه ، مثل ناصر المروزى وزين الإسلام القُشَيرى .

وتوفى سنة عشرين وأربعمائة[1] ، بمدينة إسفرائين ، ودفن إلى جانب شيخه .

ومن شعره :

طلبتُ من الحبيب زكاة حُسْنٍ ... على صغر من العمر البهىّ

فقال : وهل على مثلى زكاة ... على قول العراقىّ الزكىّ ؟[2]

فقلت : الشافعىّ لنا إمام ... وقد فرض الزكاة على الصبىّ

وهذا مثل قول الأمير أبى الفضل الميكالى :

أقول لشادن فى الحسن فَرْدٍ ... يصيد بلحظه قلب الكمىّ[3]

ملكت الحسن أجمع فى نصاب ... فأدِّ زكاة منظرك البهىّ

وذاك بأن تجُودَ لمستهام ... برَشْفٍ من مُقَبلك الشهى

فقال : أبو حنيفة لى إمام ... يرى أن لازكاة على الصبى

وتممها سيدنا ومولانا قاضى القضاه تقى الدين السبكى أدام الله أيامه بقوله :

فقال : اذهَبْ إذن فاقبض زكاتى ... برأى الشافعى من الولى

فقلت له : فديتك من فقيه ... أيطلب بالوفاء سوى المَلِيِّ ؟

نصاب الحسن عندى ذو امتناع ... بلحظك والقوام السَّمْهَرِى

---

(١) ذكر فى كشف الظنون ١/٤٧١ أن وفاته كانت فى سنة ٤٢٩ وكذلك ذكر فى ٢/١٨٢٠ (٢) العراقى : هو أبو حنيفة رحمه الله تعالى ورضى عنه !

(٣) الشادن : ولد الظبية إذا ترعرع ، والكمى : الشجاع البطل المتكمى فى سلاحه : أى المتغطى

فإن أعطيتنا طوعا وإلا أخذناه بقول الحنبلي[1]

ومن شعر أبي منصور رحمه الله تعالى :

شبابي وشيبي دليلا رحيلي فسمعاً لذاك وذا من دليل
وقد مات مَنْ كان لي من عديل وحسبي دليلا رحيل العديل

وقال أيضاً :

يا سائلي عن قصتي دعني أمت في غُصَّتِي
المال في أيدي الورى واليأس منه حِصَّتِي

ومن تصانيفه : تفسير القرآن، تأويل متشابه الأخبار ، فضائح المعتزلة، الكلام في الوعيد ، الفاخر في الأوائل والأواخر ، إبطال القول بالتولد ، فضائح الكرامية، معيار النظر ، تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر ، الإيمان وأصوله ، الملل والنحل ، التحصيل في أصول الفقه ، الفرق بين الفرق ، بلوغ المدى في أصول الهدى ، نفي خلق القرآن ، الصفات .

---

(١) في ب ، ث وطبقات الشافعية « أخذناه بقول الشافعي » وقد تقدم ذكر مذهب الشافعي

***

قد تم — بعون الله تعالى وحسن تيسيره — مراجعة الجزء الأول من كتاب « فوات الوفيات » ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثاني ، مفتتحا بترجمة « عبد القادر الجيلاني » . نسأل الذي يصرف الأمور حسب مشيئته أن يعين على تمامه بمنه وفضله !.

فهرس الجزء الأول من كتاب

« فوات الوفيات » لمحمد بن شاكر بن أحمد ، الكتبي

* لما كان مؤلف هذا الكتاب لم يلتزم ما التزمه ابن خلكان من ذكر سنة الوفاة فإنا ذكرنا ما عثرنا عليه مما تركه من سني الوفاة ، وجعلناه بين معقوفين [ ] وما لم نعثر عليه تركناه .

(١) هكذا وقع هذا الاسم بين الأسماء المبدوءة بحرف السين المهملة

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٤٨٦	١٩١	١٣٦	عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أمير المؤمنين، السفاح
٤٨٧	١٩٢	١٥٨	عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو جعفر ، أمير المؤمنين ، المنصور
٤٨٨	١٩٣	٤٨٧	عبد الله بن محمد ، أبو القاسم ، أمير المؤمنين ، بن ذخيرة الدين أبى العباس القائم بأمر الله
٤٨٩	١٩٤	٤٦٦	عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد ، الخفاجى، الشاعر ، الأديب
٤٩٣	١٩٥	٦٠٠	عبد الله بن محمد ، الأزدى ، المغربى ، المعروف بالعطار
٤٩٤	١٩٦	٢٨٢	عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، القشيرى، المعروف بابن أبى الدنيا
٤٩٥	١٩٧	٤٣١	عبد الله بن محمد بن يوسف، أبو محمد ، الزوزنى ، الأديب
٤٩٦	١٩٨	٦٥٦	عبد الله بن منصور بن محمد بن أحمد بن الحسن ، أمير المؤمنين ، أبو أحمد ، المستعصم
٥٠١	١٩٩	٢١٨	عبد الله بن هارون ، أمير المؤمنين المأمون بن الرشيد ابن المهدى
٥٠٥	٢٠٠	٢٩٦	عبدالله بن محمد بن جعفر بن محمد بن هارون، أبو العباس، أمير المؤمنين بن المعتز
٥١٢	٢٠١	٧٤٣	عبد الباقى بن عبد المجيد بن عبد الله ، تاج الدين، اليمنى ، المخزومى ، المكى
٥١٣	٢٠٢		عبد الجليل بن وهبون، أبو محمد، المرسى، الملقب بالدمغة
٥١٦	٢٠٣	[٦٦٩]	عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد (بن سبعين) أبو محمد ، المرسى
٥١٨	٢٠٤	٥٨١	عبدالحق بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسين بن سعيد ، أبو محمد ، الأزدى ، المعروف بابن الخراط
٥١٩	٢٠٥	٦٥٥	عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد (ابن أبى الحديد) عز الدين ، المدائنى ، الفقيه ، الشاعر

تمت فهرس الجزء الأول من كتاب « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى ،
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر
١٩٥١

